جامعة دمشق
الدراسات العليا

أعمال الرباط والمثاغرة بين بلاد الشام وبيزنطة
132-232 هـ. /
750-847 م.

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

اعداد
شيرين سليم حمودي

إشراف
أ. د. إكتمال إسماعيل

2012م

شكر وتقدير:

بعد الانتهاء من إعداد هذه الأطروحة لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة اكتمال إسماعيل، التي غمرتني برعايتها واهتمامها، فما كان للصعوبات التي اعترضتني أن تذلل، وللبحث أن ينجز لولا الرعاية التامة التي لقيتها منها، فقد كان لمتابعتها المستمرة وتصويباتها الدائمة، إضافة لما قدمته لي من علم ومعرفة ومعاملة حسنة، أكبر الأثر في إنجاز هذه الأطروحة، فكانت الأستاذة والمربية والمشرفة في وقتٍ واحد، فلها مني أكبر شكر وتقدير.

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور سهيل زكار، لما قدمه من مساعدات علمية ، من خلال تزويدي بالمصادر والمراجع المهمة التي أغنت هذا البحث ، فله مني كل الشكر والتقدير، أمد الله بعمره.

وأشكر أيضاً الأساتذة أعضاء لجنة الحكم لتحملهم عناء قراءة هذه الأطروحة ولما سيقدمونه لي من تصويبات وملاحظات ستغني هذا البحث.

وأتقدم أيضاً بالشكر والتقدير لأساتذتي في قسم التاريخ بجامعتي دمشق والبعث على كل مساعدة وتعاون أمدوني بهما خلال دراستي.

قائمة رموز الأطروحة

تح – تحقيق

تر – ترجمة

ج – جزء

مج – مجلد

ط – طبعة

ق – قسم

م – ميلادي

هـ – هجري

د.ت – دون تاريخ

د.م – دون مكان

page- p

فهرس المحتوى	رقم الصفحة

تقديم:

ليس هناك أفضل وأجمل من المتعة التي يجدها القارئ في أحداث العصور السالفة، وهذه المتعة تتأتى من خلال استقرائه لأمجاد الناس الذين عاشوا في تلك الأيام وحضارتهم.

فالماضي هو التاريخ، والتاريخ هو سير وأخبار أجيال متتالية ومتعاقبة أبدعت وأثرت على الحياة الماضية بما أنتجته هذه الأجيال من مخزون اجتماعي واقتصادي وفكري وسياسي، وحقبة العصر العباسي الأول تعد من أهم وأجمل وأغنى الحقب الزمنية التي شهدها التاريخ.

فقد كان العصر العباسي الأول محط اهتمام القراء والباحثين والدارسين والمهتمين بالعلوم والثقافة والآثار، لما تركه خلفاء هذا العصر من أمجاد تداولتها الكتب والمؤلفات سابقاً، ولا تزال تتداول ويفتخر بها.

ففي العصر العباسي اكتملت الحضارة العربية الإسلامية وازدهرت وسطعت شمسها في أرجاء العالم، وكان ذلك نتيجة للدور المميز الذي قام به الخلفاء العباسيون في هذا العصر، كما أن حدود الدولة العربية الإسلامية توسعت فوصلت إلى ما وراء النهر شرقاً، والأطلسي غرباً، وجبال أرمينية و طرسوس شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً.

فما إن انتصرت الثورة العباسية حتى تم الإعلان عن قيام دولة جديدة في التاريخ العربي الإسلامي اتسمت بقوتها، وسرعان ما أصبحت هذه الدولة مرهوبة الجانب وراح يحسب لها حساباً لا مثيل له في أرجاء العالم كله، فما حدث في أثناء الثورة العباسية وفي أعقابها لم يكن حدثاً طارئاً في التاريخ العربي الإسلامي أدى إلى انتقال السلطة من أسرة إلى أسرة أخرى، بل كان من نتاج هذا الحدث، ثورة جذرية أنتجت متغيرات كثيرة في السلطة والمجتمع بأكمله، وكانت الدولة العباسية

بحضارتها في ذلك الزمن البعيد رافداً وموضوعاً غنياً لا يزال الباحثون ينهلون منه حتى الوقت الحاضر.

وما يؤكد ذلك حديث جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الراحل لابنته انديرا غاندي عن الخليفة هارون الرشيد وبغداد عاصمة العباسيين حينما قال لها: " ألا تذكرين بغداد وهارون الرشيد وشهرزاد وقصص ألف ليلة وليلة الممتعة؟ إن المدينة التي ازدهرت أيام الخلفاء العباسيين، هي مدينة ألف ليلة وليلة كانت مدينة فسيحة تزخر بالقصور والمحلات العامة والمدارس والأسواق والمتنزهات والحدائق الغناء، وكان تجارها يتعاملون مع بلدان الشرق والغرب ......

فحضارة بغداد عرفها القاصي والداني في تلك الآونة ، وحروب العباسيين مع البيزنطيين كانت تشكل محوراً مهماً في ذلك العصر، فكان من أهم ما يميز العصر العباسي الأول تلك اللقاءات التي تمت بين الدولتين ، الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية ، وهي لقاءات اتخذت شكل العلاقات المباشرة بين الطرفين والعلاقات غير المباشرة أيضاً، فهذا التواصل لم يسر على وتيرة واحدة، فهنالك العديد من المتغيرات التي طرأت على هذا التواصل، فهو تارة يأخذ شكل الصراع العسكري، هذا الصراع الذي فرضته طبيعة الحدود الطبيعية المشتركة بينهما ، واختلاف المصالح والطموحات فكل طرف منهما كان يرغب بامتلاك هذه المنطقة الجغرافية الإستراتيجية المهمة لفرض سيطرته عليها، وتارة كان يتمثل هذا التواصل بالاتصال الحضاري بين أرقى حضارتين في ذلك الزمن .

والموضوع الذي تتم دراسته في هذا البحث يعد حلقة من حلقات السلسلة السياسية والعسكرية للمواجهات بين المسلمين والبيزنطيين.

فقد عدَّ المسلمون قضية الجهاد في سبيل الله وحماية حدود دولة الإسلام من أهم مسؤولياتهم، فكل فرد من أفراد المجتمع العباسي كان من الواجب إعداده وتهيئته لحمل رسالة الإسلام، وهذا يعطي للثغور والمرابطة أهميتهما من خلال ارتباطهما بشرعية الجهاد في سبيل الله، وهو ذروة مبادئ وقيم الإسلام والوسيلة الفاعلة لنشره والمحافظة على الأراضي العربية الإسلامية ومجتمعاتها. فالإسلام حضٌّ على الجهاد في سبيل الله، والقرآن الكريم في آياته حضٌّ على الجهاد ومحاربة أعداء الإسلام، قال تعالى في كتابه العزيز:

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ".[1]

كما حثَّ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على المثاغرة في سبيل الله، قال رسول الله (ص): "إن كلاً منكم على ثغر من ثغور الإسلام فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله".

اعتمد البحث على مصادر متنوعة وكان المنهج الذي يقوم على الاستقراء والتحليل والنقد والمقارنة بين النصوص هو المنهج المتبع، لذلك فقد تضمن البحث أربعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول يتحدث عن الثغور الإسلامية والثيمات البيزنطية، نشأتها وجغرافيتها، ويسلط الضوء على كل مدينة من مدن الثغور على حده، وعلى اهتمام العباسيين بهذه المدن، كما يعرض الإجراءات التي اتخذوها لتحصينها، ويتناول هذا الفصل أيضاً المدن والحصون التي تم إنشاؤها، وأهم الدروب والممرات التي سار منها المسلمون باتجاه بيزنطة، والصوائف والشواتي، تنظيمها

[1] - القرآن الكريم سورة الأنفال:الآية ٦٠.

وأوقافها، كما تحدث الفصل الأول عن الثيمات البيزنطية ، نشوء الثيم وتطوره، وأهم الثيمات التي كانت موجودة في العصر العباسي، كما أشار إلى الثيمات البيزنطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب.

- أما الفصل الثاني: فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : تحدث عن العلاقات العباسية و البيزنطية السياسية والعسكرية في الدولة العباسية زمن الخليفة السفاح .

وتناول القسم الثاني طبيعة النشاط الإسلامي العسكري زمن المنصور، وأهمّ الأعمال التي قام بها هذا الخليفة، لتحصين مناطق الثغور والأوضاع الداخلية في الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية وتأثيرها على الأحداث العسكرية، والقسم الثالث تحدث عن النشاط الإسلامي زمن الخليفة المهدي، وأهم الغزوات التي توجهت نحو الأراضي والمدن البيزنطية .

- والفصل الثالث: ينقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: تحدث عن العلاقات السياسية والعسكرية زمن الخليفة هارون الرشيد وحملاته ذائعة الصيت، وتحديداً فتحه لهرقلة، وكيف تمكن هذا الخليفة من فرض الجزية على أباطرة بيزنطة طوال مدة تسلمه لعرش الخلافة،أما القسم الثاني فقد تناول العلاقات بين الخليفة المأمون والأباطرة البيزنطيين عسكرياً، وتأثير الأوضاع الداخلية المضطربة على العلاقات بين الطرفين، وركز على حملتي المأمون باتجاه لؤلؤة وعمله على بناء الطوانة ، والعمل على توطين العرب المسلمين فيها، بينما تناول القسم الثالث حملات المعتصم تجاه بيزنطة وتحديداً حملة عمورية

بينما ألقي الضوء في القسم الرابع على العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيزنطي، والتي تضمنت معاهدات الصلح وفداء الأسرى بين الطرفين، والفرق بين معنى الأسير والسبي ومعاملة الأسرى وأنواعهم وكيفية التعامل معهم.

- والفصل الرابع من الرسالة فقد انقسم إلى ستة أقسام:

القسم الأول : تناول الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وحرف وتجارة ،كما سلط الضوء على الحياة الاقتصادية في الثغور وبين أنها كانت نتيجة حتمية لقيام مجتمع سكاني في تلك المدن، بينما سلط القسم الثاني الضوء على الحياة الدينية في المدن الثغرية ، وركز هذا القسم على أحوال النصارى في تلك المنطقة والإجراءات التي كانت تتخذ بحقهم بين الحين والآخر من قبل الخلفاء العباسيين.أما القسم الثالث فقد تحدث عن سياسة توطين السكان في الثغور، وبين اهتمام الخلفاء العباسيين في توطين العديد من الطوائف السكانية لإعمار هذه المنطقة،كما تحدث عن أهم الطوائف التي وجدت هنالك كالفرس والزط والبيالقة المراطقة، وتحدث القسم الرابع عن دور مدن الثغور في الثورات الداخلية ضمن جسد الدولة العباسية كثورة نصر بن شبث العقيلي، وتضمن القسم الخامس الحديث عن الحركات الانفصالية في الدولتين وتأثيرها على الدولتين كلتيهما، كثورة توماس الصقلبي في بيزنطة وبابك الخرمي في الدولة العباسية، أما القسم السادس فقد تطرق إلى دور أرمينيا المهم في العلاقات العباسية البيزنطية وعمل كلا الطرفين على كسب ود أمراء أرمينية، وأشار البحث إلى عمل الخلفاء والولاة العباسيين في توطين قبائل عربية كثيرة في منطقة أرمينية.

وبعد فإن لكل بحث صعوباته التي لا يستهان بها ، وقد تمثلت الصعوبات في هذا البحث في قلة المعلومات التاريخية حول الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية في مدن الثغور، لذلك كان الاعتماد على الكتب الجغرافية وعلى الاستنتاج والاستقراء والمقارنة في كثير من الأوقات.

كما أن أغلب المصادر التاريخية كانت تشير بكلمات بسيطة إلى الغزوات التي كان يقوم بها العرب، فقد كان يتم ذكر اسم قائد الصائفة فقط من دون أن توضح نتائج هذه الصائفة أو الوجهة التي توجهت نحوها، وهنالك نقل كثير من قبل المصادر عن بعضها بعضاً في هذا السياق، كما أن المصادر قد اختلفت فيما بينها حول أسماء القادة، فكان لا بد من إيضاح هذه النقطة والعمل على مقارنة النصوص لاستقراء الفكرة الصحيحة.

ولا بد للبحث من غاية وهدف يطمح الباحث من خلاله إلى الوصول إليهما ، والهدف من هذا البحث كان في إظهار حقيقة مهمة وهي أن مدن الثغور لم تكن مدناً عسكرية بحتة، وإنما تطورت لتصبح مدناً سكانية ذات حياة اجتماعية واقتصادية وتجارية، وكانت مدناً ذات عقلية تفاعلية مع غيرها من المناطق، و قد تم التركيز على إبراز دور أرمينيا التفاعلي مع هذه المناطق.

والله ولي التوفيق

تعريف بأهم مصادر ومراجع البحث:

شغلت كتابة التاريخ مكانة مهمة لدى العرب المسلمين ، فقد جهدوا لتأريخ الأحداث التي مرت بهم كيلا تنسى ولتبقى منارة للأجيال المتعاقبة، وقد نال العصر العباسي الأول العناية الفائقة لتأريخه كونه العصر الذهبي للإسلام، فألفت عنه مئات المجلدات من الكتب التاريخية والجغرافية والتراجم والأنساب وغيرها ، لذلك كانت المصادر المستخدمة في البحث متنوعة من كتب تاريخ وجغرافية واقتصاد وتراجم ودواوين شعرية وكتب أرمنية وسريانية في محاولة لتغطية فصول الأطروحة بشكل كامل، ومن أهم هذه المصادر من كتب التاريخ العام التي صنفت حسب قدم الوفاة :

ابن خياط (أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري) توفي ٢٤٠هـ /٨٥٣م:

يعد تاريخ خليفة بن خياط أقدم تاريخ حولي وصل إلى الباحثين، وتظهر أهميته البالغة في دقته وحسن انتقائه لرواياته ، فقد قدم كتابه (تاريخ خليفة بن خياط) معلومات مهمة وغنية خاصة فيما يتعلق بالصوائف وقادتها، وفي كثير من الأوقات أشار ابن خياط إلى معلومات لم تكن موجودة في غيره من المصادر.

واعتمد أيضاً على كتابه الآخر الطبقات في ترجمة بعض أعلام بني العباس.

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) توفي عام ٢٧٩هـ /٨٩٢م، نشأ البلاذري في بغداد وتقرب من الخلفاء العباسيين كالمتوكل والمستعين والمعتز وتوفي في خلافة المعتضد.[1]

---

[1] – حلاق (حسان): دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٩م، ص١٥٥.

وكان لكتابيه (البلدان أحكامها وفتوحها) و (جمل من أنساب الأشراف) أهمية كبيرة في فصول الأطروحة ، فكتابه فتوح البلدان قدم معلومات مفيدة عن مدن الثغور الجزرية والشامية ، كيفية نشأتها وأهم الإصلاحات التي قام بها الخلفاء العباسيون والولاة لتحصين مدن الثغور، وذكر البلاذري بعض الغزوات التي توجه بها القادة العباسيون باتجاه الأراضي البيزنطية، أما كتابه أنساب الأشراف فقد قام بترجمة العديد من الشخصيات العباسية.

الطبري (محمد بن جرير) توفي ٣١٠هـ /٩٢٢م، ولد بآمل في طبرستان وتوفي في بغداد، تلقى دراسته في التاريخ والفقه وتفسير القرآن ، وكان كتابه (تاريخ الرسل والملوك) من أهم مصادر التاريخ العربي الإسلامي، فقد عرض الطبري مواده الإخبارية عرض المصنف الملتزم لطرائق المحدثين من اعتماد السند والمتن، لقد أراد الطبري أن يؤرخ في كتابه للإسلام خلال قرونه الثلاثة الأولى، ولكن تلك غاية لم يصل إليها على الرغم مما بذله من جهود وما أودعه في كتابه من مواد إخبارية لا توجد في مصنف آخر، كما أنه اهتم بالطرف الشمالي من الخلافة وخاصة بغداد أكثر من اهتمامه بالطرف الغربي.[1]

لقد كان كتاب الطبري رفيق البحث الرئيس فقد تم الاعتماد عليه في جميع فصول الأطروحة، وذلك لغنى المعلومات التي قدمها ولأهميتها، وعلى الرغم من أن الطبري في بعض الأحيان لم يذكر تفاصيل الغزوات، لكنه كان مهماً جداً للبحث.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦هـ /٩٨٥م): كان لكتابي المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و(التنبيه والإشراف) أهمية خاصة، فكتابه مروج الذهب قدّم

[1] - زكار (سهيل): مائة أوائل من تراثنا ، دمشق، دار إحسان، ط٢، ١٩٨٢م، ص٨٦.

معلومات تاريخية قيمة عن العلاقات العباسية البيزنطية العسكرية، كما قدّم معلومات عن أهم الأعمال التي قام بها بنو العباس في تحصين الثغور، ولذلك كان الاعتماد على كتابه في الفصل الجغرافي بشكل كبير، كما تم الاستفادة منه في الفصل الثالث في الحديث عن الأسرى والأفدية في الإسلام، فقد كان كتابه التنبيه والإشراف من أهم المصادر التي تحدثت بشكل مفصل عن الأفدية في العصر العباسي.

ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة توفي ٦٦٠هـ /١٢٦٢م) وهو من أهالي حلب توفي في القاهرة ، قدم كتابه (بغية الطلب في تاريخ حلب) ، معلومات بالغة الأهمية عن جغرافية مدن الثغور الجزرية والشامية، والتغيرات التي أصابتها وأهم الحملات التي قادها العباسيون من هذه الثغور ضد البيزنطيين.

كما قدم كتاب (العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم) الذي لم يذكر اسم مؤلفه، معلومات مهمة عن غزوات الخلفاء العباسيين، كما ذكر بعض أسماء الأباطرة البيزنطيين ومعلومات عنهم .

كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمون :

تم الاعتماد على كتب الجغرافيين بشكل كبير في البحث، فقد كانت هذه المصادر غنية بالمعلومات الجغرافية والاقتصادية التي أغنت الرسالة ومن أهم هذه الكتب:

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن أحمد) توفي ٢٨٠هـ /٨٩٣م، مؤرخ وجغرافي من أهل بغداد تولى البريد في عهد المعتمد العباسي.[1]

[1] – الزركلي (خير الدين): الأعلام، بيروت، د.ت، ج٤، ص٣٤٢.

وتم الاعتماد على كتابه (المسالك والممالك) في الفصلين الأول والرابع، فقد قدم معلومات وفيرة عن جغرافية مدن الثغور الجزرية والشامية، كما تم الاعتماد عليه في استنتاج الحياة الاقتصادية في مدن الثغور.

الاصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) توفي٣٤٦هـ /٩٥٧م، من أهم الجغرافيين، قدم معلومات مهمة عن جغرافية مدن الثغور والحياة الاقتصادية فيها.

ابن الفقيه الهمداني (أبو بكر أحمد بن محمد) توفي ٣٦٦هـ /٩٧٦م ، فقد تم العثور على معظم الكتاب الأساسي ونشر ماعثر عليه ، وقدم كتابه (مختصر تاريخ البلدان) معلومات جغرافية جيدة وتمت الاستفادة منه في الفصلين الأول والرابع .

ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم) توفي ٣٦٧هـ /٩٧٧م، كان لكتابه (صورة الأرض) أهمية بالغة في التعريف بجغرافية الثغور ومكوناتها، كما قدم معلومات اقتصادية جيدة ، لذلك فقد تم الاعتماد عليه في الفصلين الأول والرابع.

الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) توفي ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، كان رومي الأصل بغدادي الدار نال لقبه الحموي من الذي تملكه قبل تحريره.[1]

وكان لكتابه (معجم البلدان) فائدة كبيرة في فصول الرسالة ، فقد كان العمود الرئيس للبحث في التعريف بالمدن والأماكن في مدن الثغور ولبعض المدن البيزنطية.

أما كتابه الثاني (المخرل والمدال بين الدور والدارات والديرة) فقد تم الاعتماد عليه بشكل بسيط في الفصل الرابع عند الحديث عن النصارى .

[1] – صباغ (ليلى): منهجية البحث التاريخي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٣م، ص١٣٧.

ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد) من مواليد حلب وتوفي في القاهرة ٦٨٤هـ /١٢٨٥م، من أهم المؤرخين وكان لكتابه (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) أهمية كبيرة، خاصة وأن ابن شداد قد تحدث بشكل مفصل عن مدن الثغور، كما ذكر غزوات العرب المسلمين في كل عام .

كتب الأنساب:

قدمت كتب الأنساب معلومات مفيدة عن نسب القبائل العربية ،ولمن تعود وأماكن وجودها وتنقلاتها، مثل (جمهرة النسب) لابن الكلبي (هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب) المتوفى ٢٠٤هـ /٨١٩م، وكتاب القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله) المتوفى ٨٢١هـ /١٣٩٩م (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)، فقد اعتمد على هذه الكتب في التعريف بالشخصيات التي وردت في الرسالة .

الكتب الأرمنية والسريانية المعربة :

كان لا بد من العودة للمصادر والمراجع السريانية والأرمنية لما قدمته من معلومات مهمة عن موضوع البحث، ومن أهم هذه الكتب(تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير) لميخائيل السرياني، الذي قدم معلومات مفيدة عن الأباطرة البيزنطيين وعلاقاتهم مع الخلفاء العباسيين، وأعطى معلومات جيدة عن المسيحيين في تلك المناطق وأهم الإجراءات التي اتخذت بحقهم.

(تاريخ الزمان) لابن العبري (أبو الفرج جمال الدين) المتوفى ٦٨٥هـ /١٢٨٧م،الذي قدم معلومات مفيدة أيضاً عن أوضاع الثغور وأحوال أهلها، وأوضاع بيزنطة ، بالإضافة إلى كتابه

(تاريخ مختصر الدول) الذي أضاف معلومات جيدة أيضاً. (تاريخ الرهاوي المجهول) للرهاوي المجهول ،الذي تحدث عن أوضاع بيزنطة وعن العلاقات بينها وبين بعض الخلفاء العباسيين، وتحدث أيضاً عن الأحوال العامة في تلك المناطق.

(الروقيني ملحول) لديسيوس التلمحري، وقدم هذا الكتاب معلومات مفيدة عن عدد من المدن مثل مدينة كمخ وكيفية نقل السكان إليها.

كما تم الاعتماد على عدد من الكتب الأرمنية المعربة والتي أسهمت في إيضاح كثيراً من الأمور عن أرمينيا وعن علاقتها مع الدولة العباسية وبيزنطة، ومن هذه الكتب:

كتاب ديرغيفونتيان (آرام) (الإمارات العربية في أرمينيا البقرادونية)، الذي قدم معلومات عن استيطان العرب في أرمينيا.

جيباشيان (مانويل) (علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية في حقبة الهيمنة العربية).

وغيرها من الكتب الأخرى .

الكتب الأجنبية المعربة:

كان للكتب المعربة أهمية كبيرة في هذا البحث ومن أهم هذه الكتب:

(العرب والروم) لفازيليف ، كان هذا الكتاب من الكتب المهمة ،فقد قدم معلومات مفيدة عن حملات الخليفتين المأمون والمعتصم ، كما قدم معلومات قيمة عن ثورة توماس الصقلبي، وعن البيالقة ،هرطقة والتحالفهم للعرب المسلمين وتحالفهم معهم ضد الأباطرة البيزنطيين

(الامبراطورية البيزنطية) لبيتر (نورمان) ، و(الإمبراطورية البيزنطية) لأومان.

كما تمت العودة إلى العديد من المراجع العربية والمعربة والتي تخص موضوع هذا البحث مثل

ربيع (حسنين محمد): دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية.

عبد الله(وديع فتحي): العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي ١٢٤ هـ٢٠٥ . / ٧٤١-٨٢٠ م.

عثمان (فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري

العريني (السيد الباز): الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م.

لسترنج (غي): بلدان الخلافة الشرقية .

رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب .

الجتروري (علية عبد السميع): الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى .

ماجد (عبد المنعم): العصر العباسي الأول.

لانجر (وليام): موسوعة تاريخ العالم.

مصطفى (شاكر): في التاريخ العباسي.

غنيم (اسمت): الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية.

سالبعان(ريتشارد): ورثة الإمبراطورية الرومانية.

العش(يوسف): تاريخ عصر الخلافة العباسية .

الفصل الأول :

الثغور الإسلامية والثيمات (البنود) البيزنطية نشأتها، جغرافيتها.

أولاً. الثغور الإسلامية دواعي قيامها، نشأتها، جغرافيتها ، تنظيمها.

أ- تقسيم الثغور الإسلامية حسب الجغرافيين العرب.

ب- الثغور الشامية :

١- طرسوس.

٢- المصيصة.

٣- أذنة.

٤- عين زربة.

٥- الهارونية.

٦- الكنيسة السوداء.

ج- الثغور الجزرية:

١- مرعش.

٢- الحدث.

٣- ملطية.

٤ ربطرة.

٥ سميساط.

٦ كيسوم.

٧- حصن منصور

٨- كمخ.

د- العواصم تعريفها ، مهمتها ، مدنها.

١- منبج .

٢- أنطاكية.

٣- دلوك.

٤- رعبان.

٥- تيزين.

٦- قورس.

هـ .- الصوائف و الشواتي.

و- الطرق والدروب التي سلكها المسلمون في غزواتهم.

ثانياً: الثيمات (البنود) البيزنطية.

أ- نشوء الثيم (البند) وتنظيمه.

ب- الثيمات البيزنطية في العصر العباسي.

١- ثيم (بند) الأرمنياق.

٢- ثيم (بند) الأناتوليك.

٣- ثيم (بند) الأبسيق.

٤-النحر البحري كبيريوت.

ح الثيمات (البنود) البيزنطية التي توجه منها البيزنطيون نحو الأراضي العربية الإسلامية

١- خالديا.

٢- كولونيا.

٣- خرسيون(خرشنة).

٤- كابادوكيا(كابادوكيا الصغرى).

٥- سلوقية.

د- الثيمات (البنود) البيزنطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب.

الفصل الأول:

الثغور الإسلامية والثيمات البيزنطية، نشأتها وجغرافيتها:

منذ أن بدأ المسلمون يتوسعون في فتوحاتهم على حساب الممتلكات البيزنطية، ويعملون على نشر دينهم الإسلامي بدأت مرحلة عدائية بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي وأخذت هذه العدائية أشكال الصراع السياسي والعسكري والاقتصادي و غير ذلك.

وهنا كان لزاماً على كلا الطرفين العربي المسلم والبيزنطي العمل على تأمين حدود ما وصلت إليه دولته وحماية أراضيه، خاصة و أن الحدود كانت متصلة بين الدولتين عبر سلسلة جبال طوروس، ولهذا اهتم كلا الطرفان بإنشاء الحصون والقلاع العسكرية والعمل على إمدادها بالجنود و المرابطين والسلاح، و من هنا نشأت الثغور والثيمات.

أولاً: الثغور الإسلامية، دواعي قيامها، نشأتها، جغرافيتها، تنظيمها:

كانت العلاقة بين العرب المسلمين والبيزنطيين علاقة حرب دائمة، لكنها لم تمنع من التعاون والتفاهم في بعض الأحيان، فطبيعة العلاقة بينهما فرضت على كل من الدولتين أحياناً العمل على زوال الأخرى، والسيطرة على ممتلكاتها.

ولذلك نظمت كل من الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية الثغور والعواصم والبنود، وقامت الغارات والحروب بين الطرفين بشكل مستمر، يتخلل ذلك كله تبادل السفارات والتجارات وتبادل الأسرى أو افتداؤهم وانتقال الثقافات وتبادلها بين الطرفين.[1]

---

[1] – رنسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية،ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٢، ١٩٩٧م،ص٥٤.

ومما لا شك فيه أن هدف المسلمين الدائم والمستمر، كان يكمن في القضاء على العدو المتربص بهم و هذا العدو هو (الدولة البيزنطية)، خاصة وأن الدولة البيزنطية كانت تجاور دولة المسلمين في حدودهم، ولهذا حرص المسلمون على تأمين حدودهم والعمل على جعل هذه الحدود بمنزلة مفتاح الأمان للدولة من الداخل، ومن هنا عمل المسلمون على تطوير نظام عسكريٌ دقيق في مناطق حدودهم مع البيزنطيين عرف هذا النظام بنظام الثغور والرباطات، وكان هذا النظام الإداري العسكري له أثر كبير في حماية دولة المسلمين من هجمات الدولة البيزنطية، كما أن دافع الجهاد في سبيل الله كان له الأثر الأكبر أيضاً في توجيه جل اهتمام المسلمين إلى شن الغزوات ضد بلاد الروم، فكانوا كثيراً ما يرددون في أحاديثهم أثناء هجومهم على الدولة البيزنطية "ما لنا تجارة و لا عمل غير الجهاد في أعداء الله"[1]. ولذا تعددت الغزوات ضد بلاد الروم البيزنطيين .

لم يختر المسلمون مواقع ثغورهم عن عبث، ولكن كانت لديهم خبرة ودراية في اختيارهم هذه المواقع، مما يدل على ما يمتلكه المسلمون من بعد إستراتيجيٍّ وحربيٍّ، فقد كان المسلمون يعمدون إلى إقامة هذه الحصون والقلاع على أبواب الطرق، ولتكون متحكمة في أماكن اقتراب العدو، مع مراعاة عدم اقترابها من البحار وأن تكون أقرب إلى البر (كونهم يحسنون القتال في البر أكثر من البحر)، وأن تكون هذه القلاع والمدن والحصون محصنة بموانع طبيعية وصناعية، كثبات

الجنزوري (علية عبد السميع): الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٩م، ص٢٢.

الأنهار ومنعطفات الجبال وبالخنادق، وذلك لكي تضمن لمواقعهم المنعة والحصانة، وهذا ما سيلاحظ في مدن الثغور.[1]

فما هو الثغر؟ و ما تعريفه؟

الثغر: الثغرُ والثغرة، بالفتح ثم السكون، وراء، كل فرجة في جبل أو بطن أو واد أو طريق مسلوك.

والثغر كل جوبة منفتحة أو عورة، والثغر الثلمة، والثُّغْرُ: ما يلي دار الحرب، وهو موضع المخافة من فروج البلدان ، وقيل بأن الثغر هو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.[2] فهو كل موضع قرب من أرض العدو، وسمي ثغراً من ثغرة الحائط أي الفرجة، لأنه يحتاج أن يحفظ لئلا يأتي العدو منه .[3]

والرباط اصطلاح اشتق من المرابطة لحماية الشواطئ فالرباطات في البداية كانت بحرية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحدود، إلا أن الرباط ليس مجرد بناء عسكري للجيش ، ولكنه مؤسسة

---

[1] – عثمان (فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري،القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت،ج١،ص٣٥٧، أحمد (علي): أعمال الرباط والمثاغرة في التاريخ العربي الإسلامي، (مجلة دراسات تاريخية)، العدد ٧٣-٧٤، دمشق، منشورات مجلة دراسات تاريخية، ٢٠٠١م، ص١١٣- ١١٤، الخروري: الثغور البرية الإسلامية،ص٢٦.

[2] – ابن منظور(عبد الله العلايلي). لسان العرب، إعداد وتصنيف. يوسف خياط،نديم مرعشلي، بيروت،دار لسان العرب، د.ت، ج١، ص٣٦٠.

[3] – الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ ./١٢٢٩م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر،ج٢، ص١٢٨، ابن عبد الحق البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ ./ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م، ج١، ص٢٩٧، دائرة المعارف الاسلامية، مادة الثغر ، مج٦، ص٢٠٣-٢٠٤.

دينية للزهاد والمجاهدين الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ضد الكفار، فالرباط التزام بين الحياة العسكرية وتذكير بكتب الشريعة الإسلامية.

والرباط اسم لموضع رباط الخيل وملازمة أصحابها الثغر، لحفظه من عدو الإسلام، ويقال للشخص الفاعل ذلك مرابط، وأصبحت الرباطات مراكز لخلق فرص جديدة للمجاهدين والمرابطين، لإعادة تنقية الحالة الذهنية من خلال التلاوات القرآنية وحياة التقشف، والممارسات التي فرضها الإسلام، وأول المرابطين العلماء الذين آثروا الفرار من مدن السلطة مثل الأوزاعي[1] الذي توجه إلى مدن الثغور طالباً الهدوء والوحدة.[2]

---

[1] - الإمام الأوزاعي: هو هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه والمشرع، ولد في بعلبك ٨٩هـ /٧٠٧م وتوفي في بيروت في عام ١٥٨هـ /٧٧٤م اشتهر الإمام الأوزاعي بالعلم والزهد وتميز بالجرأة الأدبية، كما عارض الإمام الأوزاعي الإمام مالك وأبا حنيفة واستنكر ما أقره من تدابير صارمة بحق المشركين(أهل الذمة)حسب رأيهم من قطع أشجارهم وهدم كنائسهم وتخريب بيوتهم، أعجب بأفكاره الخليفة المنصور، ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ /١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧١م، ج١، ص ٤٩٣، حتي (فيليب): تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر، كمال اليازجي، إشراف، جبرائيل جبور، بيروت، مؤسسة فرانكلين، ١٩٥٩م، ص١٨٣.كاهن (كلود) . تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، تر، بدر الدين القاسم، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط٢،١٩٧٧م،ص٦٧.

[2] - ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ٦٣٠هـ /١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٧هـ، ص٤٥٧. القلقشندي (أحمد بن علي ت٨٢١هـ /١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح، محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت،ج٦، ص٢٧، الرفاعي (أنور) الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية و السياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر،١٩٧٣م، ص٤٢١ ٤٢٢، Lorenzo Padilla, El Ribat institucion espiritualy military, 2006,p2-3-8-9, Martinez Salvador, ,Carmen, El Ribat En Elmediterraneo Occidenta Madrid ,1993,p5-12-23.

وعلى هذا النحو عرّف العرب والروم الثغور والرباطات بأنها منطقة الحصون التي تبنى على تخوم الشام والجزيرة، وذلك لصدّ غزوات الروم البيزنطيين عنها.

أ- تقسيم الثغور الإسلامية حسب الجغرافيين العرب:

اهتمّ العرب المسلمون بالثغور الإسلامية ومدنها وقلاعها وحصونها وعملوا على جعلها منيعةً قويةً في وجه المعتدين، وقسّموا هذه الثغور إلى قسمين: القسم الأوّل يضمّ الثغور الشامية، والقسم الثاني يضم الثغور الجزرية، وهنا يظهر الخلاف بين الجغرافيين حول تقسيم هذه الثغور، فالجغرافيون الأوائل رفضوا تقسيم الثغور على هذا النحو، أي ثغور شامية وثغور جزرية بمعنى أن الثغور الشامية تعود إلى بلاد الشام والثغور الجزرية تتبع إقليم الجزيرة (أقور) وأكدوا بأنها تعود إلى الشام.

" قد جمعت الثغور إلى الشام، و بعض الثغور تعرف بثغور الشام، و بعضها يعرف بثغور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، و إنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون و بها يغزون لا لأنها من الجزيرة ".[1]

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ٢٨٠هـ ./٩٨٢م): المسالك والممالك، يليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص٥٥، الإصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٠هـ ./٩٥١م): مسالك الممالك، تح، محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة، محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، ١٩٦١م، ص٤٣، ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت٣٦٧هـ ./٩٧٧م) : صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ص١٦٨.

وكان الحد الفاصل بين الثغور الشامية والثغور الجزرية ، هو جبل اللكام ، و اللكام جبل داخل بلاد الروم ما يقارب مئتي فرسخ، ويظهر في بلاد الشام بين مرعش والهارونية وعين زربة، ويسمى اللكام و يشرف على أنطاكية و المصيصة و طرسوس. [1]

والثغور الشامية هي طرسوس، المصيصة، أذنة، عين زربي، الهارونية، الكنيسة السوداء، و الثغور الجزرية كانت مرعش، ملطية، ربطرة، الحدث، سميساط، كيسوم، منبج و غيرها من الحصون. وبالمحصلة كانت هذه الثغور ترتكز على أرض الجزيرة من جهة و أرض الشام من جهة أخرى، بالإضافة إلى أنها كانت تتصل بأرمينية من جهة أخرى، و لكن كانت الشام و الجزيرة تمثلان مع بعضهما وحدة جغرافية و تاريخية تتمم بعضها بعضاً، وذلك من حيث ارتباط حصونهما ببعضهما البعض، وتعرضهما لغارات البيزنطيين، وتحملهما مسؤولية الدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية، وهذه الثغور كانت تشكل قاعدة للحملات العسكرية على بلاد الروم، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لكلّ منها مهمّة خاصّة، فالثغور الجزرية هي ثغور دفاعية مهمتها غالباً

---

[1] - ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص٥٥؛الإصطخري: مسالك الممالك،ص٤٣؛ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٦٨؛ ابن الفقيه الهمداني (أبو بكر أحمد بن محمد ٣٦٦هـ ./٩٧٦م): مختصر كتاب البلدان،ليدن، مطبعة بريل،١٣٠٢هـ ، ص٢٥؛ ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع،ج٣،ص١٢٠٧؛الحميري (محمد بن عبد المنعم ت ٨٢٠هـ ./١٤١٧م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس،بيروت، دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة،ط٢،١٩٨٠م،ص٥١٠،يذكر ابن حوقل وصف جبل اللكام، ابن حوقل : صورة الأرض ص١٦٨-١٦٩-١٧٠.

ما كانت تقتصر على حماية الحدود الإسلامية، أمّا الثغور الشامية فهجومية إذ كانت مهمتها الهجوم على أراضي الدولة البيزنطية.[1]

اهتم المسلمون بهذه الثغور منذ عصر الخلفاء الراشدين، و تطور هذا الاهتمام في عصر خلفاء بني أمية إلى أن وصل عدد المدن المحصنة والحصون التي عمل الخلفاء الأمويون على بنائها وتحصينها ما يقارب الأربع عشرة مدينة وحصناً.[2]

وعندما تسلم العباسيون سلطة الخلافة الإسلامية ساروا على خطا الخلفاء الأمويين في الدفاع عن حدود دولتهم، إلا أن السياسة العباسية تجاه بيزنطة تغيرت إلى حد ما، فقد انشغل المسلمون بالأوضاع الداخلية المضطربة نتيجة سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية الناشئة، وما تبع هذا من نقل للعاصمة إلى بغداد بدلاً من دمشق بعيداً عن الحدود البيزنطية ، فعندما كانت دمشق عاصمة للخلافة كانت بيزنطة تشكو وبشكلٍ دائم من هجمات المسلمين على أراضيها، أما الآن فقد تغير الوضع، فالدولة العباسية اتبعت سياسة الدفاع عن أراضيها، بينما عادت بيزنطة إلى سياسة الهجوم، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فبعد أن انتظمت أمور الدولة العباسية سياسياً ،عادت من جديد إلى الهجوم على بيزنطة واسترداد ما أخذ منها، ولذلك اتخذ الصراع العباسي البيزنطي طابعاً دينياً دفاعياً، فقد كان هدف العباسيين الأساسي هو الجهاد في سبيل الله

---

[1] عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية،ج١،ص٣٦٦، الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية، ص٢٤.

[2] عثمان: الحدود، الإسلامية البيزنطية ج١،ص٣٧٢، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية ، ص١٧٧، شعبان (محمد عبد الحي محمد): صدر الإسلام والدولة الأموية (٦٠٠- ٧٥٠م، ١٣٢هـ)، د.م،الأهلية للنشر والتوزيع ، د.ت، ص ١٤٤-١٤٥-١٤٦.

والدفاع عن حدود دولتهم من هجمات البيزنطيين، ولهذا عمل الخلفاء العباسيون على إحاطة حدود دولتهم بسلسلة من القلاع والتحصينات، ولذلك أعطوا الثغور اهتماماً خاصاً، وأولوها عناية فائقة.[1]

وهنا سيتم الحديث عن مدن الثغور الشامية والجزرية كلٌّ على حده مع التطرق إلى نشأتها الأولى، وكيفية اهتمام الخلفاء العباسيين بهذه المدن، وستكون البداية مع الثغور الشامية.

ب- الثغور الشامية:

[1]- **طرسوس**: من أهمّ مدن الثغور الشامية، وهي مدينة قديمة ذهبت المصادر القديمة إلى أنها سميت نسبة إلى طرسوس حفيد سام بن نوح.[2]

---

[1] - عمران (محمود سعيد): معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي و الحربي)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م،ص١٠٤، سيديو (ل أ): تاريخ العرب العام، امبراطورية العرب (حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية، تر، عادل زعيتر، القاهرة، دار عيسى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٦٩م، ص١٨٦، سالم (عبد العزيز) . دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول)، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ج٣، ص٢١٤.

[2] ابن العديم (كمال الدين عمر بن أبي جرادة ٦٦٠هـ ./١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تح، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د.ت، ج١، ص١٧٧، ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ٦٨٤هـ /١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، يحيى زكريا عبارة، دمشق،منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م ، ج١، ق٢، ص١٥٢.

وكانت تسمى قديماً تارسين، ثم عربت إلى طرسوس.[1]

وطرسوس: مدينة ذات قيمة دينية، ففيها قبور عشرة من الأنبياء (لم يتم ذكر أسمائهم في المصادر التي تمت العودة إليها) وفيها أيضاً قبر داكيوس ملك أصحاب الكهف.[2]

ولها أهمية دينية كبيرة لدى المسيحيين، كونها مسقط رأس القديس بولس.[3]

وصفها ابن حوقل بقوله "أما مدينة طرسوس، فكانت المدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها ".[4]

وكان يفصلها عن بلاد الروم جبل اللكام الذي شكل الحاجز الطبيعي بينها وبين الأراضي البيزنطية.[5]

كان لمدينة طرسوس سوران وخندق واسع وعليها ستة أبواب، وكان يخترقها نهر البردان[6].[7]

---

[1] – ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٧٧.

[2] – ابن الشحنة (أبو الفضل محمد بن الشحنة)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم، عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار الكتاب العربي عالم التراث، ١٩٨٤م ، ص٩٩-١٠٠.

[3] – الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص٣٠.

[4] –ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٨٣.

[5] – ابن خرداذبة. المسالك والممالك، ص٦٤، الإصطخري: مسالك الممالك، ص٤٧ ، ابن حوقل صورة الأرض، ص١٨٣

[6] – نهر البردان: يطلق عليه أيضاً الغضبان ويمر بطرسوس، ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان، ص١١٦

[7] – ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٧٧، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص٥٣.

لكن هذه المدينة كانت قد خربت على أيدي العرب المسلمين في أثناء فتوحاتهم في صدر الإسلام، وبقيت على حالها هذه إلى زمن الخليفة المهدي الذي أمر ببنائها وعمارتها بعد أن أخبره قائده الحسن بن قحطبة[1] عن أهمية موقع هذه المدينة،و كيف حالها من خراب و دمار،وأشار الحسن على الخليفة المهدي ببنائها وتحصينها لأهميتها، وبالفعل أمر الخليفة المهدي ببناء المدينة وتحصينها.[2]

ويبدو أن الخليفة المهدي قد أمر بإنزال الجنود فيها وتحسين أوضاعهم، و كان ذلك في العام ١٦٢هـ ./ ٧٧٨م، و بقي حال طرسوس على هذا النحو إلى زمن الخليفة هارون الرشيد الذي أمر بتجديد عمارة طرسوس وتحصينها، وكان المكلف بهذه المهمة أبو سليم فرج الخادم التركي، والذي بدأ ببنائها في عام ١٧٠هـ ./ ٧٨٦ م، و قام أبو سليم ببناء سبعة وثمانين برجاً مستديرة ومربعة، وعلى كل برج عشرون شرفة، وبين كل برجين ست وخمسون شرفة، وكان عرض

---

[1] – الحسن بن قحطبة: من أهم وأقوى القادة العسكريين في العصر العباسي الأول ،تسلم مناصب متعددة زمن العباسيين الخلفاء الأوائل، وكان للحسن أثر كبير في حروب العباسيين ضد البيزنطيين ولكثرة انتصاراته وقوته أطلق عليه الروم البيزنطيون (التنين)، الزركلي (خير الدين): الأعلام، بيروت، دار العلم، ط٤، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢١١.

[2] – البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ ./٨٩٢م): فتوح البلدان، تح، رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م،ص١٧٣. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص١٥٤–١٥٥

الشرقة ذراعين ونصف في ارتفاع مماثل، و زيادة في تحصينها ومنعتها قام ببناء فصيل[1] واسع ومرتفع السمك حول سورها، وخلف الفصيل خندق عريض وعميق مبني بالصخر من أعلاه إلى أسفله. وهكذا كان للمدينة سوران، وكان لهذه الأسوار خمسة وعشرون باباً، خمسة منها مفتوحة مسلوكة، وباقي الأبواب مسدودة، وأبواب السور المحيط بها حديد ملبس، أمّا أبواب السور المتصل بالخندق فهي حديد مصمت، وكان لهذه الأبواب المفتوحة أسماء، وهي باب الجهاد وهو الباب الذي يخرج منه المرج الذي يعسكر فيه الأمراء، و باب الصعصاف وبين هذين البابين يدخل النهر (نهر البردان) وعلى مدخله شباك حديد، وباب الشام ومنه يدخل زقاق أذنة والمصيصة والشام، وباب البحر وعنده مخرج النهر ومصبه في البحر وعليه أيضاً شباك حديد، وباب يعرف بالباب المسدود، ولم يفتح قط أمّا الباب الخامس فهو باب قلمية، وعلى نهر المدينة قنطرتان عظيمتان،وبعد الانتهاء من تنظيم المدينة تم بناء مسجدها.[2]

---

[1] – الفصيل. حائط قصير دون سور المدينة والحصن، الجوهري (عبد الله العلايلي) الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م،ج٢،ص٢٣٣

[2] – البلاذري. فتوح البلدان،ص١٧٤، ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان ،ص١١٣،نظر سوسي (عثمان بن عبد الله إبراهيم). سير الثغور، مأخوذ من كتاب (شذرات من كتب مفقودة) استخرجه وحققه ,حسن عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٨م،ص٤٥٠ ، ابن العديم : بغية الطلب، ج١ ،ص ١٧٧-١٧٨، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص١٥٥، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٨٤، الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٨.

بعد أن انتهى أبو سليم من بناء طرسوس، أنزل الخليفة الرشيد فيها قوات إضافية من الجنود والمرابطين، وأقطعهم الأراضي، وزاد في أعطياتهم، ليشجعهم على البقاء فيها وكان ذلك في العام ١٧٢هـ / ٧٨٨ م.[1]

وبما أن مدن الثغور بوصفها مدناً حدودية على خطّ التماس المباشر مع العدو، فإن تبعيتها لم تكن دائماً بيد المسلمين، بل كانت تتقاذف تبعيتها الدولتان العربية الإسلامية و البيزنطية كلما رجحت كفة إحداهما، وهذا ما سيلاحظ في غالبية مدن الثغور، وهو ما حدث في طرسوس، فبعد هارون الرشيد تمكن الروم البيزنطيون من السيطرة على طرسوس إلى زمن الخليفة المأمون الذي أمر بإعادة إعمار طرسوس و تحصينها و بناء ما تهدم من سورها وأبنيتها و قراها وشحنها بالعتاد والمقاتلين، وهذا ما يؤكده ابن حوقل " استحدثها المأمون بن الرشيد ومدّنها، وجعل عليها سورين من حجارة، وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعدة والعتاد والكراع والسلاح والعمارة والخصب والغلات والأموال و السعة في جميع الأحوال على حال لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين".[2]

ويلاحظ بأن اهتمام الخليفة المأمون بطرسوس كان بالغ الأهمية حتى وصفها ابن حوقل بمثل هذا الوصف.

---

[1] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٥٩، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨ ٢٩.

[2] – ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨٣، ابن العديم: بغية الطلب ، ج١، ١٨٤.

٢- **المصيصة**: كان يطلق عليها بالرومية مايسيستيا، وهي بالقرب من أنطاكية وكان يطلق عليها بغداد الصغيرة، لأنها كانت على جانبي نهر جيحان وكان فيها فرسان شجعان وأقوياء، فشبهوها ببغداد.[1]

والمصيصة شقان أو مدينتان بينهما نهر جيحان[2]، الأولى المصيصة على الشق الغربي للنهر، وكفربيا على الشق الشرقي للنهر، ويصل بين المدينتين قنطرة من الحجارة الضخمة.[3]

اهتم الخلفاء الأمويون بهذه المدينة، وعمرها عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وكانت عبارة عن حصن، ولم تكن مدينة بالمعنى الكامل، فاهتم بها وأمر ببنائها وتزويدها بالمقاتلين والجنود.[4]

أما أوّل من اهتمّ بها من الخلفاء العباسيين، فقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور بالله الذي أمر ببنائها وتحصينها.[5]

فقد كانت المصيصة قد تعرضت لزلزال في العام ١٣٩هـ ./٧٥٦م، أدى إلى هدم المدينة وخرابها مما دفع بأهل المدينة إلى الرحيل، لذلك أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بالله بعمارتها وبناء

---

[1] - ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص١٥٥،الحميري: الروض المعطار،ص٥٥٤.

[2] - نهر جيحان نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة، يخرج من بلاد الروم وينتهي إلى المصيصة، ويمر النهر بمدن كثيرة، ابن العديم، بغية الطلب، ج١،ص٣٧٣، الأبشيهي (شهاب الدين أحمد الأبشيهي) المستطرف من كل فن مستظرف، دمشق، دار كرم، د.ت،ص١٦٤.

[3] - ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص٩٣، الإصطخري: مسالك الممالك،ص٤٧.

[4] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١١٩، ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان،ص١١٢.

[5] - البلاذري: فتوح البلدان، ص١٩٦، اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر المعروف بالواضح ت ٢٨٤هـ ./٨٩٧م) : البلدان، العراق، المكتبة المرتضوية، ١٩١٨م،ص١١٩.

سورها وتحصينها، وبنى فيها مسجداً في موضع هيكل قديم كان بالمدينة، واهتم الخليفة المهدي بثغر المصيصة، فقد تم في زمنه إعادة تحصين المدينة وتقويتها وزيادة أعداد المرابطين فيها [1]

وفي زمن الخليفة المأمون أمر بإسكان الناس في المدينة، وإقطاعهم الأراضي ليستوطنوا بها، وزاد في بناء المسجد، وأطلق عليها اسم المعمورة. [2]

أما كفربيا فهي الشق الثاني من المصيصة وكانت على الضفة الشرقية لنهر جيحان، وهنالك خلاف بين المؤرخين حول أول من أمر ببناء كفربيا من الخلفاء العباسيين، فبعضهم يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد هو من بنى كفربيا، وبعضهم الآخر ينسبها إلى الخليفة المهدي، والأرجح بأن الخليفة المهدي كان قد أمر بالفعل ببناء مدينة كفربيا، وعندما تسلم الخليفة هارون الرشيد عرش الخلافة ونظراً لاهتمامه الزائد بالمدن الحدودية وعمله الدائم على تحصينها، أمر بإعادة تحصين المدينة، وذلك عن طريق خندق يحيط بها، كما أمر الخليفة المأمون ببناء سور للمدينة لزيادة حمايتها، لكن المشروع لم يكتمل إلا في عهد الخليفة المعتصم بالله، وعلى هذا النحو فإن الخلفاء العباسيين اشتركوا جميعاً في تأسيس هذه المدينة.[3]

---

[1] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٢.

[2] – البلاذري،فتوح البلدان،ص١٧١-١٧٢، اليعقوبي :البلدان،ص١١٩ ، ابن الفقيه الهمذاني:مختصر كتاب البلدان، ص١١٢-١١٣،ابن العديم: بغية الطلب ،ج١،ص١٥٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص١٤٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٧٩، الحميري: الروض المعطار، ص٥٥٤

[3] البلاذري، فتوح البلدان،ص١٧١، اليعقوبي:البلدان،ص١١٩، ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، ص١١٢، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٥٩-١٦٠، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٧٩.

والسبب الذي دفع الخليفة الرشيد للاهتمام ببناء وتحصين كفربيا هو ازدياد أعداد السكان في المصيصة من مرابطين وجنود وسكان أصليين، لذلك قرر الرشيد بناء مدينة على الضفة الثانية لنهر جيحان تكون مكاناً لإسكان هذه الأعداد المتزايدة من السكان، كما أن المدينة ستكون عوناً للمصيصة في مساندتها أثناء الحملات على الأراضي البيزنطية.[1]

٣- أذنة (أضنة الآن في تركيا): و هي مدينة من الثغور الشامية تقع غربي نهر سيحان بالقرب من المصيصة، و هذه المدينة قديمة جداً منذ أيام الروم لكنها كانت خراباً إلى زمن الدولة العباسية، فقد أمر الخليفة المنصور ببنائها وتحصينها، وكان ذلك في عام ١٤١هـ /٧٥٨م على يد صالح بن علي الذي قام ببناء قصر في المدينة و إعادة بناء عدد من بيوتها.[2]

واستمر حال أذنة على هذا النحو إلى زمن الخليفة هارون الرشيد الذي أمر خادمه أبا سليم فرج التركي بإعادة بنائها وتحصينها، وإسكان الجنود المرابطين فيها لحمايتها، لكن يبدو أن المدينة لم يتم بناؤها بشكل كامل في زمن الخليفة الرشيد، لذلك تابع الخليفة محمد الأمين بناءها وتحصينها.[3]

---

[1] - ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص١٦١.

[2] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٣.

[3] البلاذري:فتوح البلدان،ص١٧٣؛اليعقوبي: البلدان،ص١٢١، البكري الأندلسي (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ /١٠٨٥م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا،القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١ م ،ج١،ص١٣٣، البغدادي:مراصد الاطلاع، ص٤٨.

وتميزت أذنة بوجود قنطرة من الحجارة بين المدينة وبين الحصن وفسحة تشبه الروض موجودة داخلها، وكان للمدينة ثمانية أبواب، وسور، وخندق.[1]

ومما يميز العصر العباسي الأول هو أن اهتمام الخلفاء بالثغور لم يقتصر فقط على إعادة بناء وتحصين مدن الثغور وإعمارها و توطينها بالسكان، بل كان أكثر من ذلك، فقد قام الخلفاء العباسيون ببناء مدن محصنة جديدة في منطقة الحدود، إذ قام الخليفة هارون الرشيد ببناء عين زربة، والهارونية، والكنيسة السوداء.

٤- **عين زربة:** وهي مدينة من الثغور الشامية قريبة من المصيصة بينهما ثمانية عشر ميلاً.[2][3]

وهناك خلاف حول من بنى هذه المدينة فهناك من يذكر بأن مدينة عين زربة قد بنيت زمن الخليفة المهدي على يد ولده هارون الرشيد ولكن بأمر الخليفة المهدي في العام ١٧٠هـ /٧٨٦م.[4]

---

[1] – ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان،ص١١٢.

[2] الميل: مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم وكل ثلاثة أميال فرسخ، ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٥٥٧.

[3] – اليعقوبي: البلدان، ص١٢٠، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص١٦٧.

[4] – ابن العديم: بغية الطلب،ج١،ص١٦٧، الحميري: الروض المعطار،ص٤٢٢.

والبعض يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد قد بناها في عام ١٨٠هـ /٧٩٦م. [1]

ومن الممكن أن يكون الخليفة المهدي كان قد أمر ببناء مدينة عين زربة، ولكنه لم يتمكن من ذلك، وبقيت هذه الفكرة موجودة لدى ولده هارون الرشيد، لذلك ما إن سمحت له الفرصة حتى قام ببنائها، لأنه من غير الممكن أن تبقى فكرة بناء مدينة في الثغور مثل عين زربة عشر سنوات ليتم تنفيذها من العام ١٧٠هـ /٧٨٦م إلى العام ١٨٠هـ /٧٩٦م، والواضح بأن الخليفة المهدي قد ذكر رغبته لولده الرشيد وشجعه على ذلك، والرشيد عمل على تحقيقها عندما سمحت له الفرصة.

وكان لموقع عين زربة أهمية كبيرة ، فقد تميزت بأراضيها الزراعية الخصبة ومراعيها الواسعة وبتنوع أشجارها وثمارها، ووصفها الجغرافيون بأنها تشبه مدن الثغور. [2]

وعمل الخليفة هارون الرشيد على إعمار المدينة بالسكان من خلال إرسال جماعة من أهالي خراسان وإقطاعهم الأراضي فيها. [3]

كما قام الخليفة المأمون بإعادة إعمار عين زربة بعد أن تعرضت لهجوم من قبل الروم البيزنطيين، مما أدى إلى تخريب قسم كبير من المدينة، لذلك أمر المأمون بإعادة إعمارها

[1] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٥٧، ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان،ص١١٣، ابن الشحنه الدر منتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٨٥،ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٤، ص١٧٧،١٧٨.

[2] ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص٦٣،الإصطخري: مسالك الممالك،ص٤٧، ابن حوقل: ص١٨٢، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٥٧ ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص١٦٧

[3] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٥، ابن العديم : بغية الطلب، ج١،ص١٦٧.

وتحصينها، وذكر بأنه قد أنفق على إعادة بنائها مئة وسبعين ألف دينار، وكان يعمل فيها يومياً أربعون ألف عامل ما عدا البنائين و الحدادين والنجارين. [1]

كما قام الخليفة المعتصم بإرسال مجموعة من الزط ليستوطنوا بالمدينة. [2]

مما سبق ذكره يلاحظ اهتمام الخلفاء العباسيين بتحصين هذه المدن الحدودية على الرغم مما كلفتهم من أموال.

٥- **الهارونية:** و تقع الهارونية غربي جبل اللكام ، ويلاحظ هنا أيضاً بأن هناك خلافاً حول من بنى الهارونية ، الخليفة المهدي أم الخليفة هارون الرشيد، ويجمع المؤرخون على أن ابتداء بنائها كان في زمن الخليفة المهدي، و لكن الخليفة هارون الرشيد أكمل بنائها.

فقد أمر الخليفة هارون الرشيد في العام ١٨٣هـ /٧٩٦م ببناء حصن صغير، و أمر الخليفة الرشيد بأن يشحن هذا الحصن بالمقاتلين، وقام عدد من المتطوعين بالنزوح إلى الهارونية، وسميت بالهارونية نسبة إلى هارون الرشيد. [3]

---

[1] – الخربوطلي: الثغور البرية الإسلامية، ص٦٩.

[2] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٦، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٦٧، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢،ص١٥٧ ١٥٨.

[3] – البلاذري،فتوح البلدان،ص١٧٥، ابن خرداذبة: مسالك الممالك،ص٩٣. الإصطخري: مسالك الممالك،ص٤٧، ابن حوقل: صورة الأرض،ج١،ص١٨٢، ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، ص١١٣. ابن العديم:بغية الطلب، ج١، ص٢١٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٥٨

٦- **الكنيسة السوداء:** تقع بالقرب من المصيصة، وهي مدينة قديمة مبنية بالحجر الأسود، لذلك كان يطلق عليها الكنيسة السوداء، وكانت تسمى أيضاً بالمحترقة لأن الروم كانوا قد هجموا عليها و أحرقوها وتركوها خراباً. و يبدو أن الكنيسة كانت إلى جنوب نهر جيحان، وكان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلاً.[1]

وعندما تسلم الخليفة هارون الرشيد الخلافة، أمر بإعادة بناء المدينة و تحصينها و أمر بإنزال الجنود فيها مع زيادة في عطائهم.

كما قام ولده القاسم بإعادة تحصين المدينة، و زيادة عدد الجنود فيها بعد هجوم تعرضت له المدينة من قبل الروم.

هذه كانت أهم مدن الثغور الشامية و التي خصصت لانطلاق الحملات منها باتجاه الأراضي البيزنطية.

ج- الثغور الجزرية:

أما الثغور الجزرية، فقد غلبت عليها الطبيعة الجبلية مما جعلها أكثر عزلة وعرضة للمخاطر وللهجوم البيزنطي مثل مرعش وملطية والحدث وزبطرة.

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٥، ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص٦٣، الإصطخري: مسالك الممالك، ص٤٧، ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٨٢، ابن الفقيه الهمداني:مختصر كتاب البلدان،ص١١٣، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٧٣-١٧٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٥٩

١- **مرعش:** تقع مرعش عند الطرف الجنوبي من جبل اللكام، وهي من بناء الروم وأطلقوا عليها gremanicia، وتميزت مرعش بأراضيها الخصبة ، وسهولها الواسعة، فقد اشتهرت بغزارة مياهها وأشجارها وزروعها، ذكرها الجغرافيون العرب بأنها مدينة صغيرة تحادي جبل اللكام لكنها مدينة عامرة بالسكان. [1]

وقد تعرضت للتخريب على يد البيزنطيين أكثر من مرة في زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية، فعمل الخلفاء الأمويون وبشكل دائم على محاولة إقامة مجتمع مستقر في مرعش، ولكنهم لم يفلحوا بسبب تكرار الهجمات على المدينة، إلى أن جاء الخلفاء العباسيون وكانت سياستهم في تعمير مرعش تشبه سياستهم في المدن الأخرى، فقد أمر الخليفة أبو جعفر المنصور القائد صالح بن علي ببناء المدينة بعد أن هاجمها البيزنطيون في عام ١٣٢هـ /٧٥٠م ، و قام صالح بتحصينها وأرسل إليها عدداً لا بأس به من الجنود و السكان مع زيادة في عطائهم، أما الخليفة المهدي ،فقد وجد أن مرعش بحاجة إلى قوة إضافية لحمايتها، لذلك أمر بإرسال قوة أخرى من الجنود إليها، وعمل الخليفة هارون الرشيد على تجديدها مرة أخرى، و بنى فيها ربضاً أطلق عليه الهارونية كان خارج قلعتها الأصلية. [2]

---

[1] - ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص٦٢، الإصطخري: مسالك الممالك، ص٤٧، ابن حوقل، صورة الأرض،ج١، ص١٨١.

[2] - بلاذري، فتوح البلدان،ص١٩٣، ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٥،ص١٠٧، البغدادي، مراصد الاطلاع،ج٣، ص١٢٥٩، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٣٥-٢٣٩، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢،ص١٦٨-١٦٩، أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل): تقويم البلدان،باريس، دار الطباعة السلطانية،١٨٤٠م، ص٢٦٣، البكري:معجم ما استعجم،ج٤،ص١٢١٥، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٩٠، الحميري: الروض المعطار، ص٥٤١، القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ت ١٠١٣هـ /١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت،عالم الكتاب،د.ت، ص٤٨٨، فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج١،ص٣٧٤.

هذه البيئة الجغرافية الخصبة لمرعش جعلتها تشكل قاعدة لانطلاق الصوائف باتجاه الأراضي البيزنطية، وهذا سيلاحظ بأن كثيراً ما انطلقت الجيوش الإسلامية من مرعش باتجاه الجبهة البيزنطية.

٢- **الحدث**: تقع الحدث شمال غرب بهسنا وشمال شرق مرعش، وتتميز بوجود قلعة منيعة بين ملطية وسميساط و مرعش، وهي تقع على جبل الأحيدب.[1]

وكان يطلق على الحدث تسميات متعددة، فقد كانت تعرف بالحدث الحمراء و ذلك لأن تربتها كانت حمراء، وأطلق عليها المحمدية و المهدية نسبة إلى الخليفة العباسي المهدي الذي أمر ببنائها وتحصينها، وسميت بالحدث لأن المسلمين قاتلوا في هذه المنطقة جماعة من الروم البيزنطيين معهم غلام صغير قاتلهم بشدة و قوة، لذلك أطلقوا على هذه المنطقة اسم درب الحدث.

وكان يسميها الأرمن (كيوك) والأكراد (هيتا) والروم البيزنطيون (أداتا) أما العرب فيسمونها (الحدث) ومعنى الحدث في العربية الخبر، ولا سيما الخبر المحزن، وكان يطلق عليها أيضاً درب السلامة.[2]

---

[1] – ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٧٣،ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٢٢٧، البغدادي مرصد الاطلاع،ج١، ص٣٨٥. البكري: معجم ما استعجم،ج٢،ص٤٢٩، الجتروري،الثغور البرية الإسلامية،ص٨٨، Canard:p.269

[2] – البلاذري، فتوح البلدان،ص١٩٣-١٩٤، ابن العديم:بغية الطلب، ج١، ص٢٣٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢، ص٢٢٨، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٧٣، ابن الشحنة الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٩٣، البغدادي: مراصد الاطلاع،ج١،ص٣٨٥ ، لسترنج (كي) بلدان الخلافة الشرقية (العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح حتى أيام تيمور)،ترجمة بشير فرنسيس،كوركيس عواد،بغداد،مطبعة الرابطة،١٩٥٤م،ص١٥٤.

اهتم الخلفاء العباسيون بقلعة الحدث وخاصة الخليفة المهدي، فقد أمر الخليفة المهدي في عام ١٦٩هـ /٧٨٥م قائده سليمان بن علي ببناء الحدث وتحصينها، وبالفعل قام سليمان ببناء المدينة وأسكنها بالسكان من مناطق متعددة من ملطية وسميساط وغيرها، و لكن بناءها لم يكن قوياً، فقد بنيت باللبن، وبعد انتهاء أعمال البناء جاء الشتاء قوياً محملاً بثلوج وأمطار غزيرة، فلم تستطع أبنية المدينة مقاومة هذا المناخ الصعب، لذلك فقد تهدمت تماماً وزاد على ذلك هجوم الروم عليها الذين قاموا بإحراق المدينة وتدميرها بالكامل في العام ١٧٠هـ /٧٨٦م، وكان المهدي قد توفي آنذاك.[1]

ونتيجة لما أصاب هذه المدينة من خراب فقد أمر الخليفة هارون الرشيد بإعادة بنائها وتحصينها من جديد، و توطين الجنود و المقاتلين بها مع إقطاعهم الأراضي و المساكن، و يذكر البعض أن الرشيد أمر بهدم كنيسة كيسوم و معابدها، و استعمال حجارتها في البناء.[2]

٣- **ملطية**: من أكبر مدن الثغور الجزرية وأكثرها قوة وحصانة ومناعة، وتقع في الشمال الشرقي من الثغور، كما أنها أقرب الثغور إلى بلاد الروم البيزنطيين، وكان اسمها بالرومية ملطيا وكانت تدعى أيضاً Melitene، ثم عرّبت إلى ملطية، و تميزت ملطية بأنها من أقوى مدن

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٤، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٤٠، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢،ص١٧٤-١٧٥، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٩٣.

[2] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩٥، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٤١، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٩٣، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية،ج١،ص٢٧٥.

الثغور وأكثرها عدة وعتاد من سلاح ورجال، كما أنها تميزت بأراضيها الواسعة وبساتينها ذات الأشجار المثمرة.[1]

ومدينة ملطية قديمة جداً من بناء الإسكندر، وقد تعرضت للتخريب أكثر من مرة وحاول العرب بناءها منذ زمن الأمويين.[2]

إلى أن جاء زمن العباسيين فهاجمها الروم البيزنطيون في بداية تأسيس الدولة العباسية ١٣٣هـ ./٧٥١م و بقيت خراباً إلى زمن الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي أمر قائده الحسن بن قحطبة بإعادة بناء ملطية وتحصينها، وبالفعل قام الحسن بن قحطبة في العام ١٤٠هـ ./٧٥٧م بجمع العمال والبنائين والفعلة لبناء المدينة، وكان الحسن يساعد العمال في البناء و يقدم لهم الطعام، ليحفزهم على العمل إلا أن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والي الجزيرة و الثغور، انزعج من تصرفات الحسن و أرسل إلى أبي جعفر يعلمه بذلك، لكن المنصور رد عليه بقوله " يا صبي يطعم الحسن من ماله وتطعم من مالي وما أتيت إلا من صغر خطرك وقلة همتك وسعة رأيك".[3] وأرسل المنصور إلى الحسن يشكره على ما يفعل و يحثه على المتابعة في مسيرته الحسنة، وهنا عمد الحسن إلى تشجيع العمال على الإسراع في البناء فزاد في أعطياتهم، وبدأ العمل ينجز بسرعة

---

[1] – ابن خرداذبة: المسالك و الممالك،ص٩٢، الإصطخري: مسالك الممالك،ص٤٦، ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٨١، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٥١.

[2] – اليعقوبي: البلدان،ص١٢٠.

[3] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩٠، الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ ./٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط٣، د.ت، ج٧، ص٥٠٠، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢،ص١٨٧

كبيرة إلى أن انتهى من بناء المدينة والمسجد في ستة أشهر، وقد تم بناء بيوت خاصة للجند الذين سكنوا في ملطية فلكل عرافة (وهم مجموعة من الجنود تتراوح بين عشرة رجال إلى خمسة عشر رجلاً) بيت وكان كل بيت يتألف من طابقين واصطبل، وبنى للمدينة مسلحتين ، واحدة على بعد ثلاثين ميلاً[1] والأخرى على نهر قُباقِبُ [2]، وذلك لكي تبقى المدينة على أهبة الاستعداد لأي هجوم تتعرض له، وأمر المنصور بإسكان أربعة آلاف مقاتل من أهالي الجزيرة في ملطية.[3]

كان لملطية أهمية كبيرة، لذلك سيلاحظ بأنها ستتعرض كثيراً لهجمات البيزنطيين وترجع أهمية ملطية إلى موقعها الجغرافي الإستراتيجي، فهي تقع بين المنطقتين الشمالية والوسطى للحدود الإسلامية البيزنطية، وهي نقطة التقاء طرق عدة ومفتاح الطريق للجيوش الإسلامية القادمة من الشرق والمتجهة نحو الحدود البيزنطية، كما أنها مفتاح الطرق للجيوش البيزنطية القادمة من

---

[1] – الميل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم، وكل ثلاثة أميال فرسخ، ابن منظور: لسان العرب،ج٣، ص٥٥٧.

[2] – نهر قُباقِبُ: ماء لبني تغلب ،وهو اسم نهر بالثغر قرب ملطية يصب في الفرات. الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص٣٠٢.

[3] – ابن خياط (أبو عمر الليثي العصفري ت ٢٤٠هـ /٨٥٥م). تاريخ خليفة بن خياط ،تح،أكرم ضياء العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٩٧٧م ،ص٤١٨،البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩١،اليعقوبي.البلدان،ص١٢٠، ابن الفقيه الهمداني:مختصر كتاب البلدان،ص١١٤، الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٧،ص٥٠٠، ابن العديم:بغية الطلب، ج١،ج١،ص٢٥٥، التلمحري(ديونيسيوس) تاريخ الزوقنين المنحول، تر، الشماس بطرس قاشا، تعليق، بطرس قاشا، لبنان، منشورات المكتبة البولسية،٢٠٠٦م، ص١١٨، السرياني (ميخائيل). تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، تر، مارغريغوريوس صليبا شمعون، إعداد وتقديم،مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم ،دمشق،مطبعة ألف باء الأديب،١٩٩٦م ، ج٢،ص٤١٦،عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية،ج١،ص٢٤٠، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص١٠٤، لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٢ ١٥٣

العرب، وتمثل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية، مثل وادي نهر قباقب (تخماصو tokhmasu)، الذي يشق طريقه في عمق بين الصخور جنوبي ملطية إلى ربطرة، ونهر الجرجرية، ثم وادي الفرات، كما أنها حاضرة جماعات البيالقة[1] .[2]

٤- **زبطرة**: تقع زبطرة في أعالي نهر قراقيس أحد روافد نهر قباقب، وهي بين ملطية وسميساط والحدث، وحصن زبطرة من أقرب الثغور الإسلامية إلى بلاد الروم البيزنطيين.[3]

وزبطرة حصن قديم جداً أطلق عليه الروم سوزبطرة (sozopetra) وبعض الأحيان زبطرة (zapetra).[4]

ونظراً لقرب هذا الحصن من الحدود البيزنطية، فقد تعرّض كثيراً لهجمات البيزنطيين، وكان المسلمون يعملون دائماً على إعادة بنائه وتحصينه، فالمنصور كان من أول الخلفاء العباسيين الذين عملوا على بناء حصن زبطرة، ولكن الروم عملوا على هدم الحصن على أهله، فقام الخليفة

---

[1] – سيتم الحديث بشكل مفصل عن البيالقة في الفصل الرابع من الرسالة.

[2] – عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج١، ص٢٣٩، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٢-١٥٣، العبد الغني (عبد الرحمن محمد). الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية، حوليات كلية الآداب، العدد ١١، الكويت، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، ١٩٩٠م، ص٣٨.

[3] – ابن خرداذبة. المسالك والممالك، ص٦٣، الإصطخري: مسالك الممالك، ص٤٧، ابن العديم. بغية الطلب، ج١، ص٢٤٧، ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص١٨٠، الحموي. معجم البلدان، ج٣، ص١٣١، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٥٧، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٣.

[4] – البلاذري: فتوح البلدان، ص١٩٥، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٣، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص٩٢

هارون الرشيد بإعادة بناء الحصن وتحصينه وإنزال المقاتلين به على يد محمد بن إبراهيم الإمام، وبعدها تعرّض الحصن مرة أخرى للتخريب ومن الخليفة المأمون فأعاد المأمون إعمارها، ثم تعرضت لهجوم كبير ومن الخليفة المعتصم من قبل الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، ونتيجة لتخريب المدينة وحرقها وسبي أهلها، قام الخليفة المعتصم بحملته المشهورة على عمورية.[1]

كانت هذه المدن من أهمّ مدن الثغور الجزرية وأكبرها، ولكن كان يتبع للثغور الجزرية عدد من الحصون والمدن الصغيرة، مثل سميساط، وحصن منصور، وحصن كمخ، وحصن قلوذية.

ه- **سميساط**: مدينة صغيرة تقع على شاطئ الفرات الغربي، شرقي جبل اللكام في طرف بلاد الروم، و هي مدينة قديمة جداً يرجع بناؤها إلى زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام.[2]

وكان الروم يطلقون عليها samosata، وكانت تعرف بقلعة الطين. [3]

---

[1] – البلاذري. فتوح البلدان،ص١٩٥، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٤٧، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٨٠-١٨١، الحميري. الروض المعطار، ص٢٨٥، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٤، الجتروري: الثغور البرية الإسلامية ،ص٩٣.

[2] – اليعقوبي. البلدان، ص ١١٢، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٥٧، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص١٩١. ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٩٨،لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية،ص١٤٠، أبو الفداء. تقويم البلدان،ص٢٦٧، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢،ص٧٤١ البكري معجم ما استعجم، ج٣،ص٧٥٧-٧٥٨.

[3] – عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية،ج٢،ص٢٤٥ ، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية،ص١٤٠.

وهناك خلاف بين الجغرافيين حول تبعية سميساط للثغور، فمنهم من يذكر بأنها تتبع الثغور البكرية[1].

أما الجغرافيون والمؤرخون فإنهم يذكرون بأن سميساط تتبع للثغور الجزرية.

وقد تعرّضت سميساط كغيرها من الثغور للتخريب أكثر من مرة من قبل الروم البيزنطيين، وكان المسلمون يعملون على إعادة إعمارها من جديد، ولسميساط أهمية كبيرة، فموقعها الإستراتيجي جعلها معبراً مهماً على نهر الفرات، وعندها تلتقي الطرق المتجهة إلى الغرب، والآتية من الجزيرة العراقية والرقة عن طريق سروج، ومن آمد عن طريق الرها ، ومنها أيضاً تسير الطرق المتجهة إلى ملطية ومرعش ودلوك. [2]

وعلى هذا النحو فهي تعدُّ صلة الوصل بين مدن الجزرية الفراتية و ثغورها.

٦- **كيسوم**: قرية صغيرة من أعمال سميساط في جنوب بهسنا.[3]

وهي عبارة عن حصن كبير يقع بين الحصون التي بناها المعتصم، وهذه الحصون التي بناها هي حصن طارجي والحسينية وبني المؤمن وابن راجون وحصن منصور، وكان يربط بين كيسوم وحصن منصور قنطرة تعد من عجائب الدنيا [4].

---

[1] – قدامة بن جعفر: نبذ من كتاب الخراج،ص٢٥٤.

[2] – ثيوفيلاكتوس سيموكاتا (ديونيسيوس): تاريخ الرومانيين للمحول، تر: الشماس بطرس قاشا، تعليق: مطران قش، جوزيف (بسام)، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٩م ،ص١٤٣؛عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطيه،ج١،ص٢٤٦

[3] – اليعقوبي :البلدان،ص١٢١؛الحموي: معجم البلدان،ج٤،ص٤٩٧.

[4] قدامة بن جعفر كتاب الخراج،ص٢٥٣، ابن العديم:بغية الطلب، ج١،ص٢٦٥، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ /١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر،١٩٦٠م ،ص٢٧١، عبد الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية،ص١٠٠.

٧- **حصن منصور**: يقع حصن منصور على أحد الروافد اليمنى لنهر الفرات، ويصب في أسفل سميساط، وقد كانت المدينة محاطة بسور وخندق وثلاثة أبواب، وفي وسط المدينة حصن وقلعة، وينسب الحصن إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامري بن قيس أحد قواد بني أمية، وقد قام الخليفة المهدي بتكليف ولده هارون ببناء حصن منصور، وتحصينه ووضع المقاتلين والجنود فيه[1].

٨- **كمخ**: تقع قلعة كمخ على الضفة الجنوبية من نهر الفرات، ويطلق عليها الروم (Kamcha)، و هي قلعة منيعة، في أسفل القلعة وعلى ضفة النهر تقع المدينة[2].

كانت هذه أهم مدن الثغور الشامية والجزرية، ويلاحظ مما سبق بأن الجغرافيين والمؤرخين كانوا قد اتفقوا على جغرافية الثغور وتبعيتها، ولكنهم اختلفوا حول من هو الخليفة العباسي الحقيقي الذي قام ببناء مدن الثغور وتحصينها، وهذا يرجع إلى كون مدن الثغور كانت تتعرض وبشكل دائم إلى التخريب والدمار في زمن جميع الخلفاء، وكان كل خليفة يأمر بإعادة بناء ما تهدم من هذه المدن وتحصينها، ولهذا يلاحظ وجود هذا الخلاف، وبالمحصلة فإن جميع الخلفاء العباسيين قد أعطوا مسألة حماية الحدود والاهتمام بمدنها وحصونها وقلاعها أهمية خاصة.

---

١ - البلاذري، فتوح البلدان،ص١٩٦، ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص٩٢، الإصطخري: مسالك الممالك،ص٤٧، ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان،ص١١٤، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٤٩،الحموي: معجم البلدان،ج٢،ص٢٦٥-٢٦٦، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٩٤-١٩٥، أبو الفداء: تقويم البلدان،ص٢٦٩.

٢ - لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٤، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج١، ص٢٣٩

د- العواصم، تعريفها، مهمتها، مدنها:

لم تكن الثغور الشامية والجزرية هي التي تقوم بالدفاع عن الحدود العربية الإسلامية فقط، بل كانت هنالك العواصم، وهي مدن قديمة كانت تتبع أحيانا قنسرين، وهنالك من كان يتبعها لحلب[1].

والعواصم جمع كلمة عاصم، وهي حصون موانع وولاية تحيط بها من حلب و أنطاكية، و قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال، وسميت عواصم لأنها عصمت ما يليها.[2]

وقد أطلق على الحصن عاصمٌ لأنه يعصم الثغر و يمده في أوقات النفير. [3]

وكان لكلّ من الثغور الشّامية والثغور الجزرية حصون تعصمها وتحميها، فقد كانت عواصم الثغور الشّامية أنطاكية، و قورس، وجوقة، وعواصم الثغور الجزرية، رعبان، ومنبج. [4]

وظلت هذه المدن أحياناً تتبع قنسرين، وفي بعض الأحيان لحلب إلى أن جاء الخليفة العباسي هارون الرشيد، والذي عمد إلى تنظيم الحدود بشكل يضمن للثغور حمايتها وللعواصم استقلالها،

---

[1] - عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية،ج1،ص213-214.

[2] - الحموي. معجم البلدان،ج 4،ص 165-166 ، البكري: معجم ما استعجم،ج3،ص979، بن عبد الحق البغدادي. مراصد الاطلاع، ج2،ص169 ، مجموعة مؤلفين: المنجد في الأعلام، المطبعة الكاثوليكية،ط 26، 1982م ،ص 497.

[3] - قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج و صناعة الكتابة،ص253.

[4] - قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج،ص253.

فقد استهل عهده بإنشاء جند العواصم بأن عزلها عن قنسرين و أفرد لها جنداً خاصاً وذلك في عام ١٧٨هـ /٧٨٦م.[1]

وقصة إنشاء العواصم ترد إلى أن الخليفة الرشيد لم يكتف بنظام الصوائف والشواتي لإبراز قوته وحماية بلاده، ولكنه قارن بين ما لديه من حصون وبين ما أنشأه البيزنطيون حول إنشاء خط دفاعي وضع تحت إشراف رجال حربيين لقبوا بحكام الثغور، ولما رأى الخليفة الرشيد أن هذا الخط الدفاعي يمكن أن يصبح قاعدة للهجوم، أسس إقليماً مشابهاً لإقليم الأطراف البيزنطي على حدود البلاد الإسلامية الشمالية وسماه العواصم.[2]

فقد جعل الخليفة هارون الرشيد لمنطقة الحدود تنظيمين اثنين هما :

الأول: النظام الأمامي، ويضم الثغور الشامية والجزرية وقد خصصت لمواجهة الثغرات والمنافذ البيزنطية.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٢٣٤، ابن العديم: بغية الطلب ،ج١،ص٢٥٩، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية،ج١،ص٢١٦.

[2] – شلبي (أحمد): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الخلافة العباسية)،القاهرة، مكتبة النهضة،ط٨، ١٩٨٥م،ص٢٥٤.

الثاني. وهو النطام الخلفي ويوجد خلف الثغور، ويضم الأقاليم الخلفية والحصون الجنوبية وتسمى العواصم، وتمتد من أنطاكية إلى الفرات، وكانت تضم (منبج، دلوك، رعبان، قورس، أنطاكية، تيزين)، وقد اتخذت منبج قصبة العواصم، ثم أنطاكية و تمتعت باستقلال إداري وذاتي كبيرين[1]

ويلاحظ هنا أيضاً التباين بين الجغرافيين حول العواصم، و ما يتبع لها من مدن وقصبتها، ويذكرها ابن خرداذبة فيقول "بأن العواصم اسم للناحية و ليس موضع بعينه وقصبتها أنطاكية" ومن مدنها بالس، منبج، كورة، تيزين ورصافة هشام وشيزر و غيرها الكثير.[2]

أما ابن حوقل فيذكر بأن العواصم "اسم للناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها أنطاكية". [3]

وعلى الرغم مما ذكر، فالفصل يرجع إلى الخليفة هارون الرشيد الذي أطلق عليها هذه التسمية، وأنشأها لتعصم الثغور والحدود، ولتمدها بالمؤن والمستلزمات في أثناء الحروب، وللتميز بينها وبين الحصون الخارجية الملاصقة للحدود البيزنطية، وسيتم الحديث بشكل مختصر عن الحصون الخلفية الستة التي أفردها الخليفة الرشيد.

---

[1] - ابن حوقل:صورة الأرض،ج١،ص١٨٧. ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م).الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، د.ت،ج٩،ص١٠٨، شميرة (محمد عبد الهادي): من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة دراسات في الآثار الإسلامية، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٩م،ص٢٨ عبد الله (وديع فتحي) العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي (١٢٤-٢٠٥هـ /٧٤١-٨٢٠م)، تقديم جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٠م،ص٢٣٤، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج١،ص٢١٦

[2] - ابن خرداذبة:المسالك و الممالك،ص٩٢.

[3] - ابن حوقل: صورة الأرض،ص١٧٩.

١- **منبج**: من أكبر مدن العواصم و هي مدينة بين حلب وسميساط قرب الفرات، وكان لمنبج أهمية كبيرة، فموقعها الإستراتيجي جعلها تشغل دوراً مهماً كنقطة اتصال بين الثغور الجزرية والشامية، و لم تقتصر مهمتها على حماية مواقع الحدود، بل أيضاً كانت ترقب صحراء الشام في الجنوب حتى منطقة بالس لحمايتها أيضاً، وبسبب قربها من الفرات تم بناء جسر منبج، والذي كان ممراً لجيوش الصوائف.[1]

٢- **أنطاكية**: أول ما يذكره الجغرافيون عن أنطاكية بأنها قصبة العواصم، وهي أنزه مدينة في الشام بعد دمشق، كانت أنطاكية من أعيان البلاد و أمهاتها و توصف بالنزاهة والطيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وسعة الخير، و بينها وبين حلب يوم وليلة، كان للمدينة سور وحصن ولسورها ثلاثمئة وستون برجاً، وله خمسة أبواب، وفي المدينة قلعة كبيرة محصنة بشكل جيد.[2]

---

[1] - اليعقوبي :البلدان،ص ١٢١، الإصطخري: مسالك الممالك، ص٤٩، ابن حوقل :صورة الأرض،ص١٨٠، بن العديم: بغية الطلب، ج١،ص١٠٩-١١٠،ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع،ج٣،ص١٣١٦.

[2] البلاذري :فتوح البلدان،ص١٥٣،ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٩٢ الإصطخري :مسالك الممالك، ص٤٦. ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٧٩. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول،ص٤٢٤، الحميري: الروض المعطار، ص٣٨. ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٧٩ وما بعدها، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٠١.

٣ - **دلوك**. و هي من مدن العواصم عبارة عن مدينة قديمة بين الروم فيها قلعة ، ودلوك بليدة من نواحي حلب أدخلها الخليفة هارون الرشيد مع العواصم فكانت تعصم الثغور الجزرية من الشمال، يذكر بأن مقام سيدنا داود عليه السلام كان فيها.[1]

٤ - **رعبان**: مدينة صخرية قديمة البناء بين حلب، وسميساط قرب الفرات، وهنالك من يذكر بأن رعبان و دلوك مدينتان متصلتان وبأن رعبان من أعمال منبج.[2]

٥ - **تيزين**: قرية كبيرة من نواحي حلب وكانت تعد من أعمال قنسرين، ثم فصلت أيام الخليفة الرشيد وأصبحت تتبع للعواصم.[3]

٦ - **قورس**: مدينة قديمة جداً وكانت منذ القدم مركزاً حربياً مهماً، وكانت تشرف على الطريق الرئيس من أنطاكية إلى الفرات، والطريق المؤدي إلى حلب، وعلى هذا النحو، فقد كانت قورس بمنزلة خط دفاع أمامي عن حلب وأنطاكية. كما أن قورس كانت بمنزلة المسلحة لأنطاكية.[4]

---

[1] - اليعقوبي: البلدان، ص١٢٠، البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٥٥ ، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٦١، الحموي. معجم البلدان، ج٢،ص٤١٩. ابن الشحنة. الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٢٣-٢٢٤، ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٥٣٢.

[2] - اليعقوبي: البلدان،ص١٢٠، البكري: معجم ما استعجم،ج٢،ص٦٦، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٥٩، ابن عبد الحق البغدادي:مراصد الاطلاع،ج٢،ص٦٢١.

[3] - الحموي: معجم البلدان،ج٢،ص٦٦، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٢٢.

[4] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٥٤. ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٦٣،الحموي: معجم البلدان، ص١٤٥، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٢٤-٢٢٥.

وهنالك إشارات في المصادر التاريخية عن كيفية إمداد مدن العواصم للثغور بالجنود والعتاد، فالبلاذري يذكر بأن أنطاكية كانت تمد ثغر المصيصة بالجنود ليس فقط في أيام الحروب، وإنما كانت تتوجه إليها مجموعات خاصة في فصل الشتاء للدفاع عنها وحمايتها. فيقول "وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتوا بها، ثم تنصرف وعدد من كان يطلع إليها ألف والخمسمئة إلى الألفين".[1]

وأيضاً كانت قورس بمنزلة المسلحة لأنطاكية، فقد كان جنود أنطاكية يأتون في كل عام، إلى أن تم تخصيص ربع من أرباع مقاتلي أنطاكية وجنودها إلى قورس، فانقطعت إمدادات أنطاكية عنها وأصبحت مستقلة.[2]

بالإضافة إلى ذلك فقد كانت مدن الجزيرة تمد ملطية بالمعونة لاستمرار تعرضها للبيزنطيين، إذ كانت طالعة من جند الجزيرة تتوجه إلى ملطية في كل صيف فيقومون بها إلى أن يأتي فصل الشتاء، فكانوا يعودون إلى منازلهم و أراضيهم.[3]

هـ - الصوائف والشواتي:

أما غزوات المسلمين نحو الأراضي البيزنطية، فلم تكن عشوائية، بل كانت منظمة حسب نظام خاص عرف بالصوائف والشواتي، وكان المسلمون يميلون إلى الصوائف بشكل عام لقدرتهم

---

[1] - البلاذري: فتوح البلدان، ص١٦٩.

[2] - البلاذري: فتوح البلدان، ص١٥٤.

[3] -البلاذري: فتوح البلدان، ص١٨٩.

العرب المسلمون والبيزنطيون معاً هما الدربان المعروفان باسم ممر أبواب قليقية (درب السلامة)، و ممر كوودخاي (درب الحدث).

كان درب السلامة و المعروف باسم ممر أبواب قليقية يسلكه المسلمون عند توجههم للغزو، ويبلغ طوله سبعين ميلاً و يبدأ من سفح هضبة آسيا الصغرى جنوبي جبال طوروس، ويوجد على الطرف الشمالي لهذا الدرب قمة يبلغ ارتفاعها نحو ألف قدم[1]، تشرف على السهوب الجنوبية في قبادوقيا، والمنحدرات الشمالية لجبال طوروس، و على هذه القمة كانت تقع قلعة اللؤلؤة.

وكالعادة فقد تبادل المسلمون و البيزنطيون ملكية هذه القلعة، و ذلك لكونها مفتاح الطريق نحو ممر قليقية، فإن وقعت ملكية القلعة بيد المسلمين لم يتجرأ البيزنطيون على التوجه نحو هذا الدرب، والعكس كذلك، فإن كانت ملكيتها بيد البيزنطيين لم يتمكن المسلمون من غزو قبادوقيا.

كما أن لهذه القلعة أهمية أخرى، فهي تتحكم بالطريقين اللذين يلتقيان بالقرب منها وهما الطريق الشمالي المؤدي إلى طوانة، و الطريق الغربي الذي ينتهي عند هرقلة، و هذا الدرب يسلكه رجال البريد ورسل الخليفة والأباطرة، وهو الذي سلكه المسلمون عند توجههم نحو آسيا الصغرى، وكان هذا الممر يضيق جداً في جنوبه فيصبح عرضه عند أبواب قليقية بضعة أمتار، وكانت تحيط به صخور شاهقة في ارتفاع عمودي وتشرف عليه قلعة الصقالبة .

القدم: وحدة قياس تساوي اثنتي عشرة بوصة، الجوهري (عبد الله العلايلي): الصحاح في اللغة والعلوم ، إعداد وتصنيف، نديم مرعشلي ، أسامة مرعشلي، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م،ج٢،ص٢٨٥.

فأعد ساعتين تسيران في زمن واحد أحداهما جعلها في القصر الكبير بالقسطنطينية والأخرى في قلعة اللؤلؤة تعملان بالوقت ذاته لتنبيه العاصمة لدى تعرضها لأي هجوم.[1]

كما أن جميع الحصون والقلاع الموجودة في هذه الممرات قد انتقلت ملكيتها والسيطرة عليها مراراً وتكراراً بين العرب المسلمين والبيزنطيين ،وذلك لأن الحرب بين الجانبين كانت سجالاً والنصر كان مداً وجزراً بين هذين الطرفين،كما أن أحد المبادئ الرئيسة بين العرب المسلمين والبيزنطيين هو السيطرة على هذه الممرات واختراقها.

وكان هنالك وصف للدروب حسب أحد المجاهدين فيقول:"بلاد شديدة البرد كثيرة الشجر والمرر[2] والحجر فيها مضايق و شعاب و أودية و عقبات ومضايق ليس للفرس فيها مجال."

أما المسلم الآخر الذي وصف كيفية عبورهم لهذه الدروب الصعبة فيقول " إنهم تعلقوا في جبال شاهقة صعبة الصعود، فلم يبق أحد إلا و ترجل عن فرسه ومشينا حتى تقطعت نعالنا وسال الدم من أرجلنا والثلج على الجبال يميننا وشمالنا".[3]

ومن هنا يلاحظ مقدار التعب و المشقة التي كان يعاني منها المسلمون في سبيل الجهاد وال دفاع عن أرضهم و ، فهم كانوا يقدمون الغالي والنفيس في سبيل الجهاد، و لكن كل ذلك كان يهون في سبيل الدفاع عن بلاد المسلمين.

---

[1] – رستم: الروم،ص٢٩٥.

[2] – المرر: موضع المرور وللصدور، والجمع مرر ومرار ومرور، ابن منظور : لسان العرب ،ج٣، ص٤٩٥

[3] – الواقدي (أبو عبد الله بن عمر): فتوح الشام ،دار الجيل ،د.ت،ج٢،ص٦.

ثانياً: الثيمات (البنود) البيزنطية:

أ- نشوء الثيم (البند) وتنظيمه:

كان النظام العسكري الذي طبقته الإمبراطورية البيزنطية مصدراً أساسياً لقوتها وهيبتها ومنعتها، فقد استمر الأباطرة بالعمل على تقوية هذا الجهاز العسكري، فعندما ازداد خطر العرب المسلمين على الحدود البيزنطية، وبدأوا يعملون على قطع خطوط التموين والمواصلات في منطقة آسيا الصغرى عن العاصمة البيزنطية القسطنطينية، أدركت بيزنطة أنه يجب عليها أن توزع جنودها وفرقها العسكرية بشكل يضمن حماية طرقها وحدودها، وهنا ظهرت كلمة ثيم theme وكانت تعني فرقة من الجيش تعسكر في إقليم من الأقاليم و كانت تقابل في اللغة العربية كلمة "جند" أو "بند" و لكن هذه الكلمة ما لبثت أن تطور معناها إلى أن أصبحت تدل على الحامية العسكرية الموجودة في منطقة الحدود، و مع تطور الأحداث و حاجة الإمبراطورية إلى تطوير نظام حكومتها و إدارتها وتنظيمها، بدأت تتطور كلمة ثيم ومعناها وتشكلت الثيمات البيزنطية والتي كانت في البداية أربع ثيمات، ويعود الفضل للإمبراطور هرقل في العمل على نشوء هذا التنظيم العسكري ، فقد كان هرقل يهدف بتنظيمه هذا إلى تثبيت السلطة المدنية والعسكرية في شخص

فرد في مناطق معرضة للخطر بشكل دائم، ومن ثم تطورت هذه التنظيمات إلى أن وصلت إلى هذه الدرجة.[1]

كان الأصل في نظام البنود و الثيمات Themesهو إنزال فرق معينة (أي تجمعات نظامية معينة من الكتائب للدفاع عن نواح ثابتة معينة، وكان كل ثيم تحت قيادة قائد عسكري يلقب ستراتيجوس strategos كان تحت إمرته السلطة العسكرية و الإدارة المدنية للثيم.[2]

وفي البداية كان كل ثيم يسمى باسم الفرقة التي تحتله ،مثل فرقة المختارين (الثيما الأوبتيماتية)، أو لواء مرتزقة الجرايات والتموين (الثيما البوكلارية)، ولكن بعد أن تم تنظيم الفرق المتواجدة

---

[1] – العريني: الدولة البيزنطية ١٢٠ و ما بعدها، دياب (صابر محمد): المسلمون و جهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، القاهرة، مكتبة السلام العالمية، ١٩٨٤م، ص١٢، ربيع (حسنين محمد): دراسات في الدولة البيزنطية،القاهرة، دار النهضة العربية ،١٩٨٣م، ص٤٧، فرح (نعيم): تاريخ بيزنطة منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد،دمشق، مطبعة طربين، ١٩٧٧–١٩٧٨م،ص٢٢٥، بينز (نورمان). الإمبراطورية البيزنطية، تر، حسين مؤنس،محمود يوسف زايد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م، ص١٧٢. أومان: الإمبراطورية البيزنطية ، تر،مصطفى طه بدر، مصر، مطبعة الاعتماد،د.ت، ص١٣١. هارتمان (ل.م) باركلاف: الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، تر، جوزيف نسيم يوسف، مصر، دار المعارف، ١٩٦٦م ، ص٩٤–٩٥، كيغي (ولتر): بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، تر، نقولا زيادة، سورية، دار قدمس للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢،٢٠٠٣م، ص٣٤٣ (البند لفظ فارسي معرب معناه العلم الكبير،رستم: الروم،ص ٢٧٨.)

[2] – رنسيمان : الحضارة البيزنطية، ص ١٦٣،العبد الغني : الحدود البيزنطية الإسلامية ، ١٩٨٩م، ص٢٨ ، ربيع: الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٥.

على مناطق الأطراف بشكل أفضل،أضيفت بنود و ثيمات جديدة، أطلق على هذه البنود أسماء جغرافية مثل البند السلوقي والخرشني والبند القبدوقي.[1]

وكان في كل ثيم فصائل أو وحدات متعددة ما بين وحدتين إلى ثماني وحدات تدعى باندون (Bandon)، و يتولى قيادة كل فصيلة قائد عسكري يحمل لقب قومس komes، ويوجد في هذه الفصائل مجموعات، كل مجموعة تكون بمنزلة كتيبة عسكرية تدعى torma، ويتولى قيادتها قائد يلقب Tormarch طورماخ.[2]

إلا أن هذا النظام العسكري لم يكن نظاماً جديداً مبتكراً في الدولة البيزنطية أيام المسلمين،وإنما كان نظاماً قديماً جداً تم دمجه مع بعض الأمور التنظيمية الإدارية و العسكرية الجديدة،فجوهر هذا النظام كان يكمن في العمل على تشجيع استقرار الجند في أقاليم آسيا الصغرى، وكانت غالبية الجنود من الفلاحين الأحرار الذين منحوا الأراضي نظير الخدمة العسكرية.[3]

ولهذا فقد أطلقت لفظة أجناد أو بنود أي Theme على الأقاليم الحربية التي نشأت حديثاً، وكانت تطلق هذه اللفظة سابقاً على لواء من الجنود، ومن ثم أطلقت على الأراضي التي تشغلها تلك المجموعات الحربية ، ويشير كثيرون إلى أن هذا التنظيم الجديد هو دمج النظام الحربي القديم

---

[1] - رستمان: الحضارة البيزنطية،ص١٦٣.

[2] - بيتز: الإمبراطورية البيزنطية،ص١٧٢، رستمان: الحضارة البيزنطية، ص١٦٤، دياب: المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص١٣، العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية، ص٢٧-٢٨.

[3] - ساتيمان (ريتشارد): ورثة الإمبراطورية الرومانية، الغرب الجرماني، العالم الإسلامي، الدولة البيزنطية، تر، جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،١٩٨٥م،ص١٥٠، كيمي: بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص٣٤٥.

الذي كان شائعاً في الإمبراطورية البيزنطية و يعرف باسم جيش الأطراف Limitanei مع نظام الأرخونية، علماً بأن نظام جيش الأطراف كان يعني استقرار الجنود بالأراضي، أما نظام الأرخونية فهو تغليب العامل العسكري في الإدارة على العامل المدني ،وبالمحصلة فإن نظام الأجناد كان يعتمد على منح الجنود مساحات من الأراضي مقابل الخدمة الحربية، مع سيطرة الإدارة العسكرية على هذه المناطق.[1]

وكانت الخطط الإستراتيجية لكل بند تسير على خطط محددة أولاً، ووجود مراكز إنذار تحذر من أي هجوم عربي إسلامي نحو الأراضي البيزنطية، وكانت غالباً على التخوم في مناطق الممرات.

ثانياً، استنفار قوات تشاغل الغزاة وهي قوات رجالة تتجه نحو الممرات الجبلية الضيقة لتقطعها وتشاغل الغزاة لحين حضورالقوات الرئيسة المهاجمة.

ب – الثيمات البيزنطية زمن العصر العباسي:

وكان عدد الثيمات البيزنطية في العصر العباسي أربعة ثيمات (أقاليم عسكرية كبيرة)، ومن ثم بدأت تنفصل بعض المدن والحصون عن هذه الثيمات لتكون وحدات خاصة أطلق عليها Cleisurarchies كليسورارشيات، ومن ثم تحولت إلى ثيمات، و الثيمات الأربعة الكبرى هي:

---

[1] العريني :الإمبراطورية البيزنطية ،ص١٢١، ص٢٢٦ ،هارتمان،بار اكلاف: الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ص٩٤-٩٥

١ ثيم (بند) الأرمنياق: Armeniaciفي شمال شرق آسيا الصغرى على حدود أرمينية

٢ ثيم (بند) الأناتوليك: Anatolici وهي مشتقة من الكلمة اليونانية الشرق Anatoli في الأناضول، ومهمة هذين الثغرين حماية تلك الأقاليم من هجمات العرب المسلمين.

٣- ثيم (بند) الأبسيق (الأبسيكون): Opsikion في غرب آسيا الصغرى حول بحر مرمرة، لحماية العاصمة البيزنطية.

٤- الثغر البحري كيبريوت: Cibyrraeot في الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى والجزر المجاورة لها، لحماية الشاطئ من هجمات الأسطول العربي الإسلامي .

واحتل الثغران الأوليان وسط آسيا الصغرى من حدود قيليقية في الشرق إلى شواطئ البحر الإيجي في الغرب.[1]

ويذكر البعض بأن هناك ثغرين بريين آخرين هما ثغر تراكيا (تراقيا) في الشمال الشرقي من البلقان، وثغر هيلاس في وسط بلاد اليونان.

وهكذا، فقد عمل البيزنطيون على تنظيم دفاعاتهم ألويتهم أو الثيمات الخاصة بهم فثيمات آسيا الصغرى كان الهدف من تشكيلها هو تنظيم الدفاع المحلي في تلك المناطق ضد غارات العرب، والهدف من تشكيل ثيمات البلقان، تنظيم الدفاع المحلي ضد غارات السلاف والبلغار.[2]

---

١ - رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ص٩٧، ذياب: المسلمون وجهادهم، ص١٢، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٥-٧٦، فرح: تاريخ بيزنطة، ص٢٢٦-٢٢٧.

٢ فرح: تاريخ بيزنطة، ص٢٢٩، أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٣١.

ولم تبق هذه المدن الثغرية على حالها، فقد أدخل عليها الأباطرة إصلاحات إدارية كثيرة، إذ كان كل إمبراطور يعمل على تحصين هذه المدن وتدعيمها، بالإضافة إلى هذه البنود هنالك مناطق على التخوم وبخاصة مناطق الممرات ، كانت كتوضع خارج نظام ألوية الثغور وتخضع لسلطة عسكرية دائمة، وهذه المناطق كانت بمنزلة مناطق إنذار للجنود البيزنطيين في أثناء مهاجمة العرب المسلمين للأراضي البيزنطية، وكانت هذه المناطق تسمى مناطق الثغور (Kleisurai) أو(Clissurae) وكان قائدها يسمى قائد الثغور (Clissurarch) ومن الممكن أن ترفع هذه المناطق إلى مرتبة البنود.[1]

كما قام الإمبراطور ثيوفيل بإجراء إصلاحات إدارية مهمة، واهتم بالمقاطعات الشرقية والشمالية، فأوجد ثيمين جديدين هما بافلاغونيا Paphlagonia وكالديا Chaldia، وذلك لدعم موقع بيزنطة على البحر الأسود أكثر، وأوجد ثلاث وحدات إدارية عسكرية جديدة في المنطقة الجبلية المتاخمة للحدود العربية جعلها وحدات عسكرية مستقلة بعد أن كانت تتبع لثيمات أرمينية والأناضول، وسميت هذه الوحدات الجديدة باسم (الممرات الجبلية) وكانت تتشكل من أقاليم كارسيانون Charsianon (كابادوكيا) وسلوقية.[2]

[1] – رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ص ١٦٤.

[2] – عاقل (نبيه): الإمبراطورية البيزنطية ، دمشق، ١٩٦٩م، ص١٩٥.

ج- الثيمات البيزنطية التي توجه منها البيزنطيون نحو الأراضي العربية الإسلامية:

وعلى هذا النحو فقد كانت الثيمات القريبة من الحدود العربية التي كان البيزنطيون يتوجهون منها نحو الأراضي العربية الإسلامية والتي ستذكر أسماؤها بشكل متكرر في هذا البحث، هي كابادوكيا، سلوقية، أرمينية، خالديا (كالديا)، كولونيا، خرسيون (خرشنة).

١- خالديا (كالديا): Chaldia عاصمة طرابزون وكانت حدودها تمتد حتى جوار وادي الفرات الأعلى تجاه كيليكيا (قاليقلا).

٢- كولونيا: Coloneia هي متفرعة من ثيم الأرمياق وامتدت حتى الفرات.[1]

٣- خرسيون (خرشنة) : Charsiane كانت تتبع ثيم الأرمياق وكان القسم الأكبر من هذا الثغر في منعطف نهر هاليس Halys، و في الشمال يمتد شرقاً على ضفة نهر هاليس العليا حتى صارخه Carikha، و كانت على مسيرة يومين من كمخ.[2]

٤- كابادوكيا: (كابادوكيا الصغرى) Mikra Kappadokia كانت وحدة في لواء الأناضول، ثم أصبحت ثيماً، وكان القسم الجنوبي منها ملاصقاً للحدود عند مخرج بوابات كيليكيا Pyles Calyiennes، وكان يتبع لكابادوكيا الصغرى بعض المواقع ، مثل قيصره

---

[1] - دياب: المسلمون وجهادهم ص١٤.

[2] - E.W. Brookes: Arabic lists of the Byzantine themes,Journal of Hellenic Studies,1901,p69، قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر،١٩٨٠م،ص١٨٩ - ١٩٠

وبيسا وحرشنة و لؤلؤة إلى بودندوس داخل المرتفعات الجبلية، وكان هذا الثيم يضم منطقة المطامير و الكهوف على الحدود.[1]

٥- سلوقية: يقع غربي كيليكيا العربية ونهر اللامس المار على الحدود الإسلامية البيزنطية [2]

وعندما تمكن المسلمون من عبور الممرات الجبلية و الدخول إلى عمق الحدود في الأراضي البيزنطية، لجأت الإمبراطورية البيزنطية آنذاك إلى تدعيم بعض القلاع والحصون الإستراتيجية في جبال طوروس، وعملت على إعادة بناء الهيكل الدفاعي للإمبراطورية في آسيا الصغرى، ولهذا عملوا على تحويل مدن قريبة من الحدود إلى مدن عسكرية منيعة وقوية تمتلك تحصينات هائلة، وهي مدن عسكرية مغلقة إلى حد كبير تشبه الحصون، ومن هذه المدن أنقرة Ancyra، برجامة Pergamum، سرديس Sardis، أكرينون Acroinon.[3]

د- الثيمات (البنود) البيزنطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب:

نظراً لأن الحدود العربية الإسلامية والبيزنطية كانت متصلة عبر جبال طوروس، ولأن العلاقات بين العرب المسلمين والبيزنطيين كانت مستمرة في أوقات الحرب والسلم، فلذلك اهتم الجغرافيون العرب ببلاد الروم وحدودهم ومدنهم، وإن كان هناك بعض الاختلاف بين الجغرافيين حول أسماء بعض المدن.

---

[1] - قسطنطين السابع :إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٨٩ دياب: المسلمون و جهادهم، ص١٧.

[2] M.Canard, histoire de la Pynastie des Hamdanides de Jazira at de SyriemParis,1953 , p730- 731.-

[3] - العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية،ص١٨..

فابن خرداذبة يذكر بأن أعمال الروم التي يتولاها الإمبراطور هي أربعة عشر عملاً.[1]

أما الجغرافي قدامة بن جعفر فيذكر أعمال الروم، لكنه يختلف بأسمائها مع المؤرخين السابقين، فهو يذكر بأن خرسيون هي خرشنة و بأن خالديا هي الخالدية.[2]

والمسعودي يختلف مع من سبقه، ويذكر بأن الروم لديهم تسعة بنود من دون الخليج، وهي على مقربة من الثغور الجزرية والشامية وغيرها من بلاد الإسلام، وتسعة بنود أخرى وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية.[3]

أما ابن حوقل فعندما يتحدث عن بلاد الروم، فإنه يذكر بأن هذه المنطقة عبارة عن منطقة ريفية تحوي القلاع والقرى، لكنها فقيرة بالمدن الكبرى فيذكر "بأن المدن المعيشة قليلة في مملكتهم وبلادهم مع سعة رقعتها واتصال أيامها وحالها، وذلك أن جلها جبال وقلاع وحصون ومطامير وقرى في الجبال منحوتة وتحت الأرض منقوبة".[4]

وهذه الصورة التي يصورها ابن حوقل عن بلاد الروم يمكن أن تكون صورة واقعية للحدود الفاصلة بين الإمبراطورية البيزنطية و الدولة العربية الإسلامية، فمنطقة الحدود كانت عبارة عن قلاع وحصون كثيرة إضافة إلى كهوف لحماية سكان المناطق في حالات الحرب، فكلا الطرفين عملا وبشكل مستمر على تحصين حدودهم و تقوية قلاعهم.

---

[1] - ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٠٥.

[2] - قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج و صنعة الكتابة، ص ٢٥٨.

[3] - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـ ./٩٥٨م): التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، بغداد، المكتبة العصرية، ١٩٣٨م، ص١٥٠-١٥٣.

[4] - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠٠.

وبالإضافة إلى اهتمام البيزنطيين بالثيمات ووحداتها وقلاعها وتحصينها، فقد اهتموا أيضاً بالقوّات العسكرية المرابطة في الثيمات والمكلفة بالدفاع عن الحدود، فقد كان هنالك قوات مرابطة بصفة دائمة على الحدود، وهي تقوم بالعمليات الدفاعية والهجومية في المناطق المتاخمة للحدود الإسلامية البيزنطية، بالإضافة إلى مجموعة من القوات الخاصة التي كان يطلق عليها تاجمات Tagmata ، Tagmes، وهي قوات الحرس الإمبراطوري والتي كانت تعرف بقوتها وصلابتها[1]، ويبدو أن هذه القوات كانت تتدخل في المعارك الحاسمة، كمساندة للقوات العسكرية الموجودة في الثيمات.

فالقوات المرابطة في الثيمات والبنود البيزنطية حسب ما ذكره المؤرخون العرب كانت ما بين أربعة آلاف وستة آلاف رجل، وذلك في الثيمات التي لم تكن تتعرض لهجمات متتالية وكثيرة، أما أعداد الجند في الثيمات الأخرى الكبرى، فقد كانت تتفاوت بشكل كبير، ففي العاصمة القسطنطينية على سبيل المثال كان يرابط فيها ما يقارب (٢٤) ألف جندي، وفي ثيم الناطليق (١٥) ألف جندي، وفي سلوقية وخرشنة (٥٠٠) جندي و في تراقية (٥) آلاف جندي وفي مقدونية (٣) آلاف جندي ، وهؤلاء الجنود لم يكونوا فقط من البيزنطيين، بل كان بعضهم

---

[1] – دياب: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٠. بيتز: الإمبراطورية،ص١٧٤.

من المرتزقة الذين كانوا يتقاضون رواتب نظاميّة لقاء خدماتهم، وبعضهم كان يعطى قطعة أرض، ليزرعها ويتوارثها، مقابل خدماته التي يقدمها للدولة.[1]

ويذكر بأنه في أيام الأباطرة البيزنطيين كان هناك عناصر متنوعة ، فقد أحضر هؤلاء الأباطرة الكثير من العناصر السلافية وأعداداً كثيرة من سكان قبرص و من الجراجمة والمردة وعملوا على توطينهم في الولايات الحدودية مقابل إعطائهم الأراضي الزراعية على أن يقوموا بحماية الحدود من هجمات الأعداء.[2]

و هنالك من يذكر بأن هذه العناصر الأجنبية من الجيش البيزنطي بدأت تختفي تدريجياً في القرنين الثاني والثالث الهجري / السابع والثامن الميلادي، وبدأ الجيش البيزنطي يتكون من داخل الإمبراطورية.[3]

و على الرغم من هذا فإنه ما زال في الجيش البيزنطي بعض العناصر الأجنبية و التي سيلاحظ فيما بعد مشاركتها في الحروب ضد الدولة العباسية.

---

[1] – قدامة بن جعفر. نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة،ص٢٥٨، اليعقوبي. البلدان،ص١٤٣ ، بن الفقيه همذاني . مختصر كتاب البلدان ،ص١٤٦، أومان: الإمبراطورية البيزنطية،ص١٣١-١٣٢ هارتمان الدولة والإمبراطورية، ص٩٥-٩٦.

[2] – فرح : تاريخ بيزنطة، ص٢٢٧.

[3] – سانبعان: ورثة الإمبراطورية الرومانية،ص١٥٠،بيتز: الإمبراطورية البيزنطية،ص١٧٥، فرح: تاريخ بيزنطة، ص٢٢٧

لقد كانت سياسة توطين العناصر المختلفة في هذه المناطق إيجابية ،على الرغم من الانتقادات التي وجهت هذه السياسة ، فقد أمدت هذه السياسة مناطق الحدود بما تحتاجه من رجال للدفاع عنها هذا من جهة، كما أدت إلى استثمار الأراضي الزراعية المهجورة وزيادة الانتاج من جهة أخرى كما ساعدت على نجاح نظام الثغور وتحسين الوضع الاقتصادي فيها وبروز دورها في المجالين العسكري والسياسي ، فالسكان الذين جلبوا من منطقة إلى أخرى وألزموا بخدمات عسكرية في مناطق سكنهم أقطعتهم الدولة أرضاً زراعية ملكاً لهم يستثمرونها وقت السلم و يدافعون عنها وقت الحرب ، وهذا أدى إلى ازدياد عدد الفلاحين صغار الملاكين خاصة وأن هؤلاء الفلاحين الجنود كانوا يورثون الأرض الممنوحة لهم إلى الابن الأكبر لهم، وبالطبع كل هذا له دوره الكبير في تمسك هؤلاء الجنود بهذه الأراضي وبالخدمة العسكرية في المدن الحدودية .[1]

مما سبق يلاحظ بأن عدد الجنود النظاميين في الثيمات البيزنطية كان قليلاً بشكل عام، فقد كان أغلبهم ممن أعطوا أراضي زراعية ليقطنوا فيها (النظام العسكري الإقطاعي) و بقية الجنود كانوا موزعين في نواحي الإمبراطورية، و يستدعونهم عند الحاجة، و كان هذا يحتاج إلى وقت لجمعهم وتعبئتهم. وعلى هذا النحو كانت الحياة العسكرية في الثيمات البيزنطية، فقد حاول أباطرة بيزنطة العمل وبشكل دائم ومستمر على المحافظة على حدودهم وحمايتها من هجمات العرب المسلمين.

---

[1] فرح، تاريخ بيزنطة، ص٢٢٨.

الفصل الثاني

العلاقات العباسية البيزنطية في بداية نشوء الدولة العباسية إلى عهد الخليفة موسى الهادي ١٣٢- ١٧٠هـ ./٧٥٠-٧٨٦م:

- نبذة عن العباسيين وكيفية تسلمهم الخلافة.
- أولاً: الوضع الداخلي في الدولة العباسية زمن السفاح واستغلال هذا الوضع من قبل البيزنطيين ١٣٢-١٣٦هـ ./٧٥٠-٧٥٥م.
- ثانياً: النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة المنصور ١٣٦-١٥٨هـ ./٧٥٤-٧٧٥م.
- ثالثاً: النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة محمد المهدي إلى زمن الخليفة موسى الهادي ١٥٨-١٧٠هـ ./٧٧٥-٧٨٦م.

تقديم:

- نبذة عن العباسيين وكيفية تسلمهم الخلافة:

إن تاريخ الدول حافل بالأحداث المتعددة التي تكون نتائجها أكبر مما يتوقع قادة هذه الدول، فمن هذه الأحداث ما يكون تأثيره بسيطاً في جميع المجالات فلا يغير شيئاً، ومنها ما يكون تأثيره عميقاً وقوياً فيؤدي إلى انهيار كيان دولة، وقيام كيان دولة أخرى مكانه ، وهذا ما حدث للدولة الأموية التي تعرض كيانها لهزة عنيفة من قبل تنظيم قوي لدعوة سرية منظمة بشكل كبير أفضت في نهاية المطاف إلى إسقاط الحكم الأموي وقيام الحكم العباسي.

فقد ظن الأمويون أن الدعوة العباسية السرية كانت كغيرها من الحركات التي كانت تدعو لآل البيت، والتي استطاع الأمويون وبشكل دائم أن يقضوا على مثل هذه الحركات بقوة السلاح .

إلا أن الدعوة العباسية السرية كانت منظمة بشكل مختلف عن سابقاتها من الحركات، وحاول العباسيون تلافي أخطاء الحركات التي سبقتهم، فقاموا بتنظيمها وتجنيد الأتباع لها، وقد لاقت هذه الحركة قبولاً واسع النطاق في مختلف الطبقات وعناصر سكان المجتمع الأموي .

ولا بد في البداية من ذكر نسب العباسيين وكيف انتقلت إليهم الدعوة بعد أن كانت في البيت الهاشمي، وكيف استطاعت تحقيق هذا النجاح الباهر؟ .

يعود العباسيون في نسبهم إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي عم الرسول الكريم (ﷺ) [1].

---

[1] - ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ت ٢٠٤هـ /٨١٢م): جمهرة النسب برواية محمد بن حبيب، تح، محمد فردوس العظم، فهارس، محمد أديب الجادر، تقديم، سهيل زكار، دمشق، دار اليقظة، ط٢، ١٩٨٥م، ج١ ، ص١٦، ابن خياط (أبو عمر الليثي العصفري ت ٢٤٠هـ /٨٥٥م):الطبقات ، تح، أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ١٩٨٢م ، ص١٠ .

ولم يظهر أيّ طموح للوصول إلى الخلافة من قبل العباس بن عبد المطلب في عهد الخلفاء الراشدين أو في بداية الدولة الأموية، ولكن هذا الطموح ظهر على يد علي بن عبد الله بن العباس الذي كان له نشاط سياسيّ واضح، لذلك تم نفيه في عهد الوليد بن عبد الملك إلى الشراة[1] واتخذ علي من الحميمة[2] مقراً لإقامته، وبعد وفاته تسلم ابنه محمد مهمة القيام بالدعوة ويقال بأن هذه المهمة قد انتقلت إليه من قبل أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية [3]

---

[1]- **الشراة**: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ،**الحموي** : معجم البلدان،ج٣،ص٣٣٢.

[2]- **الحميمة**:بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام كان منزل بني العباس، **الحموي: معجم البلدان**، ج٢، ص٣٠٧.

[3]- **ابن سعد(محمد أبو عبد الله البصري الزهري ت ٢٣٠هـ /٨٤٥م)** :الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د. ت، ج٤،ص ١٦-١٧-١٨-٢٠-٢٢٩، مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري): أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تح، عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي ، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧١م، ص١٣٨ وما بعدها، **زكار (سهيل)**: تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل الإسلام وحتى القرن السابع للهجرة)، دمشق، مطبعة خالد ابن الوليد، ١٩٨١م، ص ٢٨٥ ، **عمر(فاروق)**:طبيعة الدعوة العباسية ٩٨هـ /٧١٦م-١٣٢هـ /٧٤٩م،بيروت ،دار الإرشاد،١٩٧٠م،ص١٢٢ ذكرت روايات متعددة عن انتقال الدعوة الهاشمية للعباسيين لمزيد من المعلومات ينظر ، **ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ /٨٨٧م)**: الإمامة والسياسة، مصر ،مطبعة الفتوح الأدبية،د. ت،ج٢،ص ٢٠٧-٢٠٩- ابن الأثير: الكامل،ج ٦،ص٥٣، **المرعشي (الحسن بن محمد ت ٤٢١هـ /١٠٣٠م)**: غُرر السِّير، تح، د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر،١٩٩٦م، ص ٢٥١، **ابن العديم** (عمر بن أبي جرادة ت ٦٦٠هـ /١٢٦٢م) زبدة الحلب في تاريخ حلب،تح، سامي الدهان،دمشق،د.ت، ج١،ص ٥٣، **ابن عبد ربه الأندلسي** (أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٨ هـ /٩٤٠م): العقد الفريد، تح،أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩٦٢م، ج ٤،ص٤٧٦ **أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م)**: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، مكتبة المتنبي، د.ت، ج١، ص ٢٠٠

وعمل محمد على تنظيم الدعوة بشكل جيد من خلال مجلس يشرف عليها يتكون من اثني عشر نقيباً وسبعين داعياً، وهؤلاء كانوا يتخذون من التجارة ستاراً لهم، لبث دعوتهم في البلاد ويجتمعون في موسم الحج مع محمد يؤدون له الأموال ويأخذون التعليمات[1]

أما المؤسس الرئيس والمنظم الحقيقي لهذه الدعوة، فقد كان إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي الذي اتخذ اللون الأسود شعاراً للعباسيين [2]، وأدخل في صفوفه الشخصية التي قامت بدور أساسي في إقامة الدولة العباسية وهي شخصية أبي مسلم الخراساني [3].

---

[1] – **الطبري**: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧،ص٦١٦– **ابن الأثير**: الكامل، ج٥، ص ٢٥١– **الدينوري (أبو حنيفة احمد بن داود ت ٢٨٢هـ /٨٩٥م)**. الأخبار الطوال، تح، عبد المنعم عامر، مراجعة، جمال الدين الشيال، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م، ج١، ص ٣٤٢.

[2] – اللون الأسود شعار للعباسيين: مرد ذلك أن راية الرسول الكريم ﷺ أثناء فتح مكة كانت سوداء،وكانت راية الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)في حروبه، والأسود لون الرايات القادمة من المشرق للقضاء على الظلم الأموي حسب الأساطير والنبوءات، وكان أتباع العباسيين يسمون بالمسودة، **عمر(فاروق)**: طبيعة الدعوة العباسية٩٨–١٣٢هـ /٧١٦–٧٤٩م، بيروت، دار الإرشاد،١٩٧٠م ، ص ١٩.

[3] – هنالك خلاف حول أصل أبو مسلم الخراساني منها أنه كان حراً من ولد بزرجمهر، **ابن الأثير** الكامل،ج٥،ص٢٤٥، والبعض يقول أنه سبي واشتراه بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ثم وصل إلى الإمام، **ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م)** البداية و النهاية، بيروت،مكتبة المعارف،١٩٧٧م،ج٧،ص٤٠، وقيل أنه من ضياع أصبهان من بلاد فارس رآه دعاة العباسيين فأعجبوا به واتصل بالإمام فطلب منه تغيير اسمه إلى عبد الرحمن، **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ /١٤٠٦م)**: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون، بيروت ،مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١م، ج٣، ص١٢٤.

ولم تكن تحركات العباسيين السرية بمنأى عن عيون الأمويين إلا أنهم لم يستطيعوا فعل شيء خاصة وأن مروان بن محمد كان منشغلاً بفتن داخلية وثورات الخوارج في العراق والجزيرة، فلم يستطع أن يقف في وجه هذه الدعوة، وبعد ذلك تم إلقاء القبض على إبراهيم، وفي أثناء ذلك أوصى إبراهيم الإمام لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بالإمامة من بعده، وتوجه أبو العباس وأهل بيته نحو الكوفة ونزلوا عند أبي سلمة الخلال[1]، وفي يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول عام ١٣٥هـ /٧٤٩م خرج أبو العباس إلى الناس في مسجد بني أود[2] وصلى بالناس وخطب بهم، وافتخر بقرابته من الرسول الكريم، ثم ذكر الخلفاء الراشدين، وفضلهم وأثنى عليهم، وعرّج على بني حرب وبني مروان ظلمهم وأنهى خطبته بقوله "أنا السفاح المبيح والثائر المبير" وتابع إلقاء الخطبة من بعده عمه داود بن علي، وأخذ أبو جعفر المنصور وأخوه البيعة له من الناس[3].

---

[1] - **أبو سلمة الخلال**: حفص بن سليمان مولى بني الحارث بن كعب ويعرف بأبي سلمة الخلال وقيل في نسبه إنه نسب إلى الخل وقيل نسب إلى خلل السيوف وهي الجفون وذكر أن العرب تسمي من يعملها خلال، الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ٣٣١هـ /٩٤٢م) الوزراء والكتاب، تح، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري،عبد الحفيظ شلبي القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،١٩٣٨م،ص٨٦.

[2] - بنو أود: حي من بني سعد العشيرة من كهلان من القحطانية ، وهم بنو أود بن صعب بن سعد العشيرة، ومنهم أيضاً من همدان من كهلان من القحطانية، القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن محمد ٨٢١هـ /١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تح،علي الخاقاني، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت، ص٨٨-٨٩.

[3] - ابن خياط ،تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤٠٩ ، الطبري :تاريخ الرسل والملوك ،ج٧، ص ٤٢٥- ٤٢٦ ، الأزدي (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن قاسم ت ٣٣٤هـ /٩٤٥م) :تاريخ الموصل ، تح، علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧م ، ص١٢٤-١٢٥، ابن الأثير :الكامل،ج٥،ص ٤١٥-٤١٦ ، ابن كثير :البداية والنهاية ،ج١٠،ص٤٢، الخضري بك (محمد): محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٧٠م، ص٢٧-٨٢ ، كرد علي (محمد): خطط الشام، دمشق، مطبعة الحديثة، ١٩٢٥م، ج١، ص١٦٧ -١٧٠.

ولعل أول وأهم عمل كان على السفاح أن يقوم به هو قتل الخليفة الأموي مروان بن محمد، وذلك حتى يثبت أركان دولته الجديدة، ولكي يتم الثأر لبني هاشم حسب رأي أتباعه، لذلك فقد جهّز جيشاً بقيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد العتكي الأزدي، وسانده بعدد من القواد ومعه أعداد كبيرة من الجيوش، استطاعوا حصار مروان وتضييق الخناق عليه، ثم أسند أبو العباس السفاح قيادة الجيش العباسي لعمه عبد الله بن علي، وذلك ليقوي عزيمة جنده ويزيد من تمسكهم بهدفه وخاصة عندما يكون قائد الجيش شخصاً من أهل بيت السفاح، وبالفعل قام عبد الله بمهمته على أكمل وجه، فقد تمكن من هزيمة مروان بعد عشرة أيام من القتال.[1]

هرب مروان بعد هزيمته إلى الموصل لكن أهلها لم يستقبلوه، ثم توجه نحو حران ومنها توجه نحو قنسرين، ثم حمص ثم دمشق ثم فلسطين ، ومنها إلى العريش[2] ووصل مصر وهناك وجه عبد الله بن علي أخاه صالح، ليواصل اللحاق بمروان، وبدوره صالح أرسل شخصاً يدعى عامر بن إسماعيل أحد أبناء الحارث بن كعب، الذي لحق بمروان، وقتله في قرية من قرى مصر

---

[1] – ابن خياط ،تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٠٣، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٣٤، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٢٩ ، المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ،ص٢٦١ ، مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، بغداد مكتبة المثنى، د ت، ص٢٠٢-٢٠٣ ، ابن كثير:البداية والنهاية، ج١٠،ص٤٣، أبو حبيب(سعدي): مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية،لبنان،دار لسان العرب،١٩٧٢م، ص١٣١ .

[2] – **العريش** : مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام ،**الحموي** : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ١١٣.

تدعى بوصير[1]، وتم إرسال رأسه إلى الخليفة العباسي أبي العباس السفاح، وكان قتله في آخر ر
ذي الحجة عام ١٣٢هـ . /٧٥٠م [2].

بمقتل الخليفة الأموي المهزوم مروان بن محمد تمكن أبو العباس السفاح من التخلص من العبء الذي كان على كاهله، حيث انتهى تاريخ الدولة الأموية بمقتل مروان بن محمد و بدأ تاريخ دولة جديدة هي دولة بني العباس.

أولاً– الوضع الداخلي في الدولة العباسية زمن الخليفة السفاح واستغلال هذا الوضع من قبل البيزنطيين ١٣٢–١٣٦هـ /. ٧٥٠–٧٥٥م :

الحرب ظاهرة قديمة، رافقت الإنسان منذ نشأته على هذه الأرض و عاشت معه للمحافظة على حياته، وعلى الرغم من أن الإنسان في طبيعته يميل إلى السلام، و لكن هذه الطبيعة كانت تدفعه إلى الحرب من أجل حماية حياته و أسرته الصغيرة، ومن ثم تطورت هذه الحالة لدى الإنسان لتشمل الدفاع عن وطنه الكبير.

وأخذت الحرب وطبيعتها حيزاً كبيراً لدى المؤرخين لتفسير هذه الحالة التي يعيشها الإنسان.

بوصير اسم لأربع قرى في مصر ،وقتل مروان في بوصير،**الحموي** : معجم البلدان ،ج١،ص ٥٠٩

[2]– ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٠٤ ، الأزدي: تاريخ الموصل ، ١٣٧ ، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٠٤ ،الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ ./١٣٤٧م): دول الإسلام ، تح، فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م ، ص٣٠٠

فقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته تعريفاً عن الحروب بقوله :

((الحروب طبيعة في الناس، وضرورة يعرضها الواقع الذي يعيشون فيه وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، فإذا تذمروا لذلك وتواقفت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدفع عن نفسها كانت الحرب، وهذا أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة وإما عدوان ، وهو ما يكون بين الأمم الوحشية التي تسكن القفر، وإما غضب لله و لدينه، وهذا المسمى بالجهاد في الشريعة، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده)).[1]

وبمجيء الإسلام تغير مدلول الحرب لدى المسلمين، فكلّ خلاف حول العقيدة الإسلامية يؤدي إلى صدام مسلح وهو الحرب، سواء أكانت بين أبناء الأمة الواحدة من جنس واحد كغزوات الرسول الكريم (ص) ضد قومه من قريش أو حرب أبي بكر ضد المتمردين على الإسلام، أم كانت بين دولة و دولة، أو أمة و أمة أخرى كحروب المسلمين مع الفرس و الروم البيزنطيين.[2]

كما اختلفت أسباب الحروب بين البشر ويصف ذلك الهرثمي بقوله:

((الحرب ليست بواحدة ولا العمل فيها واحد، من ذلك أن ... قد تختلف ... ربون في بلدانهم وأصنافهم ومذاهبهم في الحرب، كالترك والديلم والروم والهند والأكراد والأعراب وغيرهم من سائر الأمم، كالخوارج والصعاليك وغيرهم من سائر الأصناف، فيختلف التدبير

---

[1] – ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ /١٤٠٩م): مقدمة ابن خلدون،بيروت،منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١م، ص٢٧٠-٢٧١.

[2] – عامر (عبد اللطيف): أحكام الأسرى والسبايا،بيروت ، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٦م، ص٤٧

والعمل في المحاربة على حسب اختلافهم في ذلك، وقد تختلف غايات أهل الحرب وهممهم، فتكون همة بعضهم المناورة بياتاً أو صباحاً، واستلاب ما أمكنه والفوز به، وقد يكون همة بعضهم أن يدين له العالم فيحارب من خالفه من جميع الأمم حتى يستولي على الأقاليم السبعة، فبين هاتين الحالتين من التقارب مع ما بينهما من اختلاف الهمم والأحوال ما يقصر عنه الوصف، ويكون اختلاف التدبير والعمل والمكايدة فيه على حسب ذلك، وقد يقع الاختلاف في المطاولة فيكون كل واحد من الاثنين المتحاربين يطلب صاحبه، أو يكون أحدهما طالباً والآخر هارباً أو دافعاً فيختلف التدبير والعمل والمكايدة على حسب ذلك)) .[1]

استلم الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح زمام الحكم، وبدأ تاريخ جديد لدولة جديدة، ولكن حين استلم السفاح ثروة الدولة الأموية لم تكن الأوضاع الداخلية جيدة مع بني العباس، بل عانى السفاح من الاضطرابات الداخلية،وكان عليه أن يعيد الاستقرار والهدوء لدولته الجديدة، وقد استعمل قوة السلاح بشكل كبير.

وقد كانت العلاقات الإسلامية البيزنطية عدائية، ولم تكن ودية، وإن تخللها بعض السنوات التي توقّف فيها الهجوم البيزنطي على الثغور نتيجة لأوضاع خارجية واضطرابات داخلية، وفي هذه الأجواء تحيّن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الفرصة المناسبة، لشن هجوم على الحدود الإسلامية، إذ كانت الدولة العباسية تعاني من اضطرابات داخلية، فقام بشن

[1] – الهرثمي(أبو سعيد الشعراني كان حياً ٢٣٤هـ/٨٤٨م) : مختصر في سياسة الحروب،تحق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار كنان للطباعة والنشر،١٩٩٥م، ص ٦٦.

الثورات ضد الخلافة الجديدة، وقام الإمبراطور بالمبادرة بالهجوم على ملطية متيقناً من نجاحه كون العباسيين مشغولين بتوطيد أركان الدولة الجديدة ولن يتمكنوا من الرد عليه في هذه الظروف[1].

ففي عام ١٣٣ هـ ./ ١٧٥م قام الإمبراطور قسطنطين الخامس بالتوجه نحو ملطية وحصن كمخ ، وبدأ الإمبراطور بالهجوم على حصن كمخ، ولم يكن في الحصن أعداد كافية من الجنود للرد عليه، لذلك استنجد أهالي الحصن بأهل ملطية فأمدوهم بثمانمائة مقاتل، إلا أن الجنود البيزنطيين تمكنوا من هزيمتهم، لذلك لم يكن باستطاعة أهالي الحصن سوى الاستسلام فأعطاهم الإمبراطور الأمان [2].

بعد أن تمكن الإمبراطور قسطنطين الخامس من الاستيلاء على كمخ توجه نحو ملطية، وكان المسؤول عنها شخص من بني سليم[3]، وعمل قسطنطين وهو في طريقه نحو ملطية على تدمير التحصينات الموجودة في طريقه، لكي يمنع وصول أية إمدادات أو مساعدات لأهالي ملطية، فعمل على الاستيلاء على الحدث، ثم وصل إلى ملطية وحاصرها [4].

---

[1]– عمران (محمود سعيد). معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ص١٠٤، سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٨٦.

[2]– البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٠، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٧٧ ، دحلان (أحمد بن زيني): الفتوحات الإسلامية، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٢م، ص١٩٠.

[3] – بنو سليم: قبيلة عظيمة من قيس من عيلان وهم بنوسليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، ومنهم أيضاً بطن من شنوة من الأزد من القحطانية ، القلقشندي: نهاية الأرب،ص ٢٧١-٢٧٢.

[4]– ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج١ ق٢ ، ص ١٨٦ ، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٤٧٧.

كان موقف أهالي ملطية صعباً جداً، فلم يستطيعوا مقاومة حصار الإمبراطور لمدينتهم خاصة وأن الحصار لم يكن عسكرياً فقط، بل كان اقتصادياً أيضاً، فقد عمد الإمبراطور قسطنطين على منع دخول أي شيء لأهالي المدينة، لذلك بدأ الخناق يضيق على أهل ملطية، فطلبوا النجدة من عامل الجزيرة موسى بن كعب[1] لإمدادهم بالجنود من أجل الدفاع عن مدينتهم، لكنه لم يستطع أن يمدهم بالمعونة، وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية التي كانت تعاني منها الجزيرة ، كما أن الخلافة العباسية في بدايتها كانت تعاني من أزمات داخلية كثيرة [2].

عندما تأكد الإمبراطور من عدم قدرة المدينة على الاستمرار في مقاومته أرسل كتاباً لهم يقول فيه: "إني لم آتكم إلا على علم بأمركم وتشاغل سلطانكم عنكم انزلوا على الأمان وأخلوا المدينة أخربها وأمضي عنكم"[3].

ومن هذا الخطاب يلاحظ لهجة التهديد والوعيد والموادعة في الوقت نفسه، فقد كان الإمبراطور على يقين بأن العباسيين لن يتمكنوا من مساعدة أهل ملطية، فلجأ إلى أسلوب اللين.

رفض أهل ملطية عرض الإمبراطور في البداية على أمل أن تصلهم الإمدادات، وأصروا على مقاومته فعمل الإمبراطور على تشديد الحصار ونصب المجانيق على المدينة مقابل كل جهة ، واشتد الحصار على الأهالي و لم يستطيعوا أن يصبروا على ما خلفه الحصار من آثار سلبية عليهم،

---

[1] – **موسى بن كعب:** هو موسى بن كعب بن عيينة بن عائشة بن عمرو بن سُري بن عادية بن الحارث بن مرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم،**ابن الكلبي** :جمهرة النسب،ج١،ص ٣٦٠.

[2] – ابن الأثير: الكامل،ج٥ ، ص٤٤٧ ، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢ ، ص١٨٧ .

[3] – ابن الأثير: الكامل،ج٥ ،ص ٤٧٧ ، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص ١٨٧ ،**اليعقوبي**:تاريخ اليعقوبي،ج٣، ص٩٩ ، البلاذري:فتوح البلدان،ص ١٩٠ .

عسكرية واقتصادية، وعندما لم تأت أية مساعدة لأهل ملطية طلبوا الأمان ، فأعطاهم الإمبراطور الأمان، واستعدوا للخروج من المدينة، لكنهم قبل رحيلهم عملوا على إخفاء كنورهم وأغراضهم الثمينة بإلقائها في الآبار والمخابئ ليحرموا البيزنطيين من الحصول عليها ثم خرجوا منها، ولمعهم من الغرب اصطف الجنود البيزنطيون على جانبي الطريق، ومر السكان في صف واحد تحت السيوف المتقابلة على شكل قنطرة ، فتوجه قسم منهم نحو الجزيرة، وقسم آخر أخذه البيزنطيون معهم كأسرى، وأمر الإمبراطور بهدم المدينة، ولذلك فقد خربت التحصينات والقلاع وبقي في المدينة بيوت وأمكنة اقتصادية واجتماعية أخرى ((وهدم الروم المدينة ولم يبقوا منها إلا خربها[1])) ثم تابع طريقه للاستيلاء على الحصون والمدن الأخرى، فتوجه نحو حصن قلوذية[2] واستولى عليه، ووصل إلى حصن سميساط وخربه[3].

فما هو غرض الإمبراطور من هدم التحصينات؟ ولماذا لم يجعلها تابعة له، ويضع فيها حصوناً بيزنطيين يقفون بوجه المسلمين؟.

---

[1] – المري:مخزن الغلال،الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم،ص٦٤٠.

[2] – قَلَوذِيةُ حصن كان قرب ملطية ، ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، ص١١٤، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٢.

[3] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩٠ ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١ ،ابن الأثير :الكامل،ج٥،ص ٤٤٧ ، ابن شداد:الأعلاق الخطيرة ، ج١ ، ق ٢ ، ص١٨٧ ، ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس الملطي ت ٦٨٥هـ /١٢٨٦م): تاريخ الزمان ، تر، إسحق أرملة ، قدم له، جان موريس فييه، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م ، ص٨، السرياني :تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢ ،ص٤١٣ ، ربيع : دراسات في تاريخ بيزنطة، ص١٢٥ .

من المرجح أن الإمبراطور كان يعلم أن هذه المناطق التي استولى عليها منيعة وحصينة وستشكل خطراً عليه، بسبب بعدها عن الإمبراطورية البيزنطية، وهو يعلم بأن العباسيين لن يقفوا مكتوفي الأيدي مدة طويلة، بل سيحاولون الرد على هجومه ومهاجمة حدود دولته عن بعد أو وضع فيها حاميات وجنود تابعين له، لذلك أمر بهدمها ربما ليكبد المسلمين خسائر مادية باهظة تؤخرهم مدة من الزمن حتى يتمكنوا من إعادة تنظيم أمورهم هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنه يدمر نقاط الإمداد الرئيسة للمسلمين التي يستخدمونها لتمدهم بحاجاتهم العسكرية والعدائية في هجماتهم ضد البيزنطيين ، وهنالك جانب آخر يجب ألا يغفل وهو أن وصول الإمبراطور إلى هذه المدن "على الرغم من أوضاع الدولة الناشئة الصعبة" فإنه يدل على قوته وشجاعته ونشاطه وحكمة عالية لديه، وذلك أنه استطاع أن يهاجم المسلمين دون أن يتمكنوا من مواجهته لانشغالهم بتنظيم دولتهم.

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فقد أحس الخليفة الجديد أبو العباس بأن أعداء الدولة الإسلامية القدامى هم أعداء اليوم، فالبيزنطيون لن يتركوا دولته بسلام،لذلك سارع بتجهيز جيوش و أعدهم للرد على هذه الهجمات، فكان رده متمثلاً بإرسال صائفتين في عام ١٣٤هـ /٧٥٢م .

الصائفة الأولى: كانت نحو ملطية بقيادة عميه صالح بن علي وعيسى بن علي اللذين لم يفعلا شيئاً سوى تخريب المدينة، والثانية: كانت بقيادة محمد بن النصر بن يريم الحميري الذي دخل الطوانة[1] .[2]

[1] الطوانة: بلد بثغور المصيصة.الحموي: معجم البلدان ،ج ٤،ص ٤٥.

[2] ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص١٨٦، عبد الله: العلاقات السياسية، ص١٤٦.

وما يثير الاستغراب تخريب ملطية من قبل العباسيين وهي تابعة [1] لهم؟ .

وهنا يلاحظ بأنه قد سبق وذكر بأن الإمبراطور قسطنطين الخامس كان قد عاث فساداً في المدينة وخرّب فيها كثيراً، وهنا يذكر مرة أخرى بأن العباسيين قد خربوا المدينة، والأرجح بأن العباسيين لم يكونوا في وضع جيد يمكنهم من الدفاع عن ملطية، وخافوا أن يستولي عليها البيزنطيون فقاموا بتخريبها، لكي لا يستغل البيزنطيون موقعها العسكري الإستراتيجي الهام ضدهم [2] .

من الممكن أن يكون صالح بن علي، الذي سلمه السفاح قيادة الصائفة ، قد وجه بعض القادة ومعهم أعداد من الجنود نحو أماكن متفرقة ومنهم سعيد بن عبد الله ، والمرجح بأن ما يعنيه الطبري بقوله "وراء الدروب" درب الحدث وملطية وما وراءها، أي ليصل إلى حدود الدولة البيزنطية، وحصونها الحدودية التي تفصلها عن الدولة العباسية .

أما عن الجانب البيزنطي فيبدو أن الإمبراطور قسطنطين الخامس لم يكن في وضع يسمح له بالردّ على هجوم المسلمين أو حتى بالمبادرة بالهجوم عليهم، وربما يعود ذلك إلى انشغاله

[1] – ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤١٠ ، الطبري :تاريخ الرسل والملوك، ج٧،ص٤٦٠، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص ١٨٦ .

[2] – ذكر خليفة بن خياط بأن الصائفة كانت في عام ١٣٣ هـ ، ص ٤١٠ ولكن من المرجح بأنها كانت في عام ١٣٤هـ لأن الخليفة كان مشغولاً بأموره الداخلية بشكل كبير وحتى استطاع أن يجهز صائفة لغزو في العام التالي . ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط،ص٤١٠، وقد ذكر الطبري بأن صالح بن علي قد وجه سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب،الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٧،ص٤٦٠.

الإمبراطور بالتحضير لأعمال مجمع هيريا[1] هذا المجمع الذي نتج عنه إصدار عدد من القرارات التي تدين عبادة الإيقونات[2] .

ويلاحظ أن هاتين الصائفتين لم تحققا نتائج ذات أهمية، فالمصادر العربية ذكرت فقط بأنها أرسلتا إلى الحدود، أما المصادر البيزنطية فلم تذكرها مطلقاً، ويؤكد ذلك عدم تحقيق أية نتائج تذكر .

بعد أن أرسل السفاح هاتين الصائفتين عمل على تجهيز حملة كبيرة بقيادة عمه القائد الشجاع عبد الله بن علي ، فقد كلفه بالتوجه نحو الثغور الجزرية، ليقف في وجه البيزنطيين .

وبالفعل قام عبد الله بن علي في عام ١٣٦هـ /٧٥٤م بجمع جيش كبير مكون من أهل خراسان والشام والموصل والجزيرة، وتوجه بهذا الجيش الكبير نحو دلوك[3] وتجمع الجيش هناك استعداداً للتوجه نحو الحدود الإسلامية البيزنطية للمهاجمة، وكان هذا الجيش معداً ومجهزاً بشكل منظم ومهيأ بشكل كبير للهجوم على البيزنطيين، ولكن لم يكتب لهذه الحملة النجاح، إذ استجدت ظروف منعت عبد الله من دخول الأراضي البيزنطية، وهي موت الخليفة أبي العباس

---

[1] – مجمع هيريا الكنسي. أقر هذا المجلس سياسة الإمبراطور في سبيل اللا أيقونية " تحريم عبادة الصور المقدسة". وبذلك بدأت مرحلة العنف في هذه الحركة . اشتدت مقاومة الرهبان ومعارضتهم لهذه السياسة غير أن الإمبراطور لم يتراجع عن موقفه وجرى على الرهبان الحبس والنفي وإعدام فريق منهم فتقرر إغلاق الأديرة ومصادرة أملاكها، وتحطمت الصور المقدسة أو طمست معالمها.وليم لانجر:موسوعة تاريخ العالم،ص٤٨٥، محمد حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،١١٦-١١٧، .A.AVasiliev,Histoire de I Empire Byzantin , Paris,1932,p26

[2] – لانجر: موسوعة تاريخ العالم ، ص٤٨٥ ، العريني : الدولة البيزنطية ، ص١٨٩-١٩٠ .

[3] – **دلوك**: بليدة من نواحي حلب بالعواصم ،**الحموي** : معجم البلدان ،ج٢،ص ٤٦١.

السفاح، فعندما أتاه النبأ بوفاة أبي العباس السفاح واستلام أبي جعفر المنصور السلطة، انصرف عبد الله بن علي[1] عائداً إلى الجزيرة من دون أن يقوم بأيِّ نشاط ضد البيزنطيين، وعمل عبد الله على جمع مناصريه، ليقوم بثورةٍ ضد المنصور للاستيلاء على السلطة. [2]

---

[1] - قام عبد الله بالدعوة لنفسه بعد أن كان الخليفة السفاح قد وعده بالخلافة إن تمكن من القضاء على الخليفة الأموي مروان بن محمد، وثار على الخليفة الجديد أبو جعفر المنصور وجمع أعداد كثيرة حوله لمزيد من المعلومات عن ثورة عبد الله بن علي انظر ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١٢ ، اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي،ج٣، ص ٣٦٤، الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦،الأزدي : تاريخ الموصل، ص١٢٨، المقدسي (مطهر بن طاهر ت ٣٦٦هـ ./٩٧٧م):البدء والتاريخ، بغداد، مكتبة المثنى،١٩١٩م،ج٦،ص٧٧، ابن عبد ربه.العقد الفريد،ج٥،ص١١٣، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب،ج١، ص٥٧، الصفدي(صلاح الدين خليل بن ايبك). تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح، إحسان سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م، ج١،ص٢٠٢،المرعشي:غرر السير،ص٣٢٤-٣٢٥،ابن الأثير:الكامل ، ج٥ ، ص٤١٧ ، بن خلدون:تاريخ ابن خلدون، ج٣ ، ص١٨٠-١٨١ ،،الذهبي:دول الإسلام، ج ٥،ص٢٦٩ ، الجهشياري:الوزراء والكتاب،ص١٠٣،مؤلف مجهول: العيون والحدائق ، ص٢٠٢ .

[2] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٧، ص٤٧٧ ، الأزدي: تاريخ الموصل،ص ١٥٩ ابن الأثير. الكامل، ج٥ ، ص٤٦٢ ، مؤلف مجهول العيون والحدائق ، ص٢١٦-٢١٧ ، اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص٣٦٢. لقد ذكر المؤرخ خليفة بن خياط بأن أبا العباس السفاح كتب في عام ١٣٥هـ ./٧٥٣م إلى عمه عبد الله بن علي أمره بضرب العيون ، فولى سعيد بن عبد الرحمن (فلم يدرب) أي لم يتوجه نحو الحدود ويحمل بدابق وأفواه الدروب ، ابن خياط.تاريخ خليفة بن خياط ،ص٤١١ من المرجح بأن الحملة توجهت في عام ١٣٦هـ ./٧٥٤م ولكن من الممكن أن يكون قد تم تجهيزها قبل عام، أي في عام ١٣٥هـ ./٧٥٣م وقول ابن خياط بضرب "بضرب العيون" يعني أن يرسل من يستطلع له عن وضع الحدود وما تفرضه عليه من تجهيز الحملة وسعد بن عبد الرحمن الرحبي هو من قام بعده للمهمة ، المرثمي: مختصر في سياسة الحروب، ص٢٣.

ولم يقتصر دور السفاح على توجيه الصوائف ضد البيزنطيين، بل اهتم أيضاً بتزويد مدن الثغور بالحاميات والجنود للدفاع عنها، فقد أرسل إلى الصيصة أربعمئة رجل للمرابطة فيها والدفاع عن المدينة وحمايتها.[1]

إذاً فالنشاط الحربي في الثغور كان مرتبطاً بالوضع السياسي ويتأثر به بشكل كبير. ففي حال حدوث انقلاب أو وفاة الخليفة، فإن هذا النشاط يتوقف إلى إشعار آخر، وهذا ما حصل عندما توفي السفاح وتسلم أبو جعفر المنصور كرسي الخلافة العباسية.

وهكذا انتهى عهد السفاح، وعلاقاته مع البيزنطيين لم تتجاوز سوى إرسال صائفتين لم تحقق له نتائج مهمة، فالخليفة الجديد اهتم بشؤونه الداخلية أكثر من اهتمامه بالشؤون الخارجية، ومع هذا فإنه لم يهمل وضع الجبهة الإسلامية البيزنطية بشكل كامل.

ثانياً- النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م:

تغير الوضع كلياً عند استلام أبي جعفر المنصور الخلافة الذي عمل على تنظيم مناطق الثغور وإعادة تحصينها وتنظيم وسائل الدفاع عنها، وجعل لها حكماً إدارياً مستقلاً وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين، ومنحهم الإقطاعات والمزارع وبنى لهم البيوت والإصطبلات،

[1] - البلاذري: فتوح البلدان، ص١٧٠.

لذلك يعد المنصور أول من وضع نواة النظام الثغري الذي ازدهر في عصر خلفائه.[1]

بعد أن تسلم أبو جعفر المنصور السلطة حاول في البداية أن يقضي على خصومه

المناهضين له على خلافته، فاستغل الإمبراطور قسطنطين الخامس هذه الفرصة، وتوجه في عام

١٣٨هـ ./٧٥٥م نحو دابق[2] مهاجماً إياها بجيش ضخم بلغ تعداده أكثر من مئة ألف جندي،

ورداً على هذا توجه صالح بن علي نحو دابق، ليواجه الإمبراطور الذي استطاع بدوره أن يسبي

ويقتل الكثير من المسلمين، لكن صالح بن علي تمكّن من مواجهته وتحقيق انتصار كبير عليه،

فسارع الإمبراطور ليخرج من دابق، لكنه أخذ معه أعداداً كبيرة من المسلمين كأسرى من أهل

الشام والجزيرة في أثناء عودة صالح بن علي من دابق [3] .

---

[1] - الأربلي (عبد الرحمن سنبط ت ٧١٧هـ ./١٣١٧م) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت،ص ص٦١، العبادي (أحمد مختار) في التاريخ العباسي والفاطمي،بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م، ص٦١، الرفاعي(أنور): تاريخ العرب والإسلام منذ العصور القديمة حتى العهد العثماني، دمشق، دار الفكر،١٩٧١م، ص٣١١ ، كرد علي(محمد): الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة، مطبعة مصر،١٩٣٤م، ص١٢٤-١٢٥، لانجر (وليام):موسوعة تاريخ العالم، تر، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م،ص٥١٧.

[2] - **دابق**: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، **الحموي** : معجم البلدان ،ج٢،ص ٤١٦

[3] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩١، ابن خياط:تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤١٧ ، الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي المعروف بابن العماد ت١٠٨٩هـ ./١٧٠٩م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة،ط٢، ١٩٧٩م، ص ٢٠٦ ، الذهبي: العبر في خبر من غبر، تح،صلاح الدين المنجد، الكويت،١٩٦٠م، ج١ ، ص٨٤ ١٨٧

وعند مراجعة هذه الأحداث يتبين للدارس بأن المؤرخين قد بالغوا في ذكر أعداد الجنود البيزنطيين في هذه الحملة، فهي على ما ذكروا(١٠٠) ألف جندي، وهذا رقم من المرجح أن يكون مبالغاً فيه، والسبب في ذلك يعود إلى رغبة المؤرخين في إظهار أهمية النصر الذي استطاع صالح أن يحققه على الإمبراطور، وأن يشعر القارئ للأحداث بأن الخلفاء العباسيين على الرغم من انشغالهم بأمورهم الداخلية، إلا أن الجهاد ضد البيزنطيين أعداء المسلمين كان شغلهم الشاغل وهمّهم الأكبر.

بعد أن رحل الإمبراطور عن دابق وتلقى خسارة على يد المسلمين، لم يوقف هجومه نحو الحدود الإسلامية، بل عبأ وهيأ جيشاً كبيراً، وغزا الحدود الإسلامية، ودخل ملطية واستولى عليها، ثم هدم حصونها وخرّب سورها ، فما أحس المنصور بأن البيزنطيين لا يأبهون لأمره بتكرار هذه الغارات، لذلك طلب من عمه صالح بن علي إعادة بناء ملطية وتحصينها بشكل قوي، لكي تستطيع مقاومة هجمات البيزنطيين،وهذا يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا يقومون باستمرار بإعادة إعمار تلك الثغور بالأبنية والحصون.[1]

تنبه المنصور إلى أن البيزنطيين يوجهون حملاتهم نحو ملطية بشكل دائم، لذلك عمل على توجيه الصوائف والشواتي نحو الثغور، حيث كان لا يكاد يمضي عامٌ واحدٌ إلا وقد أرسل

١- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤١٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧ ، ص ٤٩٧ ، ابن الأثير: الكامل، ج٥ ، ص ٤٨٦ ، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج١،ص٥٩، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ، ص ٢٢٥ ، حتي

(فيليب) وجرجي (ادوار)، جبور(جبرائيل): تاريخ العرب مطول، بيروت، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط٢، ١٩٥٣م، ج٢، ص٣٦٣.

المنصور صائفة ، فقد أرسل أخاه العباس بن محمد بن علي على رأس صائفة في عام ١٣٩هـ ./٧٥٦م مكونة من أربعين ألف مقاتل، وكان مع العباس عماه صالح وعيسى ابنا علي، وأختاهما لبابة وأم عيسى ابنتا علي وكانتا قد نذرتا أن تغزيا في سبيل الله إن زال حكم الأمويين، خرج العباس من درب الحدث نحو ملطية، وقام بإصلاح ما تهدّم، ووضع فيها حامية، ونقل إليها السكان من فلسطين والجزيرة، وغزا جعفر بن حنظلة البهراني من ملطية وتوغل في بلاد الروم.[1]

عندما أحس الإمبراطور البيزنطي بأن المسلمين قد استعادوا قوتهم، وبأنه في وضع لا يسمح له بالمواجهة طلب الصلح من المنصور، لكن الخليفة المنصور رفض الصلح قبل أن يتم تبادل أسرى بين الطرفين في عام ١٣٩هـ ./٧٥٦م [2] .

ويبدو أن المنصور كان قد أرسل إلى ملطية مجموعة من القادة ومعهم عدد من الجنود للمرابطة بالمدينة، وربما كان جعفر بن حنظلة البهراني من هؤلاء القادة، الذي توجه إلى ملطية فوجدها مخربة تماماً، لذلك عسكر بها مع جنوده ، بعد ذلك توجه عبد الوهاب بن إبراهيم

---

[1]- البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧ ، ص ٥٠٠ ، ابن الأثير:الكامل، ج٥، ص ٤٨٦ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ، ج١ ، ق٢ ، ص ١٨٧ ، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٢٥ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٧٣-٧٤ ، لم يتم ذكر أية مدن بيزنطية أو حصون استولى عليها المسلمين وإنما قصر القول على أنهم توغلوا في بلاد الروم.

[2]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص ٥٠٠ ، ابن الأثير:الكامل،ج٥، ص ٤٨٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص ٧٤، ماجد (عبد المنعم): العصر العباسي الأول (القرن الذهبي في تاريخ خلفاء العباسيين التاريخ السياسي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،ط٣، ١٩٨٤م، ص ١٤٧ .

الإمام[1] إلى ملطية، وأعاد زراعة أراضيها و بنى الكثير من بيوتها، فأعاد الحياة إليها من جديد، لكنه ما إن عاد منها حتى قام الإمبراطور قسطنطين الخامس بمهاجمتها"[2]

واستمر المنصور في إرسال الحملات المنظمة سواء أكانت صوائف أم شواتي ضد البيزنطيين، ليمنعهم من الانفراد بأية منطقة أو استغلال أية فرصة جديدة، للسيطرة على مناطق أخرى، لذلك أرسل الحسن بن قحطبة[3] على رأس صائفة ومعه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في جيش ضخم يقدر بحوالي سبعين ألف مقاتل أغلبهم من أهل خراسان، إلى ملطية في عام ١٤٠هـ /٧٥٦م ، وأمرهم ببناء المدينة[4] .

قام الحسن بجمع العمال لبناء ملطية من سائر البلدان ، وكان يساعد العمال في البناء ويقدم لهم الطعام ليحفزهم على العمل ، إلا أن عبد الوهاب انزعج من تصرفات الحسن وأرسل إلى أبي جعفر يعلمه بذلك ، وردّ عليه الخليفة أبو جعفرالمنصور " يا صبي يطعم الحسن من ماله

---

[1] – عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام. عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد من بني العباس أمير من القادة الشجعان تسلم قيادة الصوائف أكثر من مرة ، الصفدي: تحفة ذوي الألباب،ج١،ص٢١٦، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٧٩.

[2] – ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤١٨ .

[3] – الحسن بن قحطبة. الحسن بن قحطبة الطائي أحد القادة الشجعان المقدمين في العصر العباسي ، استعمله الخليفة المنصور على أرمينية،كما قام بمساعدة أبي مسلم الخراساني في قتاله عبد الله بن علي،كان له أثر كبير في الحروب الإسلامية البيزنطية، ولقوته وشجاعته سماه الروم التنين وصوروه في كنائسهم، الزركلي الأعلام، ج٢، ص٢١١.

[4] – البلاذري: فتوح البلدان ،ص١٩١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧ ، ص٥٠٠ ، ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٤٨٨، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢، ص ١٨٧ .

وتطعم من مالي ما أتيت إلا من صغر خطرك وقلة همتك وسعه رأيك "[1]. وأرسل إلى الحسن يشكره على ما يفعله ويحثه على المتابعة في مسيرته الحسنة ، وهنا عمد الحسن إلى تشجيع العمال على البناء بأن زاد أعطياتهم، وبدأ العمل يسير بسرعة كبيرة إلى أن انتهى في ستة أشهر

وبنى الحسن للجند الذين سكنوا ملطية بيوتاً مكونة من طابقين، الأول غرف عادية، والطابق الثاني عبارة عن علية ولكل بيت اصطبل خاص به، وخصّص هذا البيت لكلّ مجموعة مكونة من خمسة أو ستة عشر رجلاً وكانت تدعى "عرافة"[2].

وتم تزويد المدينة بالسلاح والأدوات الحربية بشكل دائم من خلال بناء أبنية خاصة لهذا العرض تسمى (مسلحة)[3] وكان لها مسلحتان اثنتان، واحدة على بعد ثلاثين ميلاً، ومسلحة ثانية على نهر يدعى (قباقب)[4]، وعند انتهاء بنائها أسكن فيها المنصور أربعة آلاف مقاتل من

---

[1] – الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص ٥٠٠ ، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ١٨٧

[2] – البلاذري :فتوح البلدان، ص ١٩١ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ١٨٧ .

[3] – مسالح المسلح و المسلحة موضع السلاح وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة، وموضع القوم المسلحون في ثغر أو مخفر للمحافظة والجمع مسالح.الهرثمي: مختصر في سياسة الحروب،ص ٢٥، مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ص٤٥٨.

[4] نهر قباقب ماء لبني تغلب وهو اسم لنهر في الثغر قرب ملطية ويدفع في الفرات ،الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٢

أهل الجزيرة، ولتشجيعهم على البقاء فيها والدفاع عنها زاد في أعطياتهم لكل رجل عشرة دنانير ومعونة مئة دينار، وأقطع الجند المزارع والأراضي [1].

ولم يهدأ الوضع من قبل البيزنطيين، فقد توجه الإمبراطور قسطنطين الخامس نحو ملطية مرة أخرى عام ١٤٠ هـ ./٧٥٦م، وهو مجهز بحملة ضمّت أكثر من مئة ألف مقاتل وتوجهت هذه الحملة إلى نهر جيحان [2] في طريقها نحو ملطية ولكن أنباءً وصلت للإمبراطور بأن جيش المسلمين يفوق عدده أضعاف عدد جيشه ، لذلك قرر الإمبراطور عدم المواجهة والتراجع [3].

عند مراجعة هذه الحملة يتبين للدارس المبالغة في ذكر أعداد الجيوش الإسلامية والبيزنطية على السواء، فهل يعقل أن يكون هنالك مئات الألوف من الجيوش الإسلامية ترابط في ملطية ؟ وهل يعقل أن يكون هنالك مئة ألف جندي بيزنطي؟ فكم يلزمهم من إمدادات سواء للخيل أو لأنفسهم؟ وأين المناطق التي تتسع لهذه الأعداد إن تقاتلت مع بعضها؟ .

---

[1] – ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١٨ ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٥٠ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢ ، ص ١٨٧، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ج١ ، ص ٢٥٥ ، ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٤ ، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير ، ج٢، ص ٤١٦ .

[2] – نهر جيحان. نهر نشر المصيصة مخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف مكفربيا بإزاء المصيصة، وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة رومية عجيبة قديمة عريضة فيدخل منها إلى المصيصة ويمتد منها فيمتد لأربعة أميال ثم يصب في بحر الروم، الحموي: معجم البلدان،ج٢،ص١٩٦.

[3] – البلاذري: فتوح البلدان ، ص١٩٤، ابن الأثير:الكامل ، ج٥ ، ص٥٠٠ ، ابن شداد:الأعلاق الخطيرة ، ج١ ، ق٢ ، ص ١٨٧، أبو الفداء: المختصر لأخبار البشر، ج٢ ، ص١ ، ابن كثير: البداية والنهاية، ص ٧٤، ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص ٢٠٣ .

من المرجح أن هذه الدعايات كانت تنشر لإخافة جيوش البيزنطيين، وبث الرعب والاضطراب في صفوفهم، ويذكرها المؤرخون الإسلاميون ليثبتوا في نفس القارئ لهذه النصوص القوة التي كانت تتحلى بها الجيوش العربية الإسلامية، ومن المرجح أنه كان أسلوب المؤرخين المسلمين على مر العصور.

ونظراً لهذه الظروف لم يترك الخليفة المنصور ملطية بدون حماية، فأرسل في العام التالي ١٤١هـ ./٧٥٧م ، محمداً بن إبراهيم الإمام، ليرابط فيها بجيش مكوّن من أهل خراسان والجزيرة، وذلك لإبعاد أطماع البيزنطيين عنها بعد أن تكررت هجماتهم عليها، حيث كانوا ينتظرون الفرصة ليهاجموها .

وبالفعل ساعد هذا التحصين للمدينة في عدم توجه البيزنطيين نحوها ، كما أن هذه أعاد الاطمئنان لأهلها الذين تركوها، خشية هجمات البيزنطيين المتكررة، فعاد قسم كبير منهم إليها[1].

وفي العام نفسه ١٤١هـ ./٧٥٧م ، وجه المنصور القائد جعفر بن حنظلة البهراني، لمواجهة غارة بيزنطية على ملطية، وتمكن جعفر من دخول ملطية وعسكر فيها مدّة من الزمن، حيث أقام فيها المزارع ثم عاد إلى بلاده، ولكن الإمبراطور ما لبث أن عاد إليها وحرق بساتينها ومزارعها التي أقيمت بها[2].

البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩٢؛ابن كثير:البداية والنهاية،ج١٠،ص٤٧.

٢ – الذهبي : العبر ، ج١ ، ص ١٨٨

وهذا أدى بالطبع إلى تراجع اقتصاديٌ للثغر جراء حرق البساتين والمزروعات، وأن سكانها كانوا يعيشون على الزراعات المحلية .

ومما يثير الاستغراب تكرار هذه الهجمات على ملطية من دون أن يقاوم أهلها هذه الاعتداءات، ويبدو أن أهالي ملطية لم يتوقعوا هذا الهجوم المفاجئ من قبل الإمبراطور البيزنطي، لذلك لم يستطيعوا مواجهته، خاصة وأن المنصور كان قد أسكن عدداً من الجنود في المدينة ، فكان يجب عليهم أن يدافعوا عن المدينة، وأن توجد مجموعة من الجنود، مهمتها الاستطلاع وتكون على أهبة الاستعداد لمواجهة أي هجوم محتمل.

ولم تسلم أيضاً مدن الثغور الأخرى، كالحدث ومرعش وزبطرة من هجوم البيزنطيين، فقد تعرضت الحدث للهجوم من قبل البيزنطيين في عام ١٤٢هـ /٧٥٨م، وقام البيزنطيون بهدم المدينة بأكملها وأجلوا أهلها عنها، وحدث الشيء نفسه لزبطرة ومرعش اللتين تعرضتا للهجوم أيضاً من قبل قوات من البيزنطيين، وهدموا ما وجد في المدن من بيوت ومزارع وبساتين وغيرها[1].

وقد اهتم الخليفة المنصور اهتماماً كبيراً في إعادة ترميم مدن الثغور وتزويد هذه المدن بالحاميات ، فقد كلّف عمه صالح بن علي الذي كان والياً على الشام بترميم ما خرّب في مرعش، كما أنه نقل إليها سكاناً من فلسطين وزودها بحامية عسكرية، وتوجه صالح إلى حصن الحدث وزبطرة، وبنى ما هدّم فيها[2].

البلاذري، فتوح البلدان،ص١٩٣-١٩٤- ١٩٥، ابن العديم :بغية الطلب، ج١،ص٢٣٩-٢٤٠- ٢٤٧.

٢- البلاذري: فتوح البلدان، ص١٩٣-١٩٤ ،ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٣٩-٢٤٠- ٢٤٧،ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ، ج١ ، ق٢ ، ص١٦٩-١٨١ .

وقد طلب المنصور من عمّه صالح بن علي بناء مدينة المصيصة، التي تهدّمت بسبب الزلزال الذي ضرب المدينة، فتهدم سورها و بيوتها، و لم يبق منها الكثير، وبسبب هذه الحوادث قلّ عدد سكانها، لذلك رأى المنصور أن يعاد بناؤها، وقد وجه صالح جبريل بن يحيى الخراساني إلى المصيصة، واستطاع أن يعيد بناءها، ويعمّر سورها ومسجدها، وسمّاها المعمورة، ونقل المنصور السكان إليها، ويقال بأنه نقل إليها أهل السجون من مدن مختلفة، وكان عدد السكان الذين نقلوا إليها أربعمئة رجل، وانتهى بناء المصيصة في عام ١٤١هـ ./٧٥٧م[١]

ويذكر بعض المؤرخين بأن المنصور قد نقل إلى المصيصة ألف رجل[٢].

ومن الروايتين يمكن القول: إنّ من أسكن في المصيصة كان عددهم ألفاً، بعضهم من أهل السجون كما ذكر، وبالطبع نقل إليها المنصور عدداً من الجنود والأهالي من الجزيرة والشام وخراسان، مثلها مثل المدن الأخرى.

وأمر المنصور أيضاً ببناء أذنة في عام ١٤٢هـ ./٧٥٨م، وكان من قام بهذه المهمة صالح بن علي الذي عمل على بنائها بشكلٍ جيّد ، و وجه إليها جنوداً من خراسان والشام، وكان المسؤول عن الجنود الخراسانيين مسلمة بن يحيى البجلي، والمسؤول عن الجنود الشاميين مالك بن أدهم الباهلي[٣].

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧،ص٥٠٩، ابن العديم: بغية الطلب، م١،ج١،ص١٥٦-١٥٧ ، ابن الأثير:الكامل، ج٥،ص٥٠٠-٥٠١.

٢ - ابن الأثير :الكامل،ج٥،ص٥٠١.

٣ - البلاذري: فتوح البلدان،ص ١٧٢،ابن العديم:بغية الطلب، م١،ج١،ص١٦٩ ، والبعض يذكر بأن بنائها كان في عام ١٤٤هـ ./٧٦٠م، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٢١، من الممكن أن يكون قد تم البدء بالبناء فيها في عام ١٤٢هـ ./٧٥٨م،وكان الانتهاء منها في عام ١٤٤هـ ./٧٦٠م، على فرض أن أعمال البناء تتطلب أكثر من عام حتى تنجز.

ومما لا شك فيه أن هذه الإصلاحات كانت تكلّف خزينة الخلافة الكثير من الأموال، وبـ الطبع كان المنصور لا يبخل على شؤون دولته بالأموال، بل كان يخصّص كثيراً لمثل هذه الإصلاحات، لكنه بالمقابل كان يبخل على أموره الشخصية، لذلك سمي أبا الدوانيق.[1]

يلاحظ هنا نقل سكان إلى الثغور من جنسيات مختلفة، من خراسان (الفرس)، ومن بلاد الشام وتحديداً من فلسطين، فقد نقل الكثير من سكان فلسطين إلى الثغور، ولا بد هنا من التساؤل عن سبب اختيار سكان فلسطين للمرابطة في مدن الثغور؟.

ربما شعر المنصور بفتور أهل الجزيرة والشام المرابطين في الثغور في محاربة البيـ زنطيين، وربما شعورهم بالخوف والإنهاك لما عانوه من آثار الحروب الدائمة مع بيزنطة كان لـ ـه أثـ ـر في ذلك، لذلك رأى أن يجدد المقاتلين في الثغور، واختار من فلسطين آملاً أن تكون همّتهم عالية في مواجهة الخطر البيزنطي.

وهذه الأحداث التي تم عرضها تخالف ما جاءت به أغلب المصادر بـ أن المسـ لمين لـم يقوموا بأيّ تحرك تجاه البيزنطيين لمدة ست سنوات من ١٤٠-١٤٦هـ /٧٥٦-٧٦٣م.

ومسوغ ذلك انشغال الخليفة المنصور بالأمور الداخلية لتنظيم دولته، والقضـ ـاء علـ ى المتمردين عليه من أهل بيته مثل عمه عبد الله، وكذلك انشغاله بأمر ابني عبد الله بـ ـن الحسـ ـن

[1] - المقريزي (تقي الدين المقريزي ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م): المقفى الكبير، تح:محمد اليعلاوي،بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩١م،ج٤، ص١٧٨.

(إبراهيم ومحمد)[1]، وكذلك القضاء على الحركات التي ظهرت بعد مقتل أبي مسلم الخرساني كالراوندية[2] وغيرها . كل ذلك شغله عن الجبهة البيزنطية [3].

وهذا لا يتوافق مع الواقع الحقيقي ، فمن خلال المعلومات التي وردت يلاحظ ، بأن المنصور لم يتوقف أبداً عن اهتمامه بالجبهة الخارجية ، بل اجتهد في إرسال الصوائف، لـ ردّ عدوان البيزنطيين، فإلى ملطية أرسل صائفتين في عامي ١٤٠-١٤١هـ /٧٥٦-٧٥٧م، وفي عام

---

[1] – لمزيد من المعلومات عن ثورة محمد النفس الزكية ينظر الأصفهاني(علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦هـ /٩٦٦م) : مقاتل الطالبيين ،تح:أحمد صقر،القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ،١٩٤٩م.

[2] – الراوندية: قوم من أتباع أبي مسلم الخراساني من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح،ويزعمون بأن روح آدم نزلت في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم هو الخليفة المنصور،أمر الخليفة المنصور بقتلهم وتمكن من القضاء عليهم ،الدينوري :الأخبار الطوال،ص٣٨٤، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب،ج١،ص٥٩، ابن الوردي(زين الدين عمر) : تتمة المختصر في أخبار البشر، تح، أحمد رفعت البدراوي، بيروت، دار المعرفة،،١٩٧٠م،ج٢،ص٢٩٣، المقريزي: المقفى الكبير،ج٤،ص٢٣٢، زكار(سهيل): التاريخ العباسي و الأندلسي السياسي والحضاري، دمشق،المطبعة الجديدة، ١٩٨١-١٩٨٢م، ص٦٢، المدور (جميل نخلة): تاريخ العراق في عصر العباسيين (المسمى حضارة الإسلام في دار الإسلام) ، القاهرة، دار المعرفة، ٢٠٠٣م، ص٥٨-٥٩.

الرفاعي: تاريخ العرب و الإسلام، ص٣١٢، حسن (علي): التاريخ الإسلامي العام، القاهرة، مكتبة النهضة،١٩٥٣م، ص٣٩٥، بروكلمان (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية العرب والإمبراطورية ،ترجمة أمين فارس، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين،١٩٤٩م، ج١،ص١٣،لسترنج (كي): بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد، المطبعة العربية، ١٩٣٦م،ص١٣-١٤.

[3] – الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج٧ ، ص٥٠٠ ، ابن الأثير :الكامل، ج٥ ، ص ٤٨٨ ، ابن كثير :البداية والنهاية، ج١٠، ص ٧٤ ، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ٢٢٨ ، الخضري بك: تاريخ الدولة العباسية ، ص٨٠ .

١٤٢هـ /٧٥٨م تعرضت الحدث لهجوم بيزنطي، وقام صالح بإعادة ترميم ما هدم في الحـ ـدث ومرعش وزبطرة .

وفي عام ١٤٥هـ ./٧٦٢م وجه صالح بن علي والي الشام عيسى بن كثير القاش نحـ ـو سلوقية[1] غازياً، واستطاع أن يصل إلى الطوانة[2]، ومنها توجه نحو قرمة واسـ ـتطاع أن يقتـ ـل ويسبي أعداداً كبيرة من أهالي المناطق[3] .

أما في عام ١٤٣هـ ./٧٥٩-٧٦٠م فقد أرسل المنصور أخاه عباس نحو الحدود مستغلاً انشغال الإمبراطور قسطنطين الخامس بحربه مع البلغار، واسـ ـتطاع عبـ ـاس أن يهـ ـاجم ثـ ـيم الأرمياق.[4]

وفي عام ١٤٦هـ ./٧٦٣ غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهراني.[5]

وفي العام نفسه "غزا مالك بن عبد الله الخثعمي بلاد الروم"، فقد اسـ ـتطاع أن يتوغـ ـل بشكل كبير في بلاد الروم، واستطاع أن يحصد غنائم كثيرة، واستقر هو وجنده في مكانٍ قريب

---

[1] – سلوقية حصن ساحل أنطاكية،و الدروع السلوقية والكلاب السلوقية منسوبة إليها، الحموي: معجم البلدان، ج٣،ص٢٤٢، ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع، ج١، ص٥٧٣.

[2] – **الطوانة**: بلد بثغور المصيصة، **الحموي**: معجم البلدان ،ج ٤،ص ٤٥.

[3] – ابن خياط:تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٢١ .

[4] وديع عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٥٣ .

[5] – الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص٦٥٦، ابن الأثير:الكامل،ج٥، ص ٥٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ، ص ١٠٣ .

من درب الحدث، وباع الغنائم هنالك وقسم سهام الغنيمة، لذلك دعي هـ ـذا الملك ـان برهـ ـوة مالك[1].

ويلاحظ بأن الروايات التاريخية لا تذكر هنا بالتفصيل المكان الذي توجه إليه مالـ ـك، ولكنه ربّما وصل إلى أماكن كثيرة، واستطاع أن يهزم البيزنطيين، وكان مالك يلقـ ـب بمالـ ـك الصوائف، وذلك لكثرة ما كان يغنم من هذه الصوائف.[2] ومن هنا يلاحظ بأنه لم يخل عام إلا وقد وجه فيه المنصور صائفة نحو البيزنطيين، وإذا لم يفعل ذلك فإنه يقوم بالإصلاحات مثلما ـ حدث في مرعش و زبطرة والحدث و المصيصة و أذنة.

كما أنه أعطى الثغور الجزرية كياناً إدارياً مستقلاً ، من خلال وضعه مرابطين دائمـ ـين في ملطية والحدث ومرعش مقسمين على جماعات صغيرة، لهم حصونهم الخاصة ودار تسليحهم المستقلة، وبالتأكيد هذه المجموعات التي استقرت في هذه المناطق قامت بينها علاقات اجتماعيـ ـة أدت في النهاية إلى قيام حياة اجتماعية ثغرية في تلك المناطق الحدودية.

ومما ساعد المنصور في هذه الأعمال، انشغال الإمبراطور البيزنطي بحملاته ضد البلغار، فخيم الهدوء جزئياً على الجبهة الإسلامية البيزنطية في تلك الآونة [3] .

البلاذري: فتوح البلدان، ص١٩٥ . ابن الأثير:الكامل ، ج٥ ، ص٥٧٦ ،

[2]- ابن الأثير: الكامل ، ج٥، ص ٥٧٦ ، ماجد :العصر العباسي الأول، ص ١٤٩ .

[3]- ربيع :دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١١٥ .

وحدث أن انشغلت الدولة العباسية بالخطر الخزري[1] التركي الذي بدأ يشن حملاته على أراضيها في عام ١٤٦هـ ./٧٦٣م، وهذا ما جعلها تشتت تركيزها بالنسبة للخطر البيزنطي، وبقي نشاطها البري هادئاً تجاه بيزنطة[2] .

ففي عام ١٤٨هـ ./٧٦٥م توجه صالح بن علي نحو دابق، وعسكر فيها إلا أنه لم يغز.[3] ومن الممكن أن يكون صالح تجمع مع عسكره في منطقة دابق، لينطلق منها نحو الحدود، لكن ربّما حدث شيء لم يسمح له بالغزو، ومن الممكن أنه لم يجهز حملته بشكل جيد يسمح له

---

[1] - الخزر: هناك آراء متعددة عن الخزر ظهورهم من أين قدموا، حياتهم،ديانتهم و طريقة معيشتهم.
الخزر: هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد يأجوج بن نوح، وهو اسم إقليم من قصبة إتل وإتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس و البلغار و الخزر مسلمون ونصارى و منهم عبدة الأوثان وأهل الغزو وهناك يهود.الحموي: معجم البلدان ج٢ ص٣٦٧-٣٦٨. و الخزر إحدى القبائل التي تنتمي إلى الشعب المغولي والتي هاجر سكانها في القرن ٦هـ ./٦م إلى منطقة القوقاز و استطاعوا تكوين شبه إمبراطورية في تلك المنطقة ولهم عادات وتقاليد تخصهم ويهتمون كثيراً بأمور ملكهم الذي يدعى خاقان و له حاشية تهتم به ويرعى أمور بلاده بنفسه،ابن فضلان(أحمد بن فضلان):رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك و الروس والصقالبة، تح:شاكر لعيبي، الإمارات العربية المتحدة،دار السويدي ٢٠٠٣م ،ص٢٩-١١٣-١١٦، و للمزيد من التفاصيل عن الخزر،دنلوب.تاريخ يهود الخزر، تر: سهيل زكار، بيروت،دار الفكر ١٩٨٧م. أبودلف (مسعر بن مهلهل الخزرجي) رحلة أبي دلف، ترجمة و تعليق بطرس بولغاكوف، أنس خالدوف، موسكو،دار النشر للآداب الشرقية ١٩٦٠م.

[2] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص ٦٤٩ ، ابن الأثير:الكامل،ج٥ ، ص ٥١١ ، النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ ./١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، علي محمد البجاوي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م، ج٢٢ ، ص ٩٢.

[3] - الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٢٧، ابن الأثير:الكامل،ج٥ ، ص ٥٨٩.

بالتوجه نحو بلاد الروم، أو أن هجمات الخزر أثّرت في تجهيزات الجيوش ، فتوقع صالح بأنه لن يحصل على المساعدة إن احتاج إليها، لذلك قرر عدم الغزو، فمصلحة جيشه وحدوده تكون دائماً في البداية.

واستمر الوضع على هذا الشكل إلى عام ١٤٩هـ ./٧٦٦م، ثم تعرضت ملطية وكمخ لحصار شديد من قبل البيزنطيين، فأرسل المنصور العباس بن محمد والحسن بن قحطبة على رأس جيش ضخم إلى ملطية وكمخ، فوصل الحسن والعباس إلى ملطية محملين بالمؤن والعتاد الذي كانت ملطية تعاني من نقص فيه، ثم توجه الاثنان نحو كمخ التي كانت تحاول مقاومة الحصار المفروض عليها بانتظار مساعدة جيش العباس والحسن، وهنا يظهر الاختلاف في روايات المؤرخين، فالبعض يذكر بأن هذا الجيش لم يقدّم المساعدة المرجوة، لذلك تراجع عائداً إلى بلاده مع قدوم الشتاء، وهنا استغل الجيش البيزنطي عودة المسلمين المسرعة، وقام بمهاجمة بعض القلاع المسيحية، فسادت الفوضى، وانسحب قسم من الجيش نحو ملطية وغيرها من المدن، ولم تحقق هذه الصائفة أي هدف[1].

وقد كان مع العباس محمد بن الأشعث الذي مات في طريق العودة [2] .

---

[1] - الطبري :تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ٢٨ .

[2] - ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٢٤ ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص٨٢ ، الأزدي: تاريخ الموصل ، ص٢١١، ابن الأثير: الكامل ،ج٥، ص ٥٩٠، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص ٢٢٩.

وهنالك مصدر وحيد يذكر بأن جيش العباس والحسن توجه نحو كمخ، وقام المسلمون بوضع خشب العرعر[1] على كامل السور، لكي يحموه من حجارة المنجنيق، وحدث قتال بين الطرفين العربيّ المسلم والبيزنطي، واستخدم المسلمون المنجنيقات وقاتلوا قتالاً مريراً، ولكن الجيش العربي المسلم أخفق في تحقيق انتصاره على الروم البيزنطيين، الذين تمكنوا من دخول الحصن وإغلاقه، وهكذا تراجع المسلمون بعد أن وصل عدد من توفي في هذه الصائفة إلى مئتي رجل.[2]

فإن كان هذا الجيش لم يصل إلى كمخ حسب ما ذكره بعض المؤرخين، فلا بد من التساؤل عن السبب الذي منع الجيش الإسلامي من تقديم المساعدة؟

يبدو أن الجيش لم يكن منظماً بشكل جيد، وصادف أنه قد حلّ فصل الشتاء على البلاد، ولم يستطع الجنود المسلمون مقاومة البرد وشدته، فقد كان للظروف المناخية أثر كبير في توجيه الحملات واستمرارها أو عدم استمرارها، لذلك حلّت الفوضى في صفوف الجيش الإسلامي، وهذا أيضاً ما يجعل المسلمين يفضلون الصوائف على الشواتي.

وإن كان هذا الجيش قد وصل إلى كمخ وأخفق في تحقيق انتصار على الروم البيزنطيين، فلماذا لم يذكر هذه التفاصيل إلا مصدر وحيد؟

---

[1] – خشب العرعر. اسم يطلق على مجموعة من الشجيرات والأشجار الصغيرة دائمة الخضرة التي تنتمي إلى فصيلة السرو، وهنالك ما يقارب ٦٠ نوع من العرعر، والعرعر مقاوم للنخر وغالباً ما يستخدم أعمدة للسياجات، وله أهمية تجارية حيث أن بعض أوراقه تدخل في صناعة العطور ويستخدم في صناعة الأثاث، مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٩٩٩م، ج١٦، ص٢٣٨.

[2] – البلاذري :فتوح البلدان،ص ٢٠١.

إن كان ما ذكره البلاذري قد حدث بالفعل، وأغفلته المصادر الأخرى، فربما ذلك لكي لا يبينوا بأن هذا الجيش العرمرم والمجهز بشكل ممتاز قد خسر أمام عدد من الجنود البيزنطيين، فتصبح صورة هذا الجيش وقادته غير جيدة بالنسبة للقارئ.

وفي هذه الحادثة استعرض المؤلف السرياني التلمحري المعاصر لأحداث ذلك العصر وأفاد بمعلومات وفيرة عن توجه العرب المسلمين نحو كمخ و ملطية، فقد توجه الحسن بن قحطبة والعباس بن محمد بجيش ضخم يضم أجناس وأقوام مختلفة من السنديين والخزريين والفرس والأتراك والعرب المسلمين وغيرهم، وتوجهوا نحو الحدود الإسلامية البيزنطية، وبدأت المشكلات تنهال عليهم، فقد أصيب عدد كبير منهم بأمراض جرّاء تناولهم لأنواع متعددة من الفاكهة والتي أضرتهم، فمات عدد منهم، وإنّ هذه الحادثة (الموت من خلال الفاكهة) لم تذكر إلا في هذا المصدر الوحيد، التلمحري، وربما أراد المؤلف من هذه المبالغة أن يشير إلى أن أراضي البيزنطيين قد تناغمت مع فرسانها وأسهمت معهم في قتال المسلمين، وهنا تظهر المبالغة فهل هنالك فاكهة تؤدي إلى الموت؟ خاصّة وأنّ المؤلف لم يذكر نوع هذه الفاكهة،وربما قد يكون البيزنطيون قد رشوا الفاكهة بالسم لاعتقادهم بأن جنود المسلمين سيأكلون منها وهذا ما حصل لهم كنوع من أنواع الخدع في الحروب حسب هذه الرواية، وعندما وصل الجيش العربي المسلم إلى حصن كمخ قام بنصب المنجنيقات أمام السور، و بالمقابل فعل البيزنطيون كذلك، فقد دخلوا إلى الحصن ونصبوا المنجنيقات الموجودة لديهم، ليدافعوا عن الحصن، وحدث قتال بين الطرفين، فقد حاول المسلمون بناء عربات خشبية لجرها فوق الساقية المحيطة بالسور، لكن البيزنطيين كانوا يرمونهم بالحجارة فيصيبونهم، وجرى تبادل بين الطرفين بإطلاق حجارة المنجنيقات، لدرجة أن

المسلمين تمكنوا من فتح ثغرة في السور لكن البيزنطيين تمكنوا من إغلاقها، واستخدموا مكانها

ألواحاً متحركة كلما توجه نحو هذه الثغرة المسلمون ضربوا عليهم حجارة كبيرة توقعهم أرضاً،

ونتيجة للخسائر الكبيرة التي لحقت بالمسلمين، فقد انسحبت أعداد كبيرة من الجنود المسلمين،

ولكنهم لم يكونوا يعلمون بالطرقات وتفرعاتها، ولم يكن معهم أدلاء يرشدونهم لذلك فقد

وصلوا إلى قيسارية وتمكنوا من الاستيلاء على أعداد من الأسرى والغنائم وأخذوا الأموال

الموجودة في المدينة، وتوجهوا عائدين لكنهم فوجئوا بوجود فرقة من الجنود البيزنطيين هاجمتهم،

وتمكنت من تحرير الأسرى والغنائم، ومن قتل أعداد من جيش المسلمين. وبعد هذه المعاناة عادوا

إلى بلادهم.[1]

ومن رواية هذا المصدر يلحظ بأن كمخ كانت آنذاك تحت سيطرة البيزنطيين، و أن

المسلمين كانت تنقصهم الخبرة العسكرية والتكتيك الحربي أكثر من ذلك.

ولكن ما هو السبب الذي جعل ملطية هدفاً مستمراً للبيزنطيين في هذه السنوات أكثر

من مدن الثغور الأخرى؟ ولماذا هذا الإصرار الدائم من قبل البيزنطيين لتخريبها؟ .

إن السبب في ذلك يعود إلى موقع ملطية الإستراتيجي كخطِّ دفاعٍ أماميٍّ للحدود

البيزنطية، وخطِّ هجوم دائم من قبل المسلمين نحو البيزنطيين، بالإضافة إلى أنها مركز تموين

الحملات الإسلامية بالسلاح والغذاء والمعدات إلى الحدود البيزنطية، وهذا ما كان يدفع

بالبيزنطيين لضرب المدينة ، وذلك بهدف ضرب إمدادات المسلمين والتخلص من خطرهم ، كما

---

[1] – الشمحري: تاريخ الروقيي للمحول،ص ١٢٣– ١٢٤–١٢٥– ١٢٦ –١٢٧–١٢٨–١٢٩– ١٣٠.

أن منطقة ملطية كانت منطقة البوليسين المراطقة[1] الذين عملت بيزنطة بشكل دائم على محاربتهم[2].

أما في عامي ١٥١-١٥٢هـ ./٧٦٨-٧٦٩م فقد اقتصر النشاط الإسلامي على إرسال عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد على رأس الصائفة .

وفي العام التالي غزا الصائفة، ولكنه لم يتخطّ الحدود الإسلامية باتجاه البيزنطيين (لم يدرب)، وهذا ما يقصده المؤرخون بقولهم لم يدرب، فلم تثمر هاتان الصائفتان أيّ ثمار[3]

بعد ذلك وصلت أخبار إلى المنصور بأن بعضاً من أهل الذمة من أهالي مرعش وسميساط يعملون رصاداً[4] وعيوناً للبيزنطيين، ينقلون إليهم أخبار المسلمين ويمدونهم بالمعونة والمساعدة، لذلك أرسل العباس بن محمد بن علي على رأس جيش في عام ١٥٢هـ ./٧٦٩م نحو مرعش وسميساط، وقام بأسر العديد من السكان، وإجلائهم إلى الرملة في فلسطين، وأعاد وضع حاميات جديدة في هذه المدن[5].

---

[1] – بوليسيين الهراطقة. سيتم الحديث عن هذه الطائفة بشكل مفصل في الفصل الرابع من الرسالة

[2] – ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ١٦٩-١٨١ ، عبد الله: العلاقات السياسية ، ص١٤٩ .

[3] – ابن خياط تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٢٦ . الطبري:تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ٣٩-٤١ ، ابن الأثير الكامل، ج٥، ، ص٦٠٧-٦٠٨.

[4] – الرصاد: جمع رصد وهو الذي يراقب حركات العدو، المرثمي: مختصر في سياسة الحروب، ص٢٥.

[5] – ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص ٩ ، عبد الله :العلاقات السياسية، ص ١٦٠ ، الجتروري :الثغور البرية الإسلامية، ص ١٣٤-١٥٤ .

فلماذا تم إرسال أهالي مرعش وسميساط نحو فلسطين ؟

من الممكن أن يكون هؤلاء السكان من فلسطين قدموا مع الجنود الذين أوطنهم المنصور في الثغور ، ومن الممكن أن يكون المنصور قد رغب في إبعادهم عن منطقة الثغور، لكي لا يقوموا بمثل هذه التصرفات، ولكي لا يقضوا مضاجع العباسيين ،خاصة وأن فلسطين بعيدة عن الحكم المركزي في بغداد وبعيدة عن خطوط التماس مع البيزنطيين .

وشعر الطرفان العربي المسلم والبيزنطي بحاجتهما إلى التهدئة لإعادة تقوية جيوشهما وتنظيمها، فقاما بتبادل للأسرى في عام ١٥٢هـ /٧٦٩م، وكان التبادل يتم رجل مسلم برجل مسيحي وامرأة بامرأة وطفل بطفل، ولكن المنصور اشترط على الأسرى البيزنطيين أن يطلقوا لحاهم ويحلقوا رؤوسهم، وقد حدث هذا التبادل على نهر اللامس[1]، كما جرت العادة[2].

بعد هذا التبادل عمل المسلمون على تقوية وتحصين مواقعهم ، وأخذوا زمام المبادرة بشن هجمات قوية على البيزنطيين ، فأرسل المنصور في عام ١٥٣هـ /٧٧٠م معيوف بن يحيى الحجوري، فوصل إلى حصن من حصون الروم ليلاً وأهله نيام ، فاستطاع أن يسبي عدداً كبيراً منهم، وأسر عدداً من المقاتلين ثم توجه نحو اللاذقية وكانت خراباً، ويبدو أن اللاذقية كانت كغيرها من المدن الأخرى تتأرجح تبعيتها بين المسلمين والبيزنطيين، واستطاع أن يسبي منها

---

[1] نهر اللامس: بالسين المهملة نهر على شط بحر الروم وهنالك قرية من ناحية ثغر طرسوس وكان الفداء بين المسلمين والبيزنطيين يتم هنالك بحيث يتواجد الروم في سفنهم في البحر والمسلمون في البر ويقع الفداء، الحموي: معجم البلدان،ج٥،ص٨.

[2] – ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص٢٣٠ ، عبد الله: العلاقات السياسية ، ص ١٦١ .

أعداداً هائلةً أيضاً، ويقال إن ما كان معه من السبي حوالي ستة آلاف رأس عدا ع ن الرجـ ال البالغين[1].

ومن المرجح بأنه في هذا العام خرجت صائفتان بقيادة معيوف بن يحيى الأولى ه يتوجه للغزو فيها، أما الثانية فقد غزا فيها أرض الروم [2] .

وأرسل المنصور أيضاً في العام التالي ١٥٤هـ /٧٧١م صائفة بقيادة زفر بن عاصم ، ن عبد الله بن يزيد الهلالي، الذي وصل نهر الفرات ودخل المصيصة حتى وصل إلى القرة ، وعاد من درب مرعش محملاً بالغنائم و الأسرى، وكان عددهم يقارب خمسمئة أسير[3].

ويبدو أنّ القرة مكان داخل بلاد الروم إذ استطاع زفر أن يصل إلى هنالك، ويسـ تولي عليها، وأخذ ما يمكن حمله من هذه المدينة .

واستمر النشاط الإسلامي في السنوات اللاحقة بتوجيه حملات ضد البيزنطيين، منها ما كان يحقق النجاح، ومنها ما كان يخفق، وفي العام التالي ١٥٥هـ /٧٧١م توجهت صائفة نحـ و حصن دوريلة، لكنها لم تستطع أن تحقق أيّ انتصار، فقد أخفق الجيش العباسي في حصار هذا الحصن، وتم قتل ألف مسلم من قبل البيزنطيين[4].

---

[1]– الأزدي :تاريخ الموصل ، ص ٢١٦، الطبري :تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ٤٣ ، ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٦١٠ .

[2]– ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٢٧ .

[3] بن خياط تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٢٧ الطبري :تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ٤٤ ،عبد الله العلاقات السياسية ، ص ١٦٢ .

[4]– عبد الله: العلاقات السياسية ، ص ١٦٢ .

وهنا يتبادر للذهن سؤال مهمّ، وهو هل كان المسلمون يقومون بالغارات على تلك الحصون من دون معرفة بإمكانات تلك الحصون اقتصادياً ومدى حصانتها عسكرياً؟.

إن كان ما ذكر صحيحاً فإن هذا يدل على ضعف عسكري لأن الاستطلاع قبل القتال مهم جداً، فأين كانت فرق الاستطلاع التي كانت تجوب البلاد قبل توجه أية غزوة أو صائفة

ولم يتم ذكر هذه الصائفة في المصادر العربية، وإنما اقتصر ذكرها على المصادر اليونانية، ويرجح بأن قائد هذه الصائفة كان العباس بن محمد، وسارت الأمور على غير ما توقع المسلمون، فبعد أن كانت النتيجة لصالحهم وأسروا أعداداً من البيزنطيين، تحول هذا الانتصار إلى هزيمة، ووصلت إمدادات للبيزنطيين ساعدتهم في قلب النتيجة لصالحهم[1].

وبدأت الأوضاع الداخلية للدولتين بالاضطراب، فالخلافة العباسية الإسلامية كانت مشغولة بردّ خطر الخزر عن حدودها، إذ أرسل الخليفة المنصور قائده يزيد بن أسيد السلمي[2] في عام ١٥٥هـ /٧٧١م، لصدّ هجوم الخزر، وتوجه هذا القائد إلى دانَ قشة، وهي منطقة قريبة من بحر الخزر[3].

لكن المصادر الأخرى تذكر أن يزيد بن أسيد توجه عام ١٥٥هـ /٧٧١م، في صائفة، ولم تذكر وجهة هذه الصائفة[4].

---

[1] – عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٩٢-١٩٣.

[2] – يزيد بن أسيد السلمي: وهو يزيد بن زافر بن أسماء بن أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ، وولي أرمينية لأبي جعفر المنصور والمهدي، وكان من القادة الشجعان في الدولة العباسية، ابن الكلبي: جمهرة النسب،ج٢،ص٩٦

[3] – ابن خياط:تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٢٧.

[4] – الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦.

و لم ترد أية معلومات عن نتائج هذه الصائفة، و من الممكن أن يكون المنصور قد وجه قائده يزيد مرتين، مرة نحو البيزنطيين، ومرة أخرى نحو بحر الخزر.

بالإضافة إلى أن بيزنطة كانت تعاني وبشكل كبير من حروبها مع البلغار على الجبهة الخارجية، وأيضاً كانت مشكلة الصراع بين الإمبراطور ومناصري الحركة الأيقونية تزداد بشكل كبير، فالأوضاع الداخلية فيها كانت مضطربة بشكل كبير[1].

ونظراً لهذه الأوضاع، فقد عرض الإمبراطور قسطنطين الخامس على المنصور الصلح في عام ١٥٥هـ /٧٧١م، ودفع الجزية تأميناً لحدوده مع المسلمين، وذلك لكي يتفرغ لأمورة الداخلية وحروبه مع البلغار[2].

لكن المنصور رفض طلب الإمبراطور للصلح، وأحس بأن البيزنطيين يعانون من نقاط ضعف اضطرتهم لطلب الصلح، لذلك قرر استغلال هذه الفرصة والمبادرة بالهجوم عليهم.

ففي العام نفسه قام المنصور بتجهيز جيش ضخم يقدر بحوالي ثمانين ألفاً، وخرج المنصور بنفسه قائداً لهذا الجيش نحو كمخ، واستطاع جيش المسلمين أن يفاجئ القائد البيزنطي المرابط في تلك المنطقة، وحاصر المنصور الحصن لكنه لم يستطع أن يستمر بالحصار، بسبب قدوم الشتاء لذلك عاد مع جيشه[3].

---

[1]- الطبري:تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ٤٦ .

[2]- الطبري:تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ٤٦ ، ابن الأثير :الكامل ، ص٥ ، ج٦ ، ابن كثير:البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص١١٣ .

[3] عبد الله العلاقات السياسية ، ص ١٦٥ .

وأرسل المنصور أيضاً حملة ثانية بقيادة ثمامة بن وقاص في العام نفسه الذي توجه نحو الحدود البيزنطية، وتمكن من استرداد عدد كبير من الأسرى[1].

وهاتان الصائفتان لم يرد لهما أي ذكر في المصادر العربية التي تمت العودة إليها، وإنما تمت الإشارة إليهما في المصادر اليونانية، وهذا إن دلّ على شيء، فمن الممكن أنه يدل على أن المنصور قد رفض الصلح مع الإمبراطور بشكل تام و وجّه بالفعل الحملات ضد البيزنطيين هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما قصد المؤرخون اليونانيون ذكر هذه الحملات ليظهروا ضعف الإمبراطور خاصة وأنهم كانوا لا يكنون له الكثير من الاحترام، بسبب سياسته الدينية في محاربة الإيقونات.

واستمر النشاط الإسلامي بقوة تجاه الحدود البيزنطية، فقد أرسل المنصور في العام التالي ١٥٦هـ ./٧٧٣م، صائفة بقيادة زفر بن عاصم الهلالي الذي توجه من درب الصفصاف، وأغار على قونية[2] وقنبة[3]، وكان قد توجه نحو (خَرْمَة) وهي مطمورة[4] في برية وجد فيها حشد

---

[1] – عبد الله :العلاقات السياسية، ص ١٦٦ .

[2] – قُونِيَةُ: من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم و بها سكنى ملوكها و بها قبر أفلاطون الحكيم،الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٥، وصفها ابن بطوطة في رحلته فقال عنها. مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة الماء و الأنهار والبساتين والفواكه و بها المشمش المسمى بقمر الدين ، ويحمل منه إلى ديار مصر والشام،وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ويقال بأنها من بناء الإسكندر،ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، دار الكتاب اللبناني،د.ت،ص١٩٥.

[3] – قنبة لم يتم العثور عليها في المصادر والمراجع التي تمت العودة إليها ، وعلى الأرجح بأنها منطقة قريبة من قونية. وما وجد في المصادر بأن قنبة قرية بحمص الأندلس، ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع،ج٣،ص١١٢٥.

[4] – مطمورة: جمعها مطامير ،والمطمورة حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هيء خفياً يُطْمَرُ فيه طعام أو مال وذات لمطامير بلد على الحدود الإسلامية على مقربة من منطقة الثغور الشامية ،الحموي: معجم البلدان،ج٥،ص ١٤٨ وفي منطقة المطامير تقع العديد من الحصون (بليسة، مقدسه، جوبه، ملكوب ،بداله، دربو ، سيلون) والمطامير هي في الأصل الكهف والبئر والأبنية الأرضية تحت الحصون وهي التي يحبس فيها الأسرى والعبيد بعاربليف: العرب والروم،ص ٩٤.

عشرة أشخاص لم تبلَ أجسادهم، وكان مع زفر في حملته هذه أبو إسحاق الفزاري الذي قال إنّ هؤلاء الأشخاص هم أهل الكهف[1]. فهل من الممكن أن تبقى جثث أهل الكهف على حالها إلى زمن هذه الصائفة، ولم تبلَ أو تتغير بمرور الزمن، فعلى الأرجح أن تكون هذه المقولة غير صحيحة.

وتكررت صوائف المسلمين، ففي عام ١٥٧هـ/٧٧٣م، توجه القائد يزيد بن أسيد السلمي نحو بلاد الروم، وتوجه نحو حصن "لم يذكر اسمه في المصادر العربية" وبدوره يزيد بن أسيد أرسل سناناً مولى البطال الذي استطاع أن يهاجم بعض الحصون، ويخرج ومعه عدد من الأسرى والغنائم[2].

وهنالك خلاف في هذه الصائفة حول اسم قائدها، فالبعض يذكر أنه كان زفر بن عاصم الهلالي[3].

ويمكن القول: إنّ هنالك خلطاً بين الصائفتين، فقائد صائفة عام ١٥٦هـ/٧٧٣م، هو زفر بن عاصم، ولذلك ذكره البعض على أنه من قاد الصائفة في العام التالي، لكن من المرجح أن القائد هو يزيد بن أسيد، لأن أغلب المؤرخين الأوائل قد ذكروا اسم يزيد فقط، وبعضهم قد ذكر اسم القائد زفر بن عاصم.

---

[1] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٢٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٥٠، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢٢٥، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١١.

[2] ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٢٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢٢٦، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٣.

[3] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٣

واستمرت الصوائف بشكل منظم نحو الحدود، ففي العام التالي ١٥٨هـ ./٧٧٤م، أرسل المنصور قائده معيوف بن يحيى من درب الحدث نحو الحدود، وقد التقى معيوف مع جيش بيزنطي في ما بين الحدث ونهر جيحان، و يبدو أن قتالاً حدث بين الطرفين لكن لم يحقق نتائج مهمة، فقد ذكر بأنهم ((اقتتلوا، ثم تحاجزوا)) أي أن القتال قد انتهى من دون أية نتائج ذات اهمية[1].

وتوفي الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس في العام نفسه ١٥٨هـ ./٧٧٥م ، واستلم عرش الخلافة العربية الإسلامية في بغداد المهدي بن المنصور، وتسلم الإمبراطور ليو الرابع عرش بيزنطة بعد أبيه قسطنطين.

ومّا تقدم يتبين بأن هذه المرحلة من النشاط الإسلامي ضد الحدود البيزنطية قد ميزتها نقاط عدة:

١- تركيز هجمات البيزنطيين على ملطية، و جعلها هدفاً أساساً أمام قواتهم لتخريبها، وقد حدث هذا أكثر من مرة.

٢- عدَّ مرج دابق نقطة عسكرية تتجمع فيها الجيوش الإسلامية، وتستعد للتوجه إلى الثغور الأخرى نحو الجهاد، ولكن لم تخرج منها أية غزوة.

---

[1] ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٢٩ ؛الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ٥٧ ، ابن الأثير الكامل، ج٦، ص ٣٥ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ، ق٢ ، ص ٢٣١ ؛عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٦٧ .

٣ – كما أن عناصر الجيش الإسلامي العباسي تغيرت، فلم تكن عربية صرفة كما كانت في أيام الأمويين، ولكن بدأت العناصر الخراسانية تدخل بشكل كبير في تشكيلها، وعلى الرغم من ذلك بقيت قيادة أغلب الحملات الإسلامية العباسية خاصة لأقارب الخليفة.

ثالثاً– النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي العربي الإسلامي زمن الخليفة محمد المهدي إلى زمن الخليفة موسى الهادي ١٥٨–١٧٠هـ /٧٧٥–٧٨٦م :

في هذا العام ١٥٨هـ /٧٧٥م توفي سياسيان محنكان في العالمين العربي الإسلامي والبيزنطي هما الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس، وقد كانت حقبة حكمهما من أهم الحقب في التاريخ العربي الإسلامي والبيزنطي، فالخليفة المنصور المؤسس الفعلي للدولة العباسية ومنظمها سياسياً وعسكرياً واجتماعياً، عمل بكلّ ما يمكن من قوة من أجل الدفاع عن حدود دولته من خطر البيزنطيين، وسار الخليفة المهدي على خطا والده بمواصلة سياسته في محاربة أعداء الدولة الأساسيين (البيزنطيين).

إلا أن النظرة العامة للعالمين العربي الإسلامي والبيزنطي آنذاك كانت توحي بأن العلاقات بين الخليفة المهدي والإمبراطور ليو الرابع ستميل نحو الهدوء والسلام، والسبب في ذلك يعود إلى أن الإمبراطور ليو الرابع عمل على إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين كانت الإمبراطورية قد قبضت عليهم، وردّ الخليفة المهدي بالمثل، فقد أطلق سراح الأسرى البيزنطيين لديه مع من أطلقهم من السجون [1]، كمبادرة منه لقيام علاقات ودية بين الطرفين.

[1]– الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص ١١٧، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٣٦،

وبادر الإمبراطور ليو الرابع إلى تقوية علاقاته أكثر بالخليفة المهدي، لذلك عمل على إرسال الهدايا للخليفة، وكان من بين هذه الهدايا كتاب عنوانه "ينانيس ويمبراريس"، "جد ـاب وحاميرس" ويتحدث هذا الكتاب عن سحر المصريين وما صنعوه ضد سيدنا موسى ﷺ (١)

ويقال: إنّ السبب الذي دفع الإمبراطور ليو الرابع لإرسال هذا الكتاب هو سماعه بأن المهدي كان يميل إلى دراسة السحر والشعوذة والتنجيم.

وهنا يجب أخذ هذه الحادثة بعين الحذر والحيطة، خاصة وأن المصادر العربية جميعها لم تذكرها مطلقاً، وإنما اقتصر ذكرها فقط على المصادر السريانية، ومن الممكن أن تكون هذه الحادثة قد وقعت، ولكن قد تكون المصادر العربية قد أغفلتها، فلماذا أغفلتها المصادر العربية؟

يبدو أن السبب يعود إلى عدم اهتمام المؤرخين الإسلاميين بمثل هذه الأحداث، فقد كان جلّ اهتمامهم بالأحداث الداخلية، كثورات، وانتفاضات وأمور البلاد الداخلية، أكثر من اهتمامهم بمثل هذه الحادثة.

ومن الأحداث السالفة كان يتوقع أن تميل العلاقات بين الطرفين نحو الهدوء والسلام، و لن يقوم أي من الطرفين بالهجوم على الطرف الآخر.

ولكن هذه الحقبة من الهدوء لم تستمر طويلاً، بل أخذ الإمبراطور ليو الرابع زمام المبادرة، وعمل على تجهيز حملة كبيرة في نهاية عام ١٥٩هـ /٧٧٥م، توجهت نحو ميسة ملطية،

ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص٤١ ، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٧٠، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير ، ج١، ص٤٢٠

١- السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ص٤٢٣ ، عبد الله: العلاقات السياسية ، ص ١٧٣ .

وتذكر المصادر الأرمينية بأن الإمبراطور ليو الرابع عمل على إسناد هذه الحملة إلى ثلاثة قـادة أقوياء يحملون لقب ستراتيجوس، وهم أرتعاسدوس ماميكونيان، وتاتزاتيس الـ بدريهانت وهما أرمينيان والقائد الثالث ميخائيل لاخانودراكون، وتمكن هؤلاء القادة من تسيير هذه الحملة بشكل جيد، وقد تم الاستيلاء على سميساط وتدميرها، وتمكنت هذه الحملة من أسر عدد من المقـاتلين المسلمين والاستيلاء على غنائمهم، بعد أن قامت الحملة بتخريب المدينة، و أجهزت على القوى العسكرية المحيطة بها، ودمرت المعدات التي كانت تدافع عن المديـنة، وعـادوا بعـد ذلك بهم إلى الإمبراطور، وأسكن الإمبراطور المسلمين داخل الإمبراطورية[1].

ونظراً لهذا النجاح المميز عمل الإمبراطور ليو على تكريم هؤلاء القادة وسط احتفالات بانتصارهم في القسطنطينية[2].

ومن مراجعة هذه الحملة يلاحظ أمور عدة .

- بداية : إنّ الجوّ العامّ الذي بدأ مع تسلم ليو الرابع عرش الإمبراطورية والخليفة المهـدي الخلافة الإسلامية، والذي كان يوحي بأن السلام سيحل بين الطـرفين، كـان جـواً مضطرباً وضبابياً، إذ إن هذا الجو لم يشعر ليو الرابع بالارتياح والاطمئنان للمسـلمين، لذلك بادر بالهجوم كما جرت العادة، فمنذ اعتلاء العرش من قبل خليفة أو إمبراطـور تعدّ فرصة ذهبية، على أحد الطرفين استغلالها والمبادرة بالهجوم ضد الخصم .

[1] اليعقوبي :تاريخ اليعقوبي، ج٣ ، ص١٣٥ ، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة، ق١ ، ج٢ ، ص ٢٣١ .
[2] جيمويد ، ص١٥٠ ١٥٣

- ثانياً: إنّ الأوضاع الداخلية والخارجية للإمبراطورية البيزنطية كانت تميل نحو الهدوء، ففي الداخل كان يشاع بأن الإمبراطور ليو الرابع سيتعامل مع القضايا الدينية بإنصاف، و بالتحديد قضية عبادة الصور هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فحروب أبيه مع البلغار أرهقت البلغار بشكلٍ كبير وجعلتهم يستنفدون قواهم العسكرية والمادية في حروبهم للدفاع عن دولتهم، ويقال: إنّ قسطنطين الخامس و لكثرة ما قتل ودمر في بلاد البلغار سمي سفاح البلغار الأول[1].

ولذلك عندما تسلم ليو العرش كان البلغار قد أنهكوا، و كانت علاقته معهم يلفها الهدوء نسبياً، لذلك كان ليو الرابع مرتاحاً من جهة الجبهة الخارجية للبلغار.

كما أن ليو الرابع كان يفكر بطريقة يوصل بها رسائل للمسلمين و توحي بأن سياسة والده في حروبه ضد العرب المسلمين لا تزال مستمرة، وأن جيشه وقواده على كفاءة عالية من التنظيم والقوة، ولذلك كان اختياره لهؤلاء القادة الثلاثة على هذا المستوى العسكري الرفيع، هذا على الجانب الإسلامي، أمّا على الصعيد البيزنطي الداخلي، فقد كان ليو الرابع يهدف إلى إرسال رسالة للداخل البيزنطي معادها أنه يسير على خطا والده، و أن قواد والده الأقوياء هم قواده، وكما كانوا يدينون بالولاء لوالده، فهو يمنحهم ثقته ليدينوا بالولاء له أيضاً.

وهكذا حدث هذا الهجوم البيزنطي في بداية حكم الخليفة المهدي، لذلك شعر الخليفة المهدي بأنه إن لم يردّ على هذا الهجوم بقوة فستكون هذه ضربة قوية تهز عرشه وهو في بدايته،

[1]- لاغر : موسوعة تاريخ العالم،ج٢، ص٤٨٥، ربيع:دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٠، العريني: الدولة البيزنطية ، ص١٨٦-١٨٧ .

لذلك عمل المهدي على تجهيز حملة ضمت جيشاً ضخماً كان أغلب جنوده من أهالي خراسان، وكان على رأس هذه الحملة عمّ المهدي العباس بن محمد[1]، الذي توجه بهذا الجيش يريد الوصول إلى أنقرة[2]، وكان في مقدمة هذا الجيش الحسن الوصيف، وهو أحد موالي الخليفة المهدي .

رافق الخليفة المهدي الجيش إلى البردان[3]، ومن هناك أرسل العباس نحو بلاد الروم، وقد أحرز العباس انتصاراً كبيراً على البيزنطيين، واستطاع أن يفتح مدينة من مدن الروم ومطمورة ووصل إلى أنقرة، إلا أنه لم يقم بأيّ تحرك تجاه أنقرة[4].

---

[1] – العباس بن محمد: هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخو السفاح و المنصور أبو الفضل، ولاه المنصور بلاد الشام وتولى أيام الرشيد الجزيرة ،وأرسل أكثر من مرة لغزو البيزنطيين ،كان من أجود الناس رأياً وحكمة ويزعم بعض من أهله بأن الخليفة الرشيد هو من سمه،ابن طيفور: تاريخ بغداد،ج١،ص٩٥،ج٤،ص١٢٤،ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت ٨٧٤هـ ./١٤٦٧م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م ،ج٢، ص١٢٠، الترمانيني (عبد السلام): أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين(يشتمل على أحداث التاريخ الإسلامي مع ترجمة لأشهر الأعلام وتعريف بالمواقع والبلدان)،دمشق، دار طلاس،ط٣، مج٢،ص١٠٨٠

[2] – أنقرة:اسم للمدينة المسماة أنكورية، وقال عنها بطليموس ،مدينة أنقرة طولها ثمان وخمسون درجة وعرضها تسع وأربعون وهي في الإقليم السابع ،الحموي: معجم البلدان،ج١،ص٢٧١.

[3] – البردان: وهي عدة مواضع منها قرية في بغداد ،والبردان نهر يسقي بساتين مرعش وضياعها،الحموي:معجم البلدان،ج١،ص ٣٧٥-٣٧٦.

[4] ابن خياط،تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤٢٩، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ،ص١٣٥، الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ١١٦ ، ابن الأثير:الكامل ، ج٦ ، ص ٤١ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ، ق٢ ، ص ٢٣١

ولدى مراجعة هذه الحملة في المصادر العربية يلاحظ بأن معلومات قليلة ومتفرقة ذكرتها المصادر العربية، فبعض المصادر تذكر أنه فتح مدينة للروم ومطمورة [١]، والبعض ذكر بأنه وصل إلى مشارف كاس[٢].

واتفقت هذه المصادر على أن العباس وصل إلى أنقرة، لكنه لم يفتحها، وهنا يجب توضيح بعض النقاط، فكاس: هي عبارة عن حصن، وليست مدينة، وبالفعل استطاع العباس أن يفتحها بعد أن اتبع خطة بعث الدخان على الحامية البيزنطية التي كانت مرابطة في الحصن، فاستسلمت الحامية، وتمكن العباس من دخولها، والاستيلاء على مخازن القمح الكثيرة الموجودة في الحصن[٣].

فربما قصد المؤرخون أن المدينة: هي حصن كاس، والمطمورة: هي مخازن القمح، وذلك تبعاً لما تعنيه هذه الكلمة، وهي مكان تحت الأرض يطمر فيه الطعام .

أما بالنسبة لأنقرة، فهي لم تفتح، بل وصل إليها العباس، لكنه ربما لم يستطع أن يدخلها بالقوات التي كانت موجودة معه، لذلك فضّل العودة إلى كاس والاستيلاء عليها، نظراً لأهميتها و لكونها مخازن للقمح.

وهنا يجب التدقيق في ذكر الروايات لدى المؤرخين القدامى، فيلاحظ بأن هناك بعض الاقتضاب في ذكر الأحداث الخارجية في بعض السنوات، ويمكن أن يكون السبب في ذلك عدم

---

١ – الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص١١٦ ، ابن الأثير:الكامل،ج٦ ، ص٢١ .

٢ – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص ١٣٥ .

٣ – عبد الله:العلاقات السياسية ، ص١٧٨-١٧٩ .

اهتمام المؤرخين بالأمور الخارجية بشكل كبير، إلا إذا كان هنالك انتصار كبير حققه المسلمون، أو إذا كان الخليفة أو أحد أولاده هو من قاد هذه الحملة، فيلاحظ هنا توسع المؤرخين في الحديث عن هذه الحملة، وربما اهتم المؤرخون بالأحداث الداخلية والقضايا الخاصة التي كان يعاني منها الخلفاء، كانتفاضة أحد أولاد عمومتهم، أو ثورات الخوارج، أو خروج بعض الزنادقة على الخلافة وهكذا .

وهنا يلاحظ أمر على قدر من الأهمية قد ذكره المؤرخون، وهو عند إرسال المهدي الحسن الوصيف مع العباس في حملته هذه ذكروا بأنه " لم يجعل المهدي للعباس على الحسن الوصيف ولاية في عزل ولا غيره " إذاً بدأ الموالي يظهرون بشكل قوي في الجيوش العباسية، ويعرضون أنفسهم حتى في القيادة ، وبدأ الخلفاء بإعطائهم أهمية كبيرة، ومنع أقاربه وآل بيته من توجيه الملاحظات لهم.

إذاً يجب القول: إنّ الظهور القوي الذي كان يخطط له الموالي منذ دخولهم الدعوة العباسية قد ظهر بقوة في عهد المهدي، وسوف يلاحظ بأن هؤلاء الموالي سيزداد تأثيرهم وقوتهم ومكانتهم أكثر فأكثر في الحملات العسكرية خاصة، و أنّ من يسيطر على قيادة الجيش، فهو يسيطر على كل شيء.

بعد هذه الحملة اختير القائد ثمامة بن الوليد من قبل الخليفة المهدي كقائد لصائفتين نحو بلاد الروم، الأولى كانت في عام ١٦٠هـ /٧٧٦م، و لم تذكر المصادر ما هي نتائج هذه الصائفة، سلبية كانت أم إيجابية؟[1].

---

[1]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٨، ص ١٢٩ ، ابن الأثير:الكامل ،ج٦ ، ص ٤٦.

والصائفة الثانية: كانت في عام ١٦١هـ /٧٧٧م، و توجه ثمامة نحو دابق ورابط فيها[1].

و لم يتوقف المهدي عن توجيه الحملات بل عمد إلى تكثيفها نحو الحدود البيزنطية الإسلامية، لذلك و في العام نفسه ١٦١هـ /٧٧٧م، أرسل خاله القائد عيسى بن علي، فتوجه به عيسى ومعه ثمانون ألف مقاتل نحو مرعش، ولكنه تعرّض لحصار من قبل البيزنطيين، لكن بن عيسى تمكن من التخلص من هذا الحصار واستطاع التغلب على البيزنطيين، وتمكن من سبي عدد منهم والحصول على غنائمهم وعاد إلى مرعش ورابط فيها[2].

وهنا تظهر المبالغة في ذكر هذا العدد الضخم من الجنود الذين توجهوا مع عيسى بن علي في هذه الصائفة، فيذكر بأنهم ثمانون ألف مقاتل، فكيف استطاعت مدينة مرعش استيعاب هذا العدد الضخم من الجنود في أراضيها، ولكن هذه كانت عادة للمؤرخين بشكل عام، المبالغة والتضخيم في ذكر أعداد المسلمين خاصة، ليشعروا القراء بمدى اهتمام الخلفاء بإرسال أعداد كثيرة من الجنود، ليدافعوا عن حدود دولتهم.

بعد هذه الصائفة التي قادها القائد عيسى بن علي في عام ١٦١هـ /٧٧٧م، بدأت الدولة البيزنطية تعدّ العدة لهجوم منظم على الحدود الإسلامية، ولذلك جهز الإمبراطور ليو الرابع جيشاً ضخماً مكوناً من خمسة جيوش رئيسة كبرى، وصل تعدادها إلى مئة ألف مقاتل، وسلمه

---

[1] – ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢، ص٢٣٢ .

[2] – البلاذري: فتوح البلدان،ص ١٩٣، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٣٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص٢٣٢، ابن العديم: بغية الطلب، ج١ ،ص٢٣٦ .

لخمسة قواد من أكفأ القادة وأشجعهم، ثلاثة منهم قواد الحملة على ميسطاط عام ١٥٩هـ /٧٧٥م، ثم أضاف إليهم الإمبراطور قائدي ثيمي أرمينية، والأوبسيكيون[1]

كان من أشهر قادة هذا الجيش القائد (ميخائيل لاخانودراكون) الذي قاد هذا الجيش الضخم، وتوجه من درب الحدث إلى مرعش، وفي طريقه إليها كان يعمل على تدمير القرى الموجودة في طريقه، ويحرق المزارع المحيطة بها، ويسبي أهلها، وهذا ما فعله مع قريتي عقبة حرثا، وعترزن، وهدفه من ضمن خطط بيزنطة حتى لا تقوى هذه المناطق على مساعدة المناطق الأخرى، وهي غير قادرة على الدفاع أو الهجوم فيما بعد.

ووصل إلى مرعش، وكان فيها عيسى بن علي مرابطاً بقوة تقدر بحوالي ثمانين ألف مقاتل[2]. أرسل عيسى قوة بقيادة سالم البرسي، وحدث قتال بين الطرفين، كانت الغلبة فيه للجانب البيزنطي، لذلك توجه الكثير من جنود عيسى، ومن نجا من المقاتلين نحو المدينة واعتصموا بها[3].

وهناك اختلاف بين المصادر العربية، والمصادر البيزنطية حول هذه الحملة ودور قائدها ميخائيل، فبعض المصادر البيزنطية تذكر أن عيسى بن علي تمكن من إنقاذ مرعش عن طريق

---

[1] – عبد الله العلاقات السياسية ، ص١٨١ .

[2] البلاذري فتوح البلدان ، ص ١٩٣ ، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤٣٦ ، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢ ، ص ٢٣٢ .

[3] – البلاذري : فتوح البلدان، ص١٩٣، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٣٧ ، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص٥٥

اتصاله بالقائد ميخائيل، ورشوته بالهدايا وغيرها، لذلك ترك ميخائيل المدينة وعاد أدراجه إلى بيزنطة [1].

أما المصادر العربية فلا تذكر الرشوة إطلاقاً، وإنما تذكر صائغة أخرى بقيادة ثمامة بن الوليد كانت مرابطة في دابق، وتربط بينها وبين غزو مرعش من قبل الجيش البيزنطي ، فعندما وصلت الجيوش البيزنطية إلى مرعش وحاصرتها علمت بأن القائد ثمامة بن الوليد يقوم بتحرك في المنطقة المحيطة بدابق، فكان على القوات البيزنطية مواجهة ثمامة، وإشغاله ومحاولة منعه من الوصول إلى مرعش ومساعدتها ، وتذكر هذه المصادر أن القائد البيزنطي ميخائيل لاخانودراكون تقدم بجيشه نحو ثمامة، ودارت معركة بين الطرفين[2].

وعلى الأرجح أنه عندما علم القادة البيزنطيون بشأن ثمامة اجتمعوا وقرروا تقسيم الجيش إلى قسمين، قسم يبقى في مرعش لحصارها، والقسم الآخر يتحرك لملاقاة ثمامة، وقد تولى قيادة هذا القسم القائد ميخائيل، وهذه المصادر لا تذكر اشتراك القادة البيزنطيين مع ميخائيل بل تؤكد أن ميخائيل سار نحو دابق لمواجهة ثمامة بجيش مكون من ثمانين ألف جندي[3].

لابد هنا من الإشارة إلى هذه الأرقام الضخمة التي يتم ذكرها من قبل المؤرخين العرب والسريان على حد سواء، ولكن المنطق يدفع الدارس للتساؤل عن حقيقة مثل هذه الأرقام

1- عبد الله : العلاقات السياسية، ص ١٨٢ .

2- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٣، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٣٧ ، الطبري: تاريخ الرسل وملوكه ج٨، ص ١٤٦، ابن الأثير:الكامل ، ج٦ ، ص٥٥ .

3- ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٧ ، الطبري:تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ١٤٦ .

ومصداقيتها ، فهل يعقل أن يتمكن جيش بمثل هذا التعداد الضخم من تأمين احتياجات الجنود والخيول من مؤن وغذاء وماء وما إلى ذلك إلى مدة تطول إلى أسابيع أو أكثر.

لذلك فالجيش الذي بقي في مرعش لحصارها يقدر بحوالي عشرين ألف جندي على افتراض أن الجيش البيزنطي كان تعداده مئة ألف جندي، وهكذا تقدم ميخائيل نحو ثمامة الذي تحرك لصد الهجوم ومعه أعداد قليلة من الجنود، وكان قد أرسل مجموعة استطلاعية لتخبره عن تحركات البيزنطيين وتعدادهم، وقد حاولت هذه المجموعات أن تثني ثمامة عن مواجهة الجيش البيزنطي، نظراً لضخامته، لكنه لم يأبه بهم وخرج من دابق، و وصل الحدث وحاصرها[1].

فلماذا بقي في مرعش العدد الأقل لمحاصرتها، وتوجه العدد الضخم مع ميخائيل لمواجهة ثمامة؟.

يبدو أن القائد ميخائيل أراد أن يتوجه بهذه الأعداد الضخمة، ليشعر الجيش الإسلامي بقوته، ويقوم بهزيمته، ويمنع المسلمين من محاولة الدفاع عن مرعش في أثناء هجومهم عليها.

وحدثت معركة عنيفة بين الطرفين تمكن ثمامة من هزيمة طلائع جيش ميخائيل في بداية المعركة، وكان مع ثمامة ملاقة بن حكمة[2]، ولكن ما لبث أن تحول سير المعركة لصالح البيزنطيين، وقتل الكثير من الجنود العباسيين وأصيب ملاقة إصابة خطيرة في هذه المعركة،

---

[1] ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٧ ، الطبري :تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص ١٤٢ ، ابن الأثير :الكامل، ج٦ ، ص ٥٥، عبد الله : العلاقات السياسية، ص ١٨٣ .

[2] – ملاقة بن حكمة: لم أجد له تعريف في المراجع التي تمت العودة إليها.

واستطاع ميخائيل أن يدخل حصن الحدث، ويخربه وقد دخل إلى قرى أخرى محيطة به أحرقها، وسبى الكثير من المسلمين[1].

ويرجّح أن تكون هزيمة الجيش البيزنطي في البداية خطة من قبل القائد ميخائيل، حتى يستطيع تطويق الجيش العربي الإسلامي بأكمله والقضاء عليه مستغلاً أعداد جنوده وعدتهم الضخمة.

ويبدو أن شجاعة ثمامة وتحمسه لمواجهة البيزنطيين لم تجعله يقدر الأمور على حقيقتها ، فالجيش البيزنطي أضعاف أضعاف جيش المسلمين ، كما أن المجموعات الاستطلاعية كانت قد نبهته إلى ذلك ، لكنه لم يعرها أي اهتمام ، وهنا وقع الخطأ، لأنه لم ينتبه لتحذيرات المجموعات الاستطلاعية حول ضخامة الجيش البيزنطي من حيث العدد والعدة، فقد أحسّ الجيش البيزنطي بأنه أقوى من جيش المسلمين بعدده وتعداده، ولا شك أن حنكة قائده كان لها دور رئيسي في هذا النصر.

بعد هذا الانتصار توجه ميخائيل نحو مرعش ، التي كانت محاصرة من قبل القسم الآخر من الجيش ، فاشترك ميخائيل بالحصار ، واستطاع أن يدخل مرعش، والتقى مع جنود عيسى بن علي، واتبع ميخائيل الخداع والحيلة فتظاهر بالانسحاب ثم استجمع قواه وباغت جيش العباسيين، وتمكن من تحقيق نصر كبير وقتل الكثير من جنود عيسى وفر الباقون، ولم يجد ميخائيل أي مسوّغ لمواصلة الحصار ، لذلك تحرك عائداً إلى بيزنطة ، وبصحبته أعداد هائلة من

[1]- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣٧- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص ١٤٢ ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ص ٢٠٣ ، عبد الله:العلاقات السياسية، ص ٢٤١ .

الأسرى من سكان مرعش، والحدث، والمناطق المجاورة، وقام الإمبراطور بتسكين الأسرى في منطقة تراقية.[1]

وقد احتفل الإمبراطور بهذا الانتصار، وقام بتكريم القادة المنتصرين، وهذا يعني اتهام المصادر البيزنطية لميخائيل بالرشوة، ولو أنه ارتشى لما حارب المسلمين بهذه القوة، وما كان للإمبراطور أن يكرمه على انتصاره هذا[2].

وكان لهذا النصر البيزنطي أثر كبير على وضع الخلافة العباسية السياسي، فقد أدرك المهدي أن خطر الإمبراطورية كبير ويهدد أمن دولته، ولهذا كان عليه أن يثبت وجود الخلافة الإسلامية، وقوتها فقرر الانتقام.

وأول ما فعله هو نقل قيادة الجيش من عمّه العباس بن محمد إلى الحسن بن قحطبة، القائد المعروف بحنكته العسكرية، وسيره على رأس جيش مكوّن من ثمانين ألف مقاتل ضم قوات من خراسان والموصل والشام والجزيرة واليمن والمتطوعين من العراق والحجاز[3].

---

[1]- البلاذري فتوح البلدان، ص ١٩٣، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ٢٣٢، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج١، ص ٤٢٤، عبد الله:العلاقات السياسية، ص ١٨٤ .

[2]- توفيق :تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٩، عبد الله:العلاقات السياسية، ص ١٨٥ .

[3]- ابن خياط.تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٧، الطبري :تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٤٢، ابن العديم بغية الطلب، ج١، ص ٢٤١، ابن شداد:الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ٢٣٢ .

وتوجه الحسن بن قحطبة، ومعه هذا الجيش الضخم في عام ١٦٢هـ /٧٧٩م، من محمد بن درب الحدث بين مرعش وألبستان، ووصل إلى ثيم الأناضول وبلغ حمة أذرولية[1]، وكان في طريقه يحرق القرى، ويهدم الحصون البيزنطية الموجودة أمامه، ويسبي أهلها لدرجة أن الناس بدؤوا يخافون ويرتعبون من اسمه، ولكثرة ما فعل بهم وضعوا صوره في كنائسهم وسموه التنين، وبعد أن وصل إلى الأناضول أرسل ابنه محمد بن الحسن إلى عمورية[2]، وقد استطاع محمد أن يصل إليها، ولحقه والده لكنه عاد من دون أن يفعل شيئاً، فلم يفتح أي حصن، ولم يلتق مع أي جنود من البيزنطيين، و على الرغم من ضخامة هذا الجيش وقوته وحنكة قائده فقد عاد من دون أن يحقق نتائج ذات أهمية حقيقية ماعدا أنه هدم وحرق وسبى[3].

يجب الانتباه إلى أنه من الممكن أن يكون المؤرخون قد بالغوا في ذكر أعداد الجنود الذين كانوا مع الحسن " على عادتهم " لتهويل أهمية هذه الحملة ولإيضاح مدى قوة الجيش الإسلامي.

---

[1] – حمة أدروبة: إقليم في درب الروم واسم لبلدة البيزنطية وهي اليوم اسكي شهر، الحاسي (زكي): شعر الحرب في أدب العرب (في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة) ، مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٠م، ص١٩٧.

[2] – عمورية: من أعظم بلاد الروم البيزنطيين ،الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٥٨.

[3] – البلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٩٤ ، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٣٧ ،الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٤٢، ابن الأثير: الكامل ،ج٦، ص ٥٨ ، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ج١، ص٢٤٠ بعض المؤرخين يذكرون بأن تعداد هذا الجيش كان ثلاثين ألف،الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٤٢، لم تذكر المصادر جميعها بأن الحسن وصل إلى عمورية سوى مصدر وحيد، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣٧، الأزدي : تاريخ الموصل، ص٢٤٢.

أما عن نتائج هذه الحملة، فيبدو أن المهدي حين أرسل هذه الحملة لم يكن ينتظر منها نتائج كبيرة، وإنما كان يقصد أن يثبت للبيزنطيين بأن الجيش العباسي لا يزال يتمتع بمكانة مهمة وقادر على المواجهة على الرغم من أنه كان من المفروض على الحسن بن قحطبة بقوته وحنكته العسكرية والأعداد الهائلة التي خرجت معه أن يحقق نتائج مهمة أكثر من ذلك .

وإن لم تحقق هذه الحملة الكثير على الصعيد الحربي ، إلا أنها أعادت بناء حصن الحدث وطرسوس، ففي أثناء مرور الحسن بن قحطبة بحصن الحدث شاهد الخراب الذي تعرض له الحصن ، فأخبر المهدي بما شاهده واقترح عليه بناءه وإعادة تعمير طرسوس، فوافق المهدي نظراً لأهمية هذا الحصن[1].

وبالعودة إلى هذه الحملة التي قادها الحسن بن قحطبة يلاحظ بأن هنالك غموضاً يلف هذه الحملة، فقد ذكرت المصادر العربية بأن الحسن لم يلتق مع أيّ جيش بيزنطي يقف في وجهه، لكن المصادر البيزنطية تذكر بأن الإمبراطور ليو الرابع كان قد طلب من قواده وجنوده عدم التعرض للحسن بشكل مباشر، وذلك نظراً للأعداد الضخمة التي جاءت معه، وإنما طلب منهم أن يهاجموا مؤخرة الجيش العباسي، والعمل على حرق مراعي الخيول ومؤن الجيش الإسلامي، وتقسيم حركتهم إلى مجموعات صغيرة لا تتجاوز ثلاثة آلاف جندي لكل منهم من أفضل الجنود وأقواهم، وبهذا يضمن ليو الرابع حماية أعداد إضافية من جنوده والاعتماد على

[1]- البلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٩٣ ، ابن العديم :بغية الطلب، ج١،ج١، ص ٢٤٠ .

أعداد قليلة مهمتها الدفاع والمهاجمة في الوقت نفسه، وبالفعل عمل البيزنطيون حسب خطة بمرابطوهم، وهاجموا مؤخرة جيش الحسن[1].

ولم تتم الإشارة إلى هذه الأحداث من قبل المصادر، باستثناء مصدر وحيد ذكر أن مناوشات حدثت بين الطرفين[2].

وفي العام نفسه ١٦٢هـ /٧٧٩م، أرسل المهدي أيضاً حملة جديدة بقيادة يزيد بن أسيد السلمي الذي توجه من باب قاليقلا نحو حصون الروم واستطاع أن يفتح ثلاثة حصون للروم، وأسر أعداداً كبيرة من البيزنطيين[3].

وعلى الرغم من هذا النشاط الحربي في هذا العام إلا أن البيزنطيين عادوا وأغاروا على حصن الحدث مرة أخرى، وهدموا أسوار المدينة، غير مهتمين بما وجهه المهدي من حملات ضدهم، وكان ذلك في عام ١٦٢هـ /٧٧٩م[4].

وهكذا بقيت الحدث هدفاً لضربات البيزنطيين المتتالية بغية تخريبها، وذلك نظراً لأهميتها كحصن منيع يقض مضاجع البيزنطيين، ولهذا لم يتوقف المهدي عن إرسال الحملات من الثغور إلى الأراضي البيزنطية، وكانت أهمها الحملة التي أشرف المهدي بنفسه على تنظيمها واختار

---

[1] - عبد الله، العلاقات السياسية، ص ١٨٨ .

[2] - ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٧ .

[3] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص ١٤٣ ، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص ٥٨ لم تذكر هذه المصادر أسماء هذه الحصون التي فتحت.

[4] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٤٢، الأزدي: تاريخ الموصل ، ص ٢٤٢ ، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٣٩٦، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص ٥٨ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ق٢ ، ص ٢٢٣ .

قادتها بنفسه، فقد جهز المهدي هذه الحملة تجهيزاً كبيراً، وجمع لها جنوداً من جميع الأجناد، وكان لأهل خراسان العدد الأكبر في هذه الحملة فقد بلغ تعداد جنودها حوالي مئة وخمسين ألف جندي، وعسكر المهدي مع هذا الجيش الضخم بالبردان، وبقي هنالك ما يقارب شهرين ينظم صفوف الجيش، وقرر المهدي تسليم قيادة هذه الحملة لولده هارون، و توجه هو إلى الموصل ثم الجزيرة، وعبر الفرات نحو حلب، واستخلف ولده موسى بن المهدي في بغداد.[1]

وبعد أن وصل المهدي إلى حلب أرسل ابنه هارون إلى بلاد الروم ومعه أعظم قادته، وأشهرهم وأحنكهم، سياسة وحكمة، فقد أرسل معه الحسن بن قحطبة، و الربيع بن يونس الحاجب، وموسى بن عيسى، وعبد الملك بن صالح بن علي، وأرسل معه أيضاً أهمّ شخصيات أسرة البرامكة الحسن وسليمان وخالد بن برمك، وكان مستشار هارون وكان أمر العسكر ونفقاته بيد الحسن بن خالد بن برمك[2].

توجه هارون ومعه هذا الجيش الضخم والقادة الأقوياء إلى درب الحدث، فعبره ووصل حتى نهر جيحان، ومن ثم توجه إلى مدينة المهدية، ووصل إلى منطقة البستان، وتوغل في أسيا الصغرى، ووصل إلى ثيم أرمينية، وبدأ هارون يهاجم الحصون التي يراها أمامه وتقف في طريقه، وقد تمكن من تخريب عدد كبير منها وسبي أهلها، و كان حصن سمالو من أهمّ هذه الحصون، وقد حاصر هارون هذا الحصن مدة تقارب ثمانية وثلاثين يوماً، لكن هذا الحصن استعصى عليه، فعمد الرشيد إلى نصب المجانيق حول الحصن، وتضييق الخناق أكثر على أهله، فتأثر أهل الحصن

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ١٤٤، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢،ص٣٩٦، ابن الأثير: الكامل،ج٦ ، ص ٦٠ ، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب،ج١، ص٦١.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ١٤٥-١٤٦-١٤٧، ابن الأثير: الكامل،ج٦ ، ص ٦٠ .

بعد الحصار، ولم يستطيعوا المقاومة، لشدة ما أصابهم من عطش وجوع ومرض، لذلك طلب أهل الحصن من هارون الأمان، وبالفعل فتح هارون الحصن وأعطى أهله الأمان مقابل عدد من الشروط طلبها أهل الحصن من هارون، وهي ألا يقتلوا ولا يرحلوا من ديارهم ولا يفرّق بينهم، فأعطاهم هارون ما طلبوا وعاد هارون من حملته هذه منتصراً ومعه جيشه الكبير إلا من قتل منهم أو جرح، ومعه أيضاً أعداد كبيرة من السبايا والخرثي[1] والأمتعة[2].

بعد عودة هارون من حملته هذه توجه مع من أخذهم من الحصن إلى بغداد وأنزلهم على باب الشماسية، وقد سمي موضعهم هذا (بسمالو)[3] ويذكر بأن المهدي عندما أنزلوا في بغداد جميعهم استحياهم[4]، وأعطاهم الأمان على حياتهم ولم يقتلهم وأمر أن يسمى الموضع الذي نزلوا فيه (سمالو) نسبة للحصن الذي كانوا فيه، وباع هارون منهم أعداداً كثيرة.[5]

وقد قام المهدي في أثناء مسيره مع الجيش في هذه الحملة بالعديد من الأعمال، منها عزله لوالي الجزيرة عبد الصمد بن علي، وأبدله بزفر بن عاصم الهلالي[6].

---

[1] – الخرثي: أثاث البيت والمتاع والغنائم، المعجم الوسيط، ص٢٣٢.

[2] – البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٧ ، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٧ ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٤٨ ، الأزدي، تاريخ الموصل ، ص ٢٤٣ ، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦٠ ، السريني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢، ص ٤٣٤ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢ ، ص ٢٣٣

[3] – سمالو (سمانو). مدينة أو حصن بالثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس، وينسب إليه دير سمالو، ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص٨٥١.

[4] – استحيا: استحيا الأسير، تركه حياً فلم يقتله وفي التنزيل العزيز "يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم" معجم الوسيط، ص٢٢٠.

[5] – البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٥ ، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٩٦، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٧٨، ابن الوردي: تتمة المختصر، ص٢٠٢.

[6] – الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٤٧-١٤٨ ، الأزدي: تاريخ الموصل ، ص ٢٤٣ .

والسبب الذي دفع الخليفة المهدي إلى عزل عبد الصمد، حسب ما ذكرته المصادر، هو أن المهدي عندما توجه بالجيش نحو الموصل وسار باتجاه الجزيرة، كان من المعروض على الوالي عبد الصمد تخصيص أماكن لراحة الخليفة وقواده، لكنه لم يبد اهتماماً بالخليفة حيث لم يلقه، ولم يصلح الطرقات لمرور الخليفة وجيشه، وبهذا فهو لم يحترم الخليفة ويقدره، وبعد أن وصل المهدي إلى الجزيرة أحس عبد الصمد بخطئه، وحاول أن يعتذر منه ويسترضيه، فأرسل له الهدايا، لكن الخليفة لم يقبلها، فشعر عبد الصمد بخطورة ما قام به تجاه الخليفة، وأنّ جهوده التي بذلها لإرضائه لن تأتي ثمارها، وبالفعل ما إن وصل المهدي إلى حصن مسلمة[1] حتّى دعا عبد الصمد، وكلّمه كلاماً قاسياً، ثم أمر بحبسه وعزله عن الجزيرة[2].

ولم يكن ما أورده المؤرخون من أن الإهمال وحده هو السبب في العزل مقبولاً، وربما تكون الأسباب سياسية، أو شخصية، وربما خاف المهدي من إحكام عبد الصمد سيطرته على الجزيرة أو غيرها، أو أن خلافاً كبيراً كان بينهما لكنه تفجر في هذه الحادثة، وكان سبباً لعزله. كما أنه ردّ إلى أولاد مسلمة بن عبد الملك أموالاً كان قد أعطاها مسلمة لمحمد بن علي[3].

---

[1] - حصن مسلمة وهو بالناعورة من أعمال حلب، فقد نزل مسلمة بن عبد الملك بن مروان بالناعورة من بقرة بني أسيد، وبنى بها قصر بالحجر الصلب الأسود، وقام مسلمة ببناء قرى ومزارع في تلك المنطقة لإعمارها، وبقي أولاد مسلمة متواجدين في تلك الناحية إلى أيام بني العباس ويرهم الرشيد عند وصوله إلى هذا الحصن، ابن العديم: بغية الطلب، ج1، ج1، ص530-531.

[2] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص 147-148، الأزدي: تاريخ الموصل، ص 243.

[3] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص 144، ابن الأثير: الكامل، ج6، ص 60، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج1، ص61.

واستغل الخليفة وجوده في حلب في أثناء متابعته للحملة، وأرسل إلى عبد الجبار محتسب حلب يطلب منه ملاحقة الزنادقة[1] الموجودين في تلك المناطق وجمعهم، وبالفعل تمكن من عبد

---

[1] - الزندقة: لم يهدأ تيار الزندقة في صدر الإسلام بل كان يعبر عن نفسه، بين آونة وأخرى، على ألسنة الشعراء فالحنين إلى شرب الخمر والتمني بما، الحيرة من قضية المعاد وفناء الإنسان، التبرّم من الفروض المعينة والتوق لأيام الحريّة الخوالي في الجاهلية، كان يتردد صداها في ثنايا القصائد التي كتبت في صدر الإسلام، ثم تعزز هذا التيار بدخول العناصر الأخرى، ذات الخلفيات الثقافية المختلفة، في الإسلام التي رأت في الترسيخ الثقافيّ خير وسيلة لإعلان تمردها على أسيادهم العرب ليتبلور هذا التيار، في العصر العباسي، إلى تنظيم فكري رصين يحاور ويناقش ويؤلف الكتب لدحض النبوة وتسفيه الشرائع ونقد القرآن حتى اضطرّ الخليفة المهدي، ثالث الخلفاء العباسيين، بعد استفحال أمرهم إلى إنشاء ديوان اسماه ديوان الزنادقة لمطاردتهم وتعقبهم ، فأمر بالقبض على كل الزنادقة الموجودين داخل البلاد ،فقبضوا على كل من استطاعوا القبض عليه وأتوا به إلى الخليفة ،فأمر بقتل بعضهم وتمزيق كتبهم وكان يقبض على الزنادقة لأقل شبهة،،وبدا مفهوم "الزندقة" بداية ملتبسة في تعريفات المؤرخين ،فمنهم من يخلط الزنادقة بالدهرية الذين يقولون بقِدَم الدهر وأبدية المادة والكون ،ومنهم من يعرفهم بالثنوية،أي أهل النور والظلمة،ويقصر البعض تعريفهم على أنهم من أتباع ماني وقال الخليفة المهدي عن هذه الطائفة ((إنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها إلى تحريم اللحم وعدم مس الماء الطهور ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأمهات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لينقذوهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور فارفع عنها الخشب وجرد فيها السيف))، الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج8،148، العش (يوسف): تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دمشق، دار الفكر، 1996م،ص52-53 ،كرد علي . الإدارة في عز العرب،ص136،كاهن تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص74، الدوري. تاريخ العرب والإسلام، ص312، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية،ص183،حمه (حسن) ديوان الزنادقة،بغداد،منشورات الجمل،2007م،27-28،وقال ابن منظور في تعريف الزنديق" هو" القائل ببقاء الدهر وهو بالفارسية زند كراي،يقول بدوام بقاء الدهر، والزندقة الضيق وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق،وليس في كلام العرب زنديق وإنما تقول العرب رَنْدَق وزَنْدقي إذا كان شديد البخل،فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا: مُلْحِد ودهري"، ابن منظور: لسان العرب، مادة زندق، ج2، ص52.

الجبار من جمع أعداد كثيرة منهم أرسلهم للمهدي، وهو موجود بدابق فأمر بقتلهم وتقطيع كتبهم[1].

ومن هنا يستدل على أن المهدي عمل وبشكل كبير على حماية حدوده الخارجية، والتخطيط للدفاع عن هذه الحدود بحملة تبرز قوته، وقوة ولده هارون للجميع، كما أنه أراد أن يبين للإمبراطور البيزنطي بأنه مستعد ومتأهب باستمرار لحماية أراضي الدولة الإسلامية، كما أن المهدي أظهر ومن خلال الأعمال الداخلية التي قام بها في أثناء هذه الحملة بأنه متابع وبشكل كبير لشؤون دولته الداخلية.

بعد أن نجح هارون في حملته هذه، ولاه المهدي المغرب[2] وأذربيجان، وأرمينية، مكافأة لنجاحه، وأيضاً ليتزود بخبرة أكثر[3].

أما عن تسليم هارون قيادة حملة كبيرة مثل هذه، فهذا يدفع للاستغراب، فليس من المكن من شاب لم يتجاوز عمره سبعة عشر عاماً أن يتسلم قيادة حملة بهذا العدد من الجنود والعدة والعتاد، ولكن القارئ يستشف بأن قيادة هارون لهذه الحملة لم تكن قيادة فعلية مئة

---

[1]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ١٤٨، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٠٠، ابن الأثير الكامل،ج٦ ، ص ٦٠، مؤلف مجهول: العيون والحدائق،ص٢٧٩، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص١٩٧.

[2] المغرب: يعني المغرب الأقصى وقد استقل عن الدولة العباسية حيث شكلت فيه دولة الأدارسة، والمقصود هنا إقليم افريقية وهو يتألف من تونس والجزائر وبعض ليبيا فقد سمح الرشيد بأن تقوم فيه دولة بني الأغلب، النقش: تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص٧٩.

[3]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ١٤٨ ، ابن الأثير:الكامل ،ج٦، ص ٦١.

بالمئة، بن بن المهدي قد أرسل معه أكبر قادته وأهمهم على الإطلاق، وطلب من مربيه الخاص أن يتولى شؤون عسكره وجيشه، لذلك فإن هارون كان محاطاً بثلة من القادة من ذوي الخبرة والكفاءة والحنكة السياسية والعسكرية، لذلك لم يخف المهدي حين أرسله قائداً لهذه الحملة، كما أن المهدي لم يسلم هذه الحملة لولده موسى الهادي وهو أكبر سناً من أخيه هارون، فلماذا ميز الرشيد بين الأخوين ولم يسند الحملة لولده الأكبر سناً، وخليفته الفعلي، يبدو أن الخليفة المهدي وجد في ولده هارون القوة والشجاعة والصفات القيادية التي تخوله لهذه المهام في الأمور العسكرية أكثر من أخيه موسى.

ويلاحظ في هذه الحملة تركيز الخلفاء على حضور أهل خراسان في حملاتهم بشكل دائم، فما السبب الذي دفعهم لذلك؟

لم يكن وجود الخراسانيين في هذه الحملة فقط، بل كانوا يشتركون بغالبية الحملات، إذ كان للفرس دور كبير في قيام الدولة العباسية، واستمر شعلهم لهذا الدور في عصر الخلفاء العباسيين، وكان يتزايد بشكل ملحوظ لدرجة أن العنصر العربي، كقائد للحملات العسكرية، بدأ يقلّ كما سيلاحظ لاحقاً، ويظهر بدلاً عنه العنصر الفارسي، كقائد للحملات، وكعنصر رئيس في صفوف الجنود، خاصة وأن الجنود الفرس كانوا يتقاضون أجوراً أقلّ من أجور الجنود العرب، لهذا كان الخلفاء يفضلون وجودهم في حملاتهم.

وهكذا أكدت هذه الحملة أن المسلمين ما زالوا أقوياء وأنهم على مقدرة لردّ أي هجوم بيزنطي، فقد أعطى المهدي دفعاً للمسلمين في الجهاد ضد البيزنطيين وجعلهم يشعرون بقوتهم أمام العدو البيزنطي.

في هذه الظروف توفي الإمبراطور ليو الرابع في عام ١٦٤هـ /٧٨٠م، واستلم العرش ابنه الصغير قسطنطين السادس، وكان صغيراً جداً، فقد كان في العاشرة من عمره، لذلك تسلمت أمه إيرين العرش كوصية عن ابنها[1].

وبعد استلام إيرين الحكم قامت ضدها حركات تمرد داخلية من قبل أقرباء زوجها والقيصر نقفور، لكنها استطاعت أن تحبط هذه الحركات، ولهذا لم تأمن لقادة زوجها السابقين، وبها قامت بتعيين أحد أقاربها، وكان يدعى حون ساكيلاريوس ليتسلم القوات البيزنطية المرابطة على الحدود الإسلامية البيزنطية .

كما أن الإمبراطورة إيرين قد عانت من مقاومة كبيرة من الجند والرهبان اللأيقونيين عندما أحسوا أن الإمبراطورة بدأت بحركة واسعة لتعيد سياسة الدولة الدينية المتقدمة الأيقونية، وهذا أثار حفيظة الجنود، لذلك أمرت إيرين بنقل الجند اللا أيقونيين إلى آسيا الصغرى بدعوة الحاجة إليهم، لقتال المسلمين وأحضرت إلى العاصمة الجند الأيقونيين الموالين لها من تراقيا[2].

وعلى الرغم من انشغال الإمبراطورة بالأمور الداخلية، إلا أنها لم تتخل عن الجبهة الإسلامية، بل قامت بإعادة تنظيم القوات والقواعد على الحدود مع المسلمين، تحسباً لأيّ هجوم من العباسيين، وبدأت أول مواجهة في عهدها حين أرسل الخليفة المهدي القائد عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب على رأس صائفة في عام ١٦٤هـ /٧٨٠م، والذي خرج من

---

[1]- السرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢، ص ٤٢٤ ؛ بيتر: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٩٧ ؛ لاجر موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥ ؛ الترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي بعج٢، ج١، ص ٩٧٧.

[2]- لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥-٤٨٦ ؛ العريني: الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ؛ عبد الله العلاقات السياسية، ص ٢٠٦ .

درب الحدث متجهاً نحو الأراضي البيزنطية، ولكن تصدى له جيش بيزنطي بقيادة ميخائيل بن لاخانودراكون البطريق[1] في مواجهة شمال ممر درب الحدث، وكان عدد الجيش البيزنطي ما يقارب تسعين ألف مقاتل، وكان معهم البطريق طاراد الأرمني، لكن عبد الكبير خشي من حجم الجيش البيزنطي، ومن قوة قائده ميخائيل، القائد البيزنطي المحنك الخبير بالحروب، لذلك فضّل الانسحاب بمن معه من الجنود على القتل والسبي من دون أية مواجهة بين الطرفين، وقد غضب الخليفة المهدي غضباً شديداً من طريقة الانسحاب المخزية هذه، وكاد أن يقتل عبد الكبير، إلا أنه تراجع عن قراره بعد أن شفع له عدد من المقربين من الخليفة وأمر بحبس عبد الكبير في سجن للعباسيين كان يطلق عليه (المطبق).[2]

ويلاحظ هنا تضخيم جيش الأعداء بشكل دائم ومستمر لدى المؤرخين العرب، فما هو السبب الذي يجعل المؤرخين العرب، والكتاب العرب المسلمين يضخمون دائماً جيوش الأعداء؟.

لم تكن هناك معركة من المعارك أو مواجهة من المواجهات البرية والبحرية إلا وقد قدّرت أعداد جيش العدو بأضعاف الجيش العربي الإسلامي، فمن المرجح أن هذا كان مرتبطاً بإثارة العواطف والمشاعر لدى الجيوش العربية الإسلامية من أجل حثهم على الجهاد والقتال، أو

---

[1] - البطريق. البطريق بلغة أهل الشام والروم هو القائد بوجهه بطارقة وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم وهو الرجل النبيل والشريف، وهو ذو منصب متقدم عندهم،والبطريق هو العظيم من الروم، ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص٣٣٦.

[2] ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٨ ،الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ١٥٠، الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٥٤ ، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٩٦، ابن الأثير: الكامل،ج٦ ، ص ٦٣، ابن شداد،الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢ ، ص ٢٣٢ ،الحنبلي : شذرات الذهب،ج١، ص ٢٥٨.

لإبراز ما أحرزته تلك الجيوش القليلة العدد من البطولات أمام تلك الجيوش الجـ رارة، وكا ـت هذه العادة مألوفة لديهم بشكل دائم، أو ربّما لتسويغ انسحاب أو هزيمة الجنود المسلمين أم ـام هذه الأعداد الهائلة من الجيوش البيزنطية كي لا تموت العزية في صفوفهم .

ومن مراجعة الحملة السابقة، و تبيان أن المهدي قرر أن يقتل القائد عبد الكبير، لما فعله من انسحاب أمام الجيوش البيزنطية، يجب أن تراجع هذه النقطة باهتمام.

فهل يعقل أن يأمر الخليفة المهدي بقتل عبد الكبير، لمجرد انسحابه مـ ن أمـ ـام جيـ ـوش ميخائيل؟.

والذي يدعى للاستغراب هو أنه يوجد العديد من الحوادث التي سبقت هذه الحمـ ـة، والتي قرر قادتها عدم المواجهة مع البيزنطيين، وفضلوا الانسحاب على المخاطرة بحيـ ـاة الجـ ـود المسلمين الذين معهم أمثال صالح بن علي والعباس بن محمد، ولم يقم أي من الخلفاء بأيّ سلوك ضدهم، بل إن بعض القادة لم يقدروا الأعداد الهائلة للبيزنطيين، وقرروا المخاطرة بحيـ ـاة الجـ ـود المسلمين القلائل، كما حدث مع ثمامة بن الوليد الذي خسر حياة الكثيرين ممن معه، بسبب عدم تقديره بشكل صحيح لتحديات الحملات الاستطلاعية، فإن كان عبد الكبير قد تراجع وبنيّـ ـه أن يحمي الجنود المسلمين من خطر الموت المحتم عليهم مراعياً ضخامة جيش العدو وقدرته علـ ـى الفتك بهم، فهو لا يستحق مثل هذا العقاب ألا وهو القتل، وإن كان المهدي قد رغب في قتلـ ـه على فرض فعلته هذه، فهو ربما أراد أن يبين للطرفين (المسلم والبيزنطي) عقوبة من يتهاون عـ ـن فكرة الجهاد الإسلامي، والأرجح أن المهدي كان قد انزعج من عبد الكبير لشعوره بأنه تخـ ـاذل عن الجهاد ووقوفه مكتوف الأيدي ضد أعداء الإسلام.

بعد هذه الصائفة قرر المهدي إرسال ابنه هارون أيضاً على رأس حملة ضد البيزنطيين في العام التالي، ففي عام ١٦٥هـ ./ ٧٨٢م، جهز المهدي جيشاً كبيراً مكوناً من خمسة وتسعين ألفاً وسبعمئة وثلاثة وتسعين مقاتلاً من بلاد الشام والجزيرة والعراق وخراسان، توجه هارون وكان معه عدد كبير من القادة العرب والفرس، الذين اشتهروا بشجاعتهم وقوتهم وحكمتهم، أمثال يزيد بن مزيد الشيباني، والربيع بن يونس ويحيى البرمكي، وقام هؤلاء بقيادة الجيوش مع هارون وتنظيم أموره، واستطاع هارون وهو في طريقه نحو البيزنطيين أن يفتح عدة حصون للروم، أهمها حصن ماجدة، وقد وقف في وجه هارون في البداية الكونت نيكيتاس نقيطا (قومس القوامسة)، واشتد القتال بين الطرفين وقام يزيد بن مزيد الشيباني[1] بمبارزة نقيطا واستطاع الكونت نقيطا أن يسقط يزيد عن فرسه وأن يصيبه لكن يزيد تمكن من أن يصيبه إصابات بالغة وهاجم عسكر الكونت نقيطا.

بعد انهزام جيوش نقيطا تابع هارون ومن معه طريقهم باتجاه هدفهم الرئيس، وهو العاصمة البيزنطية القسطنطينية من دون أن يفطن البيزنطيون لهدف هذه الحملة، فقد توجه هارون إلى نقمودية وكان المسؤول عنها الدمستق[2] صاحب المسالح[3] في المنطقة، وعندما علم

---

[1] – يزيد بن مزيد الشيباني.هو يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك توفي ببردعة وكان من القادة المقربين للرشيد، ابن الكلبي: جمهرة النسب،ج٢، ص٢٢٨.

[2] – الدمستق. الضابط العسكري في مناطق الثيمات المسؤول عن الحكومة المركزية ، ويطلق لقب الدمستق على رئيس حرس القصر في بعض الأحيان، رنسمان: الحضارة البيزنطيه، ص٩٩، بيتر الإمبراطورية البيزنطية، ص١٧٤.

[3] مسالح مسلح و المسلحة موضع السلاح وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة و المحافظة، وموضع القوم المسلحون في ثغر أو مخفر للمحافظة والجمع مسالح وأخذت معنى القوات المرابطة المسندة للقوات الأساسية الموجودة في الثغور أو على الحدود،المعجم الوسيط،ص٤٥٨.

بقدوم هارون نحوه أرسل إليه مباشرة الأموال، ليحمي نفسه وبلدته، فقد أرسل إليه مئة وأربعة وتسعين ألف دينار وأربعمئة وخمسين من العين[1] ومن الورق[2] أربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم[3].

وكان قبل أن يصل هارون إلى هذه المناطق قد عمل على حماية ظهر الجيش بأن أرسل من الربيع بن يونس إلى ماكوليا[4] لحصارها، لكن الربيع هزم ولم يتمكن من إتمام هذا الحصار أو تحقيق النصر على أهله، إلا أنّ يحيى البرمكي حقق ما لم يستطع الربيع تحقيقه، فقد تمكن من مهاجمة ثيم تراقيسيان والتغلب على قائده من خلال معركة قوية دارت بين الطرفين في منطقة تسمى داريو واستطاع يحيى أن يقتل أعداداً هائلة من البيزنطيين[5].

بعد كل هذه الأحداث فطن البيزنطيون إلى الهدف الرئيس لهذه الحملة وهو العاصمة البيزنطية القسطنطينية، لذلك عملت الإمبراطورة إيرين على تدارك هذا الموقف بسرعة، وأرسلت الفرق العسكرية الخاصة بحماية العاصمة، وكان يطلق عليها(التجماتا الإمبراطورية) في محاولة

---

1 – العين:الذهب، المعجم الوسيط، ص٦٣١٠.

2 – الورق:الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة،المعجم الوسيط،ص١٠٦٨.

3 – الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ١٥٢ ، الأزدي:تاريخ الموصل ، ص ٢٤٦ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢ ، ص ٢٣٥ ،ابن الأثير،الكامل،ج٦ ، ص ٦٦ مؤلف مجهول العيون والحدائق ، ص ٢٧٨، الحميدي (عبد العزيز بن عبد الله). التاريخ الإسلامي مواقف وعبر في جهاد المسلمين مع الروم،جدة،دار الدعوة،دار الأندلس الخضراء، د.ت، ص ٧١ .

4 – ماكوليا: لم أجد لها تعريف في المصادر التي تمت العودة إليها.

5 – السرياني تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢ ، ص ٤٢٤ ، عبد الله :العلاقات السياسيه، ص ٢١٦ ،هنالك مبالغه في عدد القتلى البيزنطيين فالبعض يقول عشرة آلاف والبعض يذكر ثلاثين ألف، وهي أعداد لا شك من وجود بعض المبالغة في ذكر أرقامها الحقيقية.

لوقف هذا التوغل الإسلامي المباشر نحو العاصمة، واستطاع القائد انطوبيو الدومستيقي من السيطرة على المنطقة الجبلية الواقعة شرق بيقوميديا في محاولة منه لحماية العاصمة[1].

وهنا تابع هارون طريقه ووصل إلى وادي نهر سانجاريوس المطل على البحر الأسود، ولكنه تفاجأ بقدوم انطوبيو مع قواته في محاولة لقطع الطريق عليه للتقدم، وحاول هارون التخلص من هذا الحصار، لكنه تفاجأ بأن البيزنطيين قد أرسلوا قوات أخرى لمحاصرته من الخلف، وهكذا كان موقف هارون حرجاً وهو محاصر من الطرفين وموجود بين الجبل والبحر لا يستطيع الحراك[2].

بعد هذه الحادثة تذكر أغلب المصادر العربية بأن الإمبراطورة إيرين قد طلبت الصلح من هارون، ووافقت على شروطه وإعطائه الفدية[3].

بينما المصادر البيزنطية تذكر أحداثاً لم تذكرها المصادر العربية، وهي خيانة القائد البيزنطي تاتزاتيس، قائد الثيم البوكلاري، الذي تمكن من أن يرسم خطة للمسلمين استطاعوا من خلالها قلب خسارتهم إلى انتصار، فقد استطاع هارون من أن يكسب تاتزاتيس إلى صفه، والذي أشار عليهم بطلب التفاوض مع البيزنطيين، وتمكن تاتزاتيس من أن يقنع القائدين انطوبيو وبيتر مستاوراكيوس بقبول التفاوض مع هارون، وتوجه هؤلاء القادة إلى معسكر هارون، وهنا تمّ

---

[1] – عبد الله: العلاقات السياسية ، ص ٢١٧ .

[2] – الطبري. تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ١٥٣ ، ابن الأثير:الكامل،ج٦ ، ص ٦٦ ، ابن شداد الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢، ص ٢٣٧ ، السرياني :تاريخ ميخائيل الكبير،ج٢، ص ٤٢٤ ، يشير المؤرخون إلى أن هارون قد وصل إلى خليج البحر الذي على القسطنطينية والمقصود هنا هو البحر الأسود.

[3] – ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٣٨، الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص١٥٣، الأزدي.تاريخ الموصل ، ص ٢٤٦ ، ابن الأثير:الكامل،ج٦ ، ص ٦٦ ،ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ٢٣٧ ، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٩ ، ابن كثير:البداية والنهاية،ج١٠ ، ص ١٤٧ .

بإلقاء القبض عليهم، وحدثت الفوضى في الجيش البيزنطي، وسار هارون إلى أن وصل إلى أبواب القسطنطينية، لذلك خافت إيرين، وأرسلت تطلب الصلح[1].

وفي كلتا الحالتين طلبت إيرين الصلح من هارون، و عُقدت معاهدة بين الطرفين في عام ١٦٦هـ ./٧٨٢م، نصت على عدة شروط :

١- عقد معاهدة صلح بين القوتين المتحاربتين لثلاث سنوات .

٢- تدفع الإمبراطورة إيرين جزية سنوية للعباسيين ، تسددها على دفعتين في شهري نيسان وحزيران من كل عام ومقدارها بين سبعين ألفاً وتسعين ألفاً من الدنانير .

٣- يتم تبادل الأسرى بين كلا الطرفين .

٤- تلتزم بيزنطة بفتح الأسواق للتجار العرب في رحلة العودة وتقوم بإمداد جيش هارون بالأدلاء في طريق العودة .

٥- يسمح للجيش بالرجوع بكل غنائمه من دون اعتراض أو مقاومة [2] .

---

[1]- عبد الله: العلاقات السياسية ، ص٢٢٠- ٢٢١ – ٢٢٢ ، يذكر الطبري بأنه " دخل مدخلاً صعباً "، تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ١٥٢ .

[2]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ، ص١٥٢، ابن الأثير الكامل،ج٦ ، ص٦٦ ،ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ٢٣٦-٢٣٧، ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ ./١٢٠٠م): المنتظم ي تاريخ الملوك والأمم،ت،محمد عبد القادر عطا،مصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح، نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٢م ، ج٨ ، ص ٢٧٧ ،ابن كثير. البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٤٧، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٩، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص١٩٧، ربيع. دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٢٦ ، الشريفي (إبراهيم) التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً منذ لعهد النبوي حتى العصر الحاضر، القاهرة،ط٢، ١٩٧١م، ص١١٩، سيديو تاريخ العرب، ص ١٨٧ جلوب (جون باجوت): إمبراطورية العرب، ترجمة،خيري حماد،بيروت،دار الكتاب العربي، د.ت، ص٥٣٢ ،بيوض(حسين): الرسائل السياسية في العصر العباسي ، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٦م، ص١٢٥، حسن: التاريخ الإسلامي العام،ص٤١٨، حتي، تاريخ العرب، ج٢، ص٣٧٢، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ، ص ٥١٨ .

لدى مراجعة هذه الحملة يتبين بعض النقاط :

أولاً– هل يعقل أن يرسل المهدي حملة بهذه الأعداد الضخمة ويعطي قيادتها لحدث عمره تسعة عشر عاماً؟

ربما أقدم المهدي على هذه الخطوة من أجل تدريب القوات على طاعته وتجهيزه، ليكون خليفة من بعده، مثلما فعل معاوية مع ابنه يزيد عندما أرسله للقسطنطينية.

ثانياً– أطلق بعض المؤرخين على هذه الحملة اسم صائفة، و الأصح بأن يطلق عليها حملة كبيرة لا صائفة. فهذه الأعداد الهائلة من الجنود والعدة والعتاد التي كان مجهزاً لها والتي كان هدفها الرئيس لها الاستيلاء على القسطنطينية نفسها لا يمكن أن توصف إلا بالحملة ولا سيما أنها كانت تختلف عن الصوائف والغزوات التي قام بها المسلمون قبل ذلك.

ثالثاً– ذكر بعض من المؤرخين السريان والبيزنطيين بأن إيرين قد اندفعت لتوقيع الصلح، وهم يرون بأنّ اندفاعها عائد إلى ضعف النساء، وبأن المسلمين في البداية هم من طلبوا الصلح، وذلك بسبب التضييق الذي حدث لهارون وجيشه، والحصار الذي فرض عليه، و لكن ما قدموه كان ضعيفاً لأن التاريخ حافل بالنساء اللواتي حكمن، ويشهد التاريخ لهن بالقوة والحكمة، كالزباء ورتوبيا وغيرهن.

فمما يلاحظ من مجريات هذه الحملة بأن المسلمين كانوا قد ساروا وفق خطة مدروسة، فقد اتبع هارون خطة محكمة للهجوم، إذ استولى في البداية على حصن ماجدة، وهو مركز مهم لتموين الجند بالقمح والحبوب، ومن ثم سار للاستيلاء على مركز تموين الجيش بالسلاح، وحصن السماح الذي كانوا يتوقعونه مستغلين ما تمرّ به الدولة البيزنطية من سوء الأحوال

الداخلية، إلا أن هارون قد وقع في هذا الموقف الصعب واستطاع التخلص منه بحنكته، ولكن

بالمقابل كان وضع إيرين لا يسمح لها بالتفاوض من موقع قوة، لذلك جاءت الشروط مجحفة

بحقهم، واستطاع هارون أن يعرض ما يريده عليها، ولا يعود السبب كما ذكر لضعفها كونها

امرأة، ولكن وضعها هذا كان بسبب عجزها عن تسيير أمور دولتها، وهي لم تجد من يقف معها

إضافة إلى محاولتها تبديل سياسة الدولة الدينية، و بالطبع هجمات البلغار، والسلاف كل هذا

كان قد أدى دوراً أسهم في قيام هذه المعاهدة ذات الشروط القوية.

كما أن إيرين قد وجدت بأن الأعداد المتزايدة من البيزنطيين القتلى والأسرى سوف

تزداد أضعاف ذلك إن لم توافق على شروط هارون، فيذكر بأن نتيجة هذه الحملة كانت أربعة

وخمسين ألفاً من القتلى، وخمسة آلاف وستمئة وأربعة وأربعين من الأسرى، وقُتل من الأسرى

صبراً[1] ألفان وتسعون أسيراً[2].

كان لهذه الحملة نتائج إيجابية، فقد كانت أول مرة في العصر العباسي يستطيع فيها

المسلمون من الوصول إلى مشارف العاصمة البيزنطية القسطنطينية، كما أن غنائم المسلمين

كانت كبيرة، فقد ملك المسلمون من الدواب عشرين ألف رأس ذبح من البقر والغنم مئة ألف

---

[1] قتل صبراً: حبسه حتى مات، المعجم الوسيط، ص٥٢٥.

[2] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٥٣؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٦٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٤١.

رأس، ونتيجة لذلك فقد بيع البرذون[1] بدرهم، والبغل بأقل من عشرة دراهم، والدرع بأقل من

من درهم، وعشرون سيفاً بدرهم، وكانت المطوعة[2] غير أهل الأسواق مئة ألف[3].

تظهر هنا المبالغة الكبيرة في ذكر هذه الأعداد الهائلة من القتلى والأسرى والغنائم، ولكن

كانت هذه عادة المؤرخين المسلمين بشكل دائم وهي تضخيم مثل هذه الأحداث.

ونظراً لأهمية هذا النصر العظيم فقد أنشده الشعراء ونظموا له القصائد وقد ذكر الشاعر

مروان بن أبي حفصة[4] هذا الانتصار بقصائده ومن أبياته:

---

[1] - البرذون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، من الفصيلة الخيلية،عظيم الخلقة غليظ الأعضاء قوي الأرجل عظيم الحوافر ،الجمع منه براذين،المعجم الوسيط،ص٥٠.

[2] - المطوعة:المتطوع وفي التنزيل العزيز"الذين يلمزون المطوعين" أي من يتطوعون للجهاد ونحوه ويقال هم المُطوعة،المعجم الوسيط،ص٥٩١.والمطوعة هم الخارجون عن الديوان،من الذين يلبون النفير لدى ندب الله تعالى إليه بقوله:"انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" القرآن الكريم: التوبة،٤١،وهؤلاء يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ثم يسرحون في وقت السلم ليزاولو مهنهم الأصلية سواء أكانت زراعة أم تجارة أم غير ذلك.هندي(إحسان): الجيش العربي في عصر الفتوحات ، دمشق،د.م،١٩٧٣م،ص١٢.

[3] - الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ١٥٣ ، البلخي: البدء والتاريخ،ص٩٦، ابن الأثير الكامل،ج٦ ، ص ٦٧، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص٢٣٧-٢٣٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٠ ، ص ١٤٧..

[4] - مروان بن أبي حفصة: ويكنى أبا السِّمْط مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، وهو مولى مروان ابن الحكم وأصله يهودي أسلم على يد عثمان بن عفان، وكان مروان بن الحكم قد أعتق أباه ، ابن قتيبه الشعر والشعراء، ج٢،ص٧٦٣.

أطف ـتْ بقسـ ـطنطينيةَ الـ ـروم مسـ ـنداً

إليها القنا حتَّى اكتسـ ـى الـ ـذلَّ سـ ـورُها

وما رمْتـ ـها حتَّى أتتـ ـك مُلوكُها ـ ـا

بجزيتهـ ـا والحـ ـربُ تغـ ـلي قـ ـدُورُهـ ـا.[1]

عاد هارون مكللاً بالنجاح والانتصار في عام ١٦٦هـ /٧٨٢م، ومكافأة له لقّبه والده بالرشيد، وأسماه من بعد أخيه الهادي في ولاية العرش[2].

وقد استمرت الهدنة التي عقدت بين الطرفين العباسي والبيزنطي ما يقارب عامين مـ ـذ عام ١٦٦هـ /٧٨٢م حتى عام١٦٨هـ /٧٨٤م، وعمل المهدي خلال هذه الهدنة على تحصين الثغور وترميم ما تهدم من حصون المسلمين خلال هذه الحملات المتواصلة بين الطرفين، كمـ ـا عمل على ترميم الحصون والقلاع في مدن الثغور وشحنها بالجنود، فقد تم ترميم مدينة المصيصة ومسجدها وما تهدم فيها من الحصون، وأسكن فيها الجنود، كما قام ببناء قصـ ـر أذ ـة علـ ـى سيحان[3]، وأتم هارون بناء حصن منصور و زوّده بالرجال[4].

---

[1] – الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٥٣ ،الأزدي: تاريخ الموصل ، ص ٢٤٦ ، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ، ص١٤٧ .

[2] – الأزدي :تاريخ الموصل، ص ٢٤٧ ،مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٩ .

[3] – سيحان نهر كبير يخرج سيحان من بلاد الروم حتى يمر تحت قلعة سمندو ويمر على بلاد الأرمن ويمتد على تلك البلاد حتى ينتهي إلى أدنة، وهو من شرقيها،ثم يمتد منها فيصب في البحر الشامي،ابن العديم :بغية الطلب،ج١ ،ص٢٧٩.

[4] البلاذري :فتوح البلدان، ص ١٩٦-١٧٢ – ابن العديم:بغية الطلب، ج١ ، ص ١٦٩-١٧٠-١٥٩-٢٤٩، الحميري:الروض المعطار ، ص٢٠٣ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢، ص ١٨٣ .

لم يحافظ البيزنطيون على هذه الهدنة، وقاموا بنقضها في عام ١٦٨هـ ./٧٨٤م، فوجه إليهم والي الجزيرة وقنسرين علي بن سليمان القائد يزيد بن البدر بن البطال، الذي استطاع أن يهاجم الروم، ويأخذ معه عدداً من الأسرى والغنائم[1].

بعد أن نقض البيزنطيون معاهدة الصلح التي تمت بين الطرفين، عاد البيزنطيون وهاجموا مدينة الحدث في عام ١٦٩هـ ./٧٨٥م، فهدموا سورها واجتاحوا المدينة بأكملها وهدموا بيوتها ومزارعها، وأرعب هذا الهجوم سكان المدينة و واليها، فتركوا المدينة طالبين النجاة ، وربما كان هدف البيزنطيين من وراء ذلك استغلال انشغال المسلمين بوفاة المهدي وتولي ابنه موسى الهادي عرش الخلافة، حيث كانت الخلافة العباسية تعاني من آثار وفاة المهدي في العام نفسه، إلا أن موسى الهادي خليفة المهدي لم ينشغل عن هذا الهجوم، بل سيّر صائفة بقيادة معيوف بن يحيى[2] الذي خرج بجيشه من درب الراهب[3]، وعبر دابق ودخل الحدث، فوصلت أخبار هذا القائد إلى البيزنطيين، وكانت سمعته تسبقه أينما توجه، فكان لتكرار صوائفه، وما ينجم عنها أثر سيء في نفوس البيزنطيين بوقع الرهبة والخوف فيهم، لذلك انصرف البيزنطيون تاركين مدينة الحدث،

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ، ص ١٩٧ ،الأزدي :تاريخ الموصل، ص ٢٥٢ ، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص ٧٨ ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص ٢٣٩ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ، ص ١٥١ ، دحلان: الفتوحات الإسلامية،ص١٩٧.

[2] – معيوف بن يحيى: هو معيوف بن يحيى بن معتوق من أهل اليمن، كان من القادة الشجعان في العصر العباسي ، ولي إمرة دمشق أيام الخليفة المأمون، الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ج١،ص٢٦٦-٢٦٧.

[3] – درب الراهب: لم أجد لها تعريف في المصادر التي تمت العودة إليها.

وهكذا تمكن معيوف من دخول المدينة واستولى على ما تركه البيزنطيون من عدة وعتاد أثناء تراجعهم السريع، وتمكن من أن يسبي عدداً من البيزنطيين ويستولي على غنائم منهم[1].

ولحماية مدينة الحدث من الهجمات البيزنطية المتكررة عليها، قام سليمان بن علي وابي الخريرة بنقل ألفي رجل من ملطية و كيسوم و سميساط إلى الحدث، ليقوموا بمساعدة أهلها والمرابطين في هذه المدينة للدفاع عنها[2].

لم تستمر حياة الهادي طويلاً، فقد توفي في عام ١٧٠هـ /٧٨٦م، وتولى بعده أخوه هارون الرشيد.

ومّا سبق يمكن القول إن زمن الخليفة المهدي كان مليئاً وحافلاً بالأحداث المهمة على صعيد العلاقات بين الطرفين العربي الإسلامي والبيزنطي، فقد استطاع المهدي بحكمته وقوته العسكرية أن يحقق نصراً على البيزنطيين، كما استطاع المهدي وقواده الشجعان والأقوياء من إلحاق الخسائر الجسيمة بالبيزنطيين من الأموال والعتاد، وقد تميز عهد المهدي بأن العرب المسلمين في هذا العهد استطاعوا أن يصلوا إلى أبواب القسطنطينية وأن يدخلوا الرعب في قلوب

---

[1]- البلاذري فتوح البلدان ، ص ١٩٤ ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٥ ،الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص ١٧١، ابن الأثير. الكامل ،ج٦، ص٦٩، ابن شداد. الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢، ص٢٣٩،٢٤٠، ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص٢٤٠-٢٤١،ابن كثير:البداية والنهاية، ج١٠ ، ص ١٥٠، بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص ٢٤٤، النويري: نهاية الأرب،ج٢٢، ص ١١٨-١١٩-١٢١،السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢ ، ص٤٢٤ .

[2]- البلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٩٤ – ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص ١٧٤ ، ابن العديم. بغية الطلب، ج١، ص ٢٤٠.

البيزنطيين، فقد أظهروا لهم بأن العرب المسلمين قادرون على حماية حدودهم، واختراق دولتهم وعاصمتها.

وقد ظهرت في عهد المهدي قوة الموالي وسيطرتهم الكاملة على الشؤون العسكرية من خلال وجودهم في مواقع كبيرة وفعالة في الحملات العسكرية.

كما أن ولد المهدي هارون الرشيد بدأ بالظهور كقائد قوي يمتلك الحنكة السياسية والمقدرة العسكرية على تسيير الأمور.

ويلاحظ في هذه المدة التركيز من قبل البيزنطيين على مهاجمة الثغور الشامية في البداية، وذلك ليشيروا الفوضى في الخطوط الدفاعية للمسلمين.

وهكذا انتهى عهد المهدي، والعرب في حالة انتصار على البيزنطيين.

الفصل الثالث

العلاقات العباسية البيزنطية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد إلى زمن الخليفة هارون الواثق بالله ١٧٠-٢٣٢هـ /٧٨٦-٨٤٧م.

أولاً: العلاقات السياسية والعسكرية زمن الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ /٧٨٦-٨٠٩م.

ثانيا:العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة عبد الله المأمون ١٩٨-٢١٨هـ /٨١٣- ٨٣٣م.

ثالثاً: العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة المعتصم بالله ٢١٨هـ / ٨٣٣م.

رابعاً: العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيزنطي ١٣٢-٢٣٢هـ /٧٥٠-٨٤٧م.

أولاً- الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين العباسي والبيزنطي في العصر العباسي الأول .

ثانياً- فداء الأسرى بين العباسيين والبيزنطيين :

١- معنى الأسير والسبي لغة واصطلاحاً.

٢- معاملة الأسرى في الأسر.

٣- أنواع الأسرى وكيفية الفداء.

أولاً- العلاقات السياسية والعسكرية زمن الخليفة هارون الرشيد١٧٠-١٩٣هـ /٧٨٦- ٨٠٩م :

اتسمت العلاقات العباسية البيزنطية في عهد الخلفاء العباسيين الأربعة الأوائل بالصعود و الهبوط في حدتها، ما بين حرب وهدنة، قوة و تراخي، و انقضت هذه السنوات والغلبة في بدايتها كانت للكفة البيزنطية، ولكن سرعان ما رجحت الكفة العربية الإسلامية، وحاول الخلفاء السابقون أن يجيشوا ما استطاعوا من مال و عدة للجهاد في سبيل الله، وهكذا مضت هذه الحقبة.

ولكن ثمة منحىً جديداً اتسم بالقوة، وبات يسود الخلافة العباسية مع ارتقاء الخليفة العباسي هارون الرشيد عرش الخلافة الإسلامية، فالخليفة الجديد ركز و بشكل قويّ على استمرار النشاط العسكري العربي الإسلامي على الجبهة البيزنطية، فهارون الرشيد كان قبل أن يتولى عرش الخلافة قد حقق رصيداً كبيراً له من خلال انتصاراته المتتالية على البيزنطيين في عهد والده الخليفة المهدي، و بعد أن تسلم الخلافة استمر على ذات الوتيرة بل أكثر من هجماته على بيزنطة، فقد كانت الحملات العسكرية تنطلق سنوياً، إما بقيادة الخليفة هارون الرشيد، أو أحد قواده الأكفياء، و لكثرتها اختلط الأمر على بعض المؤرخين في تحديد قادة هذه الصوائف، ولعل اختلاط الأمر على بعض المؤرخين ليس إلا دليلاً واضحاً على تكثيف هارون لهجماته المتتالية على بيزنطة، فقد كان هارون الرشيد قد نظم غزواته مع الحج فكان يحج عاماً و يغزو عاماً، وكان يعتمر قلنسوة كتب عليها غازٍ حاج.

و قد قال أبو المعالي الكلابي في ذلك:

فَمَنْ يطّلبْ لقاءَكَ أو يردْهُ　　　فبالحرمين، أو أقصى الثغور

و أيضاً قال داود بن رزين الواسطي في ذلك:

إمامٌ بذاتِ اللهِ أصبحَ شغلُهُ　　　وأكثرُ ما يُعنى به الغزو و الحَجّ[1]

ويبدو أن هارون الرشيد كان في ذهنه أن ينظم الأوضاع في المدن الحدودية المواجهة للدولة البيزنطية، لذلك فما إن اعتلى عرش الخلافة حتى استهل عهده بتنظيم مدن الثغور، فقد عمل على تغيير نظام الثغور بشكل يضمن فيه حمايتها واستقلالها وحريتها الذاتية، فكما اهتم من سبقه من الخلفاء مثل أبيه المهدي وجده المنصور بتشييد الحصون والقلاع والرباطات، اهتم كذلك هارون الرشيد بها، وعمل على تزويدها بالحاميات، وذلك نظراً لأهمية الطرق والمعارك التي تسيطر عليها هذه القلاع والحصون، بالإضافة إلى أنها ممرات تستخدم في حركة القوات

---

[1] - بن طيفور(أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ /٨٩١م): تاريخ بغداد، طبعة ليبزغ،١٩٠٨م، ج١٤،ص٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ٢٣٤، الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ /٩٤٣م): الوزراء والكتاب ،تح، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدة الحميد شلبي،القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،١٩٣٨م، ص٢٠٦، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ /١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء تح،محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر،١٩٧٥م، ص٢٨٣-٢٩٤، مجموعة مؤلفين: الرقة درة الفرات، ص١٠٢، ماجد: العصر العباسي، ص٢٨٣.

البيزنطية، لذلك أعطاها الرشيد أهمية خاصة، وقام بتنظيمها وتخصيص الأموال لها وأعطاها إدارة مباشرة، وقد استهل عهده بإنشاء العواصم في عام ١٧٠هـ /٧٨٦م[1].

وجعل لمنطقة الحدود الإسلامية البيزنطية نظامين منفصلين متصلين:

النظام الأمامي: ويضم ثغور الجزيرة والشام وقد خصصت للمواجهة المباشرة مع المعاقل البيزنطية.

النظام الثاني: وهو النظام الخلفي ويضم منطقة واسعة وعدداً من المدن و الحصون الجنوبية ويوجد خلف ثغور النظام الأمامي، وهذه المدن والحصون تسمى العواصم وكانت تمتد من أنطاكية إلى الفرات، كانت هذه المدن تتبع لقنسرين، لذلك قام الرشيد بفصلها عن قنسرين وجعل لها نظاماً خاصاً، وكانت تضم (منبج، دلوك، بالس، رصافة هشام، رعبان، قورس، أنطاكية، تيزين)[2].

وسبب تسميتها بهذا الاسم أي "العواصم"، فهو من معناها و هي الحصون الموانع، فقد كانت تعصم الثغور والحدود من هجمات الأعداء البيزنطيين، وأيضاً للتمييز بينها وبين الثغور الملاصقة للحدود الإسلامية البيزنطية، وأوكل إلى هذه المدن إمداد مدن الثغور بما يلزمها من مؤن وعتاد

---

[1] -البلاذري: فتوح البلدان، ص١٦٧،الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨،ص٢٣٤،ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٠٨، بن شداد: الأعلاق الخطيرة ،ج١،ق٢، ص ٢٢٤،ابن العديم بغية الطلب، ج١،ص٢٥٩،الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك،ص١١٠، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٣،ص٢٣٨، عبد الله علاقات السبيسية، ص٢١٨.

[2] - بن الفقيه الهمداني. مختصر كتاب البلدان، ص١١١، الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٢٣٤ ، ابن الأثير الكامل، ج٦، ص٩٩، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٥٩، ابن شداد الأعلاق الخطيرة ،ج١،ق٢، ص٢٤١، الحموي. معجم البلدان، ج٤،ص١٦٥ ١٦٦، الترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي، ص١٠٦، رمعت (محمد)،حسونة (محمد أحمد): معالم تاريخ العصور الوسطى، القاهرة،المطبعة الأميرية، ١٩٣٥م، ص٦٠-٦١، رستم: الروم، ص٢٩٦.

وعده في أثناء الحروب، وكذلك قيام أهلها في أحيان عدة بالمشاركة في الهجوم على البيزنطيين[1].

كذلك كان المسلمون أيضاً إذا خرجوا من الثغور يعتصمون بها من هجمات الأعداء البيزنطيين، وتم اتخاذ منبج عاصمة للعواصم، ثم أنطاكية، و قد تمتعت باستقلال إداري وذاتي كبيرين، ونظراً لاهتمام الرشيد الشديد بهذه المدن فقد أوكل ولايتها لأهل بيته، و للمقربين منه و ذلك للاهتمام بها وضمان حمايتها واستقلالها، فقد ولّى الرشيد ابنه القاسم الثغور، وجعله أميراً عليها، و بعد ذلك ولّاها لعبد الملك بن صالح ابن عم الخليفة السفاح و الخليفة المنصور[2].

وعمل الرشيد على تزويد مدن الثغور، و العواصم بالمرابطين، و عمل أيضاً على منحهم العطايا، لتشجيعهم على البقاء، وتوجد بعض الإحصائيات عن أعداد المرابطين في هذه المدن فيما يخص الجزيرة، فقد كان يوجد أربعة آلاف مرابط في ملطية وستة آلاف مرابط في الحدث[3].

وهكذا، يلاحظ بأن الخليفة هارون الرشيد منذ العام الأول لتسلمه الخلافة أحدث هذا التغيير في نظام الثغور، وبعد ذلك تفرغ لبناء ما تهدم من مدن الثغور على يد الأعداء البيزنطيين، ومما يثير الاستغراب هنا بأن هارون الرشيد كان يعمل بكل ما يستطيع من قوة لتحسين النظام الحدودي

---

[1] - ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، ص١١١، الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص١٦٥-١٦٦، عبد الله. العلاقات السياسية ص ٢٤٣.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٧٦، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٨٨، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٨٦-١٠٨-١٧٨، زكار: التاريخ العباسي والأندلسي ص٧٢، الترمانيني : أحداث التاريخ الإسلامي، مج١، ص١٠١٧، ماجد: العصر العباسي، ص٢٨٤.

[3] - شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية، ص٢٨

الحامي لدولته من دون أن يتعرض لأي منغصات من قبل بيزنطة، وهذا الشيء يثير الاستغراب، فقد كانت العادة في العالمين الإسلامي والبيزنطي استغلال فرصة وفاة أي خليفة أو إمبراطور، وتسلم خليفة أو إمبراطور جديد وذلك للقيام بالهجمات والحملات المتبادلة، لأنها تكون فترة عدم استقرار، لكن الإمبراطورة إيرين لم تنتبه لما يدور في العالم الإسلامي و إنما كانت توجه جلّ جهودها واهتماماتها للتحضير لمجمع نيقية [1] الذي انعقد في ١٧٠هـ ./ ٧٨٦م أول مرة، لكنه أخفق، ومن ثم انعقد في العام التالي ١٧١هـ ./٧٨٧م، و تخلى عن تحريم عبادة الأيقونات، وأمر بعبادة الصور[2].

لذلك فالإمبراطورة إيرين كانت تولي الاهتمام الأكبر لسياستها الدينية الداخلية، وتحقيق أهدافها في إعادة تبجيل وعبادة الصور والأيقونات أكثر من اهتمامها بالسياسة الخارجية، وهذا أعطى الفرصة للخليفة الجديد هارون الرشيد بأن ينظم أمور دولته الخارجية، فبعد أن نظم الثغور

- مجمع نيقية: عقد المجمع أول مرة في ٣١ يوليو ٧٨٦م في كنيسة الرسل في القسطنطينية، ولكن مجموعة من جنود الحرس هاجموا الكنيسة و عطلوا جلسات المجمع و أجبروا الرهبان ورجال الدين على إخلاء الكنيسة ونقض الاجتماع لذلك عملت إيرين على استبدال هؤلاء الجنود العصاة لسياستها بمجموعة أخرى تدين بالولاء لها و لمعتقداتها وبدأت تحضر لعقد مجمع آخر و بالفعل عقد في عام ٧٨٧م في مدينة نيقية و حضره عدد كبير من رجال الدين و أقر المجمع قضية تبجيل الأيقونات وعبادة الصور وبطلان قرارات المجمع اللا أيقوني الذي عقد في عام ٧٥٤م وربط هذا المجمع فكرة عبادة الأيقونات بفكرة الخلاص التي يمثلها المسيح وبأن المقصود من تبجيل الأيقونات هو احترام وتبجيل الذين صورت لهم و ليست عبادة لهم وبأن العبادة تجب لله وحده دون غيره

ربيع: مدونة ليبرمطبة، ص١٢٤، العريني: الدولة البيزنطية،ص١٩٦-١٩٧.

[2] لابجر: موسوعة تاريخ العالم،ص٤٨٥-٤٨٦، ربيع: الدولة البيزنطية،ص١٢٣-١٢٤

والعواصم عمل على إعادة بناء و ترميم ما خرّب من مدن الثغور، كالحدث وطرسوس وزبطرة، فمدينة الحدث كان الروم قد هجموا عليها في خلافة موسى الهادي ١٦٩هـ ./٧٨٥م ، وعمل الهادي على إعادة تحصين المدينة وبنائها، و لكن بناء المدينة لم يكن محكماً كما يجب، لذلك عندما تولى الخليفة هارون الرشيد الحكم عام ١٧٠هـ ./٧٨٦م ، أمر ببناء المدينة، وتحصينها بشكل جيد يضمن فيه حمايتها، وإسكانها بمن يستطيع حمايتها والدفاع عنها، وقد كلف الرشيد محمد بن إبراهيم بهذا العمل، وعمل محمد بتكليف من الرشيد على إعادة إعمار الحدث وتنظيمها كما عمل على إسكانها وإقطاع الجنود فيها عدد من الأراضي والمساكن، للتشجيع على البقاء فيها[1].

وهنا يذكر المؤرخون السريان رواية عن بناء مدينة الحدث، لم تذكر قط من قبل المصادر العربية التي تمت العودة إليها في هذا البحث، وهي أن الخليفة هارون الرشيد لدى تهدم مدينة الحدث بفعل الأحوال الجوية كالأمطار و الرياح، والتي لم يستطع بناء المدينة غير المحكم من مقاومتها، ومن ثم العودة إليها من قبل الروم وتحطيم سورها وتخريبها، لذلك أمر الرشيد عبد الملك بن صالح بالتوجه نحو كنيسة كيسوم الكبرى، وأمر بهدمها وهدم خمسة عشر هيكلاً وعدد من الكنائس الواقعة غربي سنجار، وتم نقل حجارة هذه الكنائس على ما يقارب ألفي عجلة إلى

[1] – البلاذري : فتوح البلدان، ص١٩٥، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٤٠، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٩٣، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢ ،ص ١٥٨، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص٩٠

مدينة الحدث، و تم تجديد بنائها[1]، و المرجح بأن المقصود بعبد الملك هو عبد الملك بن صالح و بما أنه لم يتم ذكر هذه الحادثة في المصادر العربية ، وذكرت فقط في المصادر السريانية، لذلك يجب أخذها بعين الحذر والحيطة ، والحادثة هنا تأخذ احتمالين.

الاحتمال الأول: و هو من غير الممكن أن يكون الخليفة هارون الرشيد والذي عرف بحكمته أن يقوم بمثل هذا العمل، وهو هدم عدد من الكنائس المسيحية، واستخدام حجارتها للبناء، وبالتالي فإنه سيحدث شرخاً كبيراً بين أبناء شعبه، و يؤذي مشاعر المسيحيين في بلدان الخلافة الإسلامية خصوصاً وأن مثل هذا العمل لم يكن له أي مسوغ ذكر مسبقاً.

الاحتمال الثاني: وهو بأن يكون الرشيد بالفعل قد أمر بهدم هذه الكنائس والهياكل، ربما لأسباب مجهولة قد يكون الرشيد قد سمع أشياء ترعجه عن المسيحيين في تلك المنطقة مثلاً مساعدة الجيوش البيزنطية والانحياز إليها ضد الجيوش العربية الإسلامية، فأراد أن يرهبهم بهذه الحركة، و لم تذكرها المصادر العربية الإسلامية، لكي لا تسيء للخليفة الجديد.

وتبقى هذه الافتراضات قابلة للتغير لحين ظهور مصادر أخرى تؤكد مثل هذه الحادثة أو تنفيها.

كذلك أولى الرشيد عنايته واهتمامه بمدن الثغور الأخرى، فلم يهمل أي مدينة كانت بحاجة إلى حماية، ويذكر بأن الرشيد كانت قد وصلت إليه أخبارٌ بأن الروم البيزنطيين يعملون على خطة للهجوم على طرسوس، والاستيلاء عليها ووضع حاميات بيزنطية داخلها، لذلك أمر في عام ١٧١هـ /٧٨٧م بعمارة طرسوس،و إعادة بنائها، و تجديد المقاتلين فيها، وإرسال أعداد إضافية

---

[1]- السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ص٤٣٢، ابن العبري: تاريخ الزمان ص١٣، الرهاوي: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٤٨.

لحمايتها، وبالفعل قام أبو سليم فرج الخادم بإعادة بناء المدينة والمسجد وعمل على تحصينها بشكل جيد، وأرسل أبو سليم فرج الخادم مجموعتين من السكان ليستوطنوا في طرسوس مع زيادة في عطائهم، الأولى من خراسان حوالي ثلاثة آلاف رجل، والمجموعة الثانية وكانت ألفي رجل، ألف من المصيصة، وألف من أهل أنطاكية، وكانت الزيادة عشرة دنانير لكل رجل، وانتهى أبو سليم فرج الخادم من بناء طرسوس في عام ١٧٢هـ ./٧٨٨م[1].

يلاحظ بأن هناك خلافاً بين المؤرخين حول العام الذي بنيت فيه طرسوس فالبعض يذكر بأنها بنيت في العام ١٧٠هـ ./٧٨٦م[2]، والبعض الآخر يذكر بأنها بنيت في عام ١٧١هـ ./٧٨٧م[3].

والأرجح بأن بناء طرسوس كان في عام ١٧١هـ ./٧٨٧م ، والانتهاء منه كان في عام ١٧٢هـ ./٧٨٨م، و ذلك لأنه من غير الممكن أن يكون الخليفة هارون الرشيد قد استطاع في هذا العام وهو توليه للخلافة ١٧١هـ ./٧٨٦م، أن يقوم بأكثر من عمل مثل إنشاء العواصم، وتنظيم الثغور، وإعادة بناء الحدث، لذلك فمن المرجح أن يكون الرشيد قد أعطى تعليماته منذ توليه للاهتمام بالخط الحدودي الإسلامي البيزنطي.وهنا تجدر الإشارة إلى أن بناء هذه المدن م

---

[1] – البلاذري . فتوح البلدان، ص ١٧٤، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٢٣٤، ابن خياط . تاريخ خليفة بن خياط ص٤٤٨، ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص١١٣، ابن الأثير الكامل، ج٦ ص ١٠٨ ابن العديم : بغية الطلب، ج١، ص ١٧٨،.

[2] – ابن الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٢٣٤، ابن الأثير:الكامل، ج٦ ص ١٠٩.

[3] –البلاذري:فتوح البلدان، ص١٧٤، ابن خياط:تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٨.ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص١١٣، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٧٨.

يكن بناءً كاملاً أي بناء مدينة بأبنيتها وطرقاتها بشكل كامل، ولكن كان البناء بشكل جزئي، كإعادة بناء الأسوار والأبراج والأبنية المهدمة بإضافة بعض الأبنية الجديدة.

لقد تم ذكر فداء بين الروم و المسلمين في عام ١٧٠هـ ./٧٨٦م، من قبل مصدر وحيد، حيث ذكر هذا المصدر "قدمت الروم للفداء" و لم يتم ذكر أي تفاصيل عن هذا الفداء من قبل أي مصدر من المصادر التي تمت العودة إليها في هذا البحث[1]، لذلك يجب أخذ موضوع هذا الفداء بشيء من الحذر، فبما أن المصادر المعاصرة لتلك الفترة لم يرد فيها ذكر هذا الفداء، فمن الممكن ألا يكون قد حصل، وربما أرسلت الملكة إيرين تعرض الفداء على الرشيد، بغية حصولها على فترة من الهدوء خاصة وأنها كانت منشغلة بأمورها الداخلية المضطربة.

وهكذا لم تضعف همة المسلمين في الجهاد ضد البيزنطيين إذ تم توجيه الصوائف بشكل مستمر، وفي عام ١٧٠هـ ./٧٨٦م، توجه سليمان بن عبد الله على رأس صائفة، واستطاع أن يسبي أعداداً كبيرة من الروم البيزنطيين، وأن يحصل على الغنائم [2].

ذكر ابن خياط بأن هذه الصائفة كانت في عام ١٧١هـ ./٧٨٧م، و ذكر اسم قائدها . . . سليمان بن عبد الله الأصم.[3]

---

[1] - بن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٨.

[2] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٤٨، الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢٣٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٠٨، السرياني :تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٢ ص٤٣٢، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص٢٤٠.

[3] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٤٨.

أما ميخائيل السرياني فقد ذكر بأن قائد هذه الصائفة كان اسمه "ملشوف" والأرجح بأن هذه الصائفة ربما كانت في أواخر عام ١٧٠هـ ./٧٨٦م و بداية عام ١٧١هـ ./٧٨٧م.[1]

ونتيجة لضعف ردود البيزنطيين على هذه الصائفة، فقد زاد الرشيد من وتيرة الصراع، وأرسل صائفة أخرى بقيادة إسحاق بن سليمان بن علي في عام ١٧٢هـ ./٧٨٨م واستطاع إسحاق أن يحصل على عدد من الغنائم[2].

هناك خلاف بين المؤرخين حول اسم قائد هذه الصائفة فالمؤرخ خليفة بن خياط يذكر بأن من قاد هذه الصائفة هو زفر بن عاصم الهلالي الذي بدوره أرسل ابنه عبد العزيز ، و توجه من نهر جيحان نحو بلاد الروم لكن الشتاء حل و أثر برده الشديد على هذه الصائفة ، لذلك عاد عبد العزيز من دون تحقيق نتائج تذكر لهذه الصائفة.[3]

أما اليعقوبي فيذكر بأن قائد هذه الصائفة هو العباس بن محمد بن إبراهيم.[4] إن هذا الاختلاف حول أسماء قادة هذه الصوائف خلال هذين العامين يدل على عدم وجود دقة تامة واتفاق بين المؤرخين حول هذه الأحداث.

بعد أن تم توجيه إسحاق بن سليمان على رأس هذه الصائفة، قام إسحاق بإرسال قائده يزيد بن عنبسة الحرشي، الذي تمكن من أن يصل إلى ثيم الأناصول، وحدث لقاء بين الطرفين،

---

[1] - سرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٢،ص٤٣٢

[2] - ابن الأثير الكامل، ج٦ ص ١١٨ ، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١ ، ق٢ ،ص٢٤١، ابن كثير البداية والنهاية، ج١٠ ، ص١٦٢.

[3] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،٤٤٨.

[4] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص١٦١.

العربي المسلم و البيزنطي ، ومع أن الجيش البيزنطي كان يضم أشهر القادة العسكريين، كالقائد ديجينس، الذي كان مشهوداً له بقوته و حكمته العسكرية، إلا أن الجيش الإسلامي استطاع أن يهزم القوات البيزنطية و أن يقتل القائد ديجينس[1] وعاد بأعداد هائلة من السبايا و الغنائم[2]

واستمر الوضع على هذه الحال على الجبهة الإسلامية البيزنطية بإرسال الصوائف بقيادة الفرسان المسلمين، ففي عام ١٧٤هـ ./٧٩٠م قام القائد عبد الملك بن صالح بغزو صائفة ذلك العام، و لم تحدد المصادر وجهة هذه الصائفة، و استطاع أن يحصل على بعض الغنائم من هذه الصائفة[3] .

ذكر بعض المؤرخين بأن في هذا العام ١٧٤هـ ./٧٩٠م لم تكن هناك صائفة بالمعنى الحقيقي الذي يتوجه فيه عدد من المقاتلين نحو الروم البيزنطيين لغزوهم، و إنما كانت عبارة عن مناورة بسيطة من قبل عبد الملك بن صالح و الذي بدوره وجه ابنه عبد الرحمن مع مجموعة من الفرسان نحو الجبهة البيزنطية و استطاع عبد الرحمن أن يصل إلى عقبة الركاب (يبدو أنها منطقة على الحدود) وحصل هو وجنوده على عدد من السبايا والخرث.[4]

---

[1] – ديجينس أكريتاس Digenis Akritas. و يطلق عليه بطل الثغور وإليه تعود الملحمة الأدبية التي تمثل بالنسبة للأدب اليوناني بطولة الجنود و الفرسان وحياة المحاربين الأسيويين المدافعين عن بيزنطة ويذكر بأن القائد ديجينس أكريتاس دفن في قبر بالقرب من مدينة سميساط.

[2] – عبد الله :العلاقات السياسية، ص٢٤٧، ربيع:الدولة البيزنطية، ص١٢٧.

[3] –الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٣٩،الأزدي: تاريخ الموصل ،ص٢٧٢ ابن الأثير الكامل، ج٦،ص١٢١، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢،ص٢٤٠.السرياني:تاريخ ميخائيل ،ج٢،ص٤٢٣، بن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤،

[4] – ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٩.

وعلى هذا النحو مرت هذه السنوات من حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد، والانتصارات التي يحققها قواده على الحدود الإسلامية البيزنطية تتوالى من دون أي ردّ يذكر من قبل البيزنطيين، وهذا الأمر يدعو للاستغراب، فأين كانت الإمبراطورة إيرين من كل هذا ؟

لم تكن أوضاع الإمبراطورية في هذه الأونة تسمح لها بالرد على هجمات المسلمين، فقد كانت الأحوال الداخلية في الإمبراطورية مضطربة بشكل كبير، فمشاكل الجيش مع الرهبان كانت على أشدها، وكان قسطنطين ابن الإمبراطورة إيرين قد وصل إلى سن الرشد، وهو لم يستلم بعد منصبه بشكل رسمي، وأمه لا تزال وصية عليه، وكانت هناك حسب ما يذكر علاقة غير شرعية بين الإمبراطورة إيرين والعبدي بطريق صقلية، لذلك فقد أظهر الجيش مقاومة عنيفة ضد سياسة الرهبان المدعومين من قبل إيرين، و أعلن الثورة و نادى بقسطنطين إمبراطوراً مستقلاً، واستطاع الجيش من تسليم قسطنطين السادس عرش الإمبراطورية، و أجبرت الإمبراطورة السابقة إيرين على الانسحاب، والتخلي عن العرش لولدها[1]، وتوجهت إيرين إلى قصر اليثريوس Eleutherius، وقد أبعد مناصروها ستاوراكيوس ومعه أتيوس إلى أرمينية ومما تجدر الإشارة له أن سكان ثيم أرمينية، هم من قاموا بهذه الثورة، لكرههم للإمبراطورة إيرين، بسبب سياستها الدينية والتعسفية تجاههم، ولذلك نادوا بقسطنطين إمبراطوراً، وشاركهم بعد ذلك جنود

---

[1] السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ،ص٤٣٢، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص١٥، الأبجر: موسوعة تاريخ العالم، ص٤٨٦، عمر العباسيون الأوائل، ج٢، ص٢٤٢

الثيمات الأخرى، وحاصر الجيش القصر الإمبراطوري لإيرين، لذلك استسلمت وأعلن قسطنطين السادس إمبراطوراً. [1]

ويلاحظ عودة الاضطراب والاختلاف بين الروايات اليونانية و العربية حول قيادة الحملات ونتائجها، فقد حدث هذا الاختلاف في العام التالي ١٧٥هـ /٧٩١م .

فالمصادر العربية تذكر بأن القائد المحنك عبد الملك بن صالح جهز جنوده لغزو بلاد الروم، و توجه نحو الحدود الإسلامية البيزنطية، وسار الجيش من درب الصفصاف، وتمكن من الوصول إلى منطقة قبدوقية (أقريطية) واحتل حصن ربسة بعد حصار طويل للحصن، وتم تسليمه من قبل أهله بعد أن مات فيه تسعة رجال عطشاً وجوعاً من شدة الحصار المفروض عليهم، ودخل المسلمون إلى الحصن واستطاعوا أسر تسعة عشر ألف شخص، وأخذوا معهم الكثير من الأشياء الثمينة، وعادوا بما معهم من درب الحدث[2].

---

[1] - عبد الله . العلاقات السياسية، ص ٢٥١-٢٥٢.

[2] - بن خياط. تاريخ خليفة بن خياط ص٤٤٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٢٤١، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٧٤ ابن الأثير.الكامل، ج٦ ،ص١٢٢، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير ص٤٣٢، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤،بن شداد: الأعلاق الخطيرة ج١ ق٢ ص٢٤١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٧

ويلاحظ الاختلاف بدايةً حول اسم قائد هذه الصائفة، فالبعض يذكر بأن القائد عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح هو من قاد هذه الحملة في عام ١٧٥هـ ./٧٩١م. [1]

أما البعض الآخر فيذكر بأن قائد هذه الحملة كان عبد الملك بن صالح[2]، و هناك من قال إن الصائفة كانت في عام ١٧٥هـ ./٧٩١م، بقيادة عبد الملك بن صالح الذي توجه إلى أقريطية، ومن ثم يذكر المصدر بأن عبد الملك بعد أن توجه إلى أقريطية أرسل إلى القائد مخلد بن يزيد بن عمر بن هبيرة طالباً منه التوجه نحو حصن ربسة، و محاصرة الحصن إلى أن يوافيه عبد الرحمن بن عبد الملك، و تمكن المسلمون من فتح الحصن في عام ١٧٦هـ ./٧٩٢م، بعد معركة وقعت بين الطرفين، فقد واجهت قوات عبد الرحمن، قوات بيزنطية بقيادة ضابط يدعى تيبازا Tebaza، واستطاع عبد الرحمن هزيمته و بعد استسلامهم أعطى عبد الرحمن الأمان لجنود الحامية البيزنطية وقالدهم. [3]

ويتفق عددٌ من المؤرخين على أن عبد الرحمن بن عبد الملك توجه بالصائفة في العام التالي ١٧٦هـ ./٧٩٢م، واستطاع أن يفتح حصناً من دون أن يتم تحديد اسم هذا الحصن[4].

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤١، ابن الأثير، الكامل، ج٦ ، ص١٢٢، السريني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢، ص٤٣٢، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص١٩٨

[2] – الأزدي: تاريخ الموصل ص٢٧٤.

[3] – ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٧،عبدالله: العلاقات السياسية ص٢٥٦،

[4] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ،ص٢٥٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ،ق٢ ،ص٢٤١.

ويُرجح أن الصائفتين السابقتين متصلتان ببعضهما، و صائفة عام ١٧٦هـ /٧٩٢م كانت تتمة للصائفة الأولى التي انطلقت عام ١٧٥هـ /٧٩١م، بقيادة عبد الملك بن صالح، و الذي جهز وهيأ أعداداً هائلة من الجنود ومن العدة والعتاد من أجل القيام بهذه الصائفة، فقد خرج " بأهل الثغور جميعاً " واستطاع عبد الرحمن من تحقيق هدفه في الوصول إلى أقريطية ويبدو أن عبد الملك عاد إلى مدينة الحدث ، وترك قسماً من الجنود بقيادة القائد مخلد بن يزيد بن عمر بن هبيرة في منطقة أقريطية، وأرسل ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك، ليكمل ما بدأه والده، وتمكن عبد الرحمن من فتح حصن ربسة بعد أن حاصره، ولم يستطع أهالي الحصن مقاومته بعد أن مات عدد من أهالي الحصن جوعاً و عطشاً[1]، كما ذكر أنه في هذه الصائفة تعرض الجنود للمسلمون وهم في طريق عودتهم إلى مدينة الحدث لبرد شديد، ولشدته تقطعت أيديهم و أرجلهم و لم يكن المسلمون معتادين على هذا البرد[2]، وهذا الكلام إن خضع للتحليل غير مقبول علمياً، فلا تتقطع أطراف الإنسان من شدة البرد، ولكن ربما تعرض الجنود المسلمون للبرد و الثلوج، خاصة أن هذه المنطقة معروفة ببرودتها، والجنود المسلمون حسب بيئتهم لم يكونوا معتادين على هذه

---

[1] - فقد ذكر البعض بأنه قد مات تسعة رجال، السرياني :تاريخ ميخائيل الكبير،ج٢ ،ص٤٣٢. و البعض الآخر ذكر بأنه قد مات في الحصن مايقارب أربعمائة رجل عطشاً، ابن العبري:تاريخ الزمان ،ص١٤. والواضح أن ابن العبري أراد أن يضخم عدد من ماتوا في الحصن ليبين أن أهله لم يستسلموا بسهولة إلا بعد أن أصابهم الشح والضيق الشديدين.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٢٤١، ابن الأثير:الكامل ،ج٦ ،ص١٢٢، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢ ، ص٢٤١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ،ص٤٣٢، ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص١٤

البرودة الشديدة، ويبدو أن المؤرخين ذكروا هذا الكلام كنوع من إثارة العواطف مع الجنود ولتوضيح العناء والتعب الشديدين اللذين كان يعاني منه الجنود في تلك المناطق وذلك لإظهار مدى التضحية في سبيل الجهاد .

هذا على الصعيد العسكري و الحربي الإسلامي خلال العامين ١٧٥-١٧٦هـ /٧٩١-٧٩٢م ، وما قام به من هجمات ضد البيزنطيين، أما على الصعيد البيزنطي، فتذكر المصادر اليونانية حملة قام بها الإمبراطور قسطنطين السادس في عام ١٧٥هـ /٧٩١م عندما حكم منفرداً و هذه الحملة لا يوجد لها أي ذكر في المصادر العربية الأصلية ،و تذكر المصادر البيزنطية بأن الإمبراطور قسطنطين السادس جهز جيشاً، و توجه من طريق عمورية واضعاً هدفاً رئيساً لحملته وهو غزو طرسوس، ووصل الإمبراطور بجيشه إلى صحراء ليكونيا، و عند هذه النقطة تختلف الروايات في النهاية، فمنهم من يذكر بأن الإمبراطور استطاع أن يأسر عدداً من العباسيين و عاد إلى بلاده، ومنهم من يذكر بأنه لم يحرز أي شيء يستحق الذكر في حملته ضد العرب، ولم يحقق أي نجاح[١]، و هذا الاحتمال الأخير هو الأرجح، وما يؤيد هذا الاحتمال هو أن الشعب البيزنطي انتفض على الإمبراطور، و ذلك لسمعته السيئة، ولخسائره المتكررة أمام العرب والبلغار على حد السواء. ويبدو أن الإمبراطور قسطنطين السادس لم يكن يتمتع بالكفاءة والمقدرة على تسيير أمور الدولة و مشاكلها الداخلية و الخارجية معاً، و استطاعت والدته إيرين إقناعه بالإفراج عنها وعن مستشاريها، وأعلن قسطنطين السادس لشعبه بأن أمه شريكة له في الحكم، وطلب من جميع المدن والثيمات بالهتاف له ولأمه وبالطاعة لهما، وأعاد إليها لقب الملكة، وأعلن هذا الخبر في جميع أنحاء

---

[١]- لايحز: موسوعة تاريخ العالم ص٤٨٦، عبد الله: العلاقات السياسية ص ٢٥٢-٢٥٣.

الإمبراطورية، ووافق عليه الجميع باستثناء ثيم أرمينية، فقد رفضوا المناداة بها كمملكة، واستطاعت يرين إقناع الإمبراطور قسطنطين من أن يعرض أقصى العقوبات بأهالي الثيم[1] .

وفي صيف عام ١٧٦هـ ./٧٩٢م توجه الإمبراطور قسطنطين السادس لمحاربة البلغار، و لكنه هزم هزيمة قاسية عند حصن ماركيلاي Marcellae على الحدود البلغارية، ولم تنته الهزيمة هكذا، بل هرب الإمبراطور قسطنطين السادس تاركاً جيشه و قادته عرضة للأسر، و بالفعل أسر البلغار كبار قادة الجيش البيزنطي، و أجبرت الإمبراطورية البيزنطية على دفع الجزية للبلغار، وكان هذا مهيناً و مذلاً للبيزنطيين خاصة و أن إمبراطورهم السابق قسطنطين الخامس كان قد دوخ البلغار بحروبه و لم يسمح لهم بالتطاول عليه أو على عرش إمبراطوريته أبداً[2].

وبدأت الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية تسوء مما أدى إلى إهمال الجبهة الخارجية المتصلة بالعرب المسلمين، لذلك فقد عمل المسلمون على استغلال هذه الحقبة بتكرار الهجمات على الحدود الإسلامية البيزنطية وقد تم توجيه غارات متتالية في العام ١٧٧هـ ./٧٩٣م على الجبهة البيزنطية، ففي البداية تم توجيه عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي على رأس الصائفة التي توجهت إلى الحدود و لم يتم ذكر ما حققته هذه الصائفة[3] .

---

[1] - سريابي. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ص٤٣٢، الرهاوي المجهول تاريخ الرهاوي المجهول، ج٢، ص١٥، ابن العبري. تاريخ الزمان ص ١٤، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦، بيتر الإمبراطورية البيزنطية، ص٥٨.

[2] - لانجر موسوعة تاريخ العالم، ص٤٨٦، ربيع:دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٧-١٢٨، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ٣٥٤.

[3] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٢٥٥ ، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص ١٧٨،ابن شداد الأعلاق الخطيرة ،ج١،ق٢، ص٢٤١.

وفي العام نفسه توجه محمد بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وكان عامل عبد الملك بن صالح على سميساط إلى حصن كمخ، ويبدو أن البيزنطيين قد تمكنوا من الاستيلاء عليه وتمكن محمد بن عبد الرحمن من فتح حصن كمخ بمساعدة الأرمن الموجودين في تلك المنطقة، وأسر محمد بن عبد الرحمن قائد القوات البيزنطية الموجودة في المدينة[1]، فلم يستطع الإمبراطور قسطنطين السادس أن يساعد قائد المدينة و تراجع إلى عاصمته مهزوماً.[2]

في هذه العبارة يلاحظ بأن المصادر لم تذكر استيلاء البيزنطيين على حصن كمخ، و ربما تمكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها في غفلة عن العباسيين، لأنه كما ذكر سابقاً فإن السيطرة على المدن الحدودية (الثغور) كانت تتأرجح بين المسلمين و البيزنطيين حسب قوة كل طرف.

فقد ذكر المؤرخون ((إن الروم أغلقوا كمخ))، و هذا يؤكد أن البيزنطيين استولوا على المدينة، وربما كلمة أغلقوا كمخ تدل على أنهم و ضعوا فيها حامية بيزنطية و أغلقوها في وجه المسلمين. و يلاحظ هنا أيضاً مساعدة الأرمن الموجودين في كمخ للمسلمين ضد البيزنطيين، و تحديداً ضد الإمبراطور قسطنطين السادس، ويمكن أن ترجع هذه المساعدة إلى أن الأرمن لم ينسوا ما قام به الإمبراطور قسطنطين السادس من إجراءات تعسفية ضدهم بعد أن رفضوا قبول الإمبراطورة إيرين، إمبراطورة شريكة له في الحكم ، لذلك فالأرمن حلفاء قسطنطين السادس والجيش في ثورته السابقة ضد أمه أصبحوا اليوم أعداءه، فالسياسة تمضي على هذا النحو كلٌ يتبع مصالحه.

---

[1] البلاذري. فتوح البلدان، ص١٨٨ ١٨٩ .*هناك مصادر تذكر بأن عبد الملك أرسل داود بن النعمان في هذه الغارة.اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٤٣١.

[2] - عبد الله: العلاقات السياسية ص ٢٥٨.

ويلاحظ أن هذه الغارة لم يتم ذكرها إلا من قبل مصدر وحيد ، و لم تذكر في المصادر الأخرى

أما الغارة الثالثة التي أرسلت في هذا العام، فقد كانت بقيادة يسار بن سقلاب، إذ قام يسار بمشاركة أهل المصيصة بالتوجه إلى الصفصاف، ووصل إلى الطوانة وفي طريق عودته توجه إلى مرج الشحم، وتمكن من الحصول على عدد من الغنائم و السبايا و عاد من غارته هذه سالماً، و لم يتعرض لأي مقاومة من قبل الجنود البيزنطيين[1]. و هذه الغارة أيضاً لم يتم ذكرها إلا من قبل مصدر وحيد، فالعام ١٧٧هـ ./٧٩٣م شهد ثلاث غارات أرسلت إلى الحدود البيزنطية، وعلى الرغم من أنه جرت العادة أن يتم إرسال صائفة وحيدة، إلا أن هذا العام كان حافلاً بالغارات فقد تمكن القادة المسلمون وجنودهم من تحقيق انتصارات عديدة مستغلين الاضطرابات الداخلية التي كانت تمر بها الإمبراطورية البيزنطية .

يذكر المؤرخ ابن خياط بأنّ هاتين (الشاتية و الصائفة) كانتا في عام ١٧٧هـ ./٧٩٣م[2]، وعلى الأرجح بأن هذه الشاتية لم تكن في هذا العام، و إنما كانت في العام التالي، فمن غير الممكن أن تخرج خمس غارات في عام واحد لأن هذا يكلف خزينة الدولة أموالاً طائلة عدا عن التكلفة المرتفعة للعتاد و العدة التي تحتاجها هذه الغارات و الصوائف، كما أن الجنود لا يمكن أن يكونوا قادرين على تحمل متاعب حملات متتالية في عام واحد، ولهذا فنرجح بأن هذه الشاتية كانت في العام التالي أي ١٧٨هـ ./٧٩٤م ، وإن كانت مثلاً قد تمت جميعها في العام ١٧٧هـ . ٧٩٣م،

[1] ابن خياط. تاريخ خليفة بن خياط ص٤٥٠.

[2] – ابن خياط،تاريخ خليفة بن خياط،ص ٤٥٠.

وربما لأن التكاليف الباهظة كانت تنفق على هذه الغارات من الخزينة كانت تعوض من الغنائم التي أحضرها الجيش الإسلامي من المدن البيزنطية .

ويستمر المسلمون يشنون الهجمات ضد البيزنطيين مثبتين قوتهم و قدرتهم على متابعة الهجوم، ولكن في هذا العام أي ١٧٨هـ /٧٩٤م لم يتوجه المسلمون للقاء البيزنطيين بصائفة، بل أرسل الخليفة هارون الرشيد شاتية على غير العادة فقد اعتاد الجنود المسلمون على الصوائف، وقلما كانوا يحملون الشواتي، وعلى الرغم من هذا فقد توجه سليمان بن راشد الثقفي بجيش كبير يقدر بحوالي أربعين ألف جندي إلى الحدود و معهم ألفيدي بطريق صقلية (الذي كان قد فر إلى بلاد العرب على أثر فضيحته مع الإمبراطورة إيرين)، وعندما توجه ألفيدي إلى المسلمين استطاع الخليفة من أن يستميله و يجيشه ليساعده في غزو صقلية، وهكذا تحالف سليمان مع ألفيدي على أن يساعدهم في احتلال صقلية ومنها إلى المدن الأخرى، فعبر جيش سليمان بن راشد الحدود البيزنطية، وتوغل في آسيا الصغرى، ووصل إلى منطقة تسمى سمسون على البحر الأسود.[1]

وتذكر المصادر العربية توجه الشاتية إلى الحدود، ولكنها لا تذكر التفاصيل التي تتعلق بهذه الشاتية، وهنا تأتي المصادر السريانية لتكمل الأحداث التي تتعلق بهذه الشاتية، وتذكر بأن المسلمين و هم موجودون في منطقة سمسون لم يستطيعوا أن يحرزوا أي تقدم أو انتصار يذكر، بل طالت أيام إقامتهم في هذه المنطقة الباردة، وتعرض الجيش العباسي للبرد الشديد وللثلوج

---

[1] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ص٤٥٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٢٦٠ ، بن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٤٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢، ص٢٤١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج ٢، ص٤٣٢، ابن العبري:تاريخ الزمان ص١٤.

والأمطار، وعانى الجنود من هذه الأوضاع غير العادية بالنسبة لهم، وبدأت الفوضى تعم الصفوف، خاصة وأن الموت بدأ يفتك بهم من شدة البرد، فقد مات منهم ما يقارب أربعة آلاف جندي وهذا عدد لا يستهان به، ولهذا خاف الجنود على أنفسهم و لجؤوا إلى البيزنطيين طالبين منهم العون والمساعدة، وعمل البيزنطيون على مساعدتهم، و لم يمسوا أي جندي بأذى، بل أبدوا معهم روحاً إنسانية، وتعاطفاً كبيراً إلى أن تمكن الجنود المسلمون من تنظيم صفوفهم من جديد، والعودة إلى ديارهم بعد أن كان البرد قد أثّر فيهم بشكل كبير لدرجة أن أرجلهم أصيبت بالتقرحات، وهذه الحادثة يجب أخذها بعين الحذر فهل من الممكن أن يعامل العدو عدوه بروح إنسانية. [1]

لا توجد أي إشارة لهذه الحادثة لا في المصادر العربية ولا اليونانية التي تمت العودة إليها، ولهذا يجب أخذها بعين الحيطة والحذر، وربما قصد المؤرخون السريان ذكرها هنا ليبينوا أن البيزنطيين كانوا يتعاملون بروح إنسانية تدل على سماحتهم ، فهم على الرغم من تعرضهم لهجوم إسلامي، إلا أنهم عندما شاهدوا المعاناة التي يقاسيها الجنود المسلمون لم يحاولوا الرد عليهم واستغلال ضعفهم في هذا الوقت، بل تصرفوا معهم بطيبة.

وهكذا، عادت هذه الشاتية إلى ديار الإسلام، و لم تحقق ما كانت تطمح إليه، وهو احتلال صقلية، بل على العكس تعرضت لخسائر بشرية ومادية هائلة، فأربعة آلاف جندي كانوا قد ماتوا، عدا عن الأمراض التي عانى منها من بقي وما تكبده هؤلاء الجنود من عناء أثّر أيضاً على العتاد، كالخيل والمؤن والسلاح، و هكذا أخفقت هذه الشاتية وعلى الأرجح لم يكن يتوقع قائد

---

[1] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٢ ،ص٤٣٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص١٤.

هذه الشاتية بأن الأحوال الجوية ستكون ضدهم لهذه الدرجة و إلا كان من غير الممكن أن يخرج للغزو، ويعرض نفسه وجنوده لخطر الموت، بل ربما توقع بأن يحققوا هدفهم مستعينين بطريق صقيلية، والعودة إلى الديار الإسلامية قبل أن يحل الشتاء بهذه القسوة.

كانت هذه الشاتية آخر شاتية يخرج فيها المسلمون للغزو، و لهذا نجدهم يفضلون الصوائف على الشواتي لقدرتهم على تحمل الأوضاع الجوية في الصيف أكثر منه في الشتاء، وربما هذه نقطة يجب الانتباه إليها، وهي مدى المعاناة التي كان يتعرض لها الجنود المسلمون في حملاتهم ضد البيزنطيين، وهذه المعاناة والشدائد لم تكن تمنعهم عن مواصلة الجهاد في سبيل الإسلام.

بعد عودة هذه الشاتية أدراجها خائبة أرسل الخليفة هارون الرشيد صائفة في العام نفسه، ربما أراد منها أن تقوم بتعويض ما خلفته الشاتية السابقة من خسائر وكانت هذه الصائفة بقيادة معاوية بن زفر بن عاصم، ولم يتم ذكر الوجهة التي انطلقت نحوها هذه الصائفة أو النتائج التي حققتها[1].

وقيل بأن من قاد هذه الصائفة كان عبد الله بن صالح بن علي [2].

والبعض يذكر بأن القائد كان يزيد بن غزوان من دون تحديد إن كان قد خرج على رأس الصائفة أم الشاتية [3].

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٢٦٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص١٤٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص٢٤١.

[2] – ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٥٠.

[3] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص٤٣١.

وهذا الاختلاف بين المؤرخين حول أسماء القادة المسلمين المتوجهين للجهاد في بلاد الروم البيزنطيين، كان يلاحظ بشكل كبير في كتب المؤرخين ، وهذا ربما يعود لعدم توفر المعلومات الأصلية لدى هؤلاء المؤرخين خاصة وإن كانت الصائفة أو الشاتية على حدّ سواء لم تحقق انتصارات كبيرة.

بعد إخفاق الجنود المسلمين في هاتين الصائفة والشاتية، عمد الخليفة هارون الرشيد إلى إرسال صائفة أخرى في العام التالي ١٧٩هـ /٧٩٥م بقيادة الفضل ابن محمد لتعوض عن الخسارة التي مني بها المسلمون في العام الماضي[١].

واستطاع الفضل من الوصول إلى منطقة أورجوب **Urgub** جنوب الأناضول ، وهنا عمل الإمبراطور قسطنطين السادس على مهاجمة هذه الحملة بحملة مضادة لها، ولم يتمكن من تحقيق النجاح في هجومه هذا ، لكنه استطاع أن يمنع حملة الفضل بن محمد من التوغل أكثر في منطقة الأناضول وأجبره وجنوده على التراجع[٢].

يتبين في هذه الحملة أن المصادر الرئيسة العائدة لهذه الحقبة قد تجاهلتها تماماً، و لم يتم ذكرها إلا من قبل مصدر عربي وحيد، أما المصادر اليونانية فأغلبها كانت قد ذكرت هذه الحملة، والأرجح

---

[١] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٤٣١.

[٢] – عبد الله: العلاقات السياسية، ص ٢٦٠، canard:p707 .

أنه بعد الإخفاقات المتتالية التي مني بها المسلمون لم يجد المؤرخون المسلمون ضرورة في ذكر هذه الحملة العادية التي لم تحقق النتائج المرجوة. [1]

وعلى هذا النحو استمرت الأوضاع بين المسلمين و البيزنطيين، غارات هجومية سريعة لم يكن الهدف منها التوسع المنتظم و السيطرة التامة على المناطق، و إنما يلاحظ بأن الهدف منها كان إثبات وجود المسلمين و أداء فريضة الجهاد، و يلاحظ هذا الشيء من خلال توجه المسلمين نحو بلاد الروم من دون أن يكونوا متبعين خطة دقيقة منظمة لأهداف كبيرة، و هكذا كانت أيضاً صائفة عام ١٨٠ هـ /٧٩٦م حيث توجه معاوية بن زفر بن عاصم على رأس صائفة للغزو، ووصل الجيش إلى مشارف عمورية و استطاع معاوية أن يحقق انتصاراً بغزوته هذه، و يحصل على أعداد لا بأس بها من الغنائم و السبايا و الأسرى من دون أن يسيطر على المدينة. [2]

ويعود الخلاف ليظهر من جديد بين المؤرخين حول اسم قائد الصائفة، فالبعض يذكر بأن قائد الصائفة كان إسماعيل بن القاسم [3]، و ذكر البعض الآخر بأن قائد هذه الصائفة كان محمداً بن

---

[1] - المصادر التي لم تذكر فيها الحملة و التي تمت العودة إليها: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الأزدي، تاريخ الموصل، بن خياط. تاريخ خليفة بن خياط، ابن الأثير: الكامل، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، سيوطي تاريخ الخلفاء، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧.

[2] الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص١٨٠، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص ١٥٢، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص٢٤٢.

[3] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٤٣١.

معاوية بن زفر بن عاصم [1]، وهناك مؤرخون لم يذكروا هذه الصائفة، وتم إغفال ما قام به المسلمون من غزوات ضد البيزنطيين في هذا العام [2].

بعد أن عادت هذه الصائفة عمل الخليفة هارون الرشيد على استغلال هذا الانتصار بتحصين منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية، لذلك فقد أمر ببناء مدينة عين زربة وإعمارها وتحصينها، لتتمكن من صد الهجمات البيزنطية، و لهذا فقد توجه مولاه أبو سليم فرج الخادم ببناء عين زربة، وأعاد بناءها وتحصينها، وأسكن فيها جنوداً من خراسان و مناطق مختلفة، وذلك بإقطاعهم المنازل و الأراضي للسكن فيها و الدفاع عنها. [3]

وفي خضم هذه الأحداث اتخذ الخليفة هارون الرشيد قراراً حاسماً بنقل عاصمة دولته المترامية الأطراف إلى الرقة واستوطن فيها، و ذلك في عام ١٨٠هـ ./٧٩٧م [4].

ومن ثم بنى مدينة الرافقة التي اتصلت بالرقة مع مرور الزمن و أصبحت المدينتان، مدينة واحدة، وهي الرقة عاصمة الخليفة الرشيد، ويبدو أن الأسباب التي دعت الخليفة هارون الرشيد إلى التفكير بالانتقال إلى الرقة كانت كثيرة ومتعددة، منها إعجابه بطبيعتها الخلابة، وهوائها اللطيف،

---

[1] – ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٢.

[2] – ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ،ص٤٥١. أحداث العام ١٨٠هـ ./٧٩٦م

[3] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٥٣، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٦٨.

[4] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٢٦٧، الأزدي: تاريخ الموصل ،ص ٩٠، القشيري، الحراني (أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الحراني ت ٣٣٤هـ ./٩٩٥م): تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله (ص) والتابعين والفقهاء والمحدثين، تح: طاهر النعساني،حماة، مطابع الإصلاح،١٩٥٩م، ص ر، سرياني تاريخ ميخائيل السورياني الكبير، ج٢ ،ص٤٣١، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ص١٤.

ومياهها الوفيرة، وموقعها الاقتصادي والتجاري المهم على طريق القوافل التجارية الذاهبة من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، كل هذه الأمور مجتمعة بالإضافة إلى السبب الأهم من ذلك كله وهو قيمتها الحربية، فقد كانت الرقة منذ أيام اليونان و الرومان موقع تجمع للجيوش، وازدهرت أكثر في العصر العباسي، فقد أدرك الرشيد أهميتها و ضرورة إقامته قريباً من الحدود الإسلامية البيزنطية، ليبقى هو وجنوده على أهبة الاستعداد، لصد غارات البيزنطيين، وحماية دولته، وكذلك يذكر بأن الرشيد بدأ يكره بغداد وجوها الحار، وتسلط البرامكة عليها، وكأنها عاصمة لهم وليست عاصمة للعباسيين [1].

بعد أن انتقل هارون الرشيد للاستقرار في الرقة ، قرر أن يبدأ عامه الأول في استيطانه بالرقة بالتوجه بنفسه لمهاجمة الحدود الإسلامية البيزنطية، فقد استطاع الخليفة هارون الرشيد في عام ١٨١هـ /٧٩٧م احتياز منطقة الثغور، وتمكن من فتح حصن الصفصاف[2] وعاد الرشيد منتصراً، بعد أن تعرض لمقاومة عنيفة من قبل أهالي الحصن، ونظراً لهذا الانتصار فقد أنشده مروان بن أبي حفصة:

---

[1] - بن حوقل صورة الأرض، ص٢٠٣، الاصطخري: مسالك الممالك، ص٧٥، الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٢٦٧، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٤١٥، المقدسي:أحسن التقاسيم، ص١٤١، بن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢ ،ص٦٩ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥،مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٣٠١ ، مجموعة من الباحثين: الرقة درة الفرات، ص١٠٧-١٠٨-٢١٣.

[2] - حصن الصفصاف: في أقصى شمال بوابات قليقية و هي كورة من ثغور المصيصة وملعنها تسمى حصن العيون. عبد الله: العلاقات السياسية ،ص ٢٦٣.

إن أميرَ المؤمنين المصطفى　　قد تركَ الصفصافَ قاعاً صفصفا[1]

كانت هذه الغزوة أول غزوة قام بها الخليفة هارون الرشيد بقيادته منذ تسلمه مقاليد السلطة والحكم، و في أثناء توجه الخليفة هارون الرشيد في غزوته هذه، مرَّ بمدينة الرها والتقى بعدد من الأهالي المسلمين في هذه المدينة، و قدموا للرشيد شكوى بأن أهالي الرها من النصارى يعملون عيوناً للبيزنطيين، وبأن الإمبراطور البيزنطي يصلي في كنيستهم، وطلب المسلمون من الخليفة هارون الرشيد هدم كنيسة الرها، إلا أن الخليفة هارون الرشيد لم يصغ إليهم، وبعد التدقيق في الأمر من قبله، علم بأن هذا الادعاء كاذب، ولا أساس له من الصحة، بل إنه أمر يختلقه الواشين[2].

---

[1] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ،ص٤٣١، الدينوري: الأخبار الطوال،ص٣٩٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٦٨، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٩٠، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٥٨، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١ ، ق٢، ص٢٤٢، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك،ص١٢٦، دحلان: الفتوحات الإسلامية،ص١٩٨، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي ،ص١٤، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢، ص٤٣٣، ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص١٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٨.

[2] السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ،ص٤٣٣، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول ،ص١٤، سيغال (ج.ب) : الرها المدينة المباركة، ترجمة يوسف إبراهيم جبرا، تقديم غريغوريوس يوحنا إبراهيم، حلب، دار الرها،١٩٨٨م ،ص٢٤٧.

وهذه الحادثة ذكرتها المصادر السريانية وأغفلتها المصادر العربية ومن الممكن أن تكون هذه الحادثة قد وقعت بالفعل، و أن المسلمين حاولوا تأليب الخليفة ضد النصارى كنوع من التعصب الإسلامي، خاصة و أنه كان لبعض النصارى سوابق في العمل لصالح البيزنطيين ضد المسلمين[1].

م يكتف الخليفة هارون الرشيد بما حققه في هذه الغزوة من انتصار، بل قام بإرسال صائفة بقيادة عبد الملك بن صالح، الذي جهز جيشاً منظماً تمكن من العبور إلى الحدود البيزنطية والتوغل فيها، وهاجم قبادوقية وغلاطية Galatia و تمكن من الوصول إلى أنقرة وفتح مطمورة[2].

البعض يذكر بأن من توجه لغزو الصائفة في العام ١٨١هـ ./٧٩٧م والي الثغور عبد الرزاق، و لم يذكر إلى أين توجه؟و ماذا حقق في هذه الصائفة؟[3].

ولكن على الأرجح بأن من قام بهذه الصائفة كان عبد الملك بن صالح، و ذلك لاتفاق أغلب المصادر على اسم قائد هذه الصائفة.

وهكذا، عمل الخليفة هارون الرشيد على تكثيف النشاط الإسلامي ضد بيزنطة، مستغلاً خسارة الإمبراطور قسطنطين السادس مرة ثانية أمام البلغار في عام ١٨٠هـ ./٧٩٦م، وكره الشعب

---

[1] - برهـ: تقع عند منبع أحد روافد البليخ وهي من المدن المهمة للنصارى في الجزيرة، اشتهرت بالأديرة والكنائس الكثيرة المنتشرة فيها وذكر بأن فيها أكثر من ثلاثمائة دير وبيعه للنصارى،ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠٤، أبو الفداء: تقويم البلدان ،ص٢٧٧، سيغال: الرها ،ص ٢٤٩.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨،ص٢٦٨،ابن الأثير:الكامل ،ج٦ ،ص ١٥٨، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ،ج١ ،ق٢ ،ص ٢٤٢.

[3] - مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٣٠١.

البيزنطي للإمبراطور الفاشل، وتأزم الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية،حتى وصلت إلى درجة تآمر الإمبراطورة إيرين على ولدها قسطنطين، و قامت بسمل عيني ولدها في عام ١٨٢هـ /٧٩٨م وانفردت بالحكم مرة ثانية [1].

ويذكر أن الإمبراطور قسطنطين السادس استعد لمواجهة جيش الخليفة هارون الرشيد، وكان جيش قسطنطين السادس يتألف من عشرين ألف مقاتل، و استطاع الإمبراطور أن يحقق بعض الانتصارات على الجيش الإسلامي، لكن الخيانة كانت تتسرب في جيش الإمبراطور، فقد خشي ستاوراكيوس (و هو القائد الموالي للإمبراطورة إيرين) من انتصار الإمبراطور على المسلمين وبهذا تزداد شعبيته في بيزنطة، لذلك تآمر ستاوراكيوس مع عدد من القادة و الجنود ،و بدأوا بتضليل الإمبراطور وتزويده بتقارير خاطئة عن قوة المسلمين و عن توجههم، و بعد أن ظن الإمبراطور بأن المسلمين قد انسحبوا من الأراضي البيزنطية عاد الإمبراطور قسطنطين السادس إلى العاصمة، وهنا زاد كره الشعب له بسبب ضعفه وجبنه وشاعت أنه عنه فسقه وفجوره، ولهذا تآمرت الأطراف مجتمعة وتخلصت من الإمبراطور قسطنطين السادس[2].

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٢٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ،ص ١٦١، مؤلف مجهول، العيون و الحدائق، ص٣٠١،السرياني.تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ،ص٤٣٥، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٥، الرهاوي: تاريخ الرهاوي المجهول، ص١٥، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ص٤٨٦، علي (سيد أمير) مختصر تاريخ العرب، ت، عفيف البعلبكي،بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٦١م، ص٢١١.

[2] – مصطفى (شاكر): التاريخ العباسي ، دمشق، مطبعة الجامعة السورية،١٩٥٧م ،ص٢٧٦،علي: مختصر تاريخ العرب، ص٢١٠-٢١١، عبد الله: العلاقات السياسية، ص٢٦٤-٢٦٥.

ويذكر أنه في العام ١٨١هـ ./٧٩٧م حدث فداء بين المسلمين و البيزنطيين، وكان المسؤول عنه القاسم بن الرشيد[1].

وقد أخطأ المصدر حينما ذكر بأن الإمبراطور نقفور هو من عقد الهدنة و هو من أشرف على الفداء [2]، وهذا خطأ، لأن الإمبراطورة إيرين كانت ماتزال على رأس السلطة هي وابنها قسطنطين و في العام التالي استلمت الحكم بمفردها. و البعض الآخر ذكر أن الفداء كان في العام ١٨٩هـ ./٨٠٤م[3]، وهذا من غير الممكن أو المقبول لأن الإمبراطورة إيرين توفيت عام ١٨٦هـ ./٨٠٢م، ومن الممكن أن يكون هذا الفداء قد حدث بالفعل في عهد إيرين والرشيد، وحدث فداء آخر في عهد الرشيد ونقفور.

انتهز الخليفة هارون الرشيد فرصة وجود الإمبراطورة إيرين بمفردها على عرش الإمبراطورية، وتحكم مستشاريها بأمور دولتها أمثال (ستاوراكيوس واكتيوس) و الفوضى التي عمت البلاد بعد سمل عيني الإمبراطور قسطنطين السادس[4]، لذلك فقد سارع الخليفة هارون الرشيد إلى إرسال جيش منظم ومجهز بأفضل التجهيزات بقيادة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح إلى الدولة البيزنطية وكان ذلك في العام ١٨٢هـ ./٧٩٨م، واستطاع عبد الرحمن من الوصول إلى أفسوس [5].

---

[1] – ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٥٩، ابن دحلان: الفتوحات الإسلامية،ص١٩٨.

[2] – ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٥٩.

[3] – الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ،ص ٣١٨.

[4] – لابحر: موسوعة تاريخ العالم، ص٤٨٦.

[5] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٢٦٩، ابن الأثير:الكامل، ج٦ ،ص١٦١، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص٢٤٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢٩٣، ابن العبري:تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٣، ماجد: العصر العباسي الأول ،ص٢٨٩.

والملاحظ أن تحرك المسلمين كان متصلاً مع بعضه منذ العام ١٨٠هـ /٧٩٦م، فعندما توجه الخليفة هارون الرشيد للغزو في عام ١٨٠هـ /٧٩٦م كان يهدف إلى الوصول إلى قلب الإمبراطورية، ويلاحظ هذا الهدف من خلال توجه القادة الذين كانوا معه مثل عبد الملك بن صالح وولده عبد الرحمن وطريقة توغلهم في الأراضي البيزنطية، فالخليفة هارون الرشيد استطاع أن يستولي على حصن الصفصاف، ومن ثم أرسل القائد عبد الملك الذي تمكن من الوصول إلى منطقة ملاحيا في قبادوقيا، واستطاع عبد الملك من الاستيلاء على معدات وخيول تعود لملكية ستاوراكيوس مستشار الإمبراطورة إيرين [1].

أما ولده عبد الرحمن، فقد تمكن من الاستيلاء على معسكر البيزنطيين الموجود في ليديا بعد هزيمة قائده بول Paul، و تابع عبد الرحمن طريقه إلى أفسوس و احتلها [2].

ونظراً لهذه الانتصارات المتتالية و الكثيرة التي حققها المسلمون، فقد أرادت الإمبراطورة إيرين أن تحفظ ماء وجهها كإمبراطورة أمام شعبها، و طلبت الصلح في العام ١٨١هـ /٧٩٧م، فأرسلت سفارتها للقائد عبد الملك بن صالح و لكن رفض طلبها، وبما أن المسلمين وجدوا أنّ الكفة لصالحهم، لذلك تابعوا مسيرتهم بالانتصارات، وطلبت الإمبراطورة إيرين الصلح مرة ثانية لكن الخليفة هارون الرشيد رفض طلبها إلا أن الخزر هددوا الحدود الإسلامية و قاموا بمهاجمة أرمينية

---

[1]- عبد الله: العلاقات السياسية ص٢٧٣.

[2]- عبد الله: العلاقات السياسية ،ص ٢٧٣.

في العام ١٨٣هـ /٧٩٩م[١]، وسفكوا دماء الكثيرين من شعب أرمينية، لذلك كان على هارون التصدي لهذا الهجوم الخزري[٢] ولهذا قبل الخليفة هارون الرشيد طلب الإمبراطورة إيرين للصلح.[٣]

وهكذا عقدت هدنة بين الطرفين العباسي و البيزنطي و تم تبادل الأسرى بينهما، و لم يحدد مقدار الجزية التي فرضت على الإمبراطورة إيرين و التي يجب أن تدفعها للرشيد في كل عام، والأرجح

---

[١] - هناك آراء متعددة عن الخزر ظهورهم من أين قدموا، حياتهم،دياناتهم و طريقة معيشتهم. الخزر: هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ياجوج بن نوح، وهو اسم إقليم من قصبة إتل و إتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس و البلغار والخزر مسلمون ونصارى و منهم عبدة الأوثان و أهل الفرو وهناك يهود. الحموي: معجم البلدان ج٢ ص٣٦٧-٣٦٨ و الخزر إحدى القبائل التي تنتمي إلى الشعب المغولي والتي هاجر سكانها في القرن ١هـ /٦م إلى منطقة القوقاز و استطاعوا تكوين شبه إمبراطورية في تلك المنطقة ولهم عادات و تقاليد تخصهم و يهتمون كثيراً بأمور ملكهم الذي يدعى خاقان و له حاشية تهتم به ويرعى أمور بلاده بنفسه،ابن فضلان(أحمد بن فضلان).رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك و الروس و الصقالبة، تح: شاكر لعيبي، الإمارات العربية المتحدة،دار السويدي ٢٠٠٣م ص٢٩-١١٣-١١٦، و المزيد من التفصيل عن الخزر،دنلوب.تاريخ يهود الخزر، تر: سهيل زكار، بيروت،دار الفكر ١٩٨٧م. أبودلف (مسعر بن المهلهل الخزرجي) رحلة أبي دلف، ترجمة و تعليق بطرس بولغاكوف، أنس خالدوف، موسكو،دار النشر للأدب الشرقية ١٩٦٠م.

[٢] - عن هجوم الخزر (ينظر) الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٢٧٠، ابن الأثير نفس، ج٦، ص١٦٣،الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م)· سير أعلام النبلاء ،تح،شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط٣، ١٩٨٥م ،ج٩ ص٢٩٣،مؤلف مجهول: العيون والحدائق ص٣٠١،عبد المنعم ماجد، ص٢٨٨.

[٣]- الأزدي: تاريخ الموصل ص٢٩٤، دحلان: الفتوح الإسلامية ، ص ١٩٨.

أنها تساوي الجزية السابقة التي دفعتها للخليفة المهدي [1].

وهنا لابد من ذكر عدة نقاط مهمة: إن المصادر الأساسية للمؤرخين الطبري و الأزدي وابن خياط، لا تذكر عقد هدنة بين الطرفين العباسي والبيزنطي، و إنما يذكر البعض منها الفداء الذي حدث في العام ١٨١هـ ./٧٩٨م [2] فقط من دون ذكر أي شيء عن الهدنة، و مدتها، أو مقدار الجزية المدفوعة.

ومن الأحداث السابقة يلاحظ بأن الإمبراطورة إيرين أرادت أن تؤمن حدود دولتها الخارجية مع المسلمين بعد أن خسر جنودها جولات كثيرة أمام المسلمين، و بعد هذه الهدنة توقفت الصوائف إلى عام ١٨٧هـ ./٨٠٣م [3].

فأغلب المصادر لم تذكر قيام الخليفة هارون الرشيد أو أحد قواده بأية صائفة في هذه السنوات ما عدا مصدر وحيد فقد ذكر بأنه في العام ١٨٤هـ ./٨٠٠م وجه عبد الله بن صالح، أحمد بن هارون الشيباني قائداً لصائفة باتجاه الحدود الإسلامية البيزنطية، وقد تمكن القائد أحمد من دخول

---

[1] – المسعودي:التنبيه والأشراف ،ص١٩٥؛ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون، ج٣ ،ص٢٢٥؛النويري:نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٤٨-١٤٩، لابجر: موسوعة تاريخ العالم ،ص٤٨٦، سيديو:تاريخ العرب العام، ص١٨٧؛علي.مختصر تاريخ العرب،ص ٢١١، ماجد: العصر العباسي الأول ،ص٢٨٨، مصطفى :التاريخ العباسي، ج١ ،ص٢٧٧.

[2] – ابن الأثير: الكامل ،ج٦ ،ص ١٥٩.

[3] – ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١،ق٢، ص ٢٤٣.

بلاد الروم، واستطاع أن يسبي عدداً لا بأس به من البيزنطيين، وحصل على الغنائم، وعاد سالماً إلى بلاده [1].

كما أن المصادر السريانية تذكر بأن المسلمين قد هاجموا البيزنطيين لكنهم هزموا أول مرة، ثم عاد المسلمون و هاجموا البيزنطيين، واستطاعوا تحقيق انتصارين متتاليين، من دون أن يحددوا الأماكن التي توجه إليها المسلمون ولم يحدد المصدر الأعوام التي توجه بها المسلمون نحو البيزنطيين، لكنه ذكر أنه بعد أن تم حمل عيني الإمبراطور قسطنطين السادس كان هجوم المسلمين وانتصارهم. [2].

بالإضافة إلى أن الخليفة هارون الرشيد أمر ببناء مدينة الهارونية في العام ١٨٣هـ /٧٩٩م، وتم تزويد هذه المدينة بالمقاتلة و المطوعة [3].

وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على أن المدة التي ذكرتها المصادر من العام ١٨٢-١٨٧هـ / ٧٩٨-٨٠٣م، والتي ذكرت أنها مدة هدنة لم يحدث فيها أي شيء فهي في الحقيقة غير صحيحة لأنها لم تكن هدنة فعلية، فالخليفة الرشيد استغلها بتحصين مدينة جديدة هي الهارونية بالإضافة إلى الغارة عام ١٨٤هـ /٨٠٠م، ويبدو أن الخليفة هارون الرشيد أراد في هذه المدة أن يتفرغ لأمور دولته الداخلية، فأقام الحج بنفسه أكثر من مرة، وأوصى للأولاد الثلاثة من بعده بالخلافة،

---

[1] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٥٧. كما أن اليعقوبي يذكر بأن قادة الصوائف في العامين ١٨٤-١٨٥هـ /٨٠٠-٨٠١م كانا محمد بن إبراهيم وإبراهيم بن عثمان وتوجه إبراهيم ثانية في عام ١٨٦هـ /٨٠٢م مهاجماً البيزنطيين. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص٤٣١.

[2] - السرياني : تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ،ص ٤٣٥، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٥.

[3] - البلاذري : فتوح البلدان ،ص ١٧٥.

الأمين والمأمون والمؤتمن[1]، وكتب كتاباً بهذا الخصوص وعلقه على حائط الكعبة عام ١٨٦هـ ./٨٠٢م.[2]

وكان يشغل بال الرشيد موضوع داخلي غاية في الأهمية، و هو البرامكة، لهذا فقد أمر بالقبض عليهم، وقتل بعضهم و سجن آخرين في عام ١٨٧هـ ./٨٠٣م.[3]

بعد أن فرغ الرشيد من أمر البرامكة ولّى ولده القاسم الجزيرة والثغور والعواصم، وجهزه للمسير في صائفة ضد الجبهة البيزنطية، تجهّز القاسم بجيش قوي ضم قادة محنكين عسكرياً وسياسياً ، ولهم باع طويل في الحروب العباسية البيزنطية أمثال عبد الملك بن صالح، بالإضافة إلى إبراهيم بن عثمان بن نهيك، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وجهز القاسم جيشه هذا من جميع أهالي مدن الثغور، وهيأ العدة للهجوم على الأراضي البيزنطية، وبالفعل توغل القاسم داخل

---

[1] – اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي،ج٢ ص ٤١٦.

[2] – الأزدي:تاريخ الموصل ص٣١٢.

[3] – عن البرامكة ينظر: شذرات من كتب مفقودة: ص٩ ومابعدها .الطبري. تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ، ص ٢٨٧ و ما بعدها، الأزدي .تاريخ الموصل، ص٣٠٤، البلخي. البدء والتاريخ، ص١٠٤-١٠٥، مؤلف مجهول . العيون و الحدائق، ص٣٠٥ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٥ وما بعدها،الإربلي. خلاصة الذهب المسبوك، ص١٤٠، الأتليدي (محمد دياب): إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، بيروت،دار صادر،١٩٩٠م، العياض (عبد الله): تاريخ البرامكة،بغداد، مطبعة الرشيد،١٩٤٨م، نعش .تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص٦٦-٦٧-٧٠ ، شريف (محمد بديع): الصراع بين الموالي والعرب وهو بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة الشرقية، مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٤م،ص٣٩-٤٠، كنعن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص٨٣-٨٤.

الأراضي البيزنطية، ووصل إلى (قرة)[1] وحاصرها، ومن ثم وجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث إلى (حصن سنان)[2] وحاصر العباس الحصن، عمل كل من القاسم والعباس على تضييق الخناق على أهالي حصني سنان وقرة، ولم يستطع الأهالي مقاومة الحصار العسكري والاقتصادي، ولشدة الحصار حصل غلاء بالأسعار وانتشر الجوع والعوز بين الأهالي، ولم يستطيعوا مقاومة الحصار أو حتى مواجهة المسلمين، لذلك أرسل البيزنطيون يطلبون الصلح من القاسم، على أن يطلق أسر ما يقارب ثلاثمئة وعشرين أسيراً من المسلمين، وبالفعل قبل القاسم العرض البيزنطي وعاد منتصراً إلى بلاده، وقد مات من المسلمين ما يقارب أربعة آلاف مسلم.[3]
وهنا ذكر المؤرخون بشكل مبالغ به خسائر المسلمين، كما أن هنالك مبالغة في أعداد من مات من المسلمين، وربما ليبيّن المؤرخون بأن الخسائر كانت من الطرفين وبأن المسلمين كانوا يعانون كثيراً في حملاتهم.

وهنا وفي هذه الصائفة وللمرة الأولى يقوم فيها الخليفة هارون الرشيد بإرسال أحد أبنائه على رأس غزوة أو حملة باتجاه الأراضي البيزنطية، وربما أراد الرشيد أن يقوي مركز ولده القاسم بعد

---

[1] - حصن قرة: حصن من حصون كبادوكيا ، وهو الذي يعني به الكتاب الروم حصن قورن في كبدوكيا ، فازيليف: العرب والروم، ص٩٤.

[2] - حصن سنان: في بلاد الروم يقع قرب هرقلة والطوانة، فازيليف : العرب والروم ، ص٩٥.

[3] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص٤٢٣ لكنه يذكر بأن هذه الصائفة حدثت عام ١٨٨هـ /٨٠٤م، بن خياط تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٥٨، الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٣٠٧ و يذكر بأن علي بن عيسى بن موسى قد توفي في هذه الغزوة في أرض الروم، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص ١٨٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ق٢، ص ٢٤٥،عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢ ص ١٦٠.

أن ولاه الثغور والعواصم، وعمل على إرسال قائد على مستوى عسكري رفيع مع القاسم في غزوته وهو عبد الملك بن صالح، ليمده بالنصيحة والمشورة ويساعده في غزوته ،أو ليدرب القواد على أن يكون أبناؤه أعلى منهم عسكرياً وأن يكونوا أيضاً طوع أمر أبنائه.

بالإضافة إلى ذلك يلاحظ أيضاً أنّ الجانب البيزنطي بقيادة الإمبراطورة إيرين وصل إلى درجة كبيرة من الضعف وقلة الحيلة واللامبالاة بالأمور الخارجية، فقد سلمت الإمبراطورة إيرين بقوة الخليفة العباسي هارون الرشيد، لذلك فقد فضّلت مسايرته وعدم تعريض جنودها للهلاك، واجتمعت أزمات الإمبراطورية الداخلية مع المشكلات الخارجية وخاصة مشكلتها مع شارلمان[1]، فقد عملت إيرين على القيام بمصاهرة مع شارلمان لضمان تحسين العلاقة معه خاصة وأن شارلمان كان على علاقة جيدة مع الخليفة الرشيد، وكان شارلمان من جانبه يرغب بتحسين العلاقة بين الطرفين، وكان من جملة الحلول ربط العائلتين الحاكمتين في الغرب والشرق بأواصر المصاهرة، فقد عملت إيرين على خطبة إحدى بنات شارلمان لابنها قسطنطين، وعرض شارلمان الزواج من إيرين لكن الاقتراحين لم يكتب لهما النجاح،[2] مما دفع الشعب البيزنطي إلى العمل

---

[1] – لقد تم تتويج شارلمان إمبراطوراً من قبل البابوية في ٨٠٠م في كنيسة القديس بطرس، وتعددت الأراء حول دوافع البابوية في تتويج شارلمان إمبراطوراً وتميل معظم الدراسات المعنية بهذه المسألة إلى أن البابوية رغبت في التتويج وسيلة لإعادة سيطرتها على الغرب الأوروبي ، وكانت الحجة بأن العرش الإمبراطوري في القسطنطينية شاغر ، وذلك لأن إيرين تنتمي لأسرة معادية للأيقونات وتعتبر مجرمة لأنها سملت عيني ابنها، يبهرد:سيرة شارلمان، تر، عادل زيتون،دمشق،دار حسان للطباعة والنشر،١٩٨٩م،ص١٤٣،رستم، الروم،ص٣١٣

[2] – ايبهارد: سيرة شارلمان ، ص١١٧،اليوسف (عبد القادر أحمد): العصور الوسطى الأوربية(٤٧٦–١٥٠٠) ، بيروت، المكتبة العصرية،١٩٦٧م،ص١٠٥.

على خلع الإمبراطورة الضعيفة من وجهة نظرهم، ولذلك ثار الشعب البيزنطي ضدها، وكان على رأس هذه الثورة نقفور (الموظف المالي) المسؤول عن خزانة الإمبراطورية البيزنطية، علمت إيرين بالمؤامرة و حاولت قتل نقفور، لكنه استطاع النجاة، و من ثم عمل مستشارها آطيوس على محاولة الاستيلاء على الملك لكنه أخفق، ونتيجة لهذه الأوضاع عمل البطريرك في القسطنطينية مع الهيئة الاستشارية على عقد اجتماع لدراسة وضع الإمبراطورية الداخلي والخارجي المضطرب، وقرّروا خلع الإمبراطورة إيرين وتسليم نقفور عرش الإمبراطورية، واستلم الحكم تحت لقب الإمبراطور نقفور الأول، وأما إيرين، فقد نفيت إلى أثينا حيث ترهبت، وبعد مدة توفيت، وكان ذلك في عام ١٨٧هـ ./٨٠٣م[1].

أراد الإمبراطور نقفور[2] أن يستهل عهده بإظهار قوته لشعبه، وبأن ما أخذ على الإمبراطورة إيرين من مهادنة للعرب واستسلام لطلباتهم سيلغيه نقفور بقوته و شجاعته، ولذلك أرسل إلى الخليفة هارون الرشيد كتاباً يهدده فيه ويبلغه بأنه لن يستمر بدفع الجزية، وبأن الحرب عادت للاشتعال بين الطرفين، وقد جاء في كتاب نقفور:

---

[1] -السرياني:تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ص ٤٣٥، ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص١٥، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول،ص١٦، جلوب: إمبراطورية العرب ،ص٢٣٤، بيتر الإمبراطورية البيزنطية ص١٤٨، ربيع:الإمبراطورية البيزنطية، ص١٣٢-١٣٣.

[2] - يرد بعض نسب الإمبراطور نقفور إلى أنه من أولاد جبلة بن الأيهم،الطبري:تاريخ الرسل والملوك ج٨ ص٣٠٧،حيث ذكر بأنه من أولاد جفنة بن غسان، ابن العبري:تاريخ الزمان ص١٦-١٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، ص٢٢٥، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ،ص٣٠٩، السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢، ص٤٣٩ تختلف ثورة نقفور عن الثورات التي سبقته فقد قام عدد من العسكريين أو سببين ثورات ضد الحكم ولكنها المرة الأولى التي يقوم فيها وزير للمالية بتنظيم ثورة كهذه و قد استطاعت هذه الثورة تحقيق أهدافها و الإطاحة بحكم إيرين، بيتر: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٨.

((من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي، قد وضعتك و أباك و أخاك موضع الملوك، ووضعت نفسها موضع السوقة، و أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من الأموال أحمالاً، ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها، وذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا، فاردد ما حصل من قبلك و افتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك، وإني عامل على تطرف بلادك و الهجوم على أمصارك، أو تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤدي إليك والسلام)).

عندما وصل الكتاب إلى الخليفة هارون الرشيد و قرأه، غضب كثيراً من اللهجة التي استخدمها الإمبراطور نقفور، ولشدة غضبه كتب إلى نقفور على ظهر الكتاب الذي بعثه إليه "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه و السلام".[1]

وهنا لابدّ من التساؤل: هل من المعقول بأن يقوم خليفة مثل هارون الرشيد – مهما بلغت درجة غضبه – بإرسال هكذا رسالة وبهذه اللهجة، خاصةً وأنّ مثل هذه اللهجة بعيدة عن ثقافة الخلفاء العباسيين ؟.

– الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ،ص٣٠٧-٣٠٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ،ص١٨٥؛ ابن شدة،الأعلاق الخطيرة ج١، ق٢ ،ص٢٤٥-٢٤٦؛ مؤلف مجهول:العيون والحدائق ص٣٠٩-٣١٠؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢٢٥، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص١٩٩،سيديو: تاريخ مختصر العرب ص١٨٧، الشريقي: التاريخ الإسلامي،ص١٢٦،حتي: تاريخ العرب،ج٢،ص٣٧٢.

وفي الإجابة عن هذا التساؤل: يلاحظ أنّ هذه الرسالة تحمل في طيّاتها أمرين متناقضين :

أولاهما. يكمن في قوله: بعد البسملة من عبد الله هارون وفي هذه العبارة ما فيها من وقار الخليفة على الرغم من غضبه من رسالة نقفور.

وثانيهما: تعبير لهجة هارون في رسالته، وإعطاؤها مساراً آخر من خلال تحقير إمبراطور بيزنطة ونعته بالكلب.

ونرى أن الخليفة هارون استخدم هذين الأسلوبين المتناقضين في رسالته لأنه قصد من ذلك مخاطبة الطرفين، الطرف الأول العربي الإسلامي: من خلال استخدامه العبارات الإسلامية التي تليق به كخليفة للمسلمين والتي تزرع السكينة في نفوس العرب المسلمين .

والطرف الثاني البيزنطي: وذلك لإحباطهم وتخويفهم ولزرع القلق في نفوسهم وليؤكد لهم أنه لا يزال في أوج قوته.

كما أن محتوى رسالة الإمبراطور نقفور للخليفة الرشيد تحتاج إلى تدقيق

فهل من الممكن أن يرسل سياسي يتسلم منصباً كبيراً كهذا المنصب لخليفة يضاهيه قوةً ؟، وهل أدخلت كلمات حفاظاً لمحتوى هذه الرسالة لم تكن فيها أصلاً؟.

فإن كانت هذه الرسالة أرسلت كما هي تماماً فإنها تدل وبشكل قطعي على طريقة تفكير هذا الإمبراطور المتسرعة وغير الدقيقة والتي ستجلب الويلات لبلاده .

لم يكن يتوقع الإمبراطور نقفور بأن الرد سيكون بهذا الشكل، فقد جهز الخليفة هارون الرشيد جيشاً ضخماً لم يجهز مثله من قبل، وكان هذا الجيش يضم أشهر القادة في الدولة العباسية أمثال محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني، وإبراهيم بن جبريل، والبعض يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد

أحد معه ولده القاسم، توجه الجيش إلى داخل الأراضي البيزنطية، و عمل هارون الرشيد و قواده على تذليل العقبات أمامهم، فقد ذكر بأن الرشيد "فتح و غنم و سبى و اصطلم[1] وأباد وخرب وحرق واصطفى[2]" [3]

فقد كان الخليفة هارون الرشيد في حملته هذه يتبع خطة منظمة يمكن أن يطلق عليها سياسة (الأرض المحروقة)، فالرشيد وقواده كانوا يعملون على حرق وتخريب وهدم كل ما يجدونه أمامهم من آبار وحصون و أسوار وقلاع، فعل الإمبراطور نقفور من قوة الخليفة هارون الرشيد والطريقة التي يهاجم بها، لذلك عمد إلى تجهيز جيش ليواجه به الخليفة هارون الرشيد، ثم عمل على رمي الأشجار على الطرقات، ليمنع المسلمين من متابعة الطريق، وإشعال النيران، و من ثم إلقائها على المسلمين، ولكن كل هذه الإجراءات لم تؤثر في عزيمة الرشيد وجنوده الأقوياء، لذلك طلب من القادة والجنود ارتداء الملابس التي تحميهم من النيران (المعاطف) وتجاوز النيران وبالفعل حدث ذلك، ووصل المسلمون إلى أبواب هرقلة، لم يتجرأ الإمبراطور نقفور على

---

[1] – اصطلم. صَلَمَ الشيء صلماً قطعه من أصله ، والاصطلام . الاستئصال، واصطلم القوم : أبيدوا ، ابن منظور: لسان العرب،ج٢،ص٤٩٨.

[2] – اصطفى. اصطفى القوم إذا أقامهم في الحرب صفاً ، وصف القوم يصفون صفاً واصطفوا وتصافوا أي صاروا صفاً مستوياً، ابن منظور: لسان العرب،ج٢،ص٤٥٠.

[3] الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٣٠٨، ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص١٨٥، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢ ،ص٣٤٦،ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٢٥، الشريقي: التاريخ الإسلامي، ص١٢٧

مواجهة المسلمين، لذلك عمل على طلب الهدنة والصلح، وأرسل للرشيد يتوسله للقبول، ووافق الخليفة هارون الرشيد، وعاد المسلمون إلى بلادهم منتصرين.[1]

وهنالك روايات متناقضة حول هذه الحملة ، فمنها من ذكر أنها كانت بقيادة الرشيد، ومنها من أوكلها إلى ابنه القاسم الذي أوكلها بدوره إلى قائد آخر فالمؤرخ ابن خياط لا يذكر بشكل صريح توجه الرشيد وإنما يذكر بأن القاسم ابن الرشيد وجه إبراهيم بن جبريل نحو الروم ودخل من درب الحدث والتقى مع البيزنطيين بمرج عذراء واستطاع أن يهزم البيزنطيين و كان ذلك في عام ١٨٨هـ ./٨٠٤م .[2]

هناك مصدر وحيد ذكر أن عدد القتلى من طرف البيزنطيين قد بلغ أربعين ألفاً و سبعمئة قتيل وأنّ المسلمين حصلوا على غنائم كثيرة، فمثلاً من الدواب حصلوا على أربعة آلاف دابة.[3]

وقد فرض الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطور نقفور في هذا الصلح ألا يبني البيزنطيون أي

---

[1] – الطبري:تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ،ص٣١٨، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ،ص١٨٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣،ص ٢٢٥السيوطي. تاريخ الخلفاء ،ص٢٨٨، مؤلف مجهول العيون و الحدائق ،ص٣١٠، ابن العبري مختصر تاريخ الدول ،ص٢٤٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ،ج١، ق٢،ص٢٤٦-٢٤٧، ابن عذارى (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي توفي أواخر القرن السابع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح،كولان ليفي بروفنسال،بيروت،دار صادر،١٩٩٥م، ص٢٩٠، الحميدي. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ص٧٥ ٧٦، الدوري: تاريخ العراق في عصر العباسيين،ص١٤٧

[2] – ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٥٨.

[3] – ابن عذارى: البيان المغرب ،ص٢٩٠.

حصن من الحصون المهدمة، وأن يدفع الإمبراطور نقفور الأول الجزية للرشيد ديناراً عن كل شخص راشد في الإمبراطورية ما عدا نقفور وولده [1].

وتذكر المصادر السريانية أنه تم تبادل للهدايا والعطايا بين الطرفين، المسلم والبيزنطي بعد قبول الرشيد للصلح، وبأن الطرق فتحت للتجارة،وأصبح الشعبان العربي المسلم والبيزنطي يتبادلان التجارة، و هذه المصادر لم تذكر أي قتال حصل بين الطرفين [2].

ويذكر الرهاوي بأن جيش هارون كان يتألف من مئة ألف جندي، و بأن الجيشين العربي المسلم و البيزنطي تعسكرا من دون قتال ما يقارب الشهرين، ومن ثم عقد الصلح بين الطرفين [3].

أما المصادر العربية فلا تشير إلى أن الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور نقفور الأول قد حصل بينهما أي اتصال، و يقتصر الحديث على عملية فداء جرت بين البلدين عام ١٨٩هـ ./٨٠٥م (سيتم ذكر الفداء في الفصل الرابع). أما الهدايا والتجارة، فلا تذكرها سوى المصادر السريانية، لذا يجب أخذ الحيطة والحذر في أثناء قراءتها، فقد كان معروف عن الخليفة هارون الرشيد قوته وعزيمته وكرهه لنقفور، وذلك لنقضه ما اتفق عليه الرشيد مع الإمبراطورة السابقة إيرين، واستهزائه بالمسلمين، فكيف سيتبادل معه الهدايا، أما التجارة فلا شك أن منطقة الثغور كانت طرقاً للتبادل بين الطرفين في أيام السلام و الصلح، وهذا ما سنتطرق إليه الفصل الرابع

---

[1] – مصطفى : التاريخ العباسي، ص٢٧٩، مجموعة مؤلفين: الرقة درة الفرات ،ص١٠٣.

[2] السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ،ص٤٣٩، ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص١٦، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص١٨، المدور: تاريخ العراق،ص١٤٨.

[3] - الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص١٨.

و قد ذكر الشعراء الجزية التي دفعها الإمبراطور نقفور للرشيد فقال أبو العتاهية:

تحللت الدنيا لهارون ذي الرضى وأصبح نقفورُ لهارون ذميا[1]

ومما يثير الاستغراب هنا بأن العباسيين كانوا يحققون انتصارات كثيرة على البيزنطيين ويحتلون بعضاً من حصونهم ومدنهم الحدودية، فلماذا لم يقم العباسيون بإحضار عناصر مسلحة لتسكن هذه المناطق المستولى عليها وتستوطن فيها؟.

لم يهدف العباسيون في سياستهم العسكرية تجاه بيزنطة إلى الاستيطان، فقد كانت سياستهم دفاعية أكثر منها هجومية، كما أن انشغالهم الدائم بالمشاكل الداخلية كان يمنعهم من التفكير بعقلية هجومية واستيطانية في المناطق المستولى عليها.

بعد انتصار هرقلة قام الخليفة الرشيد بإرسال إبراهيم بن إسرائيل على رأس صائفة في العام ١٨٨هـ /٨٠٣م ، والذي توجه مع جيشه من درب الصفصاف إلى داخل الحدود البيزنطية .

أراد الإمبراطور نقفور أن يعوّض عن هزيمته السابقة أمام الرشيد في هرقلة، لذلك فقد قاد جيشه لملاقاة إبراهيم، وبالفعل جرى قتالٌ بين الطرفين، وتمكن الجيش العربي من هزيمة نقفور وجيشه، وجرح نقفور في ثلاث مناطق من جسده، وقتل من أفراد جيشه ما يقارب أربعين ألف جندي، وتمكن المسلمون من أخذ أربعة آلاف دابة،وهذه أرقام مبالغ فيها أيضاً.

---

[1] أبو العتاهية: هو اسماعيل بن القاسم مولى لعنزة ويكنى أبا اسحق وأبو العتاهية لقب وكان جراراً ويرمى بالزندقة،ابن قتيبة: الشعر والشعراء،ج٢،ص٧٩١.

وبعد عودة إبراهيم من الصائفة رابط القاسم بن الرشيد في مرج دابق في العام نفسه، ليكون على أهبة الاستعداد في حال قام نقفور بأيّ هجوم على الحدود الإسلامية.[1]

م تذكر هذه الحادثة إلا من قبل هذا المصدر الوحيد في العام ١٨٨هـ ./ ٨٠٣م، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ خروج إبراهيم في غزوته هذه يدل على أنّ العرب هم من خرق اتفاق الهدنة المعقودة بين الرشيد ونقفور، وهذا مخالف لما تذكره غالبية المصادر بأنّ الإمبراطور هو من خرق الهدنة المعقودة بين الطرفين في عام ١٩٠هـ ./٨٠٥م من خلال إغارته على الحصون والمدن الثغرية الشّامية.

والسؤال الذي يطرح هنا هو، هل كان الطرف العربي هو من أخلّ بالهدنة ؟، وهل كان توجه نقفور نحو الحصون العربية الإسلاميّة في عام ١٩٠هـ ./ ٨٠٥م ردّاً على هجوم إبراهيم؟.

تجمع غالبية المصادر العربية على أن الإمبراطور نقفور لم يكن يمتلك الحنكة العسكرية كقائد حربي، ولا الحكمة السياسية كإمبراطور، لذلك فقد خرق الاتفاقية السابقة التي عقدها مع الخليفة هارون الرشيد، و لم يعتبر من الرد الذي تلقاه سابقاً من الخليفة الرشيد، والهزيمة التي مني بها، فبعد عودة هارون الرشيد إلى الرقة، استغل الإمبراطور نقفور قدوم الشتاء، وظن بأن المسلمين لن يقوموا بمهاجمته في الشتاء، لعدم قدرتهم على تحمل البرودة الشديدة في تلك المناطق، كما علم

[1] ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٠٥.

الإمبراطور بأن الخلافة العباسية تمر بمرحلة اضطراب في الشؤون الداخلية، كالاضطراب بين المصرية واليمانية في دمشق، إضافة لخروج بعض الأشخاص في آمد. [1]

أغار نقفور على الحصون والمدن الثغرية الشامية، فقد أغار على عين زربة والكنيسة السوداء وآذنة، كما عمل على بناء الحصون في أنقرة و الصفصاف وربسة والطوانة، واستولى على طرسوس، ومن ثم هاجم مرعش، واستطاع تحقيق انتصارات كبيرة، وأخذ أعداداً كثيرة من الأسرى، وحصل على الغنائم وكان ذلك في عام ١٩٠هـ /٨٠٥م[2].

استطاع المسلمون المرابطون في المصيصة أن يستردوا بعضاً من الأسرى الذين أخذهم البيزنطيون عن طريق مهاجمتهم و لكنهم لم يحققوا هذا النجاح الكبير [3].

لم يتمكن مستشاروا الرشيد من إخباره بما قام به الإمبراطور نقفور، فقد خافوا من رد فعله إن علم بهذا النقض، ولذلك طلبوا من شاعر يدعى عبد الله بن يوسف، ويقال إنه كان الحجاج بن يوسف التيمي، أن ينشد للرشيد أبياتاً يخبره فيها بما حدث، فقال التيمي:

---

[1] - الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٠٢ ،٣١٠، ابن الأثير: الكامل ،ج٦ ص ١٨٥، ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ،ج٣ ص٢٢٥.

[2] - بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٥٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٢٠، ابن الأثير الكامل ،ج٦، ص ١٩٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٢٦،مصطفى العصر العباسي ،ص٢٧٩، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ص٤٤٠، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٩.

[3] - الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٢١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦ ، ص١٩٨، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج١ ق٢، ص٢٤٩ ،ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص١٨، مصطفى : التاريخ العباسي ص٢٧٩

وغيرها، ومن الحصون التي استولى عليها المسلمون (ماليكوكيا، سيداربوليس، اندراسوس، نيقيا، صملة، سنان).[1]

كما أرسل قوة عسكرية تقدر بحوالي ستين ألف جندي إلى أنقرة، وتمكنت هذه القوة من تدمير التحصينات خارج أنقرة وداخلها[2].

وهنا يلمس الدارس المبالغة الكبيرة في ذكر هذه الأعداد الكبيرة للجنود المشاركين في جيش الرشيد، فكيف سيتمكن جيش بهذه الأعداد من تأمين طعام الجنود والزاد والماء وطعام الخيل والمؤن والكثير من المستلزمات؟.

فهذه الأرقام مبالغ فيها بشكل كبير، فعلى الدارس أخذ هذه الروايات بعين الحذر،وربما أنه تم تضخيم هذه الأعداد من قبل المؤرخين العرب ليبينوا للقراء أهمية هذه الحملة ، ومقدار الجهد الذي بذل حتى تم الوصول إلى هذه النتائج ، وليؤكدوا أيضاً بأن الرشيد كغيره من الخلفاء العباسيين ، عمل مثلهم على تجهيز الجيوش لحماية حدود دولته والذود عن مدنها وشعبه.

أما الخليفة هارون الرشيد، فقد بقي معه القسم الأعظم من هذا الجيش الضخم، وتوجه إلى هرقلة وحاصرها ما يقارب ثلاثين يوماً، استخدم الرشيد في حصاره مختلف الأسلحة الحربية

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٣٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ،ص١٩٦، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ،ج١، ق٢ ص٣٥٣،ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٢٦، ذكر اليعقوبي بأن الرشيد فتح هرقلة وملطامير ولم يذكر أسمائها. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص٤٣١، علي: تاريخ العرب، ص٢١٤، مصطفى: في التاريخ العباسي، ص٢٨٠.

[2] – عبد الله: العلاقات السياسية،ص٢٩٨.

كالمجانيق[1] والعرادات[2] والسهام، فقد عمد المسلمون إلى وضع النيران بدل الحجارة في المجانيق، ورميها على سور هرقلة، وبالفعل تمكنت النيران من أن تصدع السور ، و لم يجد أهالي هرقلة حيلة سوى فتح الأبواب والاستسلام وتسليم المدينة للرشيد، ودخل هارون الرشيد المدينة في عام ١٩٠هـ . ٨٠٦م وسبى حوالي ستة عشر ألف شخص، ونتيجة لكون هرقلة مركزاً رئيساً لمحارب القمح فقد حصل على كميات كبيرة منه ،استطاع المسلمون في حملتهم هذه أسر ما يقارب سبعة عشر ألفاً من البيزنطيين، و قد تم ترحيلهم إلى الرافقة و بيعهم هناك [3] .

---

[1] – المنجنيق: هو آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الأحجار والسهام وقوارير النفط أو أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو،وكلمة منجنيق دخلت العربية من الفارسية تعريباً لعبارة "من جه نيك" وقيل أنها تعني " أنا ما أجودني" أو بكلمة "منجك" ومعناها " الارتفاع إلى فوق" ، وفي زمن العباسيين أصبح للمنجنيق سلاحاً من أهم أسلحة الجيش، وأصبح له صنف خاص من صنوف الجيش العباسي ،وكان يضم المنجنيقيين والعراديين ويرأسه قائد يقال له "المنجنيقي"، الزردكاش (ابن أرنبغا)،الأنيق في المناجيق،تح، إحسان هندي،حلب، منشورات معهد التراث العلمي العربي،١٩٨٥م،ص٢٠،١٧،١٦.

[2] – العرادات: مفردها عرادة، وهي من آلات الحرب أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة المرمى البعيد، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٠١،ص٤٢١.

[3] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص ٣٢٠، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٤٣١، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٤٧٩، ابن شداد :الأعلاق الخطيرة، ج١ ،ق٢،ص ٣٥٣ ،النويري: نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٥٥، الاصفهاني:الأغاني، ج١٨ ،ص ٢٤٢، ، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ،ص ٢٠٦. و يذكر بأن فتح هرقلة كان عام ١٩١هـ /٨٠٧م. سيديو تاريخ العرب العام ص ١٨٨، حسن: التاريخ الإسلامي العام،ص٤٢٤ .

بعد فتح هرقلة عاد الرشيد إلى الطوانة ،وشعر بضرورة أن يستخدم مركزاً قريباً يتمكن من خلاله من متابعة جيوشه المتواجدة في مناطق عديدة ، لذلك فقد أمر بأن يبنى له منزل في الطوانة، لكن الرشيد فجأة قرر العودة بما أنجز وخلّف في الطوانة عقبة بن جعفر.[1]

كان الخليفة هارون الرشيد ينوي زلزلة عرش نقفور بما يقوم به من تخريب و احتلال في الأراضي البيزنطية، و لم يكتف الرشيد بمهاجمة الأراضي البيزنطية براً، بل عمل على إرسال حميد بن معيوف بحملة بحرية، واستطاع حميد الوصول إلى قبرص، واحتلها ثم سبى أعداداً كثيرةً من الجزيرة، وكان الرشيد يهدف إلى تشتيت أنظار الإمبراطور وقواته براً وبحراً من أجل إجباره على الخضوع له ولشروطه. [2]

أما عن الرد البيزنطي تجاه حملة هارون الرشيد ضد هرقلة، فقد جهز الإمبراطور جيشاً كبيراً ظن أنه يستطيع أن يواجه الخليفة هارون الرشيد به، ولكنه عندما علم بانتصارات المسلمين المتتالية، وما استولوا عليه من الحصون والمدن، وسمع بخبر دخول الرشيد إلى هرقلة، لذلك أرسل الإمبراطور نقفور إلى الرشيد يطلب منه الصلح، ويؤكد بأنه سيدفع له المال إن رحل عن بلاده،لكن الرشيد رفض الرحيل من دون مقابل، بل طلب من نقفور أن يرسل إليه جزية عن رأسه ورأس ولده و عدد من البطارقة و أهل بلده كل عام، قبل الإمبراطور نقفور طلب الرشيد،

---

[1] - ابن الأثير ،الكامل ،ج ٦ ،ص ١٩٦، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،ج١ ،ق٢ ،ص٢٥٦، ابن الجوزي، المنتظم ،ج٦ ،ص١٨٢-١٨٣، ابن كثير: البداية و النهاية ،ج١٠ ،ص ٢٠٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٩

[2] اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، ص٤٣١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص٣٢٠، ابن الأثير الكامل، ج٦ ، ص ١٩٦، سيديو: تاريخ العرب العام ،ص ١٨٨.

وأصبح يرسل ثلاثمئة ألف دينار كل عام للرشيد، واشترط هارون الرشيد على نقفور بأن لا يعيد إعمار هرقلة كما طلب نقفور من الرشيد عدم تخريب حصن ذي الكلاع و سنان وصملة، ولم تذكر المصادر إن كان الرشيد نفذ طلب نقفور بشأن الحصون البيزنطية أم لم ينفذه، والأرجح بأن الطرفين قد التزما بشروط الاتفاقية.

بعد أن عقدت هذه الاتفاقية بين الطرفين أعد الإمبراطور نقفور كتاباً للرشيد يطلب فيه من الخليفة الرشيد إعطاءه إحدى سبايا هرقلة وهي خطيبة ولده، وطلب نقفور من الرشيد بعض العطور التي اشتهرت بها الديار الإسلامية، أجاب الرشيد على طلب نقفور بالموافقة وأرسل له الجارية بعد أن زينت بأبهى حلة. [1]

وأرسل الرشيد لنقفور العطور، وبعث له بكميات من التمور والأخبصة[2]، والزبيب، والترياق[3]، وتم تسليمها للإمبراطور نقفور الذي رد بإرسال خمسين ألف درهم إسلامية ومئة ثوب ديباج ومئتي ثوب بزيون، واثني عشر بازاً وأربعة كلاب صيد وثلاثة براذين[4].

---

[1] – بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ،ص٤٥٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٣٢١، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٣٠٩ ،ابن الأثير. الكامل، ج٦ ،ص ١٩٦، ، ابن شداد. الأعلاق الخطيرة ،ج١ ،ق٢ ، ص ٢٥٤، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ص ٤٨٦.

[2] – الأخبصة: الحلوى المخبوصة، ابن منظور: لسان العرب،ج١ ،ص٧٨٥.

[3] الترياقُ بكسر التاء ، اسم فارسي معرب وهو دواء نافع من لدغ الهوام والسموم، الجوهري. الصحاح في اللغة والعلوم، ج١، ص١٤١.

[4] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص ٣٢١.

يعرد الطبري بذكر حادثة تبادل الهدايا بين الرشيد ونقفور بعد فتح هرقلة، و لم تصدر إلى الآن وثائق تثبت هذه الحادثة أو تنفيها،ويبدو أن ما دفع المصادر السريانية إلى ذكر تبادل الهدايا بين هارون ونقفور سابقاً عام ١٨٧هـ /٨٠٢م، هو هذه الحادثة التي أوردها الطبري .

هناك خلاف كبير حول الهدنة التي عقدت بين الخليفة الرشيد، ونقفور في المصادر السريانية، فهذه المصادر تذكر أن الإمبراطور نقفور جهز جيشاً كبيراً لمواجهة المسلمين، وأن الخليفة هارون الرشيد عندما شاهد قوة هذا الجيش و ضخامته سارع إلى طلب الصلح من نقفور، وسلّم لنقفور ما كان معه من أسرى الروم البيزنطيين، ولأن نقفور قبل الصلح أهداه الرشيد جميع الخيام التي كان جنوده يستخدمونها .[1]

وهذا الكلام لا أساس له من الصحة، و إنما أرادت هذه المصادر أن تحفظ ماء وجه الإمبراطور نقفور من هذا الصلح المهين و المذل له، فاختلقت رواية هذه القصة التي لا يستطيع أي عقل أن يتقبلها، خاصة و أن المصادر البيزنطية الرئيسة، والإسلامية العربية، قد ذكرت تفاصيل الهدنة السابقة وذكرت أيضاً كيف تذلل نقفور للرشيد ليقبل الصلح.

كان للنصر الذي حققه الخليفة هارون الرشيد في هرقلة أثر كبير في نفوس الشعراء، لذلك فقد خلّدوه في قصائدهم.

فقد قال الشاعر المكي في ذلك النصر العظيم:

هوت هرقلةُ لما أن رأت عَجَباً   حوائماً ترتمي بالنفط و النار
كأنَّ نيرانَنا في جنبِ قلعتهم   مصبغاتٌ على أرسانِ قصارِ[2]

سرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير ، ج ٢ ص٤٤٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص١٧.

[2] – الحموي: معجم البلدان ، ج٥ ص٣٩٨.

قال أبو العتاهية أيضاً:

ألا نادت هرقلةُ بالخراب مَنْ الملكُ الموفَّقُ للصواب

كذلك ذكر الشاعر أشجع بن عمرو السلمي[1] هذا الانتصار فقال:

أحسّت هرقلةُ مكلوماً جوانبها وناصرُ الدين بالتدبير يرميها[2]

بعد انتصار هرقلة و عودة الرشيد إلى الرقة، انشغل الخليفة هارون الرشيد بالمشاكل الداخلية في خراسان، و توقع الإمبراطور نقفور بأن الرشيد لن يلتفت للأوضاع على الحدود الخارجية الإسلامية البيزنطية، فعاد و نقض الصلح مرة أخرى، وعمل على إعادة بناء أنقرة.[3]

وعندما علم الخليفة الرشيد بما فعل الإمبراطور نقفور سارع إلى إرسال القائد يزيد بن مخلد الهبيري في غزوة لبلاد الروم في عام ١٩١هـ /٨٠٦م، فتوجه يزيد بن مخلد الهبيري، ومعه ما يقارب عشرة آلاف جندي، ودخل إلى منطقة آسيا الصغرى في قبادوقيا، و لكن الجيش البيزنطي استطاع أن يحصره في المضيق في تلك المنطقة، وتمكن البيزنطيون من قتل يزيد وقتل خمسين رجلاً

---

[1] – أشجع بن عمرو السلمي:أشجع بن عمرو من ولد الشريد بن مطرود السلمي، من بني سُليم، وكان متصلاً بالبرامكة،أعجب الخليفة الرشيد به كثيراً ومدحه وأمده بالمال، ابن قتيبة الشعر والشعراء، ج٢، ص٨٨١، أبو تمام الطائي: ديوان الحماسة، ج١،ص٣٥٤

[2] – مجموعة مؤلفين: الرقة درة الفرات ،ص١٠٥.

[3] ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧.

آخر أما الباقون فقد تمكنوا من الفرار، واستطاعوا النجاة بحياتهم، ويبدو أنهم عادوا إلى طرسوس خاصة وأن المنطقة التي حدثت فيها القتال لم تكن بعيدة عن طرسوس.[1]

وهكذا لم تنجح هذه الغزوة، بل قتل يزيد وأصحابه، وهناك مصدر وحيد يخالف ما ذكرته المصادر الأخرى في نتيجة هذه الغزوة، فيذكر بأن يزيد استطاع أن يحصل على العديد من الغنائم، و يعود سالماً إلى بلاده بعد هذه الغزوة [2].

وهذا على الأرجح غير صحيح خاصة، و أن الرشيد توجه مباشرة بعد موت يزيد، لينتقم له على رأس جيش كبير، و رابط بنفسه في منطقة الحدود في مدينة الحدث ما يقارب ثلاثة أيام، ومن هناك أرسل الرشيد صائفة في العام نفسه ١٩١هـ ./٨٠٦م، بقيادة القائد هرثمة بن أعين، وكان معه حوالي ثلاثين ألف جندي من خراسان، و توجه هرثمة إلى قبادوقيا، وكان مع هرثمة مسرور الخادم الذي تسلم النفقات وتصريفها.

عاد الرشيد إلى الرقة بعد أن أقام ثلاثة أيام في الحدث، و أناب عنه في مدينة الحدث عبد الله بن مالك، ليرد هجمات البيزنطيين عنها، ومحمد بن يزيد بن مزيد في طرسوس [3].

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٣٢٣، ابن الأثير الكامل، ج٦ ،ص٢٠٥، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢ ص٢٥٦، مؤلف مجهول: العيون و الحدائق، ص٣١٢،ابن كثير :البداية والنهاية، ج١٠،ص٢١١، عمران (محمود سعيد). معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي و الحربي)، القاهرة، دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٠م، ص١١٨.

[2] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٠٥.

[3] - الطبري تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ،ص ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل ،ج٦ ،ص ٢٠٦، مؤلف مجهول العيون و الحدائق، ص ٣١٢-٣١٣، حيث يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد وصل إلى (دير كوماسيل) ومن هناك بدأ بتسيير الجنود أي هرثمة بن أعين و عبد الله بن مالك و لم يذكر المصدر بأن الرشيد رابط في الحدث ص٣١٢، ابن الجوزي : المنتظم، ج٩، ص ١٩٤، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص٢٥٧،ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٠،ص٢١١.

بعد صائفة هرثمة التي كانت في عام ١٩١هـ ./٨٠٦م، تذكر المصادر بأن البيزنطيين عادوا إلى الحدود الإسلامية، وهاجموا مرعش في العام نفسه، وتمكنوا من أسر عدد من المسلمين، ولم يستطيع قائد الجنود المرابط في مرعش سعيد بن سلم بن قتيبة أن يقاوم هجوم البيزنطيين، بل إن المصادر تذكر بأنه ((لم يتحرك سعيد من موضعه))[1].

وهذه المصادر تذكر بأن البيزنطيين هاجموا مرعش في أثناء تواجد الخليفة هارون الرشيد في مدينة الحدث، لكن هذا الافتراض يمكن أن يكون غير دقيق، فبعد أن ذاق البيزنطيون مرارة الهزائم المتكررة من الخليفة هارون الرشيد، ولمسوا قوته وشجاعته من غير الممكن أن يتجرؤا، وعلى مهاجمة مرعش، وهم على علم بوجوده بالقرب من المدينة، فهو سيسارع لردّ الهجوم والتنكيل بهم، كما أن موقف قائد الجنود المرابط في مرعش سعيد بن سلم ابن قتيبة، كان موقفاً سلبياً وضعيفاً إلى حدّ كبير، فهذا القائد كما ذكرت المصادر لم يحرك ساكناً ضد الهجوم، بل ترك المدينة والمسلمين عرضة لهجمات البيزنطيين، و هذا يدعو للاستغراب، فكيف يستطيع هذا القائد أن يفعل مثل هذا الأمر والخليفة مرابط في الحدث، فلا شك أنه سيهابه ويخشى من معاقبته، والأرجح أنّ الهجوم تم على مرعش بعد مغادرة الرشيد الحدث، وتوجهه نحو الرقة كما أن موقف سعيد يدل على ضعفه وعدم كفاءته وقدرته على تسلم مثل هذه المهمة وهي الدفاع عن الثغور.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج٦ص ٢١٥، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢ ص٢٥٦، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص١١٨.

بعد هذه الأحداث أمر الرشيد بأن يعاد بناء طرسوس وتحصينها، وأمر بذلك هرثمة بن أعين، الذي أمر بدوره فرج الخادم، الذي بناها وبنى مسجدها، و أسكن فيها جنوداً من خراسان بلغ عددهم ما يقارب ثلاثة آلاف جندي، وجنوداً من المصيصة بلغ عددهم حوالي ألف جندي، وقد انتهى بناء المدينة عام ١٩٢هـ /٨٠٧م[1].

لم تذكر المصادر العربية التي تحدثت عن صائفة هرثمة بن أعين نتيجة هذه الصائفة، إلاّ مصدر وحيد، حيث يذكر هذا المصدر بأن القائد هرثمة بن أعين بعد أن دخل بلاد الروم، توجه نحو الإمبراطور نقفور، ومعه جيش كبير، ليواجهه و بالفعل حدث قتال بين الطرفين، و لم يتم تحديد منطقة القتال، استمر القتال بين الطرفين إلى مغيب الشمس، و استطاع المسلمون التغلب على نقفور وجيشه، ولكن عند عودة هرثمة وجنوده عانى الجنود من نقص في الإمدادات والعتاد، وتحديداً الطعام والمياه، لذلك أرسل الخليفة هارون الرشيد إمدادات لهرثمة عن طريق إرسال عبد الله بن مالك (المرابط في الحدث مع الخليفة هارون الرشيد) ومعه الإمداد بالطعام والمياه واستطاع إيصالها لهرثمة، وعاد الجنود المسلمون إلى ديارهم [2].

وعلى الرغم من أن هذا هو المصدر الوحيد الذي يذكر هذه الحادثة، فمن الممكن الأخذ بمجرياتها، خاصة و أنه من عادة المصادر أن تذكر الصوائف بشكل مختصر دون أن تذكر نتيجة الصائفة، و هذا فمن الممكن أن تكون هذه الصائفة قد أثمرت بشكل إيجابي، وعلى أساس خسارة

البلاذري: فتوح البلدان، ص١٧٤، الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٢٤، ابن العديم: بغية الطلب،ج١ ص١٨٦، ابن الأثير: الكامل ج٦ ص ٢٠٦، ابن الشحنة: الدر المنتخب ، ص ٢٤٢.

[2] – مؤلف مجهول: العيون و الحدائق ص ٣١٣.

بفعمور فيها و انشغاله بحروبه مع البلغار تم عقد صلح آخر، و حدث فداء بين المسلمين والبيزنطيين في عام ١٩٢هـ /٨٠٧م. بالإضافة إلى انشغال الخليفة هارون الرشيد بالمشاكل في المنطقة الشرقية من الخلافة في خراسان، فقد حدثت فتنة كبيرة في خراسان بقيادة رافع بن الليث ابن نصر بن سيار[1].

م تحدث أية مواجهة بين الطرفين العربيّ المسلم، والبيزنطي بعد عام ١٩٢هـ /٨٠٧م ، مع أن البعض يذكر بأن البيزنطيين عادوا وأخلّوا بالصلح مرة أخرى، و هاجموا الحدود الإسلامية ومدن الثغور، ولكن انشغال الخليفة بالأحداث التي تجري في خراسان لم يسمح له بالرد على البيزنطيين[2].

والمصادر تذكر بأنه لم يكن للمسلمين صائفة منذ عام ١٩١هـ /٨٠٦م حتى عام ٢١٥هـ /٨٣٠م[3]

ويبدو أن السبب في ذلك هو موت الخليفة هارون الرشيد في عام ١٩٣هـ /٨٠٨م، و تسلم ولده الأمين، و ما تلا ذلك من اضطرابات داخل حدود الخلافة الإسلامية، وهذا ما سيظهر في الأحداث التالية،ما عدا مصدر وحيد ذكر بأنه في العام ١٩٢هـ /٨٠٧م قام الخليفة الرشيد بتولية ثابت بن نصر بن مالك الثغور ، وتوجه ثابت في العام نفسه نحو الحدود البيزنطية ودخلها وتمكن من فتح مطمورة ، و لم يحدد المصدر مكان المطمورة أو اسمها. [4]

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٨، أحداث عام ١٩٢-١٩٣هـ /٨٠٨-٨٠٩م.

[2] - علي: مختصر تاريخ العرب، ص٢١٤، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ص١٨.

[3] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص ٣٣٧.

[4] - ابن كثير:البداية والنهاية ،ج١٠،ص٢١٢

توفي الخليفة هارون الرشيد عام ١٩٣هـ ./ ٨٠٨م في طوس بعد أن عانى من المرض الشديد. [1]

وقد خسر العالم الإسلامي بوفاة الخليفة هارون الرشيد قائداً عسكرياً قوياً وسياسياً محنكاً عرف بعده الصعاب منذ أن كان شاباً في كنف والده المهدي واستمر بها بعد أن تسلم مقاليد الحكم وتربع على عرش الخلافة الإسلامية إلى أن توفي في العام ١٩٣هـ ./٨٠٨م.

واستطاع هذا الخليفة أن يحرز للمسلمين انتصارات باهرة على صعيد علاقاتهم مع العدوة الدائمة الدولة البيزنطية ،و تحديداً في السنوات الأخيرة من حكمه ، فقد كان عصر الرشيد تجسيداً للقوة الضاربة للخلافة العباسية الإسلامية فالأحداث التي سبق و ذكرت أثبتت بأنه حتى بنظر المؤرخين الغربيين (كان واحداً من أعظم الحكام الذين جلسوا على العرش) [2].

وهنالك من وصف حروب الخليفة الرشيد ومعاناته الشديدة لتحقيق الانتصارات بقوله " لست أقول إن هذه الغور كان سهلاً على الرشيد، فإنه طوح من الرجال وأنفق من الأموال ما هو حقيق بأن يُنظَر فيه، فإن الروم أهل بأس ومراس شديد وهو يقاسي معهم الحروب الصعاب، و لم يكن في شأنه معهم حيلة ولا سياسة ،وإنما هي حروب تواصلت تباعاً وأخذ بعضها برقاب بعض لما يروم من عموذ السلطان حتى يركب عليهم سيف الإسلام، وإلا فإن الجزية التي يُطمَع فيها لاتفي بالقليل من الأموال التي تنفقها الدولة، وهي بمكانها من المهاجمة ومكان الروم من المدافعة في ظلال الأسوار، وفي ذلك تفاوت بعيد في خسائر القتال، والذي يدلك على قوة الإسلام أنه غزاهم غزوات كثيرة ما أخفق في واحدة منها ". [3]

---

[1] – الأزدي: تاريخ الموصل، ص٣٠٦، ابن الأثير: الكامل ج٦ ص٢١١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،٢٢٩، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣١٨.

[2] G.Finlay: Byzantine Empire,Oxford,1877, p.95

[3] – المدور : تاريخ العراق،ص١٤٨.

مع أنه في الأعوام الأولى من حكم الرشيد لم تكن تحركات العرب المسلمين على الجبهة البيزنطية سوى تحركات دفاعية بعرض الجهاد ،و لم تكن لتصل إلى المستوى الهجومي المنظم، وهذا تغير في السنوات الأخيرة من حكمه كما سبق و ذكر، و يبدو أن ما ساعد الخليفة هارون الرشيد في إحراز هذا الرصيد المجيد على الصعيد العسكري، هو تسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية أباطرة ليسوا بضعفاء، ولكنهم لا يرقون لمستوى القوة المنظمة التي كان يتمتع بها هارون، فالإمبراطورة إيرين و ولدها قسطنطين السادس، ومن ثم الإمبراطور نقفور الأول كانوا مشغولين بالأحداث الداخلية و الصراع الديني والشخصي أكثر من اهتمامهم لتنظيم قواتهم لمواجهة هجوم المسلمين، كما أن الإمبراطور الأخير نقفور لم يكن يمتلك الحنكة السياسية التي كان لزاماً أن توجد بالأباطرة، فقد كان يفتقر إلى الحنكة وبعد النظر، ولم يقدر قوة خصمه بشكل جيد وربما تأثر بوظيفته المالية السابقة، مما أبعده عن الحياة السياسية والعسكرية، وجلب لدولته الويلات والحروب، بسبب عدم التزامه بما عقده مع المسلمين و استطاع المسلمون أن يستولوا على مدن وتحصينات بيزنطية مهمة.

مما لا شك فيه أنّ عوامل كثيرة تضافرت مع بعضها، فكونت شخصية هارون المتميزة والتي جعلته فريد عصره، فما كان لدهائه وفطنته وحذاقته كلها أن تسهم في تحقيق الانتصارات المتتالية التي حققها على بيزنطة، لولا أن اقترنت جميعها بجرأته وشجاعته وحنكته التي جعلته يستغل هنات أعدائه وهفواتهم المتكررة، واستطاع توظيفها لتحقيق انتصاراته المتميزة.

ثانياً- العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة عبد الله المأمون ١٩٨-٢١٨هـ ./٨١٣-٨٣٣م:

بعد وفاة الخليفة العباسي هارون الرشيد في العام ١٩٣هـ ./٨٠٩م، تسلم ولده محمد الأمين مقاليد الخلافة ، و منذ استلامه للخلافة بدأ الخلاف بينه و بين أخيه عبد الله المأمون على منصب الخلافة، الذي كان الرشيد سابقاً قد أوصى له بالخلافة بعد أخيه الأمين، ومن ثم أوصى لولده القاسم، إلا أن الأمين لم يحافظ على هذه الوصية و بدأ بالتخطيط لتسليم ولده موسى الخلافة من بعده، فقد أمر في العام ١٩٤هـ ./٨٠٩م بإسقاط ما كان قد ضرب لأخيه المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان، و أمر بالدعاء لولده موسى بن الأمين على المنابر، و قطع ذكر المأمون، ثم قام بعزل أخيه القاسم عن الجزيرة، و أبقاه على قنسرين و الثغور والعواصم.[1]

تأزمت الأوضاع الداخلية للدولة العباسية بشكل كبير على أثر الخلاف الشديد الذي جرى بين الأخوين (الأمين و المأمون) والذي انتهى بمقتل الخليفة الأمين في العام ١٩٨هـ ./٨١٣م ، ومبايعة أخيه المأمون بالخلافة في العام نفسه.[2]

---

[1] - ابن قتيبة: المعارف، تح:ثروت عكاشة ، مصر، دار المعارف،١٩٦٩م،ص٣٨٤ ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٤٧٨، المسعودي، مروج الذهب،ج٣ ، ص ٤٢٣ ، الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي ت٤٦٣هـ ./١٠٧١م)، تاريخ بغداد،بيروت،دار الكتاب العربي،د.ت، ج٣ ،ص٣٣٦ ،ابن الأثير: الكامل، ج٦ ،ص٢٢١ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج٩ ،ص٣٣٤ ،ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥، ص١٣٥.

[2] - مزيد من التفصيل عن الحرب بين الأمين و المأمون ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ص ٦٤٦، المسعودي، مروج الذهب، ج٣ ،ص ٤٢٥ ، الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد، ج١ ،ص ١٨٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٢٧٢، الصفدي: الوافي بالوفيات ج١٧ ص٥٥٦، القلقشندي (ابو العباس أحمد بن عبد الله ت٨٢١هـ ./١٤١٨م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، بيروت ١٩٨٠، ج١،ص٢٠٨ ، الاعتبار (سبب): محمد الأمين بن هارون الرشيد، دمشق، منشورات دار الرواد،١٩٥٥م، الكردي (إبراهيم سليمان): نظام الوزارة في العصر العباسي، مصر،١٩٨٩م،ص١٢٣ و ما بعدها، من.أ.د. الإدارة العربية، ترجمة، إبراهيم أحمد عدوي،القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٨١.

-شعر الخليفة الجديد عبد الله المأمون بالمشاكل الداخلية الكثيرة التي انتشرت داخل حدود دولته، فمن ثورة نصر بن شبث العقيلي التي استمرت أكثر من اثني عشر عاماً ١٩٨-٢١٠هـ /٨١٣-٨٢٥م، و ظهور ابن طباطبا في الكوفة، و الذي دعا إلى الرضا من آل محمد عليه الصلاة و السلام عام ١٩٩هـ /٨١٤م [1].

ومن ثم ظهور أبي السرايا[2] و غيرها من الحركات والثورات التي ظهرت ضد الخليفة المأمون و الذي حاول أن يغير طبيعة الدولة العباسية ،إلا أن محاولته أدت إلى انتفاضات هائلة في جميع المدن في الكوفة، وكيسوم، و مصر.

هذه الأوضاع الداخلية المتأزمة في الدولة العباسية جعلت الخليفة المأمون يهمل الجبهة الخارجية، وخاصة علاقاته مع الإمبراطورية البيزنطية، والتي لم تكن في حال أفضل من حال الدولة العباسية، فقد كانت الأوضاع الداخلية في الإمبراطورية متأرجحة بين المشاكل الخارجية مع البلغار، و المشاكل الدينية التي كان كل إمبراطور يحاول أن يفرض قناعاته فيها، و خلال فترة حكم الخليفة العباسي الأمين والمأمون تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية أكثر من ثلاثة أباطرة، فبعد قتل الإمبراطور نقفور الأول Nicephorus على يد البلغار في العام ١٩٦هـ /٨١١م، تسلم عرش الإمبراطورية ابنه ستوراكيوس Stauracius لكن هذا الإمبراطور كان مريضاً، فتوفي

---

[1] - ابن طباطبا، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الإمام علي الطبري،تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص٥٢٨، اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٤٥٤.

[2] - أبو السرايا السري ابن منصور الشيباني بأمر الحرب و الذي خرج بعد أن انتشر بين الناس بأن الفضل بن سهل تغلب على المأمون و حجبه عن أهله و بيته و قواده، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص ٤٥٤، المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ص ٤٢٥.

في العام نفسه، و لهذا انتقل عرش الإمبراطورية إلى ميخائيل الأول روج ابنة الإمبراطور السابق نقفور Michael I و الذي حكم فترة قصيرة ١٩٦ ١٩٨هـ ./ ٨١١ – ٨١٣م، وعمل خلالها على إعادة الرهبان المنفيين و عمل على إعادة عبادة الأيقونات، كما أنه أهمل السياسة الاقتصادية للبلاد، و عمل على تبذير ثروة البلاد على رجال الجيش و البلاط و رجال الدين، وانتهى به الأمر إلى أنه خسر خسارة كبيرة أمام البلغار، مما جعل الشعب يثور عليه، وهكذا خلع ميخائيل الأول عن العرش و تولى مكانه ليو الأرمني.[1]

تسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور ليو الخامس في عام ١٩٨هـ ./٨١٣م الأرمني الأصل، والذي كان قائداً لثغر الناطليق، و استطاع الإمبراطور أن يكسب ثقة الجيش و الشعب، وتمكن من أن يحقق انتصارات على أعداء دولته البلغار، و لكنه عاد ليتخبط في المشكلة الدينية عبادة الأيقونات ، فقد كان ليو الخامس من المحاربين للأيقونات وعبادتها وعقد المجمع اللا أيقوني في العام ٢٠٠هـ ./ ٨١٥م . والذي أقر بمنع تبجيل صور الموتى والأيقونات وإشعال الشموع و إحراق البخور لها، واستمر ليو إمبراطوراً إلى عام ٢٠٥هـ ./٨٢٠م، فقد قتل على يد عدد من القادة المناهضين له، وتسلم عرش الإمبراطورية ميخائيل الثاني المتلعثم stammerer.[2]

---

[1] – الطبري ج٨ ص٢٣٧،العريني:الدولة البيزنطية ص ٢٤٦-٢٥٣، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٣-١٣٤، أومان: الإمبراطورية البيزنطية ص١٥٨-١٥٩،عاقل: الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٨٢-١٨٣.

[2] ابن العبري تاريخ الزمان ص٢٤، أومان: الإمبراطورية البيزنطية ص١٦١،ربيع دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٤ ١٣٥ ، العريني:الدولة البيزنطية، ص٢٥٤ ٢٥٩، عاقل:الإمبراطورية البيزنطيه،ص ١٨٦ ١٨٩

تسلم الإمبراطور ميخائيل عرش الإمبراطورية البيزنطية بين عامي ٢٠٥-٢١٤هـ ./ ٨٢٠-٨٢٩م، وحاول أن ينهي الجدل في المسائل الدينية بطريقة محايدة، و منع الجدل حول تبجيل الأيقونات و لم يسئ لمحطمي الأيقونات أو لمؤيديها،بل أراد أن ينهي الخلاف الداخلي المشتعل في الإمبراطورية، وأراد أن يهتم بأمور أخرى في إمبراطوريته، ورغب الإمبراطور ميخائيل في أن يكسب عرشه شيئاً من القوة والشرعية بزواجه من ابنة الإمبراطور قسطنطين السادس الأعمى أيفروسين.[1]

توفي الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني في العام ٢١٤هـ ./٨٢٩م ، وتسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية ابنه ثيوفيل والذي اشتهر بثقافته وعلمه ، وشهد زمنه اللوحة الأخيرة للحركة اللا أيقونية ، كما أن الإمبراطور ثيوفيل كان مهتماً بشكل كبير بالفن العربي الإسلامي وبالثقافة الإسلامية.[2]

في ظل هذه الأحداث كان الطرفان العربي المسلم والبيزنطي مشغلين بمشاكلهما الداخلية، و لم يحاول أي من الطرفين العربي المسلم والبيزنطي استغلال مشاكل الطرف الآخر، والقيام بحملات ضده، وهذا يلاحظ بشكل كبير في السنوات الطويلة التي توقفت فيها غزوات وصوائف وشواتي المسلمين.

---

[1] - ابن العبري: تاريخ الزمان ص٢٤، أومان: الإمبراطورية البيزنطية ص١٦٢، العريني: الدولة البيزنطية ص٢٦٠، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٥، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٠.

[2] - ابن العبري:تاريخ الزمان، ص ٣٧، العريني:الدولة البيزنطية،ص ٢٧٤-٢٧٦، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية ص١٩٤.

لم يتمكن الخليفة المأمون من ضبط أحوال دولته بشكل نهائي، ولكنه تمكن من تخفيف الضغوط عنه، لذلك عمد إلى تجهيز جيوشه وإعادة الخط القتالي مع البيزنطيين، وكان يؤخذ على المأمون تأخيره للحرب مع البيزنطيين و إهماله لها حتى نسب إليه قوله: أخر الحرب ما استطعت، فإن لم تجد منها بداً، فاجعلها في آخر النهار.[1]

وفي مجريات هذه الأحداث استغل المأمون الفرصة السانحة، ليعود و يثبت لشعبه بأنه سيسير على خطى أبيه وأجداده بالحرب ضد الروم البيزنطيين، فبيزنطة انشغلت بالهجوم على صقلية[2]، لذلك قرر المأمون التوجه مع جيوشه وولده العباس إلى الحدود الإسلامية البيزنطية في العام ٢١٥هـ /٨٣٠م.

---

[1] - مسعودي، مروج الذهب، ج٣ ص٤١٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج٢ ص١٣٦، ماجد، العصر العباسي الأول ص٢٨٥.

[2] - هجوم على صقلية: فتحت جزيرة صقلية على يد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، وقد ظل حصار المسلمين للجزيرة قبداً من عام ٢١٥هـ /٨٣٠م وانتهى بفتح مدينة بلرم عام ٢١٦هـ /٨٣١م، ولم يستطع المسلمون الاستيلاء على الجزيرة كلها بالرغم ما كان يصلهم من الإمداد من إفريقية، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢،ص٩٦-٩٧

وبالفعل توجه المأمون في العام ٢١٥هـ /٨٣٠م، نحو الجزيرة العراقية، ووصل إلى حران وهناك لاحظ وجود الصابئة[1]، وتوجه المأمون إلى منبج، ثم دابق، ووصل إلى أنطاكية والمصيصة وطرسوس.[2]

ملاحظ هنا بأن خط سير المأمون الذي اختاره بهذه الطريقة يؤكد أنه أراد أن يشاهد بنفسه الأوضاع السائدة في المدن الحدودية الثغرية بعد هذه المدة الطويلة من الإهمال، ليعلم مدى تجهيزاتها العسكرية، ووضع الجنود المسلمين وأحوالهم.

---

[1] - الصابئة: أطلق هذا الاسم على فرقتين متميزتين تماماً وهما ١- المندايا أو الصبوة، وهي فرقة يهودية نصرانية تمارس التعميد في العراق، ٢- صابئة حران،وهي فرقة وثنية بقيت أمداً طويلاً في ظل الإسلام، وقد اشتهر بحكم مبدلها، ولها أيضاً شأنها لما خرج من بين صفوفها من علماء، قسم من الصابئة يعبدون الكواكب وقسم منهم يعبدون الأوثان التي صنعها البشر، وللصابئة طقوس معينة في صلواتهم وطريقة حياتهم، وكان الصابئة أول الأمر منتشرين في أرجاء شمالي العراق، ومركزهم الأكبر في حران، يمارسون شعائرهم باللغة السريانية،وقد فكر الخليفة المأمون في اضطهادهم والقضاء عليهم ،ولكن مراباهم العقلية تشفعت لهم فعوملوا بسماحة،ومن أعلام هذه الفرقة،ثابت بن قرة العالم الجليل بالهندسة والفلكي الأصيل والمترجم والفيلسوف، وثابت بن سنان الطبيب والعالم بالظواهر الجوية، وعالم الفلك المشهور البتاني، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ /١١٥٠م): الملل والنحل ، تح، حسين جمعة، دمشق، دمشق، بيروت،دار رانية، ١٩٩٠م،ص٢٠٣، مجموعة من الباحثين. دائرة المعارف الإسلامية، مادة الصابئة،مج ١٤،ص٨٩-٩٠-٩١،حتي: تاريخ سورية،ج٢، ص١٧٨ ، هونكه (زيغريد): شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون،كمال دسوقي، راجعه، مارون عيسى الخوري، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط٣، ١٩٧٩م .

[2] ابن العديم: بغية الطلب،ج١، ص٦٧، المقريزي: المقفى الكبير،ج٤،ص٢٨٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨، فازيليف: العرب والروم ،ص٩٢، مصطفى: العصر العباسي، ص٢٨٠، العريني: الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٧٩.

ونتيجة للإهمال الذي كانت تعاني منه المدن الثغرية على الحدود ،و لعدم وجود قوة كافية تحميها وترعاها ولعدم التفات الخلفاء هذه المدة الطويلة لأوضاعها، تمكن البيزنطيون من الاستيلاء على عدة حصون كانت بحوزة المسلمين مثل حصن سنان، وحصن سندس، وحصن صملة وقرة، وحصن ماجدة.[1]

توجه الخليفة المأمون نحو طرسوس وبصحبته ولده العباس ومانويل (اللاجئ البيزنطي لدى العباسيين)، بالإضافة إلى القادة الأتراك مثل أشناس وجعفر الخياط.

عمل المأمون في هذه الحملة على تقسيم جيشه بحيث يتمكن من ضرب عدة نقاط لدى البيزنطيين. فالمأمون توجه من طرسوس إلى منطقة ثيم الأناضول، وبدأت الصدامات تحدث بين المأمون وأهالي المنطقة الذين كانوا يتخذون من الكهوف الموجودة في تلك المنطقة ملاجئ تحميهم من ضربات المسلمين، وبدأت الحصون البيزنطية بالتهاوي، ولم تعد تقوى على مقاومة المسلمين، فاستسلم في البداية حصن ماجدة، وتوجه المأمون لحصار حصن آخر، وهو حصن قرة، و لكن أهالي الحصن واجهوا حصار المأمون بمقاومة شديدة وعملوا على مقاومة الحصار ما أمكنهم، فلم يستسلموا بسهولة، ولكن المأمون بدوره شدد عليهم الحصار، إلى أن توسل الأهالي ليأمنهم على حياتهم، ومن ثم عمل المأمون على هدم الحصن تماماً، كيلا يتمكن أهله من العودة إليه والتحصن به.[2]

---

[1] - مصطفى. التاريخ العباسي ص٢٨٢ ، رفاعي(أحمد فريد): عصر المأمون، القاهرة،مطبعة دار الكتب المصرية،١٩٢٨م،ص٢٩١

[2] -الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٦٢٣،الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٩٩، ابن الأثير: الكامل، ج٦،ص٤١٧ ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون، ج٣ ص٢٥٦ ، ميخائيل السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣ ،ص ٤٠، فازيليف: العرب و الروم ص ٩٤-٩٥، ماجد :العصر العباسي الأول،ص ٣٨٥، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٧٩.

وتوجه القائد أشناس إلى حصن سندس، وعمل على حصاره ولكن سرعان ما استسلم الحصن، وتمكن أشناس من أسر رئيس الحصن و التوجه به إلى المأمون، أما حصن سنان، فكان يحاصره القائدان عجيف بن عنبسة، و جعفر الخياط اللذان تمكنا من الاستيلاء عليه.[1]

أما بالنسبة إلى الجيش الذي كان بقيادة العباس بن المأمون و كان معه مانويل، فقد أرسله المأمون إلى ملطية والحدث، وكان على هذا الجيش أن يحدد مسرح عملياته في المنطقة الشرقية من ثيم قبادوقيا و لكن لم تذكر المصادر أي عمل قام به العباس أو جنوده في هذه المنطقة، و لم يفتح العباس أي حصن أو مدينة، وإنما عاد بجيوشه لينضم إلى والده.[2]

ويلاحظ في هذه الحملة نقاط عدة:

أولاً: المأمون و على الرغم من إهماله للجبهة الخارجية البيزنطية لمدة من الزمن، إلا أنه لم ينس هذا الصراع الدائم والمستمر بين الطرفين، خاصة وأن بيزنطة عملت على دعم الحركات الداخلية في الدولة العباسية كحركة بابك الخرمي.

ثانياً: يلاحظ أيضاً بأن العنصر التركي بدأ يظهر بشكل كبير بين صفوف الجنود العباسيين، كأشناس التركي، وجعفر الخياط، في حين بدأ النفوذ الفارسي المسيطر في الحملات السابقة يقل، ليظهر بدلاً عنه العنصر التركي.

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨ ،ص ٦٢٣. ابن الأثير: الكامل، ص ٤١٧، السيوطي: تاريخ الخلفاء ،ص ٣٠٨، فازيلييف: العرب و الروم، ص٩٥.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ،ص٦٢٣. ابن الأثير: الكامل ،ج٦ ،ص٤١٧، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٥٦، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ،ص٣٧٥، فازيلييف: العرب و الروم ص٩٥، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٣٨٥.

ثالثاً. من هذه الحملة يلاحظ و بشكل واضح وجود أشخاص من الجانبين العربي المسلم، و البيزنطي تساعد كلا الجانبين، لتدل على نقاط ضعف الخصم، و ذلك ظهر بشكل واضح عندما ذكر (مانويل اللاجئ الرومي) في سياق هذه الحملة التي قادها المأمون، فقد ذكره بعض المؤرخين العرب، و أشاروا إلى أنه كان مشاركاً للعباس ابن المأمون في التوجه نحو ملطية.[1]

أما البعض فيذكر بأن مانويل البطريق هرب من قرة عندما فتحها الخليفة المأمون، و لم تذكر المصادر وجهة مانويل، وماذا حدث له؟.[2]

أما المصادر اليونانية، فتتحدث عن اللاجئ مانويل مطولاً، فمانويل قام بتمرد ضد الإمبراطور توفيلس، وهرب مع خمسين فارساً، و توجه نحو بلاد المسلمين إلى الخليفة المأمون، وتحالف معه على أن يهاجم المأمون الأراضي البيزنطية، ويساعده مانويل في سيره، ويدله على نقاط الضعف والثغرات في الدولة البيزنطية.[3]

وبالفعل فقد توجه مانويل مع المأمون في هذه الحملة، و تمكن المأمون من الاستيلاء على عدد كبير من الحصون البيزنطية، وأناب المأمون مانويل على هذه الحصون، وترك معه عدداً من الجنود، لحماية الحصون التي استولى عليها المسلمون، وعاد المأمون إلى بغداد.[4]

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٦٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤١٨ أما ابن خلدون لم يذكر وجود مانويل مطلقاً. ابن خلدون ج٣ ص٢٥٦. ابن خياط لم يتحدث عن المأمون أبداً.

[2] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص٤٦٥.

[3] – ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٧. الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٣٧.

[4] – الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٣٨، فازيليف: العرب و الروم ص٩٣.

إلا أن مانويل لم يحافظ على علاقته مع المأمون، ونكث بعهده مع الخليفة المأمون وتخلى عن مجموعة الجنود المسلمين الذين كانوا معه، وعاد إلى الإمبراطور توفيل بعد أن قدم له الاعتذرات، وصالحه و أعطاه الإمبراطور ولاية عدد من المدن الداخلية في الإمبراطورية.[1]

وتذكر المصادر اليونانية بأن مانويل عند هروبه ومصالحته للإمبراطور، لم يؤذ أياً من الجنود المسلمين.[2]

وهذا يخالف ما ذكره أحد المؤرخين العرب الذي ذكر بأن مانويل قام بطرد الجنود المسلمين من المنطقة التي كان مسؤولاً عنها، و أخذ أسلحتهم و مؤنهم، و توجه إلى الإمبراطور[3].

وهذا الوضع أقرب إلى الواقع، فمن غير الممكن أن يترك مانويل أسلحة للمسلمين و مؤنهم معهم وهو يهرب، بل لابد من أن يكون قد استعان بعدد من الجنود البيزنطيين فساعدوه في هروبه وعودته إلى الإمبراطور بعد أن طردوا المسلمين وأخذوا أسلحتهم.

أما السؤال الذي يطرح هنا هو، لماذا تم إهمال دور مانويل وهروبه ونكثه لوعده مع الخليفة المأمون من قبل عدد كبير من المؤرخين العرب، ثم لماذا نجد عدداً من المؤرخين لم يذكروا مانويل مطلقاً؟

---

[1] – ابن العبري: تاريخ الزمان بص ٢٨، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٣٨.

[2] – الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٣٨.

[3] – ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ١٢٤

فاليعقوبي والطبري وابن الأثير ذكروا اسم مانويل من دون أية تفاصيل، أما ابن خلدون فلم يذكر شيئاً عن مانويل، كما أن المؤرخ ابن خياط لم يتحدث مطلقاً عن حملات المأمون ولم يذكر ولو إشارة بسيطة عنها.

لم يكن المؤرخون العرب بشكل عام ليتوسعوا في ذكر تفاصيل الحملات، وأحداثها الداخلية، ولكن عندما ذكر البعض مانويل ولم يذكروا شيئاً عن دوره، فهذا يطرح تساؤلاً مهماً هو هل علم المؤرخون العرب بدور مانويل وبكثه لعهده مع المأمون بمساعدته في احتلال أراضي الإمبراطورية الرومية؟ ولم يذكر المؤرخون هذه الأحداث وقللوا من قيمتها على مبدأ أن مانويل ضحك على الخليفة المأمون، وكان أذكى منه في تقديره للأحداث، وهل كان مانويل يريد أن يظهر للإمبراطور توفيل بأنه قادر بعد هروبه من الإمبراطورية من كسب ود العدو اللدود والدائم للمسلمين ويلوح بهذه العلاقة بوجه الإمبراطور؟ ثم كيف استطاع أن يخدع الخليفة المأمون ويوهمه بعلاقته الجيدة به؟ ويقوم المأمون بتصديقه وتسليمه قيادة ما فتحه من حصون، ومن ثم يهرب مانويل ويعود إلى الإمبراطور.

هل هذه الحادثة غير موجودة، وتم اختلاقها من قبل المؤرخين اليونان، وتم تناقلها كما هي العادة من مصدر إلى آخر، ليبينوا مدى ذكاء القادة البيزنطيين وقدرتهم على استغلال العداوة الدائمة بين العرب والبيزنطيين والتحايل على خلفاء المسلمين وكسب ودهم؛ لتحقيق مصالحهم أولاً وأخيراً؟ وقصة مانويل تستدعي النظر إليها بعين الحيطة والحذر لعدم ثبات صحتها حتى الآن في المصادر.

ومما يلاحظ في هذه الحملة أيضاً بأن المأمون كان يسير على خطا آبائه وأجداده في العمل على وجود ولده معه في حربه ضد البيزنطيين، ليعمل على تصوير أولاده بأنهم قادرون على قيادة الأعمال الحربية، ولكن المأمون لم يكتف فقط بما حققه من نجاح في هذه الحملة ، بل عدها بمنزلة التمهيد لحربه المنظمة و الكبرى في العام التالي، لذلك توجه المأمون إلى دمشق، ليكون قريباً من منطقة الثغور، و ليعيد تنظيم قواته لشن حملة ثانية على الروم البيزنطيين.

بعد هذا الانتصار الذي حققه المأمون على البيزنطيين شعر الإمبراطور ثيوفيل بالخزي، وأراد أن يعيد لدولته هيبتها ولشخصيته قوتها، فلم يقبل بهذه الهزيمة، و إنما عمل على الانتقام لتلك الهزيمة، ولهذا جهز الإمبراطور ثيوفيل جيشاً كبيراً مزوداً بأفضل التجهيزات الحربية من عدة وعتاد، وتوجه هذا الجيش إلى الحدود الإسلامية وانقسم إلى قسمين، قسم توجه إلى ثغري المصيصة وطرسوس، وعمل الروم البيزنطيون على تخريب المدينتين بشكل كامل، وقتل الإمبراطور ثيوفيل ما يقارب الألفين من سكان المدينتين، والقسم الآخر من القوات البيزنطية توجه إلى حصن خرشنة[1] وتمكن هذا القسم من إلحاق هزيمة كبيرة بالقوة المسلمة الموجودة هناك، وكانت أعداد الأسرى العرب المسلمين الذين قام البيزنطيون بأسرهم ما يقارب (٢٥) ألف أسير.[2]

وعاد الإمبراطور ثيوفيل إلى القسطنطينية محملاً بانتصاره الكبير، خاصة وأنه منذ زمن بعيد لم يتمكن الروم البيزنطيين من أسر هذه الأعداد الهائلة من العرب المسلمين، وتم تحصين حصن

---

[1] خرشنة:يبدو أن ثغر خرشنة كان تبعيته في ذلك الوقت للمسلمين بوهذه حال غالبية الثغور و خصوصا انقلاع مسكنيها تتأرجح بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين.

[2] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٤٠٥، ج٨، ص ٦٢٥،ابن الأثير: الكامل ج٦ ص٤١٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص١٥٦، فازيليف: العرب و الروم، ص ٩٦

استقبال صخم للإمبراطور في القسطنطينية بحضور كبار الشخصيات البيزنطية الدينية و المدنية، وكان مع الإمبراطور موكب آخر لأسرى العرب المسلمين وللغنائم التي حصل عليها البيزنطيون، وذلك لإنجاح البيزنطيين و إظهار مدى قوة الإمبراطور، و قدرته على الانتقام لهزيمته السابقة[1] ولم يستمتع الإمبراطور كثيراً بانتصاره هذا، فسرعان ما كان عليه أن يعود للدفاع عن حدود دولته ضد هجوم الخليفة المأمون، فعندما علم المأمون بما قام به الإمبراطور من قتل ونهب وسبي في ثغري طرسوس والمصيصة، وما كان من موقف مانويل وخيانته المسلمين، وبأن سكان الحصون التي فتحها في العام الماضي قد ثاروا ثانية على المسلمين و قتلوا أعداداً كبيرة منهم، فقد عمل المأمون على تجهيز جيش ضخم ضم ما يقارب مئتي ألف جندي، وكان مع المأمون في حملته هذه أخوه أبو إسحق المعتصم بالله وابنه العباس وعدد من القادة الأكفاء أمثال يحيى بن الأكثم.[2]

وهكذا توجه الخليفة المأمون في عام ٢١٦هـ ./ ٨٣١م مجتازاً الحدود إلى كبادوكيا، وهناك حاصر المأمون هرقلة بعد أن عادت هذه المدينة إلى أيدي البيزنطيين، ولهرقلة أهمية إستراتيجية كبيرة في منطقة كبادوكيا، فهي من أمنع مدنها وحصونها، و تمكن المأمون من دخول المدينة بعد حصارها، ثم تجاوزها وانتقل إلى مناطق متعددة، وهنا قرر المأمون تقسيم الجيش، ليتمكن من

---

[1] - مزيد من التفاصيل عن احتفالات الإمبراطور ثيوفيل بانتصاره في عام ٢١٦هـ ./٨٣١م ينظر فازيليف العرب و الروم ص ٩٧- ٩٨-٩٩-١٠٠.

[2] اليعقوبي تاريخ اليعقوبي،ج٢ ص٢٦٥، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٢٥، ابن الأثير الكامل،ج٩، ص٤١٩، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج٣،ص٢٥٦، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٨-٣٩.

تحقيق انتصارات متعددة في وقت واحد، فقسم توجه من طوانة باتجاه المدن والحصون الأخرى وكان بقيادة يحيى بن الأكثم[1]، وقسم آخر من الجيش كان بقيادة الخليفة المأمون الذي توجه إلى إقليم المطامير وتمكن من فتح حوالي اثني عشر حصناً و مطمورة، و لإقليم المطامير، أهمية كبيرة خاصة وأن المطمورة كانت مكاناً لتخزين الحبوب و خاصة القمح فباستيلائه عليها يؤمن مخزوناً كبيراً من الحبوب لجيشه، وتوجه أبو إسحق أخو المأمون إلى داخل كبادوكيا، وتمكن من الاستيلاء على ما يقارب ثلاثين حصناً و مطمورة و منها "حصن حردبلية" وتم تخريب هذه الحصون.[2]

أما القسم الآخر من الجيش الذي كان بقيادة العباس بن المأمون، فقد اصطدم مع قوات الإمبراطور ثيوفيل الذي توجه لمحاربة المسلمين، ولكنه أصيب بهزيمة كبيرة على يد العباس، والذي

---

[1] - يحيى بن الأكثم: أبو محمد يحيى بن الأكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشيخ التميمي الأسيدي المروزي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب ، وقد اشتهر يحيى بخبرته العسكرية وعلمه وقد قلده المأمون قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته بالبصرة، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦،ص١٤٧، القلقشندي: تحفة ذوي الألباب ، ج١، ص٢٣٢.

[2] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ، ص ٢٦٥، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٦٢٥، الأزدي، تاريخ الموصل ص٤٠٥،ابن الأثير: الكامل ص٤١٩ ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣ ص٢٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٠، ص ٢٧٨-٢٧٩، المقريزي: المقفى الكبير،ج٤،ص٢٨٦، السيوطي تاريخ الخلفاء،٣٠٨، فاريليف: العرب والروم ص١٠١. الرهاوي المجهول تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٩ ٤٠، يذكر المؤرخ السرياني ميخائيل بأن الحصن الذي توجه نحوه المأمون هو حصن نقلون و لم يفلح في احتلاله، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣ ،ص٤٠.

تمكن من قتل أعداد كبيرة من جنود الإمبراطور وتمكن من السيطرة على عدد من الحصون الرومية ،الأنطيقون، الأخرب،و حصين. [1]

ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل لم تكن لديه النية لمتابعة الحرب مع المسلمين أو حتى مواجهتهم، لذلك و منذ أن سمع بأن الخليفة المأمون اجتاز الحدود أرسل إلى المأمون وهو في أذنة سفيراً رومياً عرض على المأمون رسالة من الإمبراطور، يعرض فيها على المأمون إطلاق سراح خمسمئة أسير و قد بدأ الإمبراطور الرسالة باسمه ،إلا أن المأمون رفض طلب الإمبراطور ثيوفيل، فكان لزاماً على الإمبراطور أن يعمل على الدفاع عن حدوده و لكن من دون فائدة. [2]

و لم تذكر بعض المصادر بشكل واضح أن الإمبراطور ثيوفيل عرض على المأمون فك الأسرى والهدنة و لم تذكر أيضاً مدتها ،و إنما ذكرت فقط بأن الإمبراطور ثيوفيل أرسل كتاباً للمأمون بدأه بنفسه، لذلك غضب المأمون، و تذكر المصادر بأن سبب حملة المأمون في هذا العام غضبه من الإمبراطور من طريقة الكتاب الذي أرسله للمأمون، ولم تذكر المصادر مضمون الكتاب، فهل وصل للمأمون كتابان من الإمبراطور ثيوفيل،وبسببهما توجه المأمون نحو الحدود؟ أم أن الكتاب الثاني وصل إلى المأمون بعد أن دخل المأمون الأراضي البيزنطية؟ . [3]

---

[1] - اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٦٥. فازيليف: العرب والروم ص١٠٣ العريني الدولة البيزنطية ص٢٨٠. مؤلف مجهول: العيون والحدائق ص٣٧٥.

[2] الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٦٢٥. فازيليف: العرب و الروم ص١٠٤ ابن الأثير الكامل، ج٦ ، ص٤١٩. مؤلف مجهول: العيون و الحدائق ص٣٧٤-٣٧٥.

[3] الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٦٢٥، ابن الأثير:الكامل ج٦ ص٤١٩، مؤلف مجهول: العيون و الحدائق ص٣٧٤-٣٧٥، رفاعي: عصر المأمون، ج١ص٢٩١.

وهذا السبب (الكتاب) لا يمكن أن يكون هو السبب الحقيقي لحملة المأمون في هذا العام،ولكن ربما أراد المؤرخون أن يقارنوا بين ماحصل مع الخليفة هارون الرشيد و الإمبراطور نقفور الذي أساء للرشيد في كتابه، وشن الرشيد حملته عليه، واستولى بها على هرقلة، مع ما حصل بين المأمون وثيوفيل من خلال هذا الكتاب ،و هناك مصادر أخرى تذكر بأن الإمبراطور ثيوفيل أرسل للمأمون كتاباً مع العالم النحوي حان يعرض عليه مئة ألف دينار، وفك الأسرى وعددهم سبعة آلاف أسير وأن يترك المأمون الحصون و المدن التي استولى عليها، وأن يعقد الطرفان هدنة مدتها خمس سنوات.[1]

و لم يردّ المأمون على كتاب الإمبراطور هذا، وإنما تابع مسيره إلى كيسوم، ومن ثم إلى دمشق، وعلى الأرجح بأن الخليفة المأمون ورده كتابان من الإمبراطور ثيوفيل، الأول عندما سمع الإمبراطور بأن الخليفة قد جمع جيوشه وتوجه إلى الأراضي الرومية، والثاني بعد أن تمكن المأمون من السيطرة على هرقلة وعلى عدد كبير من الحصون الرومية.

أما موقف الإمبراطور ثيوفيل هذا، فيرجع إلى أن الإمبراطور لم يكن في وضع يسمح له بأن يفتح جبهتين مع المسلمين، جبهة في الأندلس، و الأخرى مع المأمون.

أما المصادر اليونانية، فتذكر بأن الخليفة المأمون ردّ على الإمبراطور ثيوفيل بكتاب جاء فيه: إني مبرم الصلح بشرط أن تنادوا بي ملكاً عليكم، أما الضريبة، كثيرة أم قليلة، فلست أعارضكم فيها، و لم يرد الإمبراطور على كتاب المأمون هذا.[2]

---

[1] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٤٦٥.

[2] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني ،ج٣ ،ص٤١ ،ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص٢٨.

لا يمكن هنا تصديق هذا الكتاب أو تكذيبه، خاصة و أن المصادر العربية لم تذكر هذا الكتاب، لذلك يجب أخذ هذه الرواية بحذر إلى أن تظهر مصادر أخرى تؤكدها أو تنفيها، وتذكر المصادر اليونانية بأنه كان من نتائج هذه الحملة أن أمر المأمون بذبح ما يقارب عشرين ألف شخص، وبيع نسائهم وأولادهم في معسكر المسلمين، ونهب أموالهم،أما فيما يتعلق بالمدن والحصون والقرى التي سيطر عليها المسلمون، فقد عمل المأمون و قادته على تدمير أسوار المدن وحرق القرى والمحاصيل، وهدم كل ما يمكن أن يستخدمه البيزنطيون للدفاع عن مدنهم أو للتحصن بها.[1]

ويلاحظ هنا بأن المأمون عمل على ضرب الحياة الاقتصادية و المعيشية في هذه المدن و الحصون، لكي لا يتمكن البيزنطيون من إعادة إعمار ما هدّم إلا بعد مدة طويلة، أما بالنسبة إلى قيام المسلمين بقتل البيزنطيين، فهذا العدد من الممكن أن يكون مبالغاً فيه، فإذا أراد المسلمون أن يقتلوا البيزنطيين، فإنهم يقتلون أعداداً، ليشيروا الخوف والرعب في قلوب السكان، ولكنهم يتركون الباقي معهم كأسرى، لتكون ورقة في يدهم، يفاوضوا من خلالها كما جرت العادة.

وهكذا، وبعد هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها الخليفة المأمون وجيشه عاد إلى كيسوم، بسبب قدوم الشتاء، خاصة و أن المسلمين يفضلون أن تكون غزواتهم في الصيف والربيع، ليتمكنوا من تأمين الماء والكلأ لجيادهم، ولأنهم يفضلون الطقس المعتدل على الطقس البارد، وبعد ذلك عاد الخليفة المأمون إلى دمشق.[2]

---

[1]- الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول ص ٣٨-٣٩.

[2]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص٤٦٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٨ ،ص٦٢٥. ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص٤١٩. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣ ،ص٢٥٦.

لم يكن المأمون يرغب في أن ينهي حربه قبل أن يحقق هدفه وطموحه، وهو التوجه إلى القسطنطينية، لذلك ما إن سمحت له الفرصة، واستتب الوضع الداخلي المضطرب في مصر[1]، حتى عمل على تجهيز الجيوش من جديد والتحضير لحرب طويلة، كان الهدف منها الاستيلاء على أرض الروم البيزنطيين، وتوطين العرب المسلمين فيها، و هذا ما يثبته قوله حين جهز لحملته هذه: ((أوجه إلى العرب، فآتي بهم من البوادي، ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى أضرب إلى القسطنطينية)).[2]

ولهذا الغرض أعد المأمون العدة، فجهز جيشاً كبيراً، وقام بعرض الأموال والقمح والنيران والجمال على كل المدن، وخاصة مدن الجزيرة العراقية، وبلاد الشام، لتموين الجيش الذي سيتوجه نحو بلاد الروم البيزنطيين ، ولأن طموح المأمون كان يكمن في توطين العرب المسلمين في المدن البيزنطية، فقد أخذ معه أعداداً كبيرة من الصناعيين و البنائين والعمال من مختلف المدن لتنفيذ مخططه.[3]

---

[1] – كان مصر تعاني من مشاكل واضطرابات داخلية كثيرة، فقد ثار الأقباط في مصر بسبب الضرائب الباهظة المفروضة عليهم، كما أنهم كانوا معرضين للعديد من القيود فقد كانوا عرضة للسلب والنهب ،كما كانت كنائسهم عرضة للهدم وخاصة أثناء ثورتهم ضد العباسيين بالإضافة إلى سيطرة جماعة من عرب الأندلس المنفيين عن ديارهم على مياه الإسكندرية ، فاروق: العباسيون الأوائل، ص ١٦٦، كاهن تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص٧٩.

[2] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٦٩، العش: تاريخ الخلافة العباسية ،ص٩٧، رفاعي: عصر المأمون،ج١، ص٢٩٢.

[3] – مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٧٥، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣ ،ص ٤١، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول ،ص ٣٩.

وبعد هذه التجهيزات توجه المأمون في عام ٢١٧هـ /٨٣٢م بجيش عرمرم يتجاوز عدد أفراده مئتي ألف رجل، وهنا أيضاً يتابع المؤرخون عادتهم في تضخيم عدد أفراد الجيش العربي الإسلامي ليبينوا أهمية العمل الذي يقوم به هذا الجيش،و أخذ الخليفة المأمون معه أولاده وإخوته وأقاربه إضافة إلى عدد من القادة الأقوياء المشهورين في دولته ، وتوجه بجيشه الضخم إلى أن وصل حصن لؤلؤة، فحاصره ما يقارب مئة يوم.[1]

فلماذا اختار الخليفة المأمون حصن لؤلؤة بالتحديد كي يكون الهدف الرئيس لحملته؟

إن لؤلؤة تعد منطقة حصينة لها أهمية كبيرة، كونها نقطة متوسطة على طريق منطقة كيليكيا بين طرسوس والطوانة، وعندما يسيطر عليها يتمكن المأمون من السيطرة على منطقة دروب كيليكيا.[2]

وعمل المأمون على تشديد الحصار على حصن لؤلؤة، و لكنه لم يتمكن من فتحه أو السيطرة عليه، أو حتى عقد صلح مع أهالي الحصن، و لذلك أصر الخليفة المأمون على السيطرة عليه وإسقاطه ولأجل هذا أمر ببناء حصنين يحيطان بحصن لؤلؤة، الحصن الأول: كان بقيادة أخيه أبي إسحاق والثاني: كان بقيادة قائد يدعى جبلة، و قام أبو إسحاق بوضع محمد بن الفرج بن أبي الفرج بن أبي الليث بدلاً عنه في قيادة الحصن ربما ليتوجه إلى أخيه المأمون في سلغوس، وأشرف على قيادة القوات الموجودة، لحصار لؤلؤة القائد عجيف بن عنبسة، وترك المأمون لؤلؤة بعد أن

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٦٢٧، الأزدي: تاريخ الموصل ، ص ٤٠٨، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ، ص ٤٢١، المقريزي: المقفى الكبير،ج٤ ص٢٨٧.

[2] – لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٦٦–١٦٧

أناب عنه القائد أحمد بن سطام ليتابع مهمة الإشراف على القوات العربية المسلمة، وتوجه مع قوات أخرى نحو سلحوس ليكمل خطته في السيطرة على المدن والحصون البيزنطية . [1]

وتمكن أهل لؤلؤة من أسر القائد عجيف في أثناء الاشتباك مع عدد من الجنود البيزنطيين وأرسلوا إلى الإمبراطور ثيوفيل يبلغونه بأسرهم عجيف، ويطلبون العون منه، سارع الإمبراطور ثيوفيل بجيش ضخم ليواجه به المسلمين معتقداً بأنه سيتمكن من هزيمة العرب المسلمين بعد أن تمّ أسر عجيف، ولكن الخليفة المأمون عندما علم بقدوم ثيوفيل أرسل للقوات العربية المرابطة في الحصنين المحيطين بحصن لؤلؤة بالتوجه للتصدي للإمبراطور و قواته، و بالفعل تمكنت قوات التحصينات الموجودة من هزيمة الإمبراطور وقواته، والاستيلاء على غنائم كثيرة كانت بحوزة البيزنطيين، وهنا وصلت الأنباء إلى حاكم لؤلؤة بأن الإمبراطور ثيوفيل قد هزم، و هكذا فقد الحاكم أي أمل بمساعدة البيزنطيين له خاصة وأن المأمون كان قد منع دخول الطعام والمؤن للحصن، فسيطر الجوع و الضعف على أهل الحصن، فرأى أن يتفاوض مع الأسير لديه، وهو القائد عجيف بأن يمنحه حريته على أن يعطي المأمون الأمان لأهل لؤلؤة، وحدث هذا بالفعل، واستولى المسلمون على الحصن وأسكنه المأمون بالقوات العربية المسلمة.[2]

---

[1] – مؤلف مجهول: العيون و الحدائق ص٣٧٥، فازيليف: العرب و الروم ص ١٠٧.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨،ص٦٢٩، الأزدي:تاريخ الموصل، ص٤١٨ ابن الأثير الكامل، ج٦، ص ٤٢١، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٧٥. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٥٦، فازيليف: العرب والروم، ص١٠٧، العريني: الدولة البيزنطية ص٢٨٠.

كان المأمون ينتهج سياسة مختلفة عمن سبقه من خلفاء بني العباس، فقد كان يهدف إلى توطين القبائل العربية والعمل على استقرارها في المناطق المستولى عليها من الأراضي البيزنطية، لذلك فإنه عندما كان يستولي على مكان ما كان يعمل على إقامتهم هناك وجعل هذا المكان موطناً لهم [1]

وهكذا، نجحت خطة المأمون بالعمل على إسقاط الحصن اقتصادياً، فبعد أن يتم تدمير البنى التحتية للحصن لن تتمكن القوات المرابطة هناك من متابعة المقاومة، ولذلك فقد وجد حاكم لؤلؤة بالقائد الأسير لديه المنقذ الذي سيساعدهم في إنقاذ الحصن من التدمير، وقبل المأمون عرض حاكم لؤلؤة لأنه لم يكن يرغب بتدمير مثل هذا الحصن الاستراتيجي، بل كان يرغب في الاستفادة منه.

يلاحظ في حصار المسلمين لحصن لؤلؤة و السيطرة عليه، بأن المؤرخين السريان لم يذكروا تفاصيل حصار حصن لؤلؤة وكيفية الاستيلاء عليه ،و لكن يلاحظ بأنه تم ذكر حصن آخر يدعى لقلون، وبأن عجيف هو من حاصره، ثم استسلم له الحصن ولكن يختلف المؤرخون السريان في تحديد العام، فيذكرون بأنه كان قبل عامين من تاريخ الحصار[2]، أما الكتاب الثاني لابن العبري، فهو يذكر تفاصيل حصار لؤلؤة والسيطرة عليه، وأسر القائد عجيف، ومن ثم سيطرة المسلمين على الحصن، وبما أن أسلوب المؤرخين هو نقل الأخبار عمن سبقهم من

---

[1] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢،ص٤٦٥-٤٧٠، زكار: التاريخ العباسي، ص٧٣،العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٩٧.

[2] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص ٤١.

المؤرخين، فقد تناقل المؤرخون السريان هذه الحادثة و أشاروا إلى أنّ عجيف حاصر لؤلؤة و من ثم استسلم الحصن.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين السريان ذكروا بأن المأمون قام بجمع العمال و البنائين وأعد جيشاً ضخماً للتوجه إلى بلاد البيزنطيين و لكن لبناء مدينة الطوانة.[2]

وهنا يجب على القارئ أخذ الرواية العربية و التاريخ العربي الدقيق، و ذلك لأن المؤرخين العرب المسلمين يذكرون الأفعال التي يقوم بها الخلفاء بدقة متناهية.

بعد هذا الانتصار الذي حققه العرب المسلمون بالاستيلاء على لؤلؤة، أحسّ الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل بأن الخليفة المأمون لن يقف عند هذا الحد بل سيعمل جاهداً للاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي البيزنطية، لذلك فكّر بأن يرسل للخليفة المأمون الرسل للتفاوض معه و عرض عليه الصلح والهدية وجاء في الكتاب الذي أرسله الإمبراطور ثيوفيل للخليفة المأمون وبدأه بنفسه ((أما بعد فإن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما في الرأي مما عاد بالضرر عليهما ولست حَرِيّاً أن تَدَعَ لحظ يصلُ إلى غيرك حظاً تحوزه إلى نفسك وفي علمك كافٍ عن إخبارك وقد كنتُ كتبت إليك داعياً إلى المسالمة راغباً في فضيلة المهادنة لتضع أوزار الحرب عنا ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحرباً مع اتصال المرافق والفسح في المتاجر وفك المستأثر وأمن الطرق والبيضة، فإن أبيتَ فلا أدب لك في الخمر ولا أزخرف لك في القول فإني لخائض إليك غمارها

---

[1] – ابن العبري: تاريخ الزمان ص٢٨.

[2] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣،ص٤١، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٤٣، ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص٢٨.

آحد عليك أسدادها شانّ حيلها ورحالها وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة وأقمتُ بيي وبيىك علم الحجة والسلام)).

بعد وصول الكتاب للمأمون رد عليه بكتاب آخر جاء فيه ((أما بعد فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت إليه من الموادعة وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الأسارى ورفع القتل والقتال فلولا ما رجعتُ إليه من إعمال التؤدة و الأخذ بالحظ في تقليب الفكرة وألا أعتقد الرأي في مستقبلة إلا في استصلاح ما أوثرُهُ في مُعتَقَبه لجعلْت جواب كتابك خيلاً تحمل رجالاً من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ثم أوصل إليهم من الإمداد وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرتهم عليكم موعدهم إحدى الحسنيين عاجل غلبة أو كريم منقلب غير إني رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفية فإن أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرةً وإن تركت ذلك ففي يقين المعاينة لنعوتنا ما يغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة والسلام على من اتبع الهدى)).[1]

وهناك خلاف حول من جاء بالكتاب للمأمون، فالبعض يذكر بأن من حمل الكتاب للمأمون هو وزير الإمبراطور و يدعى "صقيل"[2]. والبعض الآخر يذكر بأن أحد خصيان الإمبراطور هو

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٢٨٣.

[2] الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٤٠٨.

من حمل الكتاب [1]، وعلى الأرجح بأن من حمل الكتاب إلى الخليفة المأمون كان وزير الإمبراطور ثيوفيل، وذلك لأن الخلفاء المسلمين كانوا يدققون كثيراً على الشخصيات التي تحمل لهم مثل هذه المبادرات، و ينظرون بشكل كبير لمكانتهم، أما عن لهجة الكتابين، فيلاحظ بأن الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل كان يرغب و بجدية أن تتوقف الحرب بين الطرفين، وذلك لعدم قدرته على خوض غمارها، خاصة و أن العرب المسلمين كانوا قد سيطروا وبشكل كبير على عدة أماكن ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة للبيزنطيين، ولذلك جاء كتابه وهو يحمل في طياته شيئاً من اللين .

أما عن رد المأمون و ما تضمنه خطابه، فيلاحظ بأن ما طلبه المأمون من الإمبراطور وهو الدخول في الإسلام نوع من أنواع التهكم، فمن غير الممكن أن يقبل الإمبراطور بمثل هذا الطلب، و يبدو بأن المأمون كان واثقاً بأن الإمبراطور لن يقبل عرضه، كما أن الخليفة المأمون كان قد أعد العدة لاستكمال خطته التي رسمها، وهي الوصول إلى عمورية، ومن ثم إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية.

ولذلك لم يكن البيزنطيون قد أفاقوا من صدمة استيلاء المسلمين على لؤلؤة حتى طلب الخليفة المأمون من ولده العباس التوجه إلى الطوانة، و إعادة بنائها بشكل قوي ومتين، لتكون حصناً مهيباً قوياً يتمكنون من خلاله إرسال القوات باتجاه العاصمة البيزنطية.

وبالفعل توجه العباس في العام ٢١٨هـ /٨٣٣م باتجاه الطوانة، لإعادة بنائها وتحصينها، آخذاً معه العمال والبنائين والحرفيين وبدؤوا ببناء المدينة وقد بلغت مساحة الطوانة ميلاً عربياً مربعاً،

[1] - فازيليف: العرب و الروم، ص ١٠٨.

وأحيطت المدينة بسور امتداده ثلاثة فراسخ[1]، وكان للسور أربعة أبواب على كل باب حصن لحماية المدينة.[2]

كان المأمون يأمل في أن يسكن الطوانة بالمسلمين،لذلك بدأ يعرض على البلاد الإسلامية إرسال الجنود لإسكان الطوانة والإعداد لحملة جديدة للاتجاه نحو العاصمة البيزنطية، ولهذا كتب الخليفة المأمون إلى أخيه أبي إسحاق بأن يعرض أربعة آلاف رجل على كل من فلسطين ودمشق وحمص والأردن، وبأن يعطى لكل فارس منهم مئة درهم، و لكلّ راجل أربعين درهماً، وأرسل إلى مصر و فرض عليهم إرسال الفرسان، كذلك أرسل إلى الجزيرة و بغداد و قنسرين و أخذ منهم ألف رجل،و بعد أن تجمعت هذه الأعداد توجه قسم من هؤلاء الفرسان نحو الطوانة، ليكونوا تحت إمرة العباس بن المأمون، ولدى توجه العباس إلى الطوانة دعا الروم البيزنطيين الموجودين بها إلى الإسلام، أو الجزية، أو السيف،فقبل البعض دفع الجزية، أما القسم الذي بقي مع المأمون ، فلا يعلم إن كان أسلم هذا القسم أم أن المأمون أخذهم معه كأسرى ، وقد توجه إلى داخل الأراضي البيزنطية.[3]

– الفرسخ: مقياس من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال أو ثمانية عشر ألف قدم، الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، ج١،ص٢٣٣.

[2] – الطبري. تاريخ الرسل والملوك ج٨ ص ٢٩٥ ، الأزدي: تاريخ الموصل ص ٤١٢ ،المسعودي: مروج الذهب،ج٣،ص٤٥٨، ابن الأثير. الكامل، ج٦ ،ص ٤٤٠-٤٤١، ابن كثير البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٨٨، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣ ،ص ٤٢،ابن مسكويه: تجارب الأمم ،ص٤٦٤.

[3] – الأزدي: تاريخ الموصل ص ٤١٢ ، ابن الأثير: الكامل ،ج٦ ،ص ٤٤٠-٤٤١، ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،ج٣، ص٢٥٦ ، ابن مسكويه: تجارب الأمم ،ص٤٦٤، السيوطي:تاريخ الخلفاء،ص ٣٠٨ ،السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣ ،ص ٤٢، الوكيل (محمد السيد): العصر الذهبي للدولة العباسية، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٩٩٨م،ص ٣٧٣.

كان الإمبراطور ثيوفيل ما يزال يرغب في أن يتم عقد هدنة بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي، وأن يحفظ نفسه و شعبه من خوض غمار حرب جديدة لا تعرف ما هي نتائجها، لذلك وجه إلى الخليفة المأمون خطاباً يعرض عليه بأن يتكفل الإمبراطور بإعادة نفقات حملة المأمون كاملة ، وأن يبعث ما لديه من أسرى من دون فداء ، و أن يقوم البيزنطيون بإصلاح ما هدم و خرب من ثغور العرب المسلمين، بشرط أن يوقف المأمون الحرب ضد البيزنطيين،و كالعادة رفض الخليفة المأمون عرض الإمبراطور ثيوفيل ، و أرسل له مع الرسول البيزنطي قوله :" أما عرضت عن رد النفقات فإني أتبع ما جاء في كتابه تعالى على لسان بلقيس" و إني مرسلة بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون، فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون". أمّا ما عرضت من فك جميع من في أرض الروم من أسرى المسلمين، فليس لديك إلا أحد رجلين رجل أراد الله و الدار الآخرة قد أناله الله ما تمنى، أو رجل أراد عرض الدنيا، فلا يفكه الله، أما ما عرضت من إصلاح ما خرب الروم من أرض المسلمين ، فإني إن خربت أرض الروم إلى آخر حجر لم يجز ذلك في الثأر، و لا امرأة عثرت بعقالها فصرخت و محمداه و محمداه، ارجع إلى سيدك وليس بيني و بينه إلا السيف يا غلام اضرب الطبول".[1]

بعد أن رفض الخليفة المأمون عرض الإمبراطور ثيوفيل، و أرسل جيوشه، و قد تمكن من الاستيلاء على عدد من الحصون(لم يتم ذكر أسماء هذه الحصون) [2]، و لكن المأمون لم تساعده الظروف لاستكمال مشروعه، فقد مرض مرضاً شديداً في البذندون، ومن ثم توفي في عام

[1] – المسعودي:مروج الذهب ،ج٣، ص٤٥٥-٤٥٦ .

[2] – مازيليف: العرب و الروم ص ١١١، الوكيل: العصر الذهبي للدولة العباسية ص ٣٧٩.

٢١٨هـ /٨٣٣م، ودفن في طرسوس في دار كانت لخاقان خادم الرشيد ووضعوا على الدار مئة رجل من أهل طرسوس وغيرهم لحراسة القبر.[1]

بعد أن توفي المأمون تسلم عرش الخلافة الإسلامية أخوه أبو إسحاق و لقب بالمعتصم بالله ،وكان أول عمل قام به المعتصم بعد تسلمه الخلافة أن أمر بتخريب ما أمر المأمون بعمارته وبنائه في مدينة الطوانة ، و من ثم عمل على تحميل السلاح و الآلات التي أحضرها المأمون معه، و عمل على إحراق ما لم يستطع حمله من معدات و طعام و مؤن، وأعاد المعتصم الناس إلى بلادهم بعد أن كان يأمل في إسكانهم الطوانة، و من ثم عاد إلى بغداد.[2]

ويبدو أن المعتصم قام بذلك لأنه لم يكن في وضع يسمح له في متابعة ما قام به المأمون على الجبهة الخارجية، فهو خليفة جديد عليه بداية أن ينظم أمور دولته الداخلية بعد وفاة أخيه المأمون ومن ثم يلتفت للجبهة الخارجية مع البيزنطيين.

مما سبق يلاحظ بأنه في السنوات الأخيرة من حياة الخليفة المأمون كان يحاول خلالها أن يعيد ما فقدته هيبة الخلافة العباسية من أخبار انتصارات المسلمين على العدو الرئيس الدولة البيزنطية، كما ويلاحظ بأن الخليفة المأمون ورث عن أبيه الخليفة هارون الرشيد الكبرياء و العنفوان اللذين امتاز بهما الخلفاء العباسيون وتجسد ذلك في رفضهم لطلبات الأباطرة البيزنطيين في الصلح، والعمل على استغلال مواقف ضعفهم في السيطرة على حصونهم و قلاعهم.

---

[1] - المسعودي، التنبيه والإشراف،ص٣٠٤، الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٢٩٥، ابن الأثير الكامل ص٤١١، ابن كثير البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٨٨،مؤلف مجهول: العيون و الحدائق ص ٤٦٧، الأربلي خلاصة الذهب المسبوك،ص٢٢١، حتي : تاريخ العرب،ج٢،ص٣٧٢.

[2] - المسعودي: مروج الذهب، ج٣،ص٤٥٧، ابن الأثير: الكامل ج٦ ص ٤٣٩، ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٨٩، ابن مسكويه: تجارب الأمم ص ٤٧٠.

كما وغير الخليفة المأمون بعقلية حربية كانت تهدف وتخطط بشكل منظم للسيطرة على العاصمة البيزنطية، ولكن المنية وافته قبل أن قلم يتمكن من تحقيق حلمه ،في إسكان العرب في المدن البيزنطية، ويلاحظ أنه في عصر الخليفة المأمون، بدأ العنصر التركي يظهر بشكل واضح في قيادة الحملات العسكرية، ومما يثير الاستغراب بأن هناك عدداً من المؤرخين والكتاب كانوا يردون سبب توجه المأمون إلى الحرب مع الروم البيزنطيين هو العالم ليون، حين علم المأمون بوجود عالم مبدع يدعى ليون موجود في القسطنطينية، وعرف عن المأمون حبه و تعلقه الكبير بالعلوم الرياضية، لذلك طلب الخليفة المأمون رؤية العالم ليون، إلا أن الإمبراطور ثيوفيل رفض طلب المأمون، لذلك ثأر الخليفة المأمون وأعلن الحرب[1]. و هذا سبب غير منطقي، وربما يدل على قصر في نظر من أخذ بهذه الرواية ، مما دفعهم إلى اختلاق الأسباب الواهية، لعدم قدرتهم على البحث عن السبب الحقيقي.

أما البعض الآخر فيذكر بأن الحرب قامت فجأة من دون سابق إنذار أو سبب واضح.[2] ويتقل الكثير من المؤلفين الأحداث هكذا، وهذا أيضاً غير منطقي، ويبدو أنّ رهان المأمون للجبهة الخارجية جعل المؤلفين ينسون واجب الجهاد الإسلامي المفروض على كل مسلم، لحماية حدود دولته وأمنها، وبالفعل أهمل الخليفة المأمون الجانب الحدودي لدولته، ولكن حتى تمكّن من تنظيم أمور دولته الداخلية ، وقد عمل جاهداً على توجيه حملات منظمة و دقيقة وناجحة إلى عمق الدولة البيزنطية.

---

[1] – سيديو: تاريخ العرب ، ص١٨٨.

[2] – العريني: الدولة البيزنطية ،ص٢٧٧.

ثالثاً : العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة المعتصم بالله ٢١٨هـ /٨٣٣م.

تسلم أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد الملقب بالمعتصم عرش الخلافة الإسلامية في عام ٢١٨هـ . ٨٣٣م، و منذ اليوم الأول لاستلامه زمام الحكم و السلطة، بدأت الأزمات الداخلية والاضطرابات تتطور في أرجاء البلاد الإسلامية، فمن رفض عدد من القادة والجند مبايعة المعتصم، والمطالبة بابن المأمون العباس خليفة لأبيه، إلى خروج الخرمية[1] وانتشارهم بشكل كبير، ومن ثم ثورة الزط وما ترتب عليها من ضغط على الخلافة، و ما إلى ذلك من الثورات الداخلية التي انتشرت في أنحاء الدولة بأكملها، لذلك عمد الخليفة الجديد المعتصم بالله منذ البداية إلى العمل على التخلص من هذه الثورات، مما أثر على سياسته الخارجية، إذ لم يهتم كثيراً بالأحداث خارج حدود دولته، بل كان همه الأكبر محاولة نشر الهدوء في أنحاء دولته.[2]

وفي الجانب الآخر كان الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل في وضع غير جيد ، فقد كان يعمل على استعادة صقلية من المسلمين، لذلك لم يسعَ لاستغلال الأوضاع الداخلية المضطربة للخلافة العباسية ومهاجمة حدودهم.[3]

---

[1] – سيتم الحديث عن الخرمية في الفصل الرابع من الرسالة.

[2] – يعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٧١، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٧٥-٤٧٦، الأزدي: تاريخ موصل، ص٤١٥، الجوزي: المنتظم، ج١١،ص٢٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٤،ص٤٨، الذهبي سير أعلام النبلاء،ج١٠،ص٢٩٠، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٩٦.

[3] – لمزيد من التفاصيل حول حرب صقلية ينظر فاريليف: العرب و الروم،ص ١٢٩ وما بعدها.

ويلاحظ في السنوات الأولى لحكم الخليفة المعتصم أنّ هناك اختلافاً في الروايات التاريخية حول ما قام به المسلمون من غارات باتجاه الحدود الإسلامية البيزنطية، و هناك مصدر وحيد يذكر بأن الحسن بن مصعب غزا بلاد الروم البيزنطيين في عام ٢٢٠هـ ./٨٣٤م، و لكنه لم ينجح في غزوته هذه، وإنما أسر مع جيشه.[1]

و لم يتم تحديد المنطقة التي توجه إليها الحسن، كما أن المصادر العربية الأخرى و حتى اليونانية لم تذكر مثل هذه الحادثة. وعلى الرغم من ذلك لا يمكن نفي هذه الحادثة، فهناك العديد من الغزوات التي لم يرد ذكرها إلا في مصدر واحد، فإن كانت وقعت هذه الغزوة فإن المؤرخين العرب كالطبري، وابن الأثير، وغيرهم لم يذكروها، ربما لاهتمامهم أكثر بالأحداث الداخلية التي كانت تجري في تلك السنوات، ومن المرجح أنّ غزوة الحسن بن مصعب باتجاه الروم البيزنطيين كانت رداً على الهجوم الذي قام به البيزنطيون باتجاه ثغر عين زربة، فقد كان الخليفة المعتصم بالله قد نقل أعداداً كثيرة من الزط إلى ثغر عين زربة، و هناك تعايشوا مع أهلها واستوطنوا بها، وقد تعرض أهل الثغر، والزط الموجودون هناك إلى القتل والسبي، وكان ذلك في العام ٢٢٠هـ ./٨٣٤م.[2]

وهنا أيضاً يلاحظ الأمر ذاته، وهو أنه هذا هو المصدر الوحيد الذي ذكر هذه الحادثة، وهجوم البيزنطيين على عين زربة ، وكما ذكر سابقاً بأنه لا يمكن نفي هذه الحادثة أو تأكيدها لحين صدور وثائق أخرى تثبت أو تنفي ذلك .

---

[1]- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٧٩.

[2]- مؤلف مجهول: العيون و الحدائق، ص٤٧٢.

بالإضافة إلى أنّ المصادر السريانية تذكر حادثة أخرى، لتوجه عدد من جنود ملطية وأبنائها في عروة باتجاه الروم البيزنطيين، فقد قام شخص يدعى عمر (ربما كان المسؤول الإداري والعسكري عنها، والبعض يذكر بأنه صاحب ملطية، و ربما كان قائد الجند المرابطين في ملطية) وعدد من أبناء ملطية بإنشاء كمائن على الحدود الإسلامية البيزنطية للروم البيزنطيين،و لكن الإمبراطور ثيوفيل استطاع أن يواجههم و يتمكن من هزيمتهم في البداية، إلا أن العرب المسلمين لم يستسلموا وعملوا على جمع قواهم من جديد، وتنظيم أمورهم، ومن ثم توجهوا نحو الروم البيزنطيين واستطاعوا تحقيق انتصار باهر عليهم، و قتل العديد منهم، وعندما أحس الإمبراطور ثيوفيل بأنه لن يستطيع مقاومتهم، هرب مع عدد من حاشيته وجنوده، وهنا تمكن العرب المسلمون من الدخول إلى معسكره، والاستيلاء على كل موجداته حتى ثيابه و فراشه وأمواله، وكانت هذه الحادثة في العام ٢٢١هـ /٨٣٥م .(١)

لم يرد ذكر لهذه الحادثة في المصادر العربية، وربما يعود السبب كما ذكر من قبل لاهتمام المصادر العربية في هذه السنوات بالأحداث الداخلية التي كانت تجري في شتى أنحاء الخلافة الإسلامية.

ولكن من المرجح بأن مثل هذه الحادثة قد وقعت بالفعل، لأن المصادر اليونانية لم تكن لتذكر مثل هذه الهزيمة النكراء، وهرب الإمبراطور و الاستيلاء على ثيابه وفراشه لو أنها لم تحدث بالفعل، وعلى الأرجح أيضاً بأن أبناء ملطية استغلوا وجود الإمبراطور في مكان قريب من الحدود، و توجهوا إلى معسكره الموجود هناك، و تمكنوا من إلحاق الهزيمة به.

(١) – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣،ص٥٢، ابن العبري: تاريخ الزمان،ص٢٩.

استمرت هذه التحركات المتفرقة من قبل المسلمين أو من قبل البيزنطيين إلى عام ٢٢٣هـ ٨٣٧م، إلى أن قرر الإمبراطور ثيوفيل إعداد حملة ضخمة باتجاه الثغور الإسلامية بتحريض من قبل زعيم الخرمية بابك الخرمي، فقد كان الإمبراطور ثيوفيل لديه النية مسبقاً للتوجه إلى الحدود الإسلامية البيزنطية ، خاصة بعد أن حقق بعض النجاحات على جبهة صقلية، وقد حصل اتصال بين ثيوفيل و بابك الخرمي، للتنسيق حول الهجوم، فقد كان بابك يهدف إلى إشغال المسلمين عن حربه بعد أن ضيقوا الخناق عليه، و لهذا أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل رسالة كتب فيها: ((إن ملك العرب قد وجه جميع عساكره و مقاتليه إليه "إلى بابك" حتى وجه خياطه، يعني جعفر بن دينار وكان يعرف بالخياط ،ووجه طباخه ، يعني إيتاخ، وكان يعرف بإيتاخ الطباخ، فلم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمنعك، فإن خرجت الآن استعدت أضعاف ما أخذه أبوه وأخوه منكم)).[1]

بعد أن وصل إلى الإمبراطور ثيوفيل هذا الكتاب، نظم أموره و رتب أوراقه و قرر أن يستعيد هيبته على الجبهة الإسلامية، ولهذا جمع الإمبراطور ثيوفيل جيشاً يضم مئة ألف جندي، سبعون ألف جندي كانوا من بيزنطة والآخرون كانوا من الأتباع والمطوعة من جنسيات مختلفة من البلغار والسلاف ومن الفرس أتباع بابك، وبدأ الإمبراطور حربه بإرسال موفدين إلى أرمينية، لجمع الضرائب منها تحت ضغط التهديد بتدمير المدن و إحراقها في حال عدم دفع الضرائب،

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٥٦، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٤٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٧٩، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٦٢، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٩٠،٢٨٩، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣،ص٥٧، الخضري بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٣٢

وفد، وخوفاً من تدمير مدينتهم، ولأن أرمينية لم تكن تملك جيشاً قوياً لحمايتها، فقد أرسلت الضرائب للإمبراطور ثيوفيل.[1]

بعد تأدية الضرائب في أرمينية توقع الإمبراطور أنّ الأمور ستسير حسب خطته مع حلفائه، وبأنه سيتمكن من السيطرة على الأراضي التابعة للخلافة الإسلامية بسهولة ومن دون أن يتعرض لمقاومة تذكر.

بعد أخذ الضريبة من أرمينية اجتاز الإمبراطور وجيشه الحدود الإسلامية البيزنطية ودخلوا إلى زبطرة، ولم يكن أهل زبطرة يتوقعون مثل هذا الهجوم المفاجئ عليهم، وقام أتباع بابك والجنود البيزنطيون بقتل النساء والأطفال والرجال وشق البطون وهتك الأعراض والتمثيل بالأشخاص من قطع للآذان و الأنوف، فقد تم التعامل بوحشية كبيرة مع أهالي المدينة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل قام البيزنطيون ومن معهم بحرق المدينة، و سبي من بقي فيها، ونهب ممتلكاتهم.

لم يكتف البيزنطيون بما فعلوه في زبطرة، بل توجهوا إلى مدينة سميساط، وحاصروا المدينة، وخيّرهم الإمبراطور، بين ترك المدينة أو دفع الجزية، وعمل أهالي سميساط على مقاومة الحصار على أمل أن تصل المساعدات من الخليفة المعتصم وقواده، لكن المساعدات المرجوة لم تصل، وتم تضيق الحصار وتشديده على سميساط، لذلك عمل عدد من أهالي ملطية من آل ربيعة على مهاجمة الروم لتخفيف الضغط عن أهل سميساط لكن المسلمين هزموا، و قتل البيزنطيون منهم ما يقارب أربعة آلاف شخص، بعد هذه الحادثة دخل الروم البيزنطيون إلى سميساط، وأحرقوها بالكامل، وتم تدميرها بشكل نهائي.

---

[1] - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣،ص٥٧، فازيليف: العرب و الروم، ص١٢٥.

بعد سميساط سار البيزنطيون إلى أرمينية، وتم حرق عدد من أراضيها، وسبي أعداد كثيرة من سكانها، بعد هذه المجازر التي ارتكبها البيزنطيون بحق المسلمين في زبطرة و سميساط، توجهوا نحو ملطية وحاصروها و أرسل إليهم الإمبراطور تهديدات بأنه سيخرّب المدينة و يحرقها ويدمرها مثل المدن الأخرى، إن لم يفتحوا أبواب المدينة، ويستسلموا له، فإن استسلموا يعطيهم الأمان، وإن لم يفعلوا يقتلهم و يسبيهم، تشاور أهل ملطية حول ما قدمه الإمبراطور من عرض عليهم، ورأوا أن يستسلموا له بدلاً من أن يقتلوا، لذلك توجه قاضي المدينة و عدد من الزعماء إلى معسكر الإمبراطور ثيوفيل، وطلبوا منه أن يعطيهم مهلة، ليفتحوا أبواب المدينة، وأعادوا أسرى الروم الموجودين في المدينة وأعطوه بعض الهدايا، ولكي يتأكد الإمبراطور من موقفهم هذا تركوا عنده رهائن منهم، لكي يطمئن بأنهم لا يخدعوه أو ينصبوا كمائن له و لجنوده، وعلى هذا النحو سلّم أهالي ملطية المدينة للإمبراطور فدخلها و أخذ منها الأموال.(1)

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج9،ص56، البلخي: البدء والتاريخ،ص118، الأزدي: تاريخ موصل،ص424. المسعودي: مروج الذهب،ج3،ص 472-473 ،ابن الأثير: الكامل،ج6، ص479، ابن كثير: البداية و النهاية،ج10،ص 294، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج3، ص263، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج2،ص 33 ، ابن الوردي: تتمة المختصر، ص232 ، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج3، ص57، ابن العبري: تاريخ الزمان،ص31، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول،ص242، فازيليف: العرب و الروم، ص126-127، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص390.

وهنالك خلاف بين المؤرخين حول العام الذي حدثت فيه حملة الإمبراطور على زبطرة وملطية،فهنالك مصدر يذكر بأن هجوم الإمبراطور على زبطرة كان في عام٢٢٢هـ /٨٣٦م، والهجوم على ملطية كان في العام التالي٢٢٣هـ /٨٣٧م.[1]

بعد أن حقق الإمبراطور ثيوفيل هذا الانتصار الباهر على الأعداء الدائمين العرب المسلمين، عاد إلى عاصمته يحمل نصره المظفر، ولتخليد ذكرى انتصاره أمر ببناء قصر له وزرع حدائق، وتشييد قناة خاصة للقصر في منطقة برياس على الشاطئ الأسيوي، ومن ثم توجه نحو العاصمة القسطنطينية، وكانت الاحتفالات قد جهزت لأجله و خرج للقاء الإمبراطور الأطفال مزينين بالورود، و هكذا حمل الإمبراطور نصره في مدن الثغور لأهالي بيزنطة، ولم يفكر في عواقب هذا النصر.[2]

ويلاحظ في حملة الإمبراطور على زبطرة و المدن الأخرى نقاط عدة:

أولاً: استغلال الإمبراطور ثيوفيل الفرص للعمل على استعادة هيبته أمام شعبه و دولته،و للتأكيد بأنه قادر على هزيمة الأعداء الدائمين للإمبراطورية البيزنطية العرب المسلمين،والمبالغة الكبيرة من قبل المؤرخين حول تجهيزات الحملة، والأعداد الكبيرة من الجنود المتوجهة مع الإمبراطور.

ثانياً: وجود عناصر من جنسيات مختلفة في جيش الإمبراطور ثيوفيل، فقد وجد في جيشه، السلاف، والبلغار،والفرس، والسؤال الذي يطرح هنا هل كان هؤلاء السلاف والبلغار أسرى

---

[1] - الأزدي: تاريخ الموصل،ص ٢٢٤-٢٢٦.

[2] - فازيلييف: تاريخ العرب و الروم،ص١٢٧.

لدى الروم البيزنطيين يستعينون بهم في حروبهم، خاصة وأن بيزنطة كانت على عداء دائم مع البلغار و السلاف؟.

أما الفرس، فقد ذكرت المصادر بأن عدداً كبيراً من أتباع بابك الخرمي قد اعتنقوا المسيحية عندما لجأوا إلى الإمبراطور ثيوفيل و عمل الإمبراطور على تزويجهم و ضمهم إلى جيشه.

ثالثاً: للمرة الأولى يتم ذكر هجوم الإمبراطور على أرمينية في الوقت ذاته الذي يهاجم فيه المدن الثغرية الإسلامية، فهل كان الإمبراطور يظن بأن مساعدات ستقدم للمسلمين الموجودين في المدن الثغرية من أرمينية، خاصة و أن الحدود بينهما قريبة جداً.

رابعاً: هناك جدل كبير من قبل المؤلفين حول سبب اختيار زبطرة هدفاً للإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، ليهدمها و يدمرها ، فقد عمل البعض على وضع مقارنة بين هجوم ثيوفيل على زبطرة و هجوم المعتصم لاحقاً على عمورية، و عمل هؤلاء على ذكر أن مدينة زبطرة هي موطنلمعتصم، وأن الإمبراطور كان يقصد أن يهدمها و يدمرها كونها موطن المعتصم،و هذا يخالف الواقع فالمصادر العربية لم تذكر مطلقاً أن زبطرة كانت موطن المعتصم أو بلده، وإنما هذه المقارنة قام بها المؤلفون والباحثون المتأخرون ليبينوا مدى أهمية الانتصار الذي حققه الإمبراطور في زبطرة وغيرها من المدن.

بعد أن أصاب أهالي الثغور الشامية والجزرية ما أصابهم، من خراب على يد الإمبراطور ثيوفيل، توجه قسم منهم إلى الخليفة المعتصم، وقد كان موجوداً في سامراء، وأطلعوه على ما جرى لهم ولمدنهم وبيوتهم وأموالهم وأرواقهم من قتل وتدمير وحرق وهتك للأعراض، وطلبوا من الخليفة المعتصم تأمينهم وحمايتهم.

وقد قال أحد الوافدين "يا أمير المؤمنين نحن من وراء الدروب، وليس بيننا وبين القسطنطينية جبل ولا شجر يمنع منا، فإن أعنتنا و إلا فأعنا على الرحيل".

وأجابه المعتصم: "ما يتهيأ لي فيكم شيء أو تفرغ من أمر بابك، فإذا فرغت منه فلله علي أن أبلغ غايتي، فلو لم يحركني لكم إلا مساحاتي من بلدكم".

و قال المعتصم:

يَا ابْنَ الخَلائِفِ مِن رِوَايَةِ هَاشِمٍ   ذَهَبَتْ بِلادُكَ مِنْكَ إنْ لَمْ تَأبَها [1]

ويذكر البعض بأن " أهل ثغور الشام و الجزيرة و أهل الجزيرة قد خرجوا إلاّ من لم يكن عنده دابة و لا سلاح ".[2]

من الممكن أن يكون أهالي الثغور قد نزحوا من أراضيهم و مدنهم باتجاه المدن الشامية والجزيرة بعد ما أصابهم على أيدي البيزنطيين، فتوجه قسم إلى المعتصم و القسم الآخر بقي في المدن الأخرى، وهذا ما يلاحظ من قول الوفد للمعتصم " فإن أعنتنا و إلا فأعنا على الرحيل " أي الهجرة و النزوح من مكانهم إلى مكان أكثر أمناً وطمأنينة.

لم يتمكن المعتصم من نجدة أهالي زبطرة وشمشاط وأرمينية، لانشغاله أكثر بالقضاء على بابك وأتباعه، لذلك أرسل القائد عجيف بن عنبسة ومعه عدد من القادة كعمر الفرغاني ومحمد كوته وغيرهم إلى زبطرة لنجدتها، ولكن عندما وصل القائد عجيف وجنوده وجدوا بأن الإمبراطور

---

[1] - الأزدي: تاريخ الموصل،ص٤٢٥.

[2] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٥٦، ابن الأثير:الكامل،ج٦،ص٤٧٩.

ثيوفيل قد رحل عنها بعد أن تركها خراباً، فرأى القائد عجيف في أن يبقى في المدينة، ليشعر أهلها بالاطمئنان ويساعدهم في العودة إلى منازلهم و أراضيهم والعمل على إعادة بناء ما تهدم [1] ولم يستطع العرب تحمل ما لاقاه أهلهم وأخوانهم من ذلّ على يد الإمبراطور ثيوفيل و شعروا بأن المعتصم قد تأخر عن نجدة أهلهم وأقاربهم،و لهذا عمل البعض على تذكير المعتصم بما عليه من واجب الجهاد ، ومنهم الخليفة المعزول إبراهيم بن المهدي الذي أنشد الخليفة المعتصم قصيدة شملت أبياتها معاناة أهل زبطرة و المدن الأخرى، و دعوته بالإسراع في الانتقام من البيزنطيين فقال له :

يا غارةَ اللهِ قد عاينت فانتهكي	هتكَ النساءِ و ما منهن يرتكبُ
هبْ الرجالَ على أجرامها قُتلت	ما بالُ أطفالها بالذبح تنتهبُ؟[2]

وتذكر المصادر العربية حادثة عن استنجاد امرأة عربية مسلمة بالمعتصم أثناء سبيها من قبل الروم فصاحت، وامعتصماه، فعندما سمع المعتصم ذلك وهو في سامراء قال لها: لبيك لبيك، وصاح النفير النفير، أما المصادر والمراجع السريانية فتتجاهل كارثة المرأة الهاشمية التي استنجدت بالمعتصم و نادته حين أسرها الروم وامعتصماه وهي في زبطرة، وقد أثّر هذا النداء بالخليفة المعتصم كثيراً،و احس بأن هذه المرأة تمثل الكرامة و العرض العربي المسلم الذي انتهكه الروم، ولهذا سارع لتلبية ندائها و الدفاع عن المسلمين.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٥٧، ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص٤٨٠، مؤلف مجهول: العيون و الحدائق،ص٣٩٠.

[2] – المسعودي: مروج الذهب،ج٣،ص ٤٧٤ ، فازيليف: العرب و الروم،ص١٢٩.

وقد ذكرها الشاعر أبو تمام الطائي في قصيدته:

لبيتَ صوتاً زبطرياً هرقتَ له كأس الكرى و رضاب الخرد العرب[1]

بعد أن تمكن الخليفة المعتصم من القضاء على حركة بابك الخرمي و قتله، بدأ يستعد و يعدّ العدة لحملة كبيرة باتجاه الأراضي البيزنطية، ووضع المعتصم في ذهنه أن يهاجم مدينة عمورية، ويقال بأنه عندما بدأ يجهز نفسه للحرب سأل عن أي بلاد الروم أمنع وأحصن، فقيل له عمورية فلم يتعرض لها أحد من المسلمين، وهي عين النصرانية وهي عندهم أشرف من القسطنطينية كما أنها بلد الإمبراطور ثيوفيل و موطن الأسرة الحاكمة العمورية. [2]

جهز المعتصم قوة عسكرية ضخمة لحرب البيزنطيين وكانت وجهته المباشرة هي عمورية، فقد أخذ معه كميات كبيرة وضخمة من العدة والعتاد والسلاح والآلات وحياض الأدم[3] والروايا[4]

---

[1] – مناع (هاشم صالح). روائع من الأدب العربي (العصر الجاهلي ،الإسلامي، الأموي، العباسي) ، بيروت،دار الرسام،دار الهلال،١٩٩١م،ص٢١٦–٢١٧–٢١٨.

[2] – الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٥٨، ابن الأثير: الكامل ،ج٦،ص ٤٨٠، مؤنس مجهول نجيب و لحدلق، ص٣٩٠.

[3] – لأدم أن تكون الجعب من الجلد وكذا السيور والمعاليق التي تعلق بها ، حيث ذكر الهرثمي لأدم عندما تحدث عن تجهيز الطلائع والجيوش فيقول:((ليكونوا على متون خيلهم بجعابهم وهي مع سيورها ومعاليقها أدم))، الهرثمي: مختصر في سياسة الحروب،ص٤٨.

[4] – الروايا:الروايا من الإبل الحوامل للماء، ابن منظور: لسان العرب،ج١،ص١٢٦١.

والقرب[1] وآلات الحديد والنار والنفط والجواشن[2] والزرديات[3] والدروع والبغال. [4]

والسؤال الذي يطرح هنا هو لماذا اختار الخليفة المعتصم عمورية ولم يختر غيرها من المدن؟

اختار الخليفة المعتصم عمورية هدفاً لحملته لأسباب عدة، فهناك عدد من المؤرخين يذكر بأن اختيار عمورية مسقط رأس الأسرة الحاكمة هدفاً للمعتصم، كان رداً على هجوم الإمبراطور ثيوفيل على زبطرة مسقط رأس المعتصم كما يقولون، لكن الوقائع تدل على عكس ذلك، فالخليفة المعتصم وما عرف عنه من شجاعته وبسالته لم يكن يغافل عن أراضي الروم البيزنطيين، وعن فكرة الجهاد الإسلامي ضد أعداء الدولة العربية الإسلامية، لكن المعتصم كان همّه الأول منذ استلامه الخلافة القضاء على بابك الخرمي و ثورته، وما إن حقق هذا الانتصار الكبير على بابك حتى بدأ يتساءل عن أهم وأمنع المدن البيزنطية فكانت عمورية.

فعمورية هي مسقط رأس الأسرة البيزنطية الحاكمة، كما أنها من أهم الحصون الرومية فعليها أربعة وأربعون برجاً لحمايتها، و الاستيلاء عليها يعدّ خطوة أساسية للاستيلاء على العاصمة البيزنطية، القسطنطينية، وكان لعمورية أهمية دينية كبيرة فقد كانت تعج بالأديرة، والكنائس

---

[1] – القرب: ما يستقى فيه الماء، الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم،ج١،ص٢٨٩.

[2] – الجوشن مفردها جوشن، وهوالدرع الذي يوضع على الصدر، الجوهري. الصحاح في اللغة والعلوم،ج١،ص٢٢٣.

[3] – الزرديات مفردها زرد، الزرادُ:خيط يخنق به البعير لئلا يدسع بجرته فيملأ راكبه، والزردُ بالتحريك هي الدرع المزرودة، الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم،ج١،ص٥٢٣.

[4] الطبري. تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٥٧، مؤلف مجهول: العيون والحدائق،ص٣٩١، الرهاوي مجهول: تاريخ الرهاوي،ص٤٨، حتي: تاريخ العرب،ج٢،ص٣٧٣.

وقد كانت أسقفية مستقلة، و من ثم رفعت إلى مطرانية، وباستيلاء الخليفة المعتصم عليها يوجه ضربة قوية و موجعة للإمبراطور و يضعف هيبته من خلال الاستيلاء على موطنه.

ويلاحظ هنا بأن المعتصم لم يكن ليعكر بحملة بسيطة كالحملات السابقة على الحدود الإسلامية البيزنطية وحسب، بل كان يخطط للوصول إلى العمق البيزنطي وإلى مناطق لم يصل إليها المسلمون من قبل.

قام الخليفة المعتصم بتقسيم الجيش وفق خطة دقيقة ومحكمة، ليتمكنوا من السيطرة على المدن البيزنطية، فقد كان في مقدمة الجيش القائد أشناس، وبعده محمد بن إبراهيم، وعلى ميمنته القائد إيتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، وعلى ساقته بغا الكبير، وعلى القلب عجيف بن عنبسة .

وكان يتراوح تقدير الجيش بين مئتي ألف و خمسمئة ألف رجل، فقد كان تعداد جيش المعتصم خمسين ألفاً، وجيش الأفشين ثلاثين ألفا، وكان فيلق المحاربين لوحده قوامه خمسون ألف محارب، وكان يتواجد مع الجيش ثلاثين ألف تاجر و مكار، و معهم خمسين ألف جمل، وثلاثين ألف بغل، وكان يتواجد معهم ثلاثون ألف شخص من السودان و غيرهم من المغاربة والأتراك.[1]

ويعود المؤرخون ثانية إلى تضخيم عدد الجيش المتوجه مع الخليفة من جنود وعبيد ومستلزمات،وهنا لا بد من التساؤل هل كانت الدولة العباسية بوضع يسمح لها في تجهيز مثل هذا الجيش الكبير، لا سيما أن الطرقات طويلة وصعبة ومن الممكن أن تطول مدة إقامة القوات

[1] – الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي،ص٤٨ ،فازيليف: العرب و الروم،ص١٣١، حسن: التاريخ الإسلامي العام،ص٤٦٨

لحين تحقيق الهدف المنشود، إلا أن المؤرخين أرادوا أن يظهروا بأن هذا الحدث له أهميته بالنسبة للمسلمين خاصة وأن الخليفة هو من يقود الحملة؟.

بعد أن تم توزيع القادة في جيش المعتصم توجه المعتصم نحو الأراضي البيزنطية و على تروسه وألوية جيشه نقش عمورية، فقد كان هدفه الأساس الوصول إلى عمورية.

وكان المعتصم يتمتع بذكاء حربي وحنكة عالية، لذلك فقد قرر أن يفاجئ الروم و يهاجمهم من جهات مختلفة ومتعددة من الشرق و الغرب، بهدف أن يشتت انتباههم و تكون الجيوش مستعدة للهجوم في حال هزم جيش يكون الآخر ينتظر ليهاجم.

فقد عسكر المعتصم بجيشه الضخم على نهر اللامس، و من موقعه بدأ يوجه عساكره إلى المدن البيزنطية، فقد توجه الأفشين حيدر بن كاوس مع جنوده إلى مدينة سروج، وكانت توجيهات المعتصم بأن يدخل الأفشين من درب الحدث، وكان قد انضم إلى الأفشين والي ملطية مع جنوده وعدد من الجنود الأرمن الذين من الممكن أن يكونوا قد جاؤوا من أرمينية، وكانت خطة المعتصم أن يلتقي الجميع في أنقرة لكن الأفشين سار بجيشه و انقطعت أخباره عن المعتصم، ومن ثم أمر المعتصم بأن يتوجه أشناس وجنوده الذين كانت غالبيتهم من الأتراك نحو درب طرسوس وبأن يعسكر في الصفصاف، وبالفعل توجهت جيوش أشناس وتوقفت في مرج الأسقف[1] [2]

---

[1] - مرج الأسقف: على الطريق من طرسوس إلى القسطنطينية، وموضعه عند المعوج الشمالي لدرب طرسوس، فازيليف: العرب والروم، ص١٣

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٥٨، مؤلف مجهول: العيون والحدائق،ص٣٩٢،المسعودي: مروج الذهب، ج٣،ص٤٤١ ، فازيليف: العرب و الروم،ص١٣٣.

لم تكن تحركات المعتصم خفية على الإمبراطور ثيوفيل، بل جهز جيشه وغادر عاصمته القسطنطينية وتوقف في دروليه، ولكن عندما وصلت أخبار عظمة جيش المسلمين وعدته وعتاده نصحه عدد من المقربين إليه من القواد والموظفين بإخلاء عمورية من سكانها وترحيلهم إلى أماكن أخرى، خاصة وأن هدف المعتصم الرئيس كان عمورية، إلا أن الإمبراطور رأى بأن هذا ضعفاً من جانبه، فقرر أنّ يحصن عمورية و يضع عليها قائداً محنكاً هو ايتيوس المسؤول عن جند أناطولية، وأرسل إمدادات إلى المدينة مع الخصي تيودور كراتيوس.[1]

في الوقت الذي كان يتهيأ فيه المعتصم للسير إلى أنقرة وصلته الأخبار بأن جيش الروم يقترب من نهر اللامس، ليعبروا النهر و يهاجموا المسلمين ، و لذلك أرسل المعتصم كتاباً لأشناس يعلمه بأن يأخذ حذره، وألا يتابع طريقه قبل أن تصله الإمدادات والمؤن، وبعد ثلاثة أيام طلب المعتصم من أشناس محاولة أسر بعض الروم البيزنطيين ليأخذ منهم بعض المعلومات عن جيش الإمبراطور، توجه القائد عمر الفرغاني و معه مئتا فارس لهذه المهمة، وبدأ عمر وجنوده يجوبون حول حصن قرة القريب من موقع أشناس، لكن عمر لم يكن يتوقع بأن قائد حصن قرة، قد نصب له كميناً في الجبل المتوسط بين حصن قرة ودرة، واستطاع عمر أن يعلم بالكمين في الوقت المناسب، لذلك قام بتقسيم مجموعته إلى ثلاثة أقسام و أمرهم بالتوجه نحو الحصن مع بزوغ الفجر بسرعة كبيرة و أن يأتوه بالأسرى، و كان مع كل مجموعة دليلان يعرفان الطرق و تفرعاتها ، و بالفعل تمكنت هذه المجموعات من أسر عدد من الروم البيزنطيين الذين أطلعوهم على تحركات الإمبراطور، وأنه معسكر مع جيش ضخم منذ ثلاثين يوماً ينتظر تحرك المعتصم من نهر اللامس،

---

[1] - فازيليف:تاريخ العرب و الروم،ص١٣٢.

ليهاجمه من الخلف، وبأن الإمبراطور ثيوفيل قد علم بأن هناك جيشاً عربياً مسلماً (وهو جيش الأفشين) قد دخل الأراضي البيزنطية من ناحية ثيم الأرمنياق، لذلك عيّن الإمبراطور نائباً عنه في عمر اللامس، وتوجه بنفسه لملاقاة جيش الأفشين، أرسل أشناس إلى المعتصم ما وصله من معلومات، فعمل المعتصم على إرسال رسول من قبله و معه عدد من الأدلاء ليخبروا الأفشين و يحذروه من تحرك الإمبراطور باتجاهه، إلا أن كتاب الخليفة وصل متأخراً، فقد كان الأفشين قد توغل في الأراضي البيزنطية، لذلك أمر المعتصم الجيش بالتحرك إلى أن وصلوا بالقرب من أنقرة.[1]

عندما تحرك جيش المعتصم هذه المسافة، عانى عسكره وخيولهم من قلة المياه و المرعى، و لم يتمكنوا من إيجاد مكان يتزودون به بالمياه و الطعام، فتوقفوا قريبين من أنقرة، بينما تابع أشناس طريقه مع جنوده وتمكن من الاستيلاء على مدينة تيسيا الواقعة جنوبي الهليس[2]، و تابع طريقه نحو أنقرة، واستطاع أسر أعداد كبيرة من البيزنطيين كان مصيرهم القتل إلا شيخ كبير لما بعثه بعد أن أخبر أشناس عن مكان المياه و الطعام و المراعي، فأرسل أشناس معه خمسمئة فارس بقيادة مالك بن كيدر، وأخذهم هذا الشيخ إلى منطقة قريبة تحتوي على مناجم الملح، وقد كان هناك أهل أنقرة مختبئين فيها بعد أن تزودوا بالطعام والمياه وهربوا من المدينة، واستطاع مالك وجنوده من هزيمة رجال أنقرة واستولوا على ما كانوا يحملونه، وعلموا منهم أخباراً عن الأفشين،

---

[1] - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٧٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٩-٦٠، ابن الأثير الكامل، ج٦، ص ٤٨١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٩٣، الشريقي: التاريخ الإسلامي، ص١٤١

[2] - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٦٢-٦٣

ومعركته مع الإمبراطور ثيوفيل، حيث شارك الكثيرون من أهل أنقرة في هذه المعركة، فقد انقطعت أخباره عن الخليفة المعتصم منذ أن توجه إلى داخل الأراضي البيزنطية.

وهكذا، علم مالك ما جرى مع الإفشين والإمبراطور ثيوفيل، فبعد أن علم الإمبراطور ثيوفيل بتوجه جيش الأفشين إلى داخل ثيم الأرمنياق، توجه الإمبراطور للقائه ومباغتته من دون أن يعلم، و هاجم الأفشين ورجاله في ساعات الصباح الباكر في ٢٥ شعبان ٢٢٣هـ ./٢٢ يوليو، وتمكن الإمبراطور وجنوده من تحقيق انتصار على المسلمين، وقتل أعداد كثيرة منهم ،و لكن بعد ساعات قليلة تحوّل هذا الانتصار إلى هزيمة ساحقة، فقد تمكن المسلمون من جمع شملهم من جديد وحاربوا البيزنطيين بقوة وبسالة وتمكنوا من قتل أعداد كثيرة و تشتيتهم، وكانت المعركة تجري، و الأمطار الغزيرة تهطل، و لم يتمكن الإمبراطور من الاستمرار، فهرب مع مجموعة قليلة ناجياً بنفسه من مطاردة المسلمين،و شاع الخبر بأن الإمبراطور قد مات، لذلك اضطرب الجيش وأصابه الذعر، لكن الإمبراطور عاد مع عدد قليل من الجنود، وكان مع الإمبراطور مانويل الذي وصلت إليه أخباراً بأن الفرس في جيش الإمبراطور بدؤوا يتواصلون مع العرب المسلمين، لخيانة الإمبراطور وتسليمه للأفشين، فعمل مانويل على إحباط الخطة، ونصح الإمبراطور بالهرب والعودة إلى مقر جيوشه، و بالفعل تمكن الإمبراطور من الهرب، وعفا عن رؤساء جيشه الذين هربوا، ولكنه أمر بقتل قائد عسكره الذي لم يلتزم بتعليماته والعمل على القبض على الجنود الهاربين، وجلدهم وكانت هزيمة الإمبراطور عند درفون.[1]

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٢٦١-٢٦٢، المسعودي: مروج الذهب،ج٣،ص٤٤٥ ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٦٤، مؤلف مجهول: العيون و الحدائق،ص٣٩١-٣٩٢، فازيليف العرب والروم، ص١٣٩-١٤٠-١٤١.

بعد هزيمة الإمبراطور أمام الأفشين أرسل من قبله خصياً من خصيانه اسمه طواشيا إلى أنقرة للدفاع عن المدينة، لكن طواشيا وصل متأخراً، فقد كان المعتصم وأشناس وقواتهما قد حاصروا المدينة، ومن ثم انضم إليهما الأفشين، و دخلوا إلى المدينة و تم تدميرها وأمر المعتصم بهدم سور المدينة، وقبض المسلمون على تسع مركبات ووضعوا فيها من بقي من أهل أنقرة وساقوهم إلى معسكرهم.[1]

بعض المصادر اليونانية تذكر شيئاً عن مؤامرة كانت تحاك ضد الإمبراطور للإطاحة به في القسطنطينية، وتنصيب إمبراطور آخر مكانه، فبعد أن هزم ثيوفيل في معركة داريمون (أنزن) مع الأفشين وصلته أنباء من والدته في القسطنطينية بأن الجنود الذين هربوا من المعركة قد أشاعوا خبراً في العاصمة بأنه قد مات في المعركة مع المسلمين، فعاد الإمبراطور ثيوفيل مسرعاً إلى العاصمة و قتل من كانوا يتآمرون عليه.[2]

وهناك خلاف حول الوقت الذي وقعت فيه هذه الحادثة، فالبعض يذكر بأنها كانت قبيل معركة عمورية، والبعض يذكر بأنها كانت خلال معركة داريمون (أنزن)، وهناك من يذكر بأن أطراف هذه المؤامرة كانوا من الفرس بقيادة تيوفوب الفارسي، الذين أرادوا أن ينصبوا تيوفوب ملكاً عليهم بعد أن شاهدوا ضعف الإمبراطور و هروبه من وسط المعركة.[3]

---

[1] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣،ص٦٣.

[2] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣، ص٦٤، ابن العبري: تاريخ الزمان،ص٣٢.

[3] – فازيليف: العرب و الروم،ص ١٤٢.

على أية حال فإن الإمبراطور وإن تمكن من أن يحمي عرشه في القسطنطينية من الروم، لكنه خسر مدناً وحصوناً مهمة في الإمبراطورية، خاصة عمورية التي كانت تقاوم لوحدها ضربات المسلمين، ويشك كثيرون في صحة الرواية حول وجود مؤامرة ضد الإمبراطور، فإن كانت هنالك مؤامرة، فقد تمكن الإمبراطور أن يقضي عليها، وإن لم تكن هنالك مؤامرة فإن المؤرخين قد وضعوا مثل هذه الحادثة ليسوغوا للإمبراطور هربه من ساحة القتال وتشتت جيشه وهزيمته أمام المسلمين.

بعد أن انتصر العرب المسلمون في أنقرة توجهوا نحو عمورية ، وهنا أحس الإمبراطور بأن فرصته في حماية عمورية قد أصبحت ضعيفة ، لذلك لجأ إلى محاولة عقد هدنة مع الخليفة المعتصم، فأرسل إلى الخليفة المعتصم البطريق باسيليوس، ومعه الهدايا ورسالتين، الأولى: يعترف فيها الإمبراطور بذنبه وخطأه عندما توجه إلى زبطرة، وبأن قواده قد تصرفوا عكس أوامره ولم يستمعوا إليه، بل تجاوزوه وأحرقوا و نهبوا وقتلوا أهل زبطرة من دون علمه ، ووعد الإمبراطور الخليفة بأن يعيد بناء مدينة زبطرة المهدمة، و يعيد أهلها الذين أسرهم بالإضافة إلى جميع الأسرى الموجودين عنده من العرب، وأن يسلم الإمبراطور الخليفة البطارقة الذين ساهموا في خراب زبطرة، لكن الخليفة المعتصم رفض عرض الإمبراطور ثيوفيل واتهم البيزنطيين بالجبن والضعف، فقام البطريق باسيليوس بإعطاء الخليفة المعتصم الرسالة الثانية وكانت تحوي تهديداً وشتماً للمسلمين، و هنا غضب الخليفة المعتصم كثيراً وقال للمبعوثين انتظروا الحرب إذاً.[1]

---

[1] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٧٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣،ص٢٦٤،السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣،ص٦٤، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣.

بعد إحقاق المفاوضات جهز المعتصم نفسه للتوجه نحو عمورية، أمّا الإمبراطور، فقد توجه نحو دروليه، أعاد المعتصم تنظيم جيشه وتسلم قيادة وسط الجيش (القلب)، وأشناس على الميسرة، أما الأفشين فقد كان على قيادة الميمنة، وأمر الجيش بعدم التهاون مع البيزنطيين، بل يجب أن يقوم الجيش بحرق وتخريب كل ما يصادفه في طريقه، و يأخذ جميع الأشخاص الأطفال والنساء والرجال و العجائز سبايا، و من ثم عسكر الجيش الإسلامي حول عمورية وحاصرها، ووزع المعتصم قادة جيشه على أجزاء سور المدينة، و وزع لهم الأبراج ليحموا أنفسهم، فقد كان كل قائد يملك ما بين البرجين إلى العشرين برجاً يحيطون بالمدينة، وهكذا بدأ الحصار والعرب المسلمون قد أحسوا الاستعداد له،أما أهل عمورية فعقدوا العزم على المقاومة، فتحصنوا داخل المدينة وبدؤوا يستعدون للدفاع عن مدينتهم، وتمكنوا من إبعاد جنود الخليفة،وعندما شاهد المعتصم مناعة الأسوار و قوتها قرر أن يحفر خنادق حول المدينة ليحتمي بها مع جنوده،وأحاطت الخنادق بالسور وبدأت المنجنيقات و العرادات تقذف حجارة ضخمة على الأسوار، وقامت فرقة رماة السهام برمي سهاماً كثيرة لدرجة أن كثافتها حجبت نور الشمس، وتمكن رماة السهام من قتل من كان فوق السور يحمي المدينة، وكان قسم آخر من الرماة يملكون عجلات ضخمة يرمون الحجارة والنيران على السور، كل هذا بهدف تدمير القوة المدافعة فيها، و لكن الجانب البيزنطي لم يستسلم، بل كان أهل عمورية من جانبهم يلقون حجارة المنجنيقات والمقالع والسهام والأتربة وأحجار اللبن والحصى لإبعاد المسلمين، وكانوا يقتلون من يقترب من السور، واستمرت المعركة على هذا النحو ثلاثة أيام مات فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص من كلا الطرفين، وشعر الخليفة المعتصم بأن خطته لن تلاقي النجاح وبأنه لن يتمكن من السيطرة على المدينة،و لكن لحسن حظ المسلمين جاءهم أسير مسلم كان يعيش في عمورية، وقد تنصر وتزوج

فيها، فأخبر المعتصم بأن هناك مكاناً ضعيفاً في السور، فقد انهار جزء منه بسبب الأمطار الغزيرة والسيول، وكان الإمبراطور ثيوفيل قد طلب من عامل عمورية إعادة بنائه لكنه لم ينفذ أوامر الإمبراطور، و عند اقتراب الجيوش العربية من المدينة قام عامل عمورية بوضع بعض الحجارة في هذا الجزء من دون أن يقويها و وضع فوقها الحراس لكنها بقيت ضعيفة، و بالفعل توجه المعتصم إلى المكان الذي أخبره عنه هذا المسلم المتنصر، و نصب المجانيق و العرادات أمام هذا الجزء و بدأ المسلمون بالهجوم و برمي الحجارة عليه و بعد عدة أيام تمكن المسلمون من هدم هذا الجزء، و هنا سارع البيزنطيون إلى وضع أخشاب ضخمة على السور لكن المسلمين تمكنوا من فتح هذه الفجوة و هزيمة البيزنطيين الموكلين بالدفاع عنها، و كان المسؤول عن الدفاع عن هذه الجهة من السور القائد (وندو) فرأى أن يفاوض المعتصم، و يسلمه السور خاصة وأنه فقد كثيراً من رجاله، وبالفعل ذهب القائد وندو إلى المعتصم ليتفاوض معه، وفي هذا الوقت دخل المسلمون إلى عمورية و هاجموا و نقضوا الوعد الذي كان بين المعتصم و وندو ،فقد طلب وندو الأمان وعدم تحرك المسلمين نحو عمورية إلى حين انتهاء التفاوض بين الطرفين، لكن المسلمين دخلوا المدينة و أحرقوا كنيستها وأديرتها ومنازلها وقتلوا الكثيرين من أهلها وأخذوا الباقين أسرى.[1]

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٦٥-٦٨، الأزدي، تاريخ الموصل،ص٤٢٦-٤٢٧، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ص٤٧٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص ٢٦٤-٢٦٥، ابن الجوزي، المنتظم،ج١١، ص٨٠، ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٠،ص ٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦ ،مؤلف مجهول: العيون و الحدائق، ص٣٩٣ ٣٩٤، الأربلي، الأنيق في المناجيق، ص٢١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣، ص٦٥ ٦٦، بن العبري:تاريخ الزمان،ص٣٣ ٣٤، الرهاوي المجهول:تاريخ الرهاوي المجهول، ص٤٩ ٥٠، فاروكيل: العصر الذهبي للدولة العباسية،ص٤٤٨-٤٤٩، العريني: تاريخ الدولة البيزنطية،ص٢٨٢-٢٨٣، محمود: في الحرب عند العرب،ص٢٠٠-٢٠١ .

ومما تقدم ذكره حول تفاصيل هذه المعركة يتبين بأن صعوبات كثيرة واجهت الجيش الإسلامي في أثناء حصار عمورية لكن حنكة القادة المسلمين العسكرية مكنتهم من تجاوز هذه الصعوبات فكيف حدث ذلك؟

أولاً: عرف عن العرب المسلمين حنكتهم العسكرية، و تمتعهم بالذكاء الحربي، و إتباعهم الخطط الحربية، لتحقيق هدفهم و غاياتهم ،وهذا ما حدث في وقعة عمورية، فالخليفة المعتصم وضع في ذهنه فتح عمورية، و لم تثنه تحصيناتها ومتانة أسوارها وأبراجها عن ذلك، ولكن عمورية كانت محاطة بخندق ضخم لم يتمكن المسلمون في البداية من اختراقه، لذلك فكر المعتصم بخطة تمكنه من اختراق الخندق إذ قام بحشو جلود الأغنام التي كانوا يتناولونها بالتراب ، وأمر برميها في الخندق لردمه ،و بالفعل تم ذلك إلى أن امتلأ الخندق بالجلود ، و لكن لم تكن مستوية بشكل جيد فأمر المعتصم بملء الخندق بالأتربة إلى أن أصبح الخندق مساوياً للأرض التي بجانبه ،ليتمكنوا من وضع المنجنيقات مقابل السور لضربه، كما ظهر بوضوح اهتمام العرب بالآلات الحربية والعمل والتفكير بتطوير هذه الآلات، ليستفيدوا من استخدامها بشكل جيد كما حدث في وقعة عمورية، فقد أمر المعتصم بصنع عربات كبيرة كل عربة تتسع لعشرة رجال، و وضع لها عجلات تجرها، ليتمكن من مهاجمة الأعداء و هم داخل هذه العربة لحماية أنفسهم.

ثانياً: وجود فرق للاستطلاع موزعة مع الجيش، لتنبيه المسلمين على أماكن الخطر وتحركات العدو لأخذ الحيطة و الحذر.

ثالثاً: عمل الخليفة المعتصم و قواده على إيجاد ثغرات في خطوط الدفاع لدى البيزنطيين ، وعملوا أيضاً على اقتناص الفرص،واستمالة العدد الأكبر من الأشخاص لمساعدتهم ، إن كان بالمال أو

بالهدايا أو بالوعود بإعطائهم مناصب في حال انتصارهم، و يطلق البيزنطيون على هؤلاء اسم الخونة ويرى البيزنطيون بأن هؤلاء الخونة (كما يطلقون عليهم) هم من سلموا عمورية للعرب المسلمين.

فأول من ساعد العرب المسلمين في حصارهم على عمورية الشخص المسلم الذي تنصر في عمورية، ودلّهم على مكان الضعف في السور، أمّا الشخص الثاني فهو القائد (وندو) وهو من كان يتسلم قيادة المجموعة التي حاربت في مكان الضعف في السور، وهو من قرر أن يسلّم المدينة للمعتصم عندما رفض أصحابه في أن يساندوه في مواجهة هجوم العرب.

وهناك من يذكر بأن بطريق من بطارقة عمورية قد سلم عمورية للمسلمين، و البعض يقول بأن هناك شخصاً بيزنطياً استطاع المعتصم شراءه بعشرة آلاف درهم هو من سلم المدينة و دلهم على مكان الضعف في السور، وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات و الاختلاف حول من سلم المدينة، فقد كانت النتيجة واحدة وهي سقوط المدينة بأيدي العرب المسلمين.

بعد أن اقتحم المسلمون المدينة دخلوها و هدموا أسوارها و أحرقوا كنائسها وأديرتها ومدارسها، وقد قتل منها ما يقارب الأربعين ألف شخص، وأخذوا منها غنائم لا تعد و لا تحصى وتم أسر الآلاف من النساء والأطفال والرجال، وتوجهوا إلى معسكر المعتصم، الذي أمر بأن يفصل بين الأسرى الأشراف والأسرى العاديين كل على حده، و كان من بين الأسرى الأشراف، ياطس قائد القوات في عمورية، وثيوفيل البطريق الاستراتيجي، و تيودور الخصي الأسباطير الأول، وكان

يلقب كراتيروس القوي، و قسطنطين النجار السباق و باسوبس، و غيرهم و والي تورما فلوبية وكان يدعى كالتوس مليسوس الذين حبسوا لمدة سبع سنوات.[1]

بعد أن هدم الخليفة المعتصم عمورية بأسوارها وكنائسها وأبراجها،أمر بترميم زبطرة وإقامة حصون أخرى حولها، لحمايتها، وهي الحسينية، وبنو الموس، وابن رحوان، وطبارجي.[2]

ولكثرة أعداد الأسرى و السبايا الذين أسرهم العرب المسلمون، فقد قام الخليفة المعتصم بتقسيم الأسرى على قواده الأربعة الأفشين و أشناس و إيتاخ و جعفر الخياط، وحدد المعتصم خمسة أيام لبيع الغنائم، فلكثرة الرقيق والسبايا كان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة لمدة ثلاث مرات، والمتاع والأثاث الكثير يباع جملة واحدة، و قد باع المسلمون خلال هذه الأيام الخمسة الكثير وأما الباقي من المتاع والأثاث فقد أمر المعتصم بأن يحرق لئلا يعيقهم في مسيرتهم.[3]

لم يكن المعتصم يرغب في إنهاء حربه، خاصة وأنه علم بأن الإمبراطور ثيوفيل كان يجهز ليهاجمه ويهجم عسكره، لذلك أرسل من يستطلع له أخبار الإمبراطور، أمّا هو فقد سار من عمورية إلى منطقة يقال لها وادي الجور، وهو وادٍ قحط لا ماء فيه ولا زرع، ولم يستطع الأسرى متابعة المشي، لشدة العطش، فمن امتنع منهم عن المشي ضرب عنقه، وهكذا كان الناس والدواب يموتون عطشاً، وتمكن بعض الأسرى من قتل بعض الجنود والهرب وعندما علم المعتصم بما فعله

---

[1] - فازيليف: العرب و الروم، ص١٥٢، العريني: الدولة البيزنطية، ص٢٨٥.

[2] - فازيليف: العرب و الروم، ص١٥٣، أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج٢،ص٣٣-٣٤.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٦٩، مؤلف مجهول: العيون و الحدائق،ص٣٩٤، السريني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٦٧، الحميدي(عبد العزيز بن عبد الله): التاريخ الإسلامي مواقف وعبر في جهاد المسلمين مع الروم، جدة، دار الأندلس الخضراء،د.ت،ص٧٨-٨٦.

الأسرى البيزنطيون،أمر جنوده بتفريق الشخصيات المهمة من البيزنطيين كالقادة والأشراف، وبأن يأخذ جميع الأسرى إلى الجبال، فتقطع أعناقهم ويرمون في الوادي، وقد قتل منهم ما يقارب ستة آلاف في وادي الجور[1]، وفي منطقة أخرى لم تذكرها المصادر، ولعلها قريبة من وادي الجور، لأن قتل الأسرى حدث في المدة ذاتها.[2]

ويبدو أن ما دفع المعتصم إلى مثل هذا العمل ،وهو قتل الأسرى، عدم قدرته على تلبية متطلباتهم من الماء والزاد ،خاصة وأن المسافة التي يحتاجها للوصول إلى الحدود الإسلامية طويلة وتحتاج إلى عدة أيام.

خلد الشعراء العرب نصر عمورية العظيم في قصائدهم، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

أقام الإمامُ منارَ الهُـ . . ـدى   وأخرَسَ ناقوسَ عمُّوريَـ . . ـة

وقد أصبح الدين مُسـ تَوْسقاً   وأضحت رُبَادُ الهُدى مُوريه [3]

ولم يكتف الشعراء بمدح المعتصم و نصره العظيم، ولكنهم أيضاً قاموا بمدح القائد الأفشين، فقد قام الحسين بن الضحاك الباهلي[4] بمدحه،خاصة بعد وقعته مع الإمبراطور ثيوفيل ونصره الكبير عليه:

---

[1] – وادي الجور: لم أجد لها تعريفاً في المصادر والمراجع التي تمت العودة إليها.

[2] – الأزدي: تاريخ الموصل،ص٤٢٧، حيث يذكر بأنه قد قتل خمسة آلاف من الناس دون تحديد المكان، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٧٠، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٥٠.

[3] – الأزدي: تاريخ الموصل،ص٤٢٧.

[4] – الحسين بن الضحاك: الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ،شاعر من ندماء الخلفاء قيل أصله من خراسان ولد ونشأ في البصرة وتوفي في بغداد، اتصل بالأمين العباسي ونادمه ومدحه ولما ظفر المأمون خافه الحسين فانصرف إلى البصرة حتى صارت الخلافة للمعتصم فعاد ومدحه ومدح الواثق، الأصفهاني: الأغاني، ج٦، ص١٦٥–٢٠٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١،ص١٥٤.

أثبت المَعْصُومُ عزّاً لأبي حَسَنٍ أثبت من رُكن إضَمْ

كلُّ مجدٍ دُون ما أثّلهُ لبني العباس أملاكِ العَجَمْ

إنما الأفشينُ سيفٌ سلّهُ قَدَرُ الله بكَفِّ المُعتصِمْ

لم يَدَعْ بالبذِّ من ساكنة غير أمثالٍ كأمثالِ إرَمْ

ثم أهْدى سلماً بابكَهُ رَهْنَ محملَيْنِ نجّاها الندم

وقرا تيوفيل طعناً صادقاً فضَّ جمعَيهِ جميعاً و هَزَم

قُتِلَ الأكثر منهم و نجا من نجا لَحْماً على ظَهْرِ وضَمْ[1]

والشاعر الفذ الذي شاعت قصيدته بين بلاد العرب، و خلدت هذا النصر الكبير، هو الشاعر أبو تمام وقصيدته المشهورة في فتح عمورية، فأبيات هذه القصيدة تحمل في طياتها وصفاً دقيقاً لسير الجيوش نحو عمورية وتبين السبب الذي دفع المعتصم لتجهيز هذا الجيش العرمرم، ومن أبيات هذه القصيدة:

السيف أصدق أنباء من الكتبِ في حده الحد بين الجد واللعبِ

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حُفَّلا معسولة الحَلَبِ

أبقيت جد بني الإسلام في صعد والمشركين و دار الشرك في صبب[2]

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٩، ص٧٠-٧١، البلخي: البدء والتأريخ،ص١١٩، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص٢٢١.

[2] - المحاسني: شعر الحرب عند العرب،ص١٨٨-١٨٩،مناع (هاشم صالح): روائع من الأدب العربي (العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي،العباسي)،بيروت،دار ومكتبة النهضة،١٩٩١م،ص٢١٦-٢١٧-٢١٨.

إنها قصيدة سجلها التاريخ في سجله الحافل بالانتصارات لأنها ارتبطت بذلك النصر الكبير الذي حققه المعتصم في عمورية.

بعد هذا النصر أحس الخليفة المعتصم بالفخر والاعتزاز مما حققه في وقعة عمورية وما استرده من كرامة للعرب.

وتذكر المصادر اليونانية بأن الإمبراطور ثيوفيل أرسل إلى الخليفة المعتصم وفداً برئاسة البطريق باسيل قائد خرسيون، يعرض عليه مبلغ مئتي ألف قنطار من المال[1] فداءً لأسرى عمورية، ولا سيما أقرباؤه و خاصته، ولكن الخليفة المعتصم رفض عرض باسيل خاصة و أن حملته هذه كلفته مئة ألف قنطار، و طلب المعتصم تسليم نصر الكردي ومنويل، ولم يجب الإمبراطور طلبه[2]، ولم تذكر المصادر العربية هذا الوفد.

كما أن المصادر اليونانية تذكر أيضاً وفداً أرسله الإمبراطور ثيوفيل إلى المعتصم في عام ٢٢٧هـ /٨٤١م، محملاً بالهدايا ويعرض الإمبراطور على الخليفة تبادل للأسرى، وكان رد الخليفة المعتصم بأن قبل هدايا الإمبراطور و أمر بتقديم هدايا مضاعفة للإمبراطور ثيوفيل و لوفده، ولم يرفض عرض الإمبراطور، لكنه أجاب الوفد نحن العرب نأبى أن نقارن المسلمين بالروم، لأن الله أعطاهم كرامة أعظم، ولكن إذا قدمت لي أسرى المسلمين من دون مقابل، فسنكافئكم أضعافاً، ونعلم أننا نحن المنتصرون، وقد عاد الوفد البيزنطي بهذه الرسالة و بالهدايا للإمبراطور ولم

[1] القنطار وزن يعادل مائة رطل ، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج٣ص٥١٢.

[2] - فريليف: العرب و الروم ص١٥٥.

يحدث تبادل للأسرى، ولكن جرت هدنة بين الطرفين، لانشغال كل شخص منهم بأمور أخرى.[1]

وبما أن المصادر العربية لم تذكر مثل هذه الحادثة، لذلك يجب النظر بحذر في مثل هذه الروايات، لحين صدور روايات أخرى تصدقها أو تنفيها.

وعلى هذا النحو انتهى زمن الخليفة المعتصم وهو يحمل في طياته فرحاً بانتصارات المعتصم على الأعداء البيزنطيين .

لا بد في نهاية الحديث عن هذا الصراع العسكري خلال المئة عام الأولى من تاريخ العباسيين بذكر بعض النقاط المهمة، فالعباسيون لم يتخذوا لحروبهم العسكرية ضد بيزنطة سياسة توسعية واضحة المعالم بشكلٍ كافٍ ، بل كانت غالبية هجماتهم وتوجهاتهم ردات فعلٍ على ما تقوم به الجيوش البيزنطية من تحركات، أو كانت صوائف يغلب عليها الدافع الديني، فقد كانت السياسة الدفاعية هي الطاغية على تحركاتهم أكثر من السياسة الهجومية.

وقد شغلت الحالة الخارجية العامة دوراً مهماً في هذه السياسة ، فنشوء إمارة عبد الرحمن الداخل في الأندلس أثر سلبياً على الخلفاء العباسيين، فانسلاخ بلاد الأندلس عن الدولة العباسية قد فتَّ في عضدها ولم يتمكن الخلفاء العباسيون من إعادة فرض سيطرتهم على هذا الإقليم الغني، فكان هذا سبباً وجيهاً بالنسبة للعباسيين للعمل على الاحتفاظ بما يملكون من أقاليم تحت سيطرتهم.

كما أن ظهور الامبراطورية الكارولنجية دفع العباسيون إلى إقامة علاقات جيدة مع الأباطرة الكارولنجيين، كونهم كانوا على خلاف مع الإمبراطورية البيزنطية .

---

[1] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٣،ص٧٢، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٥.

هذه الأسباب مجتمعة أثرت في سياسة العباسيين تجاه بيزنطة وجعلتهم يسلكون الخط الدفاعي في أغلب الأحيان كما سبق وذكر، وذلك لانشغالهم في ثوراتهم الداخلية ولمحافظتهم على هيبة الدولة العباسية التي غالباً ما تتطلب بعض الهجمات والتي تمثلت بصوائف متتالية أحياناً ومتباعدة في أحيانٍ أخرى.

رابعاً: العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيزنطي ١٣٢-٢٣٢هـ /٧٥٠-٨٤٧م:

كانت الحرب في العصر العباسي الأول سجالاً بين العباسيين و العدوّة اللدودة الإمبراطورية البيزنطية في البر و البحر، و هذه الحرب التي كان المسلمون يشنوها ضد بيزنطة لحماية حدودهم، أو تلك التي كانت تشنها بيزنطة صدهم للاستيلاء على الممتلكات الإسلامية، كانت تعرض وجود الأسرى، والسبايا بين الطرفين الغالب والمغلوب.

وعمل المسلمون وبشكل دائم على إعادة أسراهم وسباياهم من البيزنطيين، ولهذا كان لزاماً أن يتم تنظيم فداء للأسرى بين الجانبين الإسلامي و البيزنطي، كما أنه في كثير من الأحيان احتاج الطرفان العباسي والبيزنطي إلى مدة من الهدوء والراحة، لإعادة هيكلة وتنظيم الشؤون الداخلية، ولذلك عقدت معاهدات الصلح بين الطرفين.

وما يميّز العصر العباسي الأول في موضوع فداء الأسرى، هو أن فداء الأسرى بين الطرفين أخذ شكلاً منظماً لأول مرة يعتمد على أسس وقواعد، فقد بدأ يظهر ما يسمى بالمراسلات بين الطرفين، لتنظيم عملية الفداء للأسرى والسبايا.

أولاً: الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين العباسي والبيزنطي في العصر العباسي الأول:

شغلت معاهدات الصلح حيزاً كبيراً في تاريخ العلاقات العباسية البيزنطية، فكثيراً ما كان أحد الجانبين يطلب الصلح من الآخر، فلمّا أن يقابل بالرفض أو بالقبول، وفي العصر العباسي كان الجانب البيزنطي هو من يبادر في طلب الصلح ولذلك اهتمت الإمبراطورية البيزنطية بالعلاقات الدبلوماسية بشكل كبير.

فقد سارت الدبلوماسية البيزنطية جنباً إلى جنب مع القوة العسكرية في خطين متوازين يعملان معاً، وقد يسبق أحدهما الآخر أحياناً لكنهما يمثلان جناحا السياسة البيزنطة الخارجية، وكثيراً بل ودائماً ما عوضت الدبلوماسية النقص الذي كان يعتري القوة العسكرية في معظم الأزمات، فالدبلوماسية كانت سلاح بيزنطة التقليدي.[1]

وكان أول طلب للصلح قد تم في العصر العباسي الأول في العام ١٣٩ هـ . /٧٥٦ م لكنه قوبل بالرفض،

إذ عمل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس على طلب الصلح من المسلمين، وذلك بعد أن تعرض لهجومين مسلحين قويين من قبل المسلمين، ولم يتمكن الإمبراطور و جنوده من ردّ هذين الهجومين.

وفي العام ١٣٩هـ ./٧٥٦م توجه القائد جعفر بن حنظلة البهراني من ملطية و توغل في بلاد الروم واستطاع أن يستولي على عدة حصون بيزنطية، ولم يتم ذكر أسماء هذه الحصون، ولذلك

---

[1] – عبد الحميد (رأفت): الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسية، القاهرة،دار قباء للنشر والطباعة،٢٠٠٠م،ص٢٥٩

عندما أحس الإمبراطور قسطنطين الخامس أن المسلمين قد استعادوا قوتهم وأنه في وضع لا يسمح له بالمواجهة طلب الصلح من المنصور لكنه رفض طلب الإمبراطور.[1]

وفي العام ١٥٥هـ /٧٧١م، عرض الإمبراطور قسطنطين الخامس الصلح على الخليفة المنصور، ودفع له الجزية تأميناً لحدوده مع المسلمين، وذلك كي يتفرغ لأموره الداخلية وحروبه مع البلغار،إلاّ أنّ المنصور رفض طلب الإمبراطور، وأدرك أن البيزنطيين يعانون من نقاط ضعف ونتيجة لذلك قاموا بطلب الصلح منه، فقرر استغلال هذه الفرصة والمبادرة بالهجوم عليهم.

وهكذا، مرَّ عصر الخليفة المنصور، من دون أن يعقد فيه الطرفان العربيّ المسلم والبيزنطيّ أية معاهدة للصلح.

وجاء عصر الخليفة محمد المهدي، واستطاع المسلمون تحقيق انتصارات باهرة ضد بيزنطة، خاصة وأن الإمبراطورة إيرين كانت كثيرة الانشغال بالشؤون الداخلية الدينية لدولتها، وكان هدفها الكبير قد يقتصر على إعادة عبادة الأيقونات وإعطائها الشرعية الدينية، وفي العام ١٦٦هـ /٧٨٢م عقدت معاهدة صلح بين العباسيين و البيزنطيين بعد أن تمكن ابن الخليفة المهدي هارون من قيادة حملة كبيرة في العام ١٦٥هـ /٧٨١م،واستطاعت هذه الحملة الانتصار على الجيوش التي أرسلتها إيرين، و استطاع قائد الجيش العباسي هارون الوصول إلى خليج بحر البوسفور الذي تقع عليه القسطنطينية. وهنا طلبت الإمبراطورة إيرين منه الصلح، فوافق هارون على طلبها .

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٧،ص٥٠٠،ابن الأثير:الكامل ،ج٥،ص٤٨٨،ابن كثير البداية و النهاية ج١٠، ص٧٤، ماجد:العصر العباسي الأول، ص١٤٧.

حيث عقدت معاهدة الصلح بين الطرفين في عام ١٦٦هـ . / ٧٨٢م، ونصت على شروط عدة هي:

١- عقد معاهدة صلح بين القوتين المتحاربتين لثلاث سنوات .

٢- تدفع إيرين جزية سنوية للعباسيين وتسددها على دفعتين في شهري نيسان وحزيران من كل عام ، ومقدارها يتراوح بين سبعين ألفا وتسعين ألف دينار.

٣- يتم تبادل الأسرى بين الطرفين .

٤- تلتزم بيزنطة بفتح الأسواق للتجار العرب في رحلة العودة، وتقوم بإمداد جيش هارون بالأدلاء في طريق العودة.

٥- يسمح للجيش بالرجوع بكل غنائمه و من دون اعتراض أو مقاومة.[1]

وهناك خلاف بين المصادر العربية والمصادر البيزنطية حول الطرف الذي طلب الصلح أولاً، فالمصادر العربية تذكر بأن صائفة عام ١٦٥ هـ . /٧٨١ م كانت صائفة مهمّة على صعيد الانجازات التي حققت، وبأنه بعد النجاحات الباهرة التي حققها هارون وقواده، تمكن هارون من الوصول إلى الخليج، ووصل إلى وادي نهر سانجاريوس المطل على البحر الأسود، ولكنه تفاجأ بقدوم القائد البيزنطي انطونيو مع قواته في محاولة لقطع الطريق عليه للتقدم، وحاول هارون التخلص من هذا الحصار، لكنه تفاجأ بأن البيزنطيين قد أرسلوا قوات أخرى لمحاصرته من

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٦،ص٦٦،ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ،ج١،ق٢،ص٢٣٦-٢٣٧ ،ابن الجوزي : المنتظم ،ج٨ ، ص٢٧٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص٢٧٩ ، ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦، سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ١٨٧، جلوب : إمبراطورية العرب، ص ٥٣٢ ، لابجر : موسوعة تاريخ العالم، ص ٥١٨ .

الخلف، وهكذا كان موقف هارون حرجاً، وهو محاصر بين الطرفين، وموجود بين الجبل والبحر ولا يستطيع الحراك.[1]

بعد هذه الحادثة تذكر أغلب المصادر العربية بأن الإمبراطورة إيرين طلبت الصلح من هارون و وافقت على شروطه، وأعطته الفدية[2].

بينما المصادر البيزنطية تذكر أحداثاً لم تذكرها المصادر العربية، وهي خيانة القائد البيزنطي تاتزيتس قائد الثيم (البند) البوكلاري، الذي تمكن من أن يرسم خطة للمسلمين استطاعوا من خلالها قلب خسارتهم إلى انتصار.

ولم تذكر المصادر أسباب انضمامه إلى جانب العرب المسلمين، ومن الممكن أن يكون الرشيد قد استماله بالمال، أو استطاع أن يقنعه بأن يعطيه مكاسب إن تمكن الرشيد من الخروج سالماً منتصراً.

فقد استطاع هارون أن يكسب تاتزيتس إلى صفه، وهو الذي أشار عليهم بطلب التفاوض مع البيزنطيين، وتمكن تاتزيتس من أن يقنع القائدين: أنطونيو، وبيترستوراكيوس، بقبول التفاوض مع هارون، وتوجه هؤلاء القادة إلى معسكر هارون، وهناك تم إلقاء القبض عليهم، وحدثت

---

[1] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٥٢حيث يقول" دخل مدخلاً ضيقاً" ، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦٥

[2] ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٣٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٥٣، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج٦،ص٦٦، ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج١، ق٢، ص٢٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤٧، مؤلف مجهول:العيون والحدائق،ص٢٧٩.

العوضى في الجيش البيزنطي، وسار هارون حتّى وصل إلى أبواب القسطنطينية، فخافت إيرين، وأرسلت إليه تطلب الصلح.[1]

بن ما ذكره المؤرخون السريان والبيزنطيون بأن السبب الذي جعل إيرين تطلب الصلح من الرشيد، هو ضعف النساء، وبأن المسلمين في البداية، هم من كانوا قد طلبوا الصلح، وذلك بسبب التضييق الذي حدث لهارون وجيشه، و الحصار الذي فرض عليه ، وقد تم الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث .[2]

ثمّ مضى عصر الخليفة محمد المهدي، وحمل في طياته هذا الصلح مع الإمبراطورة إيرين بشروطه القوية .

وبعد عصر الخليفة محمد المهدي، جاء عصر الخليفة هارون الرشيد الذي استحوذ على اهتمام المؤرخين والكتاب، للأحداث المهمّة التي جرت في عصره، وخاصة فيما يتعلق بالبيزنطيين، فقد استطاع هذا الخليفة أن يجبر أباطرة بيزنطة على طلب الصلح أكثر من مرة، واستطاع أن يأخذ الجزية من الإمبراطور نفسه.

ففي العام ١٨٠هـ ./ ٧٩٦م، تحرك الخليفة هارون الرشيد مع جيش ضخم ومجهز بشكل كبير، ضم قوادً أقوياء أمثال عبد الملك بن صالح، وولده عبد الرحمن بن عبد الملك، واستطاع الخليفة وقواده شن غزوات وغارات منظمة، ومستمرة دامت حوالي عامين من عام ١٨٠هـ . ٧٩٦ م

---

[1] – عبدالله: العلاقات السياسية، ص٢٢٩-٢٢١-٢٢٢.

[2] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص١٥٣، ابن الأثير:الكامل، ج٦،ص٦٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ق٢،ص٢٣٧، السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير،ج٢، ص٤٢٤.

حتّى عام ١٨٢هـ ./٧٩٨م تمكن خلالها جيش المسلمين من الاستيلاء على حصن الصفصاف واستولى المسلمون على المعسكر البيزنطي ومعداته في ليديا، واحتلوا مالاجيا[1] و أفسوس[2]

وبطرا هذه الانتصارات المتتالية التي حققها المسلمون، والتي كبدت بيزنطة خسائر فادحة، فقد أرادت الإمبراطورة إيرين أن تحفظ ماء وجهها أمام شعبها، وأرسلت سفارتها تطلب الصلح مع المسلمين في العام ١٨١هـ ./٧٩٧م، لكن طلبها رفض وتابع المسلمون تحركهم وعادت إيرين وطلبت الصلح مرة ثانية، وأيضاً رفض الرشيد الصلح معها ، إلى أن تعرضت الحدود الإسلامية لهجوم الخزر في العام ١٨٣هـ ./٧٩٩م حيث قبل الرشيد طلب الإمبراطورة للصلح، وهكذا عقدت هدنة بين الطرفين العباسي والبيزنطي مدتها ثلاث سنوات، وتم الاتفاق على أن يتم تبادل للأسرى ، وأن تدفع الإمبراطورة الجزية للرشيد، ولم يحدد مقدار الجزية والأرجح أنها كانت تساوي الجزية السابقة التي كانت تدفعها من قبل.[3]

بعد أن خلعت الإمبراطورة إيرين لم يحافظ البيزنطيون على معاهدة الصلح التي عقدتها الإمبراطورة إيرين مع الخليفة هارون الرشيد، فقد قام الإمبراطور نقفور بنقض الصلح، وأرسل

---

[1] – ليديا ومالاجيا: لم تذكر المصادر التي تمت العودة إليها موقع هذه الأماكن ولكن بعض المراجع ذكر بأنها حصون تقع على أطراف الإمبراطورية البيزنطية، العريني: الدولة البيزنطية ، ص٢٤٢.

[2] – الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٦٩، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢٩٣، ابن الأثير. الكامل، ج٦،ص١٦١، ابن العبري. تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٣، ماجد:العصر العباسي الأول، عبد الله العلاقات السياسية ، ص٢٧٣.

[3] المسعودي.التنبيه والإشراف، ص١٩٥؛ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٢٥؛النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٢،ص١٤٨-١٤٩؛الأبجر:موسوعة تاريخ العالم ،ص٤٨٦؛علي:مختصر تاريخ العرب، ص١٨٧، مصطفى: التاريخ العباسي،ص٢٧٧، ماجد:العصر العباسي الأول، ص٢٨٨.

رسالة إلى الخليفة يخبره بنقض الصلح، ويطالبه بإعادة الأموال التي أخذها الرشيد من إيرين، ونتيجةً لذلك قام الرشيد بشن حملة ضد الإمبراطورية البيزنطية في العام ١٨٧هـ /٨٠٣م ، واستطاع أن يصل إلى أبواب هرقلة، وهنا سارع نقفور إلى طلب الصلح ، وأرسل للرشيد يتوسله بقبول الصلح فوافق الخليفة الرشيد وعاد المسلمون إلى بلادهم منتصرين[1].

والملاحظ هنا بأن الإمبراطور الجديد لم يتمكن من مقاومة الرشيد، والسبب في ذلك يعود إلى أن بيزنطة كانت لا تزال تعاني من آثار ثورة القائد باردانس توركس، الذي تمكن من فرض سيطرته على ثغور آسيا الصغرى، وتعاونت معه أعداد كبيرة من الجيش البيزنطي .[2]

فرض الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطور نقفور في هذا الصلح ألا يبني البيزنطيون أيّ حصن من الحصون المهدمة، وأن يدفع الإمبراطور نقفور للرشيد جزية، وقد ثبّت أبو العتاهية الجزية التي دفعها نقفور للرشيد شعراً فقال :

تحللتِ الدنيا لهارونَ ذي الرضى وأصبحَ نقفورُ لهارونَ ذمّيا.[3]

لم تذكر المصادر مقدار الجزية بشكل واضح، والأرجح أنها كانت تساوي مقدار الجزية التي كانت تدفعها الإمبراطورة إيرين للرشيد.

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ،ص٣١٨، ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص١٨٥ ، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٨، ابن العبري: مختصر تاريخ الدول،ص٢٤٤،ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ص٢٩٠

[2] – العريني: الدولة البيزنطية،ص٢٤٢.

[3] – مجموعة من الباحثين:الرقة درة الفرات،ص١٠٣.

م يحافظ البيزنطيون على الصلح مع المسلمين، وإنّما نقضوه مستغلين قدوم الشتاء خاصة، وأن المسلمين كانوا معتادين على الغزو في الصيف والربيع، ونادراً ما كانوا يغزون في الشتاء؛ لعدم تحملهم برودته، ولعدم توفر المراعي للخيول، وهكذا هاجم الإمبراطور مرعش، وأخذ أعداداً كثيرة من الأهالي وكان هذا قد تمّ في عام ١٩٠هـ ./٨٠٥م، و ردّاً على ذلك، فقد جهّز الخليفة الرشيد حملة ضخمة وتوجه إلى الأراضي البيزنطية، وتمكن من الاستيلاء على هرقلة ، وأراد أن يتابع مسيره لكن الإمبراطور نقفور أرسل يطلب الصلح، ويؤكد للرشيد بأنه سيدفع له خمسين ألف دينار مقابل الانسحاب، لكن الرشيد رفض الرحيل هكذا بل طلب من نقفور أن يرسل الجزية عن رأسه، ورأس ولده، وعدد من البطارقة، إضافة إلى أهل بلده كل عام.

قبل نقفور طلب الرشيد، وأرسل ثلاثمئة ألف دينار للرشيد، واشترط الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطور نقفور ألا يعيد إعمار هرقلة، وبالمقابل طلب من الرشيد عدم تخريب حصون ذي الكلاع وسنان وصملة .[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن معنى الجزية الذي كان يطلقه المسلمون على المبالغ المالية التي كانوا يأخذونها من الأباطرة البيزنطيين، لا يأخذ معنى الجزية الحرفي في الإسلام، أي أن البيزنطيين تحولوا إلى أهل ذمة للمسلمين ، لا بل كان لهم سيادتهم السياسية والعسكرية المستقلة

ويلاحظ هنا بأن العصر العباسي الأول، كان عصر الخلفاء الأقوياء، وكان يحمل في ثناياه معاهدات الصلح ذات الشروط القوية والملزمة للبيزنطيين بمطالب كبيرة وأموال ضخمة، استطاع

ابن خياط :تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٥٩،الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٣٢١، الأزدي :تاريخ الموصل،ص٣٠٩،ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص٢٥٤، لابجر :موسوعة تاريخ العالم،ص٤٨٦

الخلفاء بحكمتهم وقوتهم وشجاعة جنودهم أن يحققوا لدولتهم هذه الانتصارات، وغالباً ما كان البيزنطيون هم الذين يطلبون الصلح .

ثانياً: فداء الأسرى بين العباسيين والبيزنطيين:

١- معنى الأسر والسبي لغة واصطلاحاً:

في البداية لا بد من تعريف الأسير، و توضيح الخلاف بين الأسرى و السبايا.

فمعنى "الأسر" في اللغة العربية الحبس و الشد و الأخذ و الخلق، ومصدره "الأُسر" بضم الهمزة وسكون السين، و الإسار: القد الذي يؤسر به، يقال: ليس بعد الإسار إلا القتل و الجمع أُسر، ومنه الحبل الذي يشد به الكتف، ولذلك سمي المأخوذ في الحرب "أسيراً" لأنه كان يشد به، ثم أطلق عليه ذلك و إن لم يشد بالحبل.

و الأسير: الأخيذ و كل محبوس في قدّ أو سجن.

ويقال: أسرت الرجل أسراً وإساراً، فهو أسير و مأسور و الجمع أسرى و أسارى[١].

وقوله تعالى: "و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و أسيراً ".[٢]

وقد عرّف الماوردي الأسرى في الاصطلاح بقوله: "الأسرى هم المقاتلون من الكفار، إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياءً".[٣]

---

[١] - ابن منظور: لسان العرب،ج١،ص٦٠، الرازي:مختار الصحاح،ص٣١.

[٢] - القرآن الكريم :سورة الإنسان آية ٨.

[٣]- الماوردي:الأحكام السلطانية،ص١٦٧.

و لم يقتصر إطلاق لقب الأسير على المقاتل الذي يؤسر في الحرب، وهو يحمل السلاح، بل يدخل في لفظ الأسير كل من حمل السلاح ضد الإسلام، و هو قادر على الحرب، سواء أكان جندياً أصلياً، أو متطوعاً، أو مرتزقاً، أو جاسوساً، والجندي الذي لم يوجد في ساحات القتال، والتجار، وأهل الصناعات، والمسافرون من الدولة العدوة الذين وصلوا إلى دار الإسلام صالين، فيمكن أن يأخذوا أسرى، واللاجئون من أهل الحرب إلى أحد المسلمين في أثناء القتال أو بعد انتهائه.[1]

وأوضح الماوردي هذه الحالات من الأسر بقوله إن الأسير هو:"من كان منهم مهيباً أو مكترى لم يباشر قتلاً ولا جرحاً، ولا أخذ مالاً...عزر وحبس وجاز حبسه، ولا يجاز به إلى قطع ولا قتل..".[2]

ويخرج من هذا اللفظ كل من لا يقدر على حمل السلاح من أطفال، أو شيوخ، أو نساء، أو رهبان، ومطلق العجزة الذين كان يطلق عليهم السبايا.[3]

هذا ما كان يدل عليه لفظ الأسير،أما السبي، ففي اللغة العربية يقال سبيت النساء سبياً و سباءً ووقع عليهن السباء، و هذه سبية فلان: للجارية المسبية.[4]

---

[1] – عامر:أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية،ص٨٤.

[2] – الماوردي:الأحكام السلطانية،ص ٥٦.

[3] – سلطان (محمد سامي محمد عمر): معاملة الأسرى في الحروب الصليبية ،بيروت ،جامعة بيروت العربية،٢٠١٠م،ص٢٣

[4] – الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب ت ٨٠٧هـ /١٤٠٤م) :القاموس المحيط ، بيروت،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،د.ت،ص ٢٣٦،مجموعة من المؤلفين:المعجم الوسيط ، ١٩٩٠م،ص٤٣١.

أما السبي اصطلاحاً: فهو لا يكاد يخرج عن التعريف اللغوي المتقدم، و كذلك التفريق بين السبايا والأسرى.

فالسبايا هم الصبيان والنساء الذين ظفر المسلمون بأسرهم أحياء، و الأسرى هم الرجال، والمقاتلون الذين ظفر المسلمون بأسرهم أحياء.[1]

عندما لم يكن هناك مفرّ من صدام المسلمين بعدوهم، كان لابد من أن تترتب على هذه الصدام نتائج، وأن يكون من بين هذه النتائج وقوع الأسرى و السبايا من الطرفين المتحاربين، وأن تجري مراسلات، لإنقاذ هؤلاء الأسرى و السبايا من الطرفين.[2]

أما فداء الأسرى الذي كان يتم بين الطرفين العباسي والبيزنطي، فإما أن يكون شرطاً من شروط معاهدات الصلح يتفق عليه الطرفان، وإما أن يحدد الطرفان موعداً للفداء من دون أن يسبق بمعاهدة صلح.

وفي العصر العباسي الأول نظمت عملية الفداء بشكل واضح، و لم تعد تتم بشكل عشوائي، بل كان يسبقها سفارات، لتحديد موقع الفداء وتاريخه، ومن سيفتدى وإلى ما هنالك من ترتيبات تتعلق بذلك، ويلاحظ في أمر الفداء اختلاف المؤرخين حول تحديد تاريخ كل فداء، وعدد الأفدية التي حدثت بين الطرفين.

ولهذا سيتم الحديث عن جميع الأفدية مع ذكر الخلاف بين المؤرخين حولها.

---

[1] – الماوردي: الأحكام السلطانية،ص ١٢٧، الزحيلي :آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص٢٩٤.

[2] –الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي،ص٨٥.

ولا بد من التمييز بين الفداء والتبادل لغوياً، فالفداء ما يقدم من مال وغيره لتخليص المُفدى، وفدَاءٌ أي استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه ففداه بماله وفداه بنفسه.[1]

فالفداء بشكل عام كان يتم بدفع الأموال، لإنقاذ الأسير، أما التبادل فهو من كلمة (بادل) أي بادل الشيء بغيره مُبَادلةً وبدالاً أخذه بدله وبادل فلاناً أعطاه شيئاً منه بدله.[2] وعلى الرغم من الخلاف في المعنى اللغوي للكلمتين، إلا أن الأفدية في العصر العباسي كان يتم فيها التبادل ودفع الأموال.

جرى أول فداء بين العباسيين والبيزنطيين زمن الخليفة المنصور، وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين أمثال ابن خياط، و اليعقوبي، والمسعودي في تحديد تاريخ هذا الفداء، إلى جانب عدم اهتمام المصادر الإسلامية بتفاصيل هذا الفداء، وعدم ذكرها، فقد رفض المنصور طلب الإمبراطور قسطنطين الخامس للصلح في العام ١٣٩هـ ./٧٥٦م، ولكنه قبل أن يتم تبادل للأسرى بين الطرفين[3].

م يحدد المكان الذي جرى فيه هذا التبادل، كما لم يحدد عدد الأسرى، أو حتّى طريقة التبادل. والفداء الثاني الذي حدث في عصر الخليفة المنصور كان عام ١٥٢هـ ./٧٦٩م، حيث شعر الطرفان العربي والبيزنطي بحاجتهما إلى التهدئة، لإعادة تقوية جيوشهما وتنظيمها فقاما بتبادل للأسرى في عام ١٥٢هـ ./٧٦٩م، وكان التبادل يتم رجل برجل وامرأة بامرأة وطفل بطفل،

---

[1] – الرازي: مختار الصحاح ص٣٦٧، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط ص٧٠٣.

[2] – الرازي: مختار الصحاح ص٥١، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط ص٤٥.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٨٨، ماجد: العصر العباسي الأول، ص١٤٧

وكان المنصور قد اشترط على الأسرى البيزنطيين أن يطلقوا لحاهم ويحلقوا رؤوسهم[1]، ولم يذكر المكان الذي جرى فيه الفداء.

والملاحظ أن الفدائين السابقين لم يتم ذكرهما عند غالبية المصادر، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو، هل كانت هذه الأفدية تتم بشكل عشوائي؟، ألم تجر مراسلات بين الطرفين لتنظيم عمليات التبادل ؟.

مما لا شك فيه أن هنالك طرفاً ثالثاً كان يتوسط بين الطرفين العربيّ المسلم والبيزنطي، لتنظيم مثل هذه الأحداث ولكن المصادر لم تذكر هذه التفاصيل .

بعد هذه الأحداث توفي الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس في العام نفسه ١٥٨هـ /٧٧٥م، وتسلم عرش الخلافة الإسلامية الخليفة محمد المهدي بن الخليفة المنصور، وسار على خطا والده في الدفاع عن حدود دولته من خطر البيزنطيين، وتسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية ابن الإمبراطور قسطنطين الخامس الإمبراطور ليو الرابع.

كانت الأجواء العامة للعالمين العربي الإسلامي والبيزنطي آنذاك توحي بأن العلاقات بين الخليفة المهدي والإمبراطور ليو الرابع ستميل نحو الهدوء والسلام، والسبب في ذلك هو أن الإمبراطور ليو الرابع عمل على إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين كانت الإمبراطورية قد أسرتهم لديها

[1] - ابن شداد:الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص٢٠٣،عبد الله:العلاقات السياسية،ص١٦٦.

من قبل، ورد الخليفة المهدي بالمثل فقد أطلق سراح الأسرى البيزنطيين لديه مع من أطلق سراحهم من السجون[1].

لم يكن هذا الفداء متفقاً عليه بين الطرفين، وإنما كان مبادرة سلمية قام بها الطرف البيزنطي لأول مرة تجاه المسلمين، ولم يكن الخليفة العباسي المهدي أقل كرماً من الإمبراطور ليو الرابع بإطلاقه سراح الأسرى المسلمين، بل ردّ بالمثل عندما أطلق سراح من لديه من الأسرى البيزنطيين.

كان هذا أول تحرير للأسرى في عصر المهدي، أما تبادل الأسرى الثاني، فقد كان هنالك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ هذا الفداء، ففي عام ١٦٦هـ /٧٨٢م تم تبادل للأسرى بين كلا الطرفين نتيجة للصلح المعقود بين العباسيين والبيزنطيين.[2]

وهنالك مصدر وحيد ذكر بأن الفداء جرى في العام ١٦٧هـ /٧٨٣م، وجرى الفداء بإشراف القائد عبد الحميد بن الضحاك.[3]

ولم تذكر المصادر تفاصيل هذا التبادل والأرجح أنه تم إطلاق الأسرى من دون أية مراسم.

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨،ص١١٧،الأزدي:تاريخ الموصل،ص٢٦٨،ابن الأثير: الكامل، ج٦،ص٤١، مؤلف مجهول. العيون والحدائق، ص٢٧٠، السرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٤٢١-٤٢٢-٤٢٣.

[2] - الطبري. تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٦٦،ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ،ج١،ق٢،ص٢٣٦-٢٣٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ،ج٨ ، ص٢٧٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ص٢٧٩ ، ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦، سيديو: تاريخ العرب العام ، ص ١٨٧ ، جلوب : إمبراطورية العرب ، ص ٥٣٢ ،لانجر : موسوعة تاريخ العالم، ص ٥١٨ .

[3] - ابن خياط:تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٣٩.

وحدث فداء آخر للأسرى بعد أربع سنوات من تاريخ معاهدة الصلح، علماً أنّ البيزنطيين كانوا هم الذين بادروا بهذا الفداء، فقد قدموا ليعدوا أسراهم بأسرى المسلمين.[1]

وكان هذا الفداء مع بداية تسلّم الخليفة هارون الرشيد عرش الخلافة الإسلامية في عام ١٧١هـ /٧٨٧م.

ولا يمكن نفي هذا التبادل أو تأكيده، لعدم وجود مصادر كافية تساعد في ترجيح حدوثه أو نفيه، ومن الممكن أن تكون الإمبراطورة إيرين أرادت أن تتمثل بروحها حين أطلق سراح أسرى المسلمين لديه عندما تسلّم الخليفة المهدي عرش الخلافة كمبادرة سلمية تجاه المسلمين.

ويلاحظ الاختلاف في تحديد العام كما يلاحظ أيضاً عدم إجماع المؤرخين حول الفداء الذي تمّ في عام ١٨٣هـ /٧٩٩م، ويذكر بأن هذا الفداء كان بناء على معاهدة الصلح التي عقدت مع إيرين في هذا العام، فقد ذكر البعض بأنه في عام ١٨٣هـ /٧٩٩م حدث فداء بين البيزنطيين والمسلمين، ولكنه فداء منظم، فقد شارك فيه من الطرف العربي المسلم ابن الخليفة هارون الرشيد القاسم، وكان هو من تولى القيام بالفداء وكان مع القاسم أبو سليم فرج الخادم التركي الموكل بالاهتمام بطرسوس ، و الذي أحضر معه ما يقارب من ثلاثين ألف رجل من المرتزقة، أما من الجانب البيزنطي، فقد كان – كما ذكر المصدر – الملك نقفور الذي توجه ومعه بالطبع عدد من الشخصيات البيزنطية المهمّة، وحضر هذا الفداء أعداد كبيرة من العلماء والأعيان

---

[1] – ابن خياط:تاريخ خليفة بن خياط،ص٤٤٨.

المسلمين، والكثير من أهالي وسكان الثغور، وتم فداء ثلاثة آلاف وسبعمئة أسير من الطرف المسلم، ولم يحدد عدد الأسرى البيزنطيين.[1]

ما يلاحظ في هذا الفداء بأن المصدر إن كان قد قصد أن الإمبراطور نقفور هو من قام بالفداء كونه إمبراطوراً، فقد أخطأ، وذلك لأن الإمبراطورة إيرين كانت ما تزال على رأس السلطة هي وابنها قسطنطين، أما إن كان المصدر قد قصد بأن نقفور شارك بالفداء بصفته وزيراً للمالية فهذا ممكن، ولكن المصدر حين ذكر الحادثة قال: الملك نقفور، فالاحتمال الوارد هنا بأن المصدر أخطأ في ذكر اسم الإمبراطور البيزنطي، وبأنه من الممكن أن يكون هذا الفداء قد حدث في عهد إيرين.

أما المصادر العربية الأخرى، فلا تذكر تاريخ هذا الفداء في عام ١٨٣هـ ./ ٧٩٩م وإنما تذكر أنّ هذه التفاصيل والأحداث، كانت خاصة بالفداء الذي حدث في عام ١٨٩هـ . / ٨٠٤م، فبعد أن حاصر الخليفة هارون الرشيد مدينة هرقلة طلب نقفور الصلح والاتفاق على عملية فداء تتم بين الطرفين ويذكر بعض المؤرخين أن هذا الفداء كان أول فداء جرى في العصر العباسي الأول، وكان في عصر الرشيد، والفداء جرى على نهر اللامس القريب من طرسوس، وكان المسؤول على إجراءات الفداء القاسم بن الرشيد وكان معه أبو سليم فرج الخادم المسؤول عن طرسوس، وسالم البرلسي البربري الذي أحضر معه ثلاثين ألفاً من المرتزقة، ويذكر أنه أيضاً حضر الفداء أهل الثغور جميعاً، بالإضافة إلى توافد أعداد هائلة من سكان المدن الأخرى، ووصل ما يقارب

---

[1] ابن الأثير : الكامل ،ج ٦ ،ص ١٥، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٨ ، فرحات (عبد الكريم) أسرى الحرب عبر التاريخ،بيروت،دار الطليعة،١٩٧٩م ،ص ١١٥ .

خمسمئة ألف شخص إلى منطقة نهر اللامس، وعمد العباسيون إلى الحضور بعدة وعتاد من أفضل ما يكون، فقد كان الخيل والسلاح والعتاد الإسلامي على درجة كبيرة من الاهتمام والرعاية حتى اللباس كان متميّزاً، وكان هذا أيضا حال البيزنطيين الذين قدموا بالمراكب الحربية إلى نهر اللامس، وهم مرتدون اللباس المتميز أيضاً ومعهم أسرى المسلمين .

وقد تم فداء عدد كبير من الأسرى ، لذلك أخذت عملية الفداء وقتا طويلا تم خلالها فداء ثلاثة آلاف وسبعمئة أسير من المسلمين، وقد بقي المسلمون في اللامس ما يقارب أربعين يوماً في منطقة، مابين تحضير للفداء وأحداث الفداء، ومن ثم الرحيل عن المنطقة، ونظراً للأعداد الكثيرة التي تمكن العباسيون من فك أسرها، فقد قيل في حينها إنه: ((لم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به)).[1]

وخلد الشعراء هذا الفداء في قصائدهم، فقد قال فيه مروان بن أبي حفصة :

فُكّتْ بكَ الأسرى التي شُيِّدتْ لها محابسُ ما فيها حميمٌ يزورها . . . . . ا

على حينِ أعيا المسلمينَ فِكاكُهم . . ا وقالوا سجونُ المشركينَ قبورُها . . . ا[2]

---

[1] – المسعودي . التنبيه والإشراف ، ص ١٦٠ ،الطبري :تاريخ الرسل والملوك ،ج٨،ص ٣١٨ ،ابن الأثير : الكامل ، ج٦ ،ص ١٩٣،ابن شداد الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص٢٤٣،ابن كثير البداية والنهاية،ج١٠،ص ٢٠١،مبكل :جغرافية دار الإسلام البشرية ج٢،ص٢٤٧ ،مرحان : أسرى الحروب عبر التاريخ،ص ١١٥ ، عثمان :الحدود الإسلامية البيزنطية،ج٢، ص٤١٧.

[2] – الطبري :تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص ٣١٨ ،ابن الأثير :الكامل ، ج٦ ،ص ١٩٣،ابن شداد :الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢ ،ص٢٤٣.

وما يلاحظ في هذه الرواية بأنه اتفق أغلب المؤرخين حول هذا الفداء، ولكن البعض ذكر بأنه أول فداء كان أيام بني العباس.[1]

وهذا ليس منطقياً، فهو يجافي الحقيقة ، لأنه جرى بين العباسيين والبيزنطيين أكثر من فداء كما سبق وذكر، وربما قصد المؤرخ بأنه الفداء الأول المنظم والذي جرى على نهر اللامس، ومن ثم درجت العادة على جعل منطقة اللامس المنطقة التي تتمُّ فيها عملية الفداء غالباً .

أما بالنسبة للأعداد الكثيرة التي كانت تجتمع في المنطقة التي يجري فيها الفداء، والتي يذكر بأنها قاربت حوالي خمسمئة ألف شخص، فيلاحظ بأن هذا الرقم مبالغٌ فيه، فكيف ستتسع هذه المنطقة لثلاثين ألفاً من المرتزقة وخمسمئة ألف من سكان الأمصار؟ هذا غير أعداد الأسرى الذين كانوا حوالي أربعة آلاف أسير وأعداد البيزنطيين القادمين إلى الفداء، فهذه مبالغة واضحة، وربما ذكر المؤرخون هذه الأعداد الكبيرة ليبينوا أهمية هذا الحدث بالنسبة للمسلمين.

ولم يتوقف المسلمون والبيزنطيون عن شن الهجمات المتبادلة والمتكررة من كلا الطرفين على أراضي الدولتين، وبعد مدة اتفق الطرفان العباسي والبيزنطي على عقد الصلح وتبادل الأسرى في العام ١٩٢ هـ . / ٨٠٧م، وتم الفداء بإشراف أمير الثغور الشامية ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، وحضر إجراءات الفداء مئات الألوف من الأشخاص، ودام الفداء ما يقارب سبعة أيام وتم تحرير ألفين وخمسمئة أسير مابين رجل وامرأة .[2]

---

[1] - المسعودي :التنبيه والإشراف ،ص ١٩٠.

[2] - المسعودي:التنبيه والإشراف ،ص ١٩١ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج ٨ ،ص ٣٣٨ ،ابن الأثير: الكامل ،ج ٦ ،ص ٢٤٠ ، عثمان :الحدود الإسلامية البيزنطية ،ج٢،ص٤١٨.

والسؤال الذي يطرح هنا هو ما سبب هذه المبالغة في نسبة حضور السكان الذين شاركوا في إجراءات الفداء؟ ربما يكون هذا التضخيم في أعداد المسلمين الذين شاركوا للدلالة على أهمية هذا الحدث.

وهنالك خلاف حول المكان الذي جرى فيه الفداء، فالبعض يذكر بأنه كان في اللامس،[1] والبعض الآخر يذكر بأنه كان في البَذَنْدُون.[2]

من الممكن أن يكون هذا الفداء جرى في البذندون[3]، ولكن على الأرجح بأن الفداء كان قد حصل في اللامس كما هي العادة التي درجت في العصر العباسي الأول.

وينفرد المؤرخ الطبري بذكر حدوث فداء آخر في عصر الأمين في العام ١٩٤ هـ ./ ٨٠٩م.[4]

ولم تذكر المصادر الأخرى هذا الفداء، وإن كان قد حدث، فعلى الأرجح بأنه كان عبارة عن تبادل عدد قليل من الأسرى .

أما في عصر الخليفة المعتصم، فقد عرض الإمبراطور ثيوفيلوس على الخليفة المعتصم أن يجري تبادل للأسرى بين الطرفين عدة مرات، وردّ الخليفة المعتصم على طلب الإمبراطور بقوله:" إن أردت أن تردَّ علينا من كان لديك من المسلمين من دون أن تطلب مقابلاً لذلك، فإننا نرد عليك أضعاف من تطلق سراحهم، وجرى تبادل للأسرى بين الطرفين ولكن الخليفة المعتصم لم يفرح

---

[1] – المسعودي : التنبيه والإشراف،ص ١٦١ .

[2] الطبري : تاريخ الرسل والملوك،ج ٨ ،ص ٣٤٠ .

[3] –البذندون: قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر مات بها المأمون فنقل إلى طرسوس ودفن بها وبطرسوس باب يقال له باب بذندون ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١،ص٣٦١-٣٦٢.

[4] – الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٣٤٣،عثمان:الحدود الإسلامية البيزنطية،ج٢،ص٤١٨

عن كل الأسرى لديه، فقد أبقى على القائد ايتيوس أسيراً لديه.[1] وربما استبقاه ليستفيد من خبرته ، أو للاستمرار في إحباط الجيش البيزنطي الذي كان يرى في هذا القائد الملهم الذي يرفع من معنويات هذا الجيش ويزيد من همّته وقوته.

والفداء الأكثر أهمية من حيث التفاصيل التي ذكرت عنه، كان الفداء الذي جرى في عصر الخليفة الواثق، إذ سبق هذا الفداء سفارات قدمت من بيزنطة إلى الخليفة الواثق لتفاوضه من أجل إجراء فداء بين الطرفين العباسي والبيزنطي، ووصلت رسل البيزنطيين إلى الخليفة الواثق وطلبت منه قبول إجراء تبادل للأسرى، وبدوره أرسل الخليفة الواثق أحمد بن أبي قحطبة صاحب خاقان الخادم إلى بلاد الروم، ليعلم عدد الأسرى المسلمين، عاد أحمد وذكر بأن أعداد المسلمين بلغت ثلاثة آلاف رجل وخمسمئة امرأة، واتفق الطرفان على إجراء الفداء، ومن ثم جرى خلاف بين الوفدين العباسي والبيزنطي بخصوص الأسرى، فقد رفض البيزنطيون أخذ امرأة عجوز أو شيخ كبير أو صبي صغير؛ ولذلك استمرت المفاوضات مع ابن الزيات إلى أن أقنعهم بأن يتم التبادل أسير بأسير.

لم تتوفر لدى الواثق الأعداد اللازمة لإجراء التبادل، لذلك أرسل الواثق أشخاصاً إلى بغداد والرقة لشراء الرقيق، ولكن لم تجهز الأعداد الكافية، فعمد الواثق إلى إخراج النساء الروميات العجائز والشيوخ الكبار في السن من قصره إلى أن اكتملت الأعداد.

J.B.Bury, A History of the Eastern Roman Empire,1912,p274.

سلطان، معاملة الأسرى في الحروب الصليبية، ص٣٦.

عمل الواثق على إرسال عدد من الشخصيات المهمة إلى هذا الفداء فقد ذهب أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي والي الثغور، وأخذ الباهلي معه سبعة عشر رجلاً من عمال البريد، ووجه الواثق يحيى بن آدم الكرخي ويكنى أبا رملة، وجعفر بن أحمد بن الحذاء، وأرسل معهما الكاتب طالب بن داود، وطلب منهم امتحان الأسرى في القول بخلق القرآن ، فقد كانت سياسة الدولة تعتمد على القول بالقرآن .

تحدد موعد الفداء في محرم من عام ٢٣١هـ ./ أيلول ٨٤٥م، وكان المشرف على الفداء من الجانب العباسي خاقان الخادم التركي، وكان معه الأسرى البيزنطيون، ولم يحدد عددهم بالضبط، واجتمع في مكان الفداء ما يقارب أربعة آلاف فارس وراجل من المسلمين والمطوعة، ومن الجانب البيزنطي جاء قائدان يقال لأحدهما: أنقاس وللقائد الآخر لمسوس.

واجتمع الطرفان على نهر اللامس، المسلمون على الجانب الشرقي من النهر، والبيزنطيون على الجانب الغربي، وتم إنشاء جسرين على النهر، يرسل البيزنطيون أسيراً من عندهم ويرسل المسلمون أسيراً إلى أن يصل الأسير المسلم إلى المسلمين فيكبروا ويصل الأسير البيزنطي إلى البيزنطيين فينادوا بكلامهم، وهكذا إلى أن انتهى الفداء، ويذكر بأن الأسرى المسلمين كانوا يمتحنون بقولهم بخلق القرآن وبأن الله عز وجل لا يرى في الآخرة، فمن قال بذلك فودي، ومن لم يقل ترك في أيدي البيزنطيين، وأمر الواثق بأن يعطى كل أسير، قال بخلق القرآن، ديناراً، فقد كانت سياسة الدولة آنذاك تقول بخلق القرآن..

تجاوزت أعداد من فودي بهم أربعة آلاف وستمئة شخص بين رجال ونساء وأطفال مسلمين ومسيحيين، فمن النساء والأطفال فودي ستمئة شخص، ومن أهل الذمة فودي ما يقارب

خمسمئة شخص، والباقون من الأسرى كانوا رجالاً من شتى المدن والبلدان، استمر الفداء أربعة أيام ،وتم عقد اتفاق بين المسلمين والبيزنطيين مدته أربعين يوماً لا يحرون فيها إلى أن يعود كل طرف إلى بلاده.[1]

أما الأماكن التي كانت تجري فيها عمليات الفداء في العصر العباسي الأول، فالمصادر لم تذكر أسماء الأمكنة بشكل واضح، وربما لأن الأفتداء كان هو الأهم ، ومن ثم بدأ يلاحظ ذكر اسم نهر اللامس والبدندون بأنهما أماكن رئيسة لمبادلات الأسرى، والأرجح أن هنالك أماكناً أخرى كان يجري فيها الفداء، ربما كان يجري في إحدى مدن الثغور الحدودية التي تربط بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية، والأرجح بأن الطرفين كانا يختاران منطقة فسيحة تتسع لأسرى.

والملاحظ في هذا الفداء بأنه أمد الدارسين بمادة مهمة عن طريقة الفداء وأسلوبه، ومن الممكن أن تكون معظم الأفدية السابقة قد تمت على هذا النحو .

ويلاحظ أيضاً بأن المسلمين قد تمتعوا بروح متسامحة إذ إنه بقي بحوزتهم ما يقارب مئة أسير بيزنطي بعد أن انتهت مراسم الفداء فعمل المسلمون على إطلاق سراحهم دون مقابل.[2]

من خلال ما ذكر يلاحظ بأن العباسيين عملوا على إطلاق سراح رعاياهم من مسلمين ونصارى ولم يفرقوا بينهم، وهذه كانت من أهم المزايا الحميدة التي ميزت العربي في ذلك العصر.

---

[1] - المسعودي التنبيه والإشراف،ص١٩١-١٩٢،الطبري:تاريخ الرسل والملوك ج٨،ص١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥،ابن الأثير الكامل،ج٧،ص، الدوري (عبد العزيز):دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعةالسريان ،١٩٤٥م،ص٣٩، ميكيل: جغرافية دار الإسلام البشرية، ج٢، ق٢، ص٢٧٤، فرحات أسرى الحرب عبر التاريخ،ص١١٥-١١٩.

[2] - عواد (محمد حسن) :تحرر الرقيق سليمان بن عبد الملك،القاهرة،مؤسسة دار الشعب،١٩٧٦م،ص١٢٧

٢- معاملة الأسرى في الأسر:

أما فيما يتعلق بمعاملة الأسرى المسلمين في بيزنطة، فلا شك بأن الأسر يجر مصائب كثيرة على صاحبه، فلم يكن الأسير يعامل معاملة حسنة، بل على العكس كانوا يجبرون على العمل في مناجم الفحم والذهب، ويكرهون على الخدمة في الجيش، و كانوا يستعبدون ويستعملون في الصنائع، ولكنهم في المقابل لا يكرهون على أكل لحم الخنزير، ولا تثقب أنوفهم أو تشق ألسنتهم، وكان للمسلمين دار يجتمعون فيها مع بعضهم إذا أسروا.

أما إذا كان الأسير من الشخصيات الرفيعة فيوضع في مكان يليق به وبمكانته ، ويذكر بأن داراً كبيرة خصصت للشخصيات الرفيعة من الأسرى.[1]

ويذكر بأن الأسرى الذين كان الإمبراطور قسطنطين الخامس يأخذهم لدى مهاجمته الثغور كان يسكنهم في ترافية مع سكان المدينة.[2]

أما عن معاملة المسلمين للأسرى البيزنطيين، فعلى الأرجح بأن مصيرهم كان الاسترقاق إلى أن يفتديهم البيزنطيون، وغالباً ما كان يستفاد من المتعلمين منهم في تعليم أولاد المسلمين، أو في ترجمة الكتب والمؤلفات، وكان بعضهم يعمل في المهن والصناعات التي يتقنها.[3]

---

١ - ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمرت ٢٩٠هـ /٩٠٣م): الأعلاق النفيسة ،ليدن ،مطبعة بريل ،١٨٩١م، ص ١٢٠-١٢١، ميكيل:جغرافية دار الإسلام البشرية،ص٢٤٨.

٢ ابن خياط ،تاريخ خليفة بن خياط ،ص٤١٠ ،السرياني:تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٢ ،ص٤١٣

٣ زيدان (جرجي) ،تاريخ التمدن الإسلامي،مراجعة وتعليق،حسين مؤنس،القاهرة،دار الهلال، ١٩٥٨م، ج٥، ص٣١-٣٢

كما أن بعض الأسرى كانوا يباعون مثلما حدث في عام ١٩٠هـ /٨٠٥م، عندما وصل القائد العباسي حميد بن معيوف إلى قبرص، وتمكن من سبي وأسر أعداد كثيرة جرى خلاف بين المؤرخين حول أعدادهم، فالبعض ذكر بأنهم كانوا عشرة آلاف أسير[1]، والبعض الآخر قال: إنهم ستة عشر ألف شخص[2]، ونظراً لعدم الدقة في هذه الأعداد يجب أخذ الحذر والحيطة، ومع هذا الاختلاف إلاّ أن مصيرهم كان واحداً وهو بيعهم في الرافقة، وكان بينهم كبير أساقفة قبرص وبيع بألفي دينار.[3]

ومن الآثار الأخرى للأسر أنه أصبحت تجارة الرقيق رائجة جداً، وذلك لأنها كانت تعتمد على الأسرى بالدرجة الأولى، فقد استخدم العبيد والغلمان والخصيان والجواري في قصور الخلفاء والأمراء والقادة بشكل كبير.[4]

٣- أنواع الأسرى وكيفية الفداء :

نظراً للرابطة الدينية القوية والمتينة بين المسلمين ، فقد عمل الخلفاء على المحاولة لإطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين لدى البيزنطيين، فالمسلم عندما يخرج غازياً في سبيل الله يعلم بأنه إما أن يحرز النصر أو الشهادة أو أن يقع في الأسر، لذلك فإن هو وقع في الأسر، فهو في ذمة المسلمين يحمونه وهو في الأسر إن استطاعوا، ويعملون على خلاصه من الأسر بوسائل عديدة ، منها دفع المال أو الفداء شخص مقابل شخص .[5]

[1] – الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٩،ص٣٢٠.

[2] – السيوطي: تاريخ الخلفاء،ص٢٨٩.

[3] – عبد الله:العلاقات السياسية،ص٢٩٩.

[4] – فرحات:أسرى الحروب عبر التاريخ،ص ١٥٣-١٥٤.

[5] – عامر :أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية،ص٢٦٧.

ولأن غالبية المسلمين من رعايا الدولة وأبنائها، لهذا كان المسلمون يعملون على فدائهم شخصاً مقابل شخص، وإن لم يستطيعوا ذلك كانوا يلجؤون لدفع الأموال لفك أسرهم، ولكن نظراً لتزايد أعداد الأسرى المسلمين كان العمل على فك أسرهم واجباً دينياً وإنسانياً، لهذا فقد شارك أهل الورع والتقوى وميسورو الحال في إنفاق الأموال لفك الأسرى.

ولهذا فإن استطاع الأسير المسلم الفرار من أيدي الأعداء نجا بنفسه، وإن لم يستطع فيجب على المسلمين معاوضة الأعداء لفك أسره.[1]

وكان المسلمون يفكّون أسراهم الرجال والنساء، الأطفال والشيوخ، إما بالتبادل أسير مقابل أسير، وإما بدفع الأموال، أمّا الروم البيزنطيون فقلما كانوا يدفعون الأموال لفك أسراهم، فإن استطاعوا فكهم بالتبادل شخص مقابل شخص فعلوا، وإن لم يستطيعوا فيلاحظ بأنهم لا يتشجعون لبذل الأموال في سبيل هذا الأمر.[2]

ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن أسرى البيزنطيين غالباً ما يكونون من الغرباء المأجورين(المرتزقة) وليسوا من البيزنطيين أنفسهم، ولم تذكر المصادر مصير الأسرى البيزنطيين في العصر العباسي الأول الذين لم يتم فداؤهم، فعلى الأرجح أنهم يبقون في حوزة المسلمين ومنهم من يمضي بقية حياته في بلاد المسلمين .

والطريقتان في فك الأسرى، التبادل، ودفع الأموال، استخدمتا في العصر العباسي الأول في الأفدية التي جرت أيام الخلفاء العباسيين، ومن خلال ما ذكرته المصادر عن طريق التبادل، أحياناً

---

[1] الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي،ص١٢٢.

[2] زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي،ج٥،ص٣١.

كان يتم التبادل رجل برجل، وامرأة بامرأة، وطفل بطفل، وفي أحياناً كان يتم التبادل شخص مقابل شخص.

وعلى هذا النحو كانت تتم معاهدات الصلح، وفداء الأسرى بين الطرفين العباسي والبيزنطي، ويلاحظ أنه غالباً ما كانت تعقد معاهدات الصلح بين الطرفين للالتفات إلى الأوضاع الداخلية للطرفين المتحاربين، وعادةً كان الطرفان يستغلان معاهدات الصلح، لإصلاح ما تهدم في مناطق الثغور، و تحصينها وإعادة هيكلتها من جديد و الالتفات إلى الأمور الداخلية من ثورات وانتفاضات تحدث في الدولتين بين الحين والآخر.

أما فداء الأسرى، فقد كان مميزاً في العصر العباسي الأول بما تخلله من تنظيم وسفارات بدأت تظهر بشكل واضح في هذا العصر، لتعطي لهذه العملية أهميتها .

ومما لا شك فيه أن حالات فداء الأسرى ومعاهدات الصلح كان يتبعها علاقات جيدة على الصعيد الاقتصادي والثقافي، فغالباً ما كانت تفتح الطرق للتجارة والتبادل التجاري بين الطرفين، وأرسلت السفارات العلمية من قبل الخلفاء العباسيين ووزرائهم إلى بيزنطة للتعرف على الثقافات الأخرى .

وهكذا انتهى عصر الخلفاء العباسيين الأوائل وهم في حالتين متضادتين لا تفترقان مع الدولة البيزنطية: الحرب والسلم.

الفصل الرابع:

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية في مدن الثغور.

أولاً: الحياة الاقتصادية في مدن الثغور.

أولاً – الزراعة.

ثانياً – الصناعة والحرف.

ثالثاً – التجارة.

ثانياً: الحياة الدينية في مدن الثغور.

ثالثاً: سياسة توطين السكان في الثغور الإسلامية زمن العباسيين.

العناصر السكانية:

- بنو وائل
- بنو تغلب
- الفرس
- الزط
- البيالقة الهراطقة
- الجراجمة
- المتطوعة

رابعاً: دور مدن الثغور في الأحداث الداخلية في الدولة العباسية.

- ثورة نصر بن شبث العقيلي في كيسوم ١٨٩-٢١٠هـ ./٨١٣-٨٢٥م.

خامساً: الحركات الانفصالية و دورها في العلاقات العباسية البيزنطية:

١- ثورة توماس الصقلي.

٢ – الحركة الخرمية وعلاقتها بالروم البيزنطيين.

سادساً:دور أرمينية في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول

١٣٢-٢٣٢هـ ./ ٧٥٠- ٨٤٧م.

أولاً :الحياة الاقتصادية في مدن الثغور:

تميزت مدن الثغور الإسلامية بطبيعة جغرافية خصبة، فموقعها على أطراف البلاد الإسلامية لم يكن موقعاً للحماية فقط، بل كان اختيار هذا الموقع له أهمية اقتصادية كبيرة، فمناطق الثغور تميزت بوفرة المياه من خلال الأنهار الكثيرة التي كانت تمر في أراضيها، كما تميزت بتربة زراعية خصبة قابلة لزراعة مختلف أنواع المزروعات، إضافة إلى الموقع التجاري المميز.

فالحياة الاقتصادية و بالأخص (الزراعة و الصناعة) تقوم على عاملين رئيسين هما التربة الخصبة، والمياه الوفيرة ، وهما متوفران في مدن الثغور و هذا يساعد على قيام زراعة و صناعة جيدة، فالجنود المرابطون في مدن الثغور كانوا بحاجة لتوفير دخل دائم و حياة معيشية تضمن لهم دوام استمرارهم في هذه المناطق، و هذا بالفعل ما حققته مدن الثغور.

ولكن عند الحديث عن اقتصاد المدن الثغرية، فهنالك مشكلة تواجه الدارس في هذا المجال، وهي أنه لا توجد في المصادر العربية إشارات صريحة و واضحة عن الحياة الاقتصادية في المدن الثغرية، والذي يجد الدارس بهذه المعلومات حقيقة المصادر الجغرافية،ولا سيما أن الجغرافيين يعتمدون على وصف ما يشاهدونه في المدن وصفاً دقيقاً للأشجار والأنهار وغير ذلك، و لهذا على الدارس أن يستشف من هذه المصادر الجغرافية واقع الحياة الاقتصادية.

أولاً- الزراعة:

تعد الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية لأغلب المدن، و قد شجعت جغرافية مدن الثغور وتنوع تضاريسها على اهتمام السكان بالزراعة، فالسهول والأراضي الزراعية والمياه الوفيرة القادمة من

نقضُ الذي أعطيته نقفورُ	وعليه دائرةُ البوار تدورُ
أبشر أمير المؤمنين فإنهُ	غُنْمٌ أتاك به الإله كبيرُ
فلقدْ تَباشَرَتِ الرَّعيَّةُ أن أتى	بالنقض عنْهُ وافدٌ وبَشيرُ
نقفور إنك حين تَغْدِرُ إنْ نأى	عنك الإمامُ لجَاهلٌ مَغْرُورُ
مَلِكٌ تَجردَ للجِهَادِ بنَفسِهِ	فَعَدوُّهُ أبداً بِهِ مَقْهورُ[1]

عندما سمع الخليفة هارون الرشيد الأبيات غضب كثيراً، وقرر العودة إلى الحرب للانتقام من الإمبراطور نقفور، جهز الخليفة هارون الرشيد جيشاً كبيراً بلغ تعداده مئة وخمسة وثلاثين ألفاً من الجند غير الأتباع والمتطوعة ومن لا ديوان له ، وسار الرشيد بهذا الجيش الكبير مخلفاً ولده عبد الله المأمون في الرقة، عمل الخليفة هارون الرشيد على تقسيم جيشه عدة أقسام تحت إشراف قادة أكفياء، ليتمكنوا من تحقيق انتصارات كثيرة في الوقت نفسه، وبالفعل استطاعوا تحقيق ما طمحوا إليه، فقد توجه عبد الملك بن مالك إلى ذي الكلاع[2] (ذي القلاع)، وتمكن من الاستيلاء عليه، وفتح شراحيل ابن معن بن زائدة ومسرور الخادم، حصن الصقالبة، ودبسة، وتمكن يزيد ابن مخلد من فتح الصفصاف وملقونية، أما داود بن عيسى بن موسى، فقد توجه ومعه سبعون ألفاً من الجنود المسلمين، ليجوبوا في أراضي البيزنطيين، يعملون على تخريبها

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٠٨-٣٠٩، النويري: نهاية الأرب، ج٢٢ ص١٥٤-١٥٦، الأصفهاني: الأغاني ج١٨ ص٢٤١، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ق٢ ص٢٥٠، الحميري: الروض المعطار ص٥٩٢.

[2] حصن ذي القلاع (ذي الكلاع) : من نواحي الثغور الرومية قرب المصيصة ، وأصله بالقاف،وسمي بهذا الاسم لأنه على ثلاث قلاع، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب ،ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ج١ص٢٢٦، ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع، ج١ص٤٠٧.

أما المصيصة، فقد اشتهرت بـ بساتيها على طرفي نهر جيحان، مما ساعدها على تربية الماشية، ولذا فقد اشتهرت بكثرة الكراع، و وفرة المراعي وكثرة الماشية.[1]

كما اشتهرت سمسياط بأنواع الفاكهة المختلفة المزروعة في أراضيها، والتي تنمو في الجبال والأراضي فقد وجد فيها حسب الجغرافيين (سائر الفواكه الصرود والجروم[2])[3]، وربما قصد المؤرخون أنواع الفاكهة و الأشجار التي تنمو في الجبال كالسرو، البلوط ،التين ، السجن ، الجوز والجوز وغيرها من أنواع، وعرفت منبج بأن أراضيها تنتج أنواع البقول المختلفة.[4]

وجد في مدن الثغور ثروة حيوانية لا بأس بها، فقد وجدت الأرانب في ربطرة.[5]

ووجدت الكلاب السلوقية القادمة من سلوقية، و الطيور الجارحة كالصقور والنسور في طرسوس.[6]

واشتهرت المصيصة بوجود الجواميس فيها[7]

وانتشرت في الجبال أوكار البزاة[8] في طرسوس وحصن الجوزات.[9]

---

[1] - ابن حوقل: صورة الأرض،ص١٨٣.

[2] - الجروم: التمر اليابس، ابن منظور:لسان العرب،ج١،ص٤٤٥.

[3] - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٩١، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٩٨

[4] - ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص٢٢٦.

[5] - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية،ص١٥٤.

[6] - ابن العديم: بغية الطلب،ج١ ،ص١٨٠.

[7] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٢.

[8] - البزاة : مفردها البازي نوع من أنواع الصقور، ابن منظور: لسان العرب،ج١،ص٢١٠.

[9] - ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص ١٨٠-٢١٢.

ثانياً- الصناعة والحرف:

وجدت في مدن الثغور صناعات و حرف عدة، وكانت هذه الصناعات محلية بسيطة ،اعتمدت على المواد الأولية الموجودة في مدن الثغور من مواد زراعية وحيوانية و معدنية، لذلك فقد وجدت في مدن الثغور صناعات غذائية، نسيجية و معدنية.

فمدن الثغور لم تكن مجرد مدن حدودية، فهي أيضاً مراكز استهلاكية كبيرة، وذلك لأن السوق العسكري يؤدي لاستدعاء الكثير من الناس و من الجنود والغذاء والألبسة والأسلحة ومواد البناء، ونظراً لهذا فقد انتشرت الأسواق و المحال و الخانات والحمامات والفنادق في مدن الثغور، مما يدل على ازدهار الصناعة و التجارة في آن واحد.[1] .

فقد ساعدت وفرة الكروم إلى انتشار صناعة الزبيب و المربيات في مدن الثغور مثل المصيصة وطرسوس وملطية.[2].

كما ساعد توفر الصوف و الوبر على توفير المادة الأولية للصناعة النسيجية والتي اشتهرت بها مدن الثغور فقد وجد في ملطية وحدها اثنا عشر ألف نول لعمل الصوف.[3]

---

[1] - ابن حوقل: صورة الأرض،ص١٨٤، لومبارد (موريس): الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى،تر، عبد الرحمن حميدي،دمشق،دار الفكر،ص١٩٧٩م ،ص١٧٨،لوبون (غوستاف) حضارة العرب، تر، عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م،ص ٥٤٠.

[2] ابن العديم: بغية الطلب، ج١،ص١٥٦-١٨٠

[3] ابن الشحنة الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،ص١٩٥،القرماني: أخبار الدول و آثار الأول،ص٤٨٨، الأول،ص٤٨٨، الخازن (وليم): الحضارة العباسية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية،١٩٨٤م،ص٧١

وشتهرت طرسوس أيضاً بصناعة الملابس و الثياب التي كان يطلق عليها اسم الشعايا [1]

أما المصيصة، فقد تميزت بصناعة الفراء و لدقة إتقان أهلها لهذه الصناعة، فقد كانت أسعار الفراء عالية جداً وقد ذكر بأنه قد بلغ ثمن الفرو منها ثلاثين ديناراً.[2]

وكانت المصيصة أيضاً مركزاً لصنع عيدان السروج و كانت أسعارها عالية جداً أيضاً.[3]

ويبدو أن مدن الثغور وجدت فيها المادة الخام من الحديد، لذلك اشتهرت المصيصة بالصناعات المعدنية، والتي اعتمدت على الحديد بشكل رئيس، فقد اشتهرت بصناعة الحديد المحرور الخاص بالكراسي الحديد واشتهرت بصناعة اللجم و المهاميز و العمد و الدبابيس[4]

ثالثاً– التجارة :

على الرغم من هذه الصناعات المحلية البسيطة، فقد تمكنت مدن الثغور من إنشاء علاقات تجارية مع المدن المحيطة بها، وذلك لما عرف عن هذه الصناعات من إتقان ومهارة، ووجدت تجارة داخلية مع المدن المجاورة، و تجارة خارجية مع بلاد الروم البيزنطيين، فخشب الصنوبر كان يصدّر إلى الشام و مصر و إلى مدن الثغور الأخرى. [5]

---

[1] – ابن العديم: بغية الطلب، ج1،ص180، فرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية،ص252.

[2] ابن العديم: بغية الطلب، ج1،ص155. الحموي: معجم البلدان،ج5،ص144-145.

[3] ابن العديم : بغية الطلب، ج1، ص156.

[4] ابن العديم: بغية الطلب، ج1،ص156، لوبون : حضارة العرب، ص 541.

[5] – ابن العديم: بغية الطلب، ج1، ص223، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج1،ق2،ص165.

كما أن الجوز وفراخ البزاة كانت تنقل من حصن الجوزات إلى طرسوس، ليتم بيعها هناك في أسواق طرسوس الكبيرة.[1]

وعلى الرغم من أن العرب كانوا أعداء البيزنطيين وكان البيزنطيون، ألد أعداء العرب المسلمين، إلا أن هذا التناقض السياسي والديني بين الطرفين لم يقف عقبة أمام ضرورات الاتصال التجاري والاقتصادي، لذلك فقد قامت علاقات تجارية بين الطرفين (العرب المسلمين والبيزنطيين)، ولا توجد معلومات واسعة حول هذه التجارات، و إنما بعض الإشارات البسيطة في كتب المؤرخين والجغرافيين، فقد استورد العرب المسلمون من بيزنطة الأواني الذهبية والفضية والدنانير الذهبية الخالصة والأعشاب الطبية الرائحة والمنسوجات الموشاة والخيول القوية والجواري والأواني النحاسية و الكلاب و الأسود.[2]

كما صدّر المسلمون إلى بيزنطة الفراء المصنوع في المصيصة، وعيدان السروج والثياب الفاخرة التي كانت تصنع في طرسوس، والصوف المصنوع في ملطية، والطيور الجارحة كالصقور والنسور، والجوز وخشب الصنوبر.[3]

---

[1] – ابن العديم: بغية الطلب، ج1 ص212.

[2] – العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية و تنظيماتها الثغرية، ص40–50.

[3] – ابن العديم: بغية الطلب، ج1، ص 155، 156، 180، 212، 223، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ق2، ص195، ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص195، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص488

وأشارت الكتب السريانية إلى قيام علاقات تجارية بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي في أوقات السلم والهدنة مثلما حدث أيام هارون الرشيد.[1]

وهنالك من يشير إلى أن طرسوس كانت من أهم المدن التي استوردت من بيزنطة كلاب الصيد والصقور.[2]

وعلى الرغم من هذه الإشارات حول العلاقات التجارية، فلا يمكن للدارس أن يؤكد هذه العلاقات ولا ينفيها بشكل قطعي، و لكن المنطق يقر بأنه لا بد من حدوث اتصال بين الطرفين، فمهما كانت العلاقات عدائية بينهما إلا أن الحياة لا تقتصر على الحروب والمشاحنات، بل هنالك أسس كالحياة الاقتصادية و الحضارية والتي لا بد للطرفين أن يكونا قد تأثرا بها، نتيجة للاحتكاك الدائم بينهما.

ويجب الإشارة إلى أن هنالك مدناً ثغرية مهمة كانت كمراكز تجارية ضخمة مثل مرعش وطرسوس ويدل على ذلك أسواقها وخاناتها وحماماتها وفنادقها الكثيرة والتي انتشرت في أنحاء المدن.[3]

كما و قد شكلت بعض المدن الثغرية نقاط اتصال بين المدن الأخرى، مما كان يساعد في تسهيل حركة التجار والأفراد مثل سميساط، والتي كانت تعد من أهم المواقع الإستراتيجية، والمعبر المهم للفرات، وفي سميساط كانت تلتقي الطرق المتجهة إلى العرب، والقادمة من الجزيرة والرقة عن

---

[1] - بيتر: الإمبراطورية البيزنطية،ص٣٧١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢،ص٤٥٠

[2] - العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية،ص٤١.

[3] - ابن حوقل: صورة الأرض،ص١٨٤، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية،ص١٩٢.

طريق سروج، ومن آمد عن طريق الرها ومن سميساط أيضاً كانت تمر الطريق الرئيسة إلى ملطية و مرعش ودلوك.[1]

وكانت المدن الثغرية محطات للطرق التجارية بين بلاد الشام والجزيرة وآسيا الصغرى ،فهنالك طريق يربط الجزيرة بساحل بلاد الشام، ويسير من الرقة إلى دوسر (قلعة جعبر) ويستمر حتى يصل جسر منبج فمنبج ،ويدخل إلى داخل بلاد الشام، فيمر بحلب والأثارب، ويجتاز عمق أنطاكية إلى أنطاكية، ثم يصل اللاذقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط.[2]

ومما سبق يلاحظ بأن الحياة الاقتصادية في الثغور كانت مزدهرة إلى حد ما، حسب ما وفرته الأراضي من مواد أولية ساعدت في قيام صناعات محلية، كما أسهمت في إنشاء علاقات تجارية مع المدن المحيطة، فالمدن الحدودية لم تكن فقط مدناً عسكرية صبغت بالحياة العسكرية والجندية دائماً، بل كانت أيضاً مدناً عامرة بالسكان والحياة الطبيعية كالصناعة و الزراعة والتجارة.

وكان نهر الفرات من أهم الطرق النهرية التجارية وأكثرها أماناً، وكانت الملاحة على الفرات تبدأ من سميساط إلى بغداد وتنقل عبره بضائع كثيرة، أهمها الخشب من جبال أرمينية وزيت الزيتون والرمان من الشام، وصنع لنقل الرمان مراكب كبيرة مطلية بمادة خاصة تدعى القراقير،

---

[1] – عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج١،ص٢٤٩.

[2] – عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ،ج٢،ص٢٢٩.

كما نقلت عبر مدن الثغور وخاصة سميساط بضائع متعددة، مثل العسل والسمن والجبن والجوز والزبيب وسمك الطريخ المملح والصناعات المسيحية.[1]

وهنالك مدن ثغرية كانت على الطريق التجارية الواصلة إلى بيزنطة ، وذكر ابن خرداذبة هذه الطريق، وهو طريق درب السلامة إلى أسيا الصغرى حتى خليج القسطنطينية، ويبدأ من طرسوس إلى العليق (١٢ ميلا) ، ثم إلى الرهوة ، و منها إلى الجوزات (١٢ ميلا) ،ثم إلى الجرد قوب (٧ أميال) و بعدها إلى حصن الصقالبة ،ثم إلى البدندون (٧ أميال) .[2]

أما ملطية، فقد كانت بمنزلة نقطة تجارية تنقل إليها البضائع، ليتم شحنها في الفرات، ونقلها بعد ذلك من البلاد الإسلامية إلى أرمينية وبيزنطة، فقد كان التجار العرب المسلمون ومن يعملون معهم ينقلون البضائع عبر الجبال إلى ملطية، ليتم نقلها عبر الفرات، وكان للتجار الأرمن دور في هذه العمليات التجارية، وأهم البضائع التي كانت تنقل إلى ملطية ثياب الكتان اليوناني، وثياب الصوف، و الديباج، والأكسية الرومية.[3]

ومما يدل على وجود علاقات تجارية واسعة مع أرمينية، العثور على نقود سكت في الجزيرة العراقية في بعض مدن أرمينية، مثلاً وجود قطعة نقدية سكت في حران في عهد أبي جعفر المنصور

---

[1] – أبو دلف. رحلة أبي دلف،ص١٥. السيد (أديب): أرمينية في التاريخ العربي ،حلب، المطبعة الحديثة، ١٩٧٢م، ص٢٥١. متز : الحضارة الإسلامية،ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦ ، كحالة (عمر رضا): دراسات جتماعية في العصور الإسلامية ، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٧٣م،ص١٦٠، الخازن الحضارة العباسية، ص٨٩-٩٠

[2] – ابن خرداذبة:المسالك والممالك،ص ١١٣.

[3] – لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية،ص١٦٨.

في أرمينية. كما أن الكتابات العربية المكتشفة في أرمينية كانت تدل على الاتصال الحضاري، والتجاري بين العرب المسلمين وأرمينية ومدى أهمية هذا الاتصال.[1]

ومما يدل على ازدهار التجارة في المدن التعرية، اهتمام أهلها بإنشاء أماكن لاستراحة التجار كالخانات، والفنادق، والعمل على تنظيم الأسواق، والاهتمام بها لبيع هذه السلع، وكان هنالك مكاييل خاصة للتعامل كالمكوك[2] والمد[3] والقفيز[4].[5]

ولا بد من الإشارة إلى أن الحركة التجارية و الحياة الاقتصادية بشكل عام كانت تتأثر بالحالة السياسية التي كانت تمر بها البلاد، فالتجارة كانت تزدهر في أوقات السلم، فيتم نقل البضائع

---

[1] - مجموعة من الباحثين: ضرب النقود العربية في أرمينيا وتداولها داخل وخارج الإمبراطورية العربية ،تر،الكسندر كشيشان، حلب، الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية،١٩٩٧م،ص٩١،خاتشاتريان (الكسندر): ديوان النقوش العربية في أرمينية (دراسة تاريخية لغوية باليوغرافية) ،تر، شوكت يوسف، دمشق، دار سلام للترجمة والنشر،١٩٩٣م ، ص٧٢.

[2] - المكوك:مكيال وهوثلاث كليجات والكليجة مَنٌ وسبعو أثمان مناً والمنا رطلان والرطل ثنا عشر أوقية و لأوقية إستار وثلثا إستار والإستار أربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم والدرهم ستة دوانق والدانق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس ثمن درهم وهو جزء من ثمانية وأربعين جزء من درهم والجمع مكاكيك، الجوهري(إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية، تح،أحمد عبد الغفور عطار، مصر، دار الكتاب العربي،د.ت،ج٤،ص١٦٠٩.

[3] - المُدُّ: مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق والشام، الجوهري: تاج اللغة،ج١، ص٥٣٤.

[4] القفيز: مكيال وهو ثمانية مكاكيك، الجوهري: تاج اللغة، ج٢،ص٨٨٩.

[5] - ابن حوقل:صورة الأرض،ص١٨٤، المقدسي:أحسن التقاسيم،ص١٢٩،العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية، ص٤٠، ٤١.

بحرية، ويتبادل التجار السلع والمنتجات، ولكن الوضع كان يتغير أيام الحروب، فتنخفض التجارة بشكل واضح، وتصبح البضائع معرضة للسلب والنهب من قبل قطاع الطرق.[1]

وقد لوحظ أيضاً انتشار التجار البيزنطيين في كثير من المدن الإسلامية ، وفي الوقت نفسه كان التجار العرب يتوجهون نحو بيزنطة لإنجاز أعمالهم، وأهم مركز للاتصال التجاري بين الطرفين كان طرابزون وأكد المسعودي على دورها المهم كمركز تجاري، بقوله "لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين و الروم و الأرمن و غيرهم ".[2]

ثانياً: الحياة الدينية في مدن الثغور :

كان لبعد الثغور و الرباطات وتطرفها عن مراكز التجمعات السكانية في المدن أثر كبير في توفير الجو للزهاد والصالحين والمرابطين ورجال الدين بشكل عام هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت المذاهب الدينية المضطهدة من قبل السلطات الحاكمة موطناً ملائماً في الثغور وهذا كان حال طائفة البوليسيين الهراطقة.

وسبقت الإشارة إلى أن المسلمين لدى تأسيسهم المدن الثغرية كانوا يزودونها بالجوامع ،وكان العديد من القادة العسكريين يهتمون بالمساجد كونها مراكز العبادة للمسلمين ، فكانوا يرممون ما تهدم منها، ويضيفون إليها الأسوار لحمايتها من هجمات الأعداء .[3]

---

[1] – الخارن:الحضارة العباسية،ص٧٨.

[2] – ميتز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٧١.

[3] – ينظر الفصل الأول من الرسالة

وقد كان لنشوء الرباطات علاقة وثيقة مع تطور فكرة الجهاد في سبيل الله، وانتشار حياة التقشف والزهد وانطلاقاً من ذلك كله فقد تطورت الحياة الدينية في المجتمع الإسلامي في الرباطات.[1]

وبما أن الشعائر الدينية للمسلمين في الثغور هي نفسها في الأعياد و في جميع المناسبات، فلن يتم الحديث هنا عن المسلمين في الثغور، ولكن سيتم الحديث في هذه الفقرة عن أحوال النصارى في الثغور، خاصة وأن مدن الثغور كانت تضم أعداداً كثيرة من النصارى فما هي أوضاعهم؟ وكيف كان يتم التعامل معهم؟ وما هي الإجراءات التي كان يتخذها الخلفاء العباسيون بالنسبة للنصارى؟.

وجدت في الثغور طوائف مختلفة من المسيحيين كالسريان النساطرة والأرمن اليعاقبة، تميز النصارى في مدن الثغور بأوضاع جيدة زمن العباسيين في أغلب الأوقات، فقد انتشرت الكنائس والأديرة في مدن الثغور، وكانت هذه الكنائس تتميز ببنائها المتقن وثرائها، ومن أكثر هذه الكنائس تميزاً كانت كنائس كيسوم ومرعش و ملطية.[2]

كما انتشرت الأديرة في مدن الثغور ،وكان من أشهر هذه الأديرة دير برصوما الموجود في ملطية، وكان هذا الدير موجوداً على رأس جبل يشبه القلعة ومحاطاً بالبساتين ، ولعل أهم ما يميز هذا الدير كثرة الصدقات والنذر المخصصة له، فقد كانت النذر تأتيه من ديار بكر وربيعة والشام وبلاد الروم.

---

[1] Loranzo,Elribate,p15.

[2] – ترتون (أ.س): أهل الذمة في الإسلام ، مصر ، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٩م،ص١٦٣؛ الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص١٦٨، J.de Morgan,Histoire du people Armenien,Paris,191,p175.

كما كان رهبان هذا الدير يجمعون في كل عام عشرة آلاف دينار ويعطونها للإمبراطور البيزنطي.[1]

وبما أن النصارى شكلوا نسبة كبيرة من سكان مدن الثغور فقد تأثروا بشكل عام بطبيعة العلاقات العباسية البيزنطية في أحيان كثيرة، خاصة وأن بعض الخلفاء كانوا يخشون من أن يحدث اتفاق بين النصارى الموجودين على الحدود وبين الدولة البيزنطية، وأن يتمكن البيزنطيون من استمالة النصارى ويصبحوا عيوناً لبيزنطة ضد الخلفاء، لذلك فقد اتخذت في بعض الأحيان إجراءات تعسفية بحق النصارى، وبدأت الإجراءات تتخذ في زمن الخليفة المنصور منذ العام ١٤٠ هـ ./ ٧٥٧م فقد أمر بحظر بناء كنائس جديدة ومنع إنشاد التراتيم الدينية خارج جدران الكنيسة، وفي العام ١٥٠ هـ ./ ٧٦٧م أمر بنزع الصلبان من قبب الكنائس، أما في العام ١٥٤هـ ./٧٧٠م فقد أمر النصارى بحلق اللحى وبارتداء قلانس طويلة طول الواحدة ذراع ونصف ، أما في العام ١٥٧هـ ./٧٧٣م فقد أمر بوسم وكي النصارى الموجودين بمدن الثغور

---

[1] - الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين).الديارات، تح، جليل العطية، قبرص، دار رياض الريس للكتب والنشر،١٩٩١م،ص٢٥، الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله):المزل والدال بين الديور والدرات والديرة، تح، يحيى زكريا عبارة، محمد أديب جمران، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨م، ج١،ص٢٨٧،البغدادي. مراصد الإطلاع،ج٢،ص٥٤٤، القزويني: آثار البلاد،ص٥٢٩، برصوم (أغناطيوس أفرام الأول) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له ونشره،غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دمشق،مطبع ألف باء الأديب،ط٥،١٩٨٧م،ص٢١.

بالحديد الحامي وتحديداً الذين كانوا يهربون إلى الأراضي البيزنطية لتمييزهم عند العودة إلى مدنهم.[1]

ـ تذكر هذه التفاصيل والإجراءات التعسفية في المصادر والمراجع العربية التي تمت العودة إليها ، وربما تم ذكر حادثة أخرى فقد وصلت أخبار إلى الخليفة المنصور بأن بعض أهالي مرعش وسميساط من النصارى يعملون عيوناً ورصاداً للبيزنطيين ، وينقلون إليهم أخبار المسلمين ويمدونهم بالمعونة والمساعدة، ولذلك فقد أرسل المنصور العباس بن محمد على رأس جيش في العام ١٥٢هـ /٧٦٩م نحو مرعش و سميساط ، وقام بأسر العديد من السكان وبإجلائهم إلى الرملة في فلسطين، ووضع حاميات جديدة في هذه المدن.[2]

وهنا لابد من التساؤل عن السبب الذي دفع الخليفة المنصور إلى إجلاء سكان الثغور إلى الرملة في فلسطين، فلماذا اختار المنصور الرملة ولم يختر أي مدينة قريبة من منطقة الثغور كالجزيرة العراقية وبلاد الشام؟.

من الممكن أن يكون هؤلاء السكان من الرملة وقدموا مع الجنود الذين قام المنصور بتوطينهم في الثغور، ومن الممكن أن يكون المنصور قد رغب في إبعادهم عن منطقة الثغور ، لكي لا يتمكنوا من القيام بمثل هذه التصرفات مرة أخرى،ولكي لا يقضوا مضاجع العباسيين، خاصة وأن فلسطين بعيدة عن الحكم المركزي في بغداد وبعيدة عن خطوط التماس مع البيزنطيين.

---

[1] السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢،ص٥٢٢، ابن العبري: تاريخ الزمان،ص٩،سعيد، الرها، ص ٢٤٢، فييه (جان موريس): أحوال النصارى في خلافة بني العباس،تر:حسني زينه،بيروت،دار المشرق،١٩٩٠م ،ص٥٨-٥٩.

[2] – ابن العبري: تاريخ الزمان،ص٩،عبد الله:العلاقات السياسية،ص١٦.

وعلى هذا النحو استمر الخلفاء العباسيين بإصدار القرارات ضد أهل الذمة في الثغور، وتذكر بعض المصادر أن الخليفة أبا جعفر المنصور أمر في عام ١٥٦هـ ./٧٧٢م بتخريب الكنائس التي بنيت أيام العرب المسلمين وبيع العبيد النصارى.[١]

ولم يتم ذكر هذا الموقف من قبل المصادر العربية ،وهنا يجب النظر بحذر لمثل هذه المقولات إلى أن تظهر وثائق جديدة تثبت هذه الإجراءات.

وبقيت مشكلة النصارى الموجودين في الثغور تظهر في مدد متتالية بين الحين والآخر ، خاصة وأن بعض النصارى كانوا يعملون كعيون وجواسيس لبيزنطة ضد المسلمين، وأدت السياسة الخارجية بين المسلمين والبيزنطيين إلى نوع من التعصب الإسلامي ضد النصارى خاصة سكان الثغور،فقد حدث أكثر من مرة أن تعاون أهالي الثغور من النصارى مع البيزنطيين ، لذلك اتخذ الخليفة المهدي قراراً بإعدام راهب من الرافقة يدعى روماموس اتهم بالتجسس لصالح البيزنطيين، كما أنه رد بعض الأسرى البيزنطيين إلى المسيحية بعدما اعتنقوا الإسلام.[٢]

وحدث في زمن الخليفة هارون الرشيد أن تعاون النصارى من سكان الثغور مرة أخرى مع البيزنطيين، لهذا أصدر الرشيد أمراً بزيادة الجزية على النصارى، كما أمر بهدم الكنائس في الثغور،

---

[١] - فييه: أحوال النصارى،ص٧٢.

[٢] - فييه: أحوال النصارى، ٧٢.

ومن الكنائس التي هدمت كانت كنيسة كيسوم وأمر الرشيد باستخدام أحجار الكنيسة المهدمة في إعادة بناء حصن الحدث ، وكان ذلك في العام ١٩٠هـ /٨٠٧م.[1]

والسؤال هنا ما الذي دفع الخليفة الرشيد للقيام بمثل هذا الفعل (إن صح ذلك)، وهو هدم المعابد الدينية للمسيحيين لبناء مدن الثغور؟.

من الممكن أن يرجع سبب هذا التعامل إلى التشدد الذي بدأ يظهر بشكل واضح زمن الرشيد، ولكن ليس هناك من أدلة أو وثائق تثبت ذلك، وبالتالي تظل هذه الاستنتاجات أو التحليلات قائمة حتى صدور ما يدحضها.

وعلى هذا النحو فقد تأثر النصارى في الثغور ، بالنصر والهزيمة ، التي كان المسلمون يحققونها ضد بيزنطة، فعلى أثر الهزيمة التي مني بها الرشيد في العام ١٩١هـ /٨٠٦م، فقد أصدر الرشيد أوامره في هذا العام بهدم الكنائس في الثغور ومخالفة أهل الذمة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم، وأن لا يبنوا كنيسة أو بيعة لهم إلا بأمر من الخليفة، وأن لا يظهروا صلبانهم في الأمصار، وذكر بأن الرشيد تراجع عن قراره بمخالفة النصارى للمسلمين باللباس.[2]

---

[1] - الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٣٢٤،ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج٦،ص٢٠٦،السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٢،ص٤٣٢،حبيبه: أحوال النصارى، ص٨٨، ترتون. أهل الذمة في الإسلام، ص٥١، حتي: تاريخ سورية، ج٢،ص١٦٨.

[2] أبو يوسف القاضي (يعقوب بن إبراهيم): الخراج،القاهرة، المطبعة السلفية،١٩٣٢م، ص ١٢٧، الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣٢٤، حبيبه: أحوال النصارى،ص ٩٤، زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج٤، ص١٣٩-١٤٠، ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ص١٢٥، عمر: العباسيون الأوائل، ص١٧٣.

وعلى الرغم من هذه القرارات فإن الرشيد كان يحكم عقله عند سماعه وشاية ما عن النصارى، فمثلاً في العام ١٨٠هـ ./٧٩٧م كان الرشيد متوجهاً نحو الحدود البيزنطية لمحاربتهم، فمرَّ في طريقه بالرُّها، وهناك وصلته شكوى من قبل المسلمين بأن أهالي الرُّها جواسيس للبيزنطيين، وبأن الإمبراطور البيزنطي يصلي في كنيستهم، وطلب منه المسلمون هدم الكنيسة، لكن الرشيد لم يصغ إليهم ، وعلم بأن هذا الإدعاء كاذب وأمر بجلد الواشين.[1]

وهذه الحادثة ذكرتها المصادر السريانية، و أغفلتها المصادر العربية، ومن الممكن أن تكون هذه الحادثة قد وقعت بالفعل،وأن المسلمين حاولوا تأليب الخليفة ضد النصارى للتواجدين فيها .

وقد سار الخليفة المأمون على خطط من سبقه في التعامل مع المسيحيين ، فقد كان متسامحاً معهم إلى حد كبير، إذ أمر بألا تهدم كنيسة في أي مكان إلا بموافقته شخصياً.[2]

كما أن الخلفاء العباسيين قربوا إليهم عدداً كبيراً من النصارى مثل آل بختيشوع الأطباء، حيث كان أفراد هذه الأسرة مقربين من المنصور والمهدي والرشيد، وعمل هؤلاء على تحسين علاقة الخلفاء مع النصارى في أحيان كثيرة. [3]

ومما سبق يستخلص بأن النصارى عاشوا في الدولة الإسلامية جنباً إلى جنب مع المسلمين، وتعرضوا، مثلما تعرض المسلمون للأضرار جراء الحوادث المتعاقبة على الخلافة، ونعموا، بالعيش

---

[1] – السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير،ج٢ص ٤٣٣،سيغال:الرها،ص ٢٤٧.

[2] – سيغال: الرها،ص٢٤٦.

[3] – عيد: أحوال النصارى،ص٥٣-٩٤.

المشترك بينهم، وما كان يحدث لهم من مشاكل إنما كان نتيجة غير مباشرة لما تعانيه الخلافة في بعض الأحيان من ضغوط خارجية أو مشاكل داخلية.

ثالثاً: سياسة توطين السكان وحياتهم الاجتماعية في الثغور الإسلامية زمن الخلافة العباسية:

تميزت مدن الثغور الجزرية والشامية في العصر العباسي الأول بتنوع العناصر السكانية التي قطنتها، فمن سكان أصليين إلى سكان وافدين من أجناس وأعراق مختلفة، اختلطت ببعضها البعض وكونت نسيجاً سكانياً متنوعاً ومتآلفاً.

وقد فرضت حالة التأهب والاستنفار الدائمة في مدن الثغور ضد البيزنطيين و غيرهم وجود عناصر سكانية قوية قادرة على حماية حدود الدولة الإسلامية من هجمات الإمبراطورية البيزنطية، فمنذ أن عمرت مدن الثغور من قبل الخلفاء المسلمين، أو من قبل الولاة على بلاد الشام والجزيرة وضعت فيها عناصر سكانية أولى، ثم ما لبث مع الزمن أن تغيرت بعض هذه العناصر، ودخلت عناصر أخرى جديدة، ويلاحظ في العصر العباسي بروز ظاهرة جديدة، هي ظاهرة نقل السكان من مكان إلى آخر، وذلك بهدف تنشيط الحركة الدفاعية لهذه المدن، ويلاحظ أيضاً أنّ العباسيين استبدلوا في حروبهم مع البيزنطيين سياسة حرق المحاصيل، وتدمير الأراضي الزراعية على الحدود، بإنشاء المعاقل والحصون، و وضع الحاميات، وتوطين السكان والجنود فيها، واستقرت في مدن الثغور حشود هائلة من الجنود والمتطوعين والمرابطين والمجاهدين والمعامرين، ومن خلال دراسة سكان الثغور سيلاحظ بأن ظروف كل ثغر تختلف عن الآخر، كما أن بعض الثغور تشابهت في إقامة عنصر سكاني أو أكثر بها.

وقد كان أول من أرسل عناصر سكانية جديدة في العصر العباسي الأول إلى الثغور الخليفة العباسي المنصور، وكان ذلك عندما أرسل إلى ملطية – بعد أن أعاد بناء المدينة عام ١٤٠هـ ٧٥٦م أربعة آلاف مقاتل من سكان الجزيرة الفراتية و شجعهم على سكنها، والإقامة فيها من خلال الزيادة التي منحها إياهم، فقد قام بزيادة العطاء للرجال عشرة دنانير لكل رجل، و معونة لهم مئة دينار.[1]

وقد أرسل المنصور هذه الأعداد المتزايدة من السكان إلى ملطية بعد أن تم تخريب ملطية أكثر من مرة من قبل البيزنطيين، فترك أهلها المدينة خوفاً من بطش البيزنطيين، فمنهم من توجه نحو الجزيرة هرباً ومنهم من أسره البيزنطيون، ونتيجة لذلك قرر المنصور إعادة إعمار هذه المدينة المهمة على الحدود الإسلامية البيزنطية، وحشدها بالرجال ليكونوا درعاً حصيناً يقف في وجه البيزنطيين.

وفي العام نفسه ١٤٠هـ /٧٥٦م، أرسل المنصور، القائد جعفر بن حنظلة البهراني[2] على رأس جيش يضم عناصر عربية مختلفة إضافة إلى عناصر من خراسان، لمواجهة غارة بيزنطية على

---

[1]- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧،ص٥٠٠. ابن الأثير الكامل، ج٥، ص٤٨٦، الحموي:معجم البلدان، ج٥،ص١٩٣،ابن كثير البداية والنهاية، ج١٠،ص٧٤

[2]- جعفر بن حنظلة البهراني: و هو من بنو بهر و بنو بهر من القضاعية و هم بنو بهر بن امرئ القيس بن قضاعة، القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،بيروت،دار الكتب العلمية،د ت، ص١٧٣

ملطية، وقد تمكن جعفر من دخول المدينة و عسكر فيها مدة من الزمن، عمل خلالها على إقامة المزارع و البساتين في المدينة و أبقى عدداً من جنوده في المدينة.[1]

وبسبب الموقع الإستراتيجي المميز لملطية، فقد تعرضت باستمرار لهجمات البيزنطيين، و في كل مرة كان أهالي المدينة يتنقلون بين الثغور ، ومنهم من يأخذ كأسير، لذلك كان على الخلفاء العباسيين الاهتمام بإعمار هذه المدينة دائماً وحشدها بالمقاتلة، و لم تقتصر مهمة ملطية على الدفاع فقط، بل تعدت مهمتها إلى كونها المركز الأساس أيضاً للجيوش المهاجمة على بيزنطة، ومقراً لتزويد المسلمين بالمؤن، وكان سكانها ينقلون من قبل الخلفاء إلى مناطق الثغور الأخرى، ليشدوا من عزيمتهم، وليقدموا لهم المساعدة في مواجهة الهجمات التي يشنها البيزنطيون ضدهم، وهذا ما حدث في عام ١٦٩هـ /٧٨٥م، عندما نقل علي بن سليمان[2] والي الجزيرة إلى مدينة الحدث أربعة آلاف مقاتل من ملطية وسميساط.

و لم تقتصر المهمات الدفاعية و الهجومية و الاقتصادية على ملطية فقط، بل شاركتها أيضاً ثغور ومدن أخرى أهمها مرعش التي تولى تحصينها و تزويدها بالحاميات صالح بن علي[3] والي الشام

---

[1] – الذهبي:العبر، ج١ص١٨٨.

[2] – علي بن سليمان. علي بن سليمان بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي أبو الحسن، أمير من ولاة وولي مصر موسى الهادي سنة ١٦٩هـ . ، أقره هارون الرشيد في مكانه و طمع بالخلافة فكتب أهل مصر للرشيد فعزله سنة ١٧١هـ . و عاد إلى العراق،فولاه الرشيد بعض الأعمال في الجيش. الزركلي الأعلام، ج٤ص٢٩١

[3] – صالح بن علي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي الأمير العباسي، عم السفاح والمنصور ، وولي مصر ثم فلسطين ثم افريقية، ولاه المنصور الجزيرة وكانت له الديار الشامية، و أنشأ مدينة أذنه وكسر الروم في وقائع متعددة، الزركلي: الأعلام، ج٣،ص١٩٢-١٩٣.

في خلافة أبي جعفر المنصور، فبعد أن تعرضت مرعش لهجوم من قبل البيزنطيين عام ١٤٢هـ /٧٥٨م، قام صالح ببناء المدينة وإصلاح ما تهدم منها، و بنى لها سوراً لتحصينها كما قام بنقل سكان من فلسطين إليها و راد في عطائهم.[1]

ويلاحظ هنا نقل عناصر سكانية من مناطق بعيدة عن مدن الثغور مثل سكان فلسطين، فما هي أسباب نقل سكان فلسطين إلى الثغور؟ ولماذا لم يكونوا من المناطق القريبة كالعراق والشام مثلاً؟.

من الممكن أن تكون رغبة أهالي البلاد الإسلامية جميعاً، المشاركة في الدفاع عن حدود دولتهم ضد البيزنطيين، لذلك كان يدفعهم شرف المشاركة في حماية الحدود، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما شعر المنصور بفتور همّة أهل الجزيرة و الشام في محاربة البيزنطيين، لذلك رأى أن يجدد المقاتلين في الثغور، واختار عناصر من فلسطين أملاً أن تكون همتهم عالية في مواجهة الخطر البيزنطي، وربما قد يكون اختياره عناصر من فلسطين ليضفي على هذه الثغور صبغة القداسة، كون سكان فلسطين قدموا من مدن تحمل في طياتها طابعاً مقدساً (القدس، حيفا)، ليجذب بذلك العرب من مسلمين ومسيحيين معاً.

أما الحدث فكان شأنها مختلفاً عما سبق ذكره عن مرعش، إذ إن السكان الذين نقلوا إليها كانوا من مناطق قريبة وليست بعيدة كملطية وشمشاط وكيسوم و دلوك ورعبان، ويقال إنه نقل إليها حوالي ألفي رجل بأمر من علي بن سليمان في خلافة المهدي عام ١٦٩هـ /٧٨٥م.

---

[1] - البلاذري: فتوح البلدان، ص١٩٣؛ابن العديم: بغية الطلب،ج١،ص٢٤٠-٢٤٧؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١، ق٢،ص١٦٩-١٨١

كما قام محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بإرسال سكان إلى الحدث من مناطق قريبة من أهل الشام والجزيرة ومن مناطق بعيدة من خراسان، وقد زاد في أعطياتهم أربعين ديناراً، وأعطى كل رجل ثلاثمئة درهم، ليشجعهم على البقاء و الاستقرار في المدينة بعد أن تم بناؤها من جديد [1]

وكانت شمشاط مثلها مثل مدن الثغور الأخرى ينقل منها و إليها سكان من مدن مختلفة، ففي عام ١٥٢هـ /٧٦٩م، وصلت أخبار إلى الخليفة المنصور بأن بعض أهالي شمشاط ومرعش يعملون رصداً وعيوناً للبيزنطيين، لذلك أرسل العباس بن محمد[2] على رأس جيش إلى المدينة، فقام بأسر عدد من سكانها، و إجلائهم إلى الرملة في فلسطين، و أعاد وضع حاميات جديدة فيها و إسكانها بالناس.[3]

والسؤال الذي يُطرح هنا هو، لماذا تم إرسال أهالي شمشاط و مرعش نحو فلسطين؟

من الممكن أن يكون هؤلاء السكان من فلسطين قدموا مع الجنود الذين أسكنهم المنصور في الثغور، ومن الممكن أن يكون المنصور قد رغب في إبعادهم عن منطقة الثغور، لكي لا يعودوا

---

[1] - بلاذري، فتوح البلدان،ص١٩٤. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج١،ق٢،ص١٧٤ ابن العديم بغية الطلب، ج١،ص٢٤٠. الحموي:معجم البلدان،ج٢، ص٢٢٨.

[2] - عباس بن محمد العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو الفضل الهاشمي، و هو أخو المنصور و السفاح، ولاه المنصور بلاد الشام كلها و ولي إمارة الجزيرة أيام الرشيد، أرسله المنصور لغزو الروم مرات عدة،الزركلي: الأعلام،ج٣،ص٢٦٤-٢٦٥.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٤٣، ابن العبري:تاريخ الزمان،ص٩، عبد الله العلاقات السياسية، ص١٦٠، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية ص١٥٤.

إلى تصرفاتهم من جديد ولا يقضوا مضاجع العباسيين، وخاصة أن فلسطين بعيدة عن الحكم المركزي في بغداد، و بعيدة عن خطوط التماس مع البيزنطيين.

وكذلك الأمر في حصن منصور و كيسوم و زبطرة، فقد تم شحنهم بالرجال و المقاتلين من قبل الرشيد في خلافته و خلافة أبيه المهدي.[1]

وقام المعتصم بالله بشحن زبطرة بالمقاتلين من جنسيات متعددة.[2]

ومثلما اهتم الخلفاء العباسيون بتزويد مدن الثغور الجزرية بالمقاتلين و شحنها بالجنود أيام الحروب، اهتموا أيضاً بإسكان الناس في هذه المدن من خلال إعطائهم المزارع والأراضي، لتشجيعهم على الاستيطان فيها، كذلك كان الحال بالنسبة لمدن الثغور الشامية.

وقد شكلت المصيصة محطة مهمة بالنسبة للخلفاء العباسيين الذين أبدوا اهتماماً فائقاً بها، حيث أرسل أبو العباس السفاح إليها أربعمئة رجل ليستقروا بها، ثم نحج الخليفة المنصور نحجه عندما أرسل مثلهم في بداية حكمه، ثم زاد عليهم ألف رجل و زاد في أعطياتهم، ثم نقل إليها أهل س

---

[1] - البلاذري،فتوح البلدان،ص١٩٦، ابن العديم:بغية الطلب،ج١،ص٢٤٩.

[2] - الحموي:معجم البلدان،ج٣،ص١٣١، عبد الله:العلاقات السياسية،ص٣٩٥،الجتروري: الثغور البرية الإسلامية، ص١٥٢

الخصوص[1] – من المرجح أن هؤلاء من خاصة المنصور – من فرس و صقالبة[2] وأنباط ونصارى.[3]

ويذكر أحد المؤرخين السريان بأن الخليفة المنصور أرسل ما يقارب ثلاثمئة ألف شخص من فارس إلى كمخ، والسبب الذي دفع الخليفة المنصور لفعل ذلك ، كون هذه الجماعة من الناس كانت تعيش في الجبال الوعرة في فارس ، و لم تكن تمتهن شيئاً سوى قطع الطرق و اللصوصية، وقاموا بمهاجمة عربة للخليفة المنصور متوجهة من فارس إلى بغداد ، لذلك وجه المنصور إليهم جنود تحاصر منطقتهم، وتم قتل رؤسائهم و أمر بأسرهم وقتلهم، ولكن أشار عليه مجموعة من الأشخاص بإرسالهم إلى منطقة الحدود وقالوا (وهناك يقتلون أو يؤسرون بأيدي الروم)، لذلك قام المنصور بإرسالهم إلى كمخ، لكن هؤلاء لم يكونوا معتادين على برودة الطبيعة هنالك، فمات أكثرهم في الشتاء ومن بقي على قيد الحياة عاد إلى عادته في قطع الطرق واللصوصية.[4]

يلاحظ في هذه الرواية بأن المنصور قام بإرسال مجموعة من قطاع الطرق و اللصوص إلى كمخ، و لم يتم ذكر هذه الرواية إلا من قبل هذا المصدر السرياني الوحيد، فإن كانت هذه الرواية

---

[1] – أهل الخصوص. الخصوص من مادة خصص و الخصوص التفرد ببعض الشيء مما لا تشركه فيه الجملة، الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق): تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة،د.ت،ج٣،ص٣٩٢.

[2] – الصقالبة جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم و بلادهم بين بلغار و قسطنطينية، الحموي: معجم البلدان،ج٣،ص٤١٦.

[3] البلاذري: فتوح البلدان، ص١٧٠، ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص١١٢، الجترو دي: الثغور البرية الإسلامية،ص١٤٨.

[4] – الشمحري:تاريخ الروقيني المنحول،ص ١٤٩.

صحيحة من المنصور وبما أراد إعادة تأهيل هذه المجموعات للإفادة منها في حماية الثغور، ولكن ما تم قوله من قبل ناصحي المنصور لنقل هذه المجموعات (وهناك يقتلون أو يؤسرون بأيدي الروم)، فهذا يدل على أن العباسيين لم يكونوا يرجون من هذه المجموعات فائدة ، وحسب هذه الرواية من هؤلاء عادوا إلى عادتهم و لم يقدموا شيئاً للعباسيين بتواجدهم في منطقة الثغور والسؤال الذي يطرح هنا هو كيف سيقوم المنصور بإرسال مثل هذه المجموعات اللصوصية وقطاع الطرق إلى منطقة الحدود ،هذه المنطقة الحساسة فربما تعامل هؤلاء مع البيزنطيين وتحالفوا معهم، ومن الممكن أن يهملوا مهمة الجهاد والدفاع عن الحدود، فمن سيسكن في هذه المدن الثغرية ويرابط فيها سيكون على علم بأهمية مكانه ومدى حساسيته ، وبأن همه الأول هو الدفاع والذود عن حدود بلده، ولذلك يجب أخذ مثل هذه الروايات بحذر لحين صدور حقائق جديدة.

والملاحظ أن سياسة المنصور كانت تتجه نحو تنوع جنسيات للمقاتلين والجنود المتواجدين في الثغور.

وللأسباب المذكورة آنفاً، ومما لا شك فيه أن هذه العناصر أثرت في خبرة العرب العسكرية والاستراتيجية، حيث لها عقليتها الخاصة و المختلفة عن عقلية العرب، ولها عاداتها و تقاليدها الخاصة، ولها أيضاً خططها الحربية المختلفة، فربما رغب المنصور في إحضار هذه العناصر، ليحدث اندماجاً بينهم وبين العرب، و ليتم تبادل الخبرات، كي يستطيعوا مواجهة البيزنطيين، وربما وجد في ذلك خطوة نحو توحدهم في صف واحد، و إبعادهم عن فكرة الانقسام والحساسية المذهبية، وليشكلوا نسيجاً واحداً و كلاً متكاملاً في وجه جيوش البيزنطيين.

أما طرسوس فقد تم إعادة إعمارها في عهد الرشيد من قبل أبي سليم فرج الخادم، وتوجهت نحوها مجموعتان من السكان، وهاتان المجموعتان اختلطت فيهما عناصر السكان، المجموعة الأولى: كانت حوالي ثلاثة آلاف رجل من أهل خراسان، و الثانية: كانت حوالي ألفي رجل من أهل المصيصة، وألف من أهل أنطاكية، و كان ذلك حوالي ١٧٢هـ ./٧٨٨م، ولتشجيعهم على البقاء في المدينة والمرابطة فيها زاد الرشيد في عطائه عشرة دنانير لكل رجل.[1]

ومن الممكن أن تكون هذه الأعداد الكبيرة من الرجال والمقاتلين الذين نقلوا إلى المدن مبالغاً فيها من قبل المؤرخين، فربما كان للمؤرخون عند ذكرهم لهذه الأعداد يرغبون بأن يظهروا للناس أن هذه المدن كانت كبيرة ومحصنة بالرجال والسلاح، وليبينوا مدى اهتمام الخلفاء فيها، وبأن هذه المدن استطاعت أن تقف بوجه البيزنطيين وتقاومهم وتحمي حدود الدولة الإسلامية، وربّما تكون هذه الأعداد حقيقية، وذلك لاهتمام الخلفاء بمنطقة الثغور و شعورهم بحجم الخطر البيزنطي الذي ما إن يصاب بكبوة حتى تراه قد نهض وبدأ يهاجم العرب من جديد.

بالإضافة إلى طرسوس، فقد أمر الرشيد أبا سليم فرج الخادم التركي بإعمار أذنة وعين زربة وشحنهما بالرجال، وهذا ما حدث فقد قام أبو سليم ببناء أذنة و تحصينها وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وزاد في أعطياتهم.[2]

---

[1] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٤.

[2] – البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٢-١٧٣، ابن العديم:بغية الطلب، ج١،ص١٧٦ ، الحموي:معجم البلدان،ج١،ص١٣٢-١٣٣

أما عين زربة فقد بنيت كذلك من قبل أبي سليم فرج الخادم بأمر من الرشيد، وأرسل إليها عدداً من أهل خراسان، وفي عهد المعتصم بالله تم نقل أعداد من الزط – وهم هنود نزحوا من شمال الهند إلى العراق وكانت أجورهم أقل من غيرهم من الجنود – إلى المدينة ليقفوا إلى جانب أهلها في الدفاع عن المدينة. [1]

ومما يلاحظ هنا الاهتمام الكبير من قبل الرشيد ببناء هذه المدن على الحدود، وهنا لا بد من التساؤل عن أسباب هذا الاهتمام الكبير بإنشاء المدن؟.

لعل أسباب نشأة الخليفة الرشيد المعروفة بالشجاعة والقوة هي التي تكمن وراء ذلك، فمن المعروف عن الخليفة هارون الرشيد قوته وشجاعته واهتمامه الكبير ببناء أركان أساسية و متينة للدولة العباسية طامحاً بتشكيل وبناء دولة إسلامية كبرى مرهوبة الجانب و محصنة الحدود، ولا سيما أن أباطرة و قياصرة من الشرق والغرب حاولوا التقرب منه بعد أن وجدوا فيه، وفي دولته قوة يعتد بها و خطراً يهدد دولهم، فمنذ أن كان شاباً يافعاً سلّمه والده الخليفة المهدي قيادة الجيوش نحو بيزنطة، وقد حقق نجاحات باهرة، لذلك زرع فيه حب الانتصار والتفوق على أعداء الدولة الإسلامية، كما وقد ساعدته الظروف المحيطة به ليهتم بحدود دولته، فهو من أنشأ العواصم والتي ضمت (رعبان، دلوك، منبج، أنطاكية)، لتحصن مدن الثغور، وتساعدها في تزويدها بالمؤن والسلاح.

---

[1] – البلاذري:فتوح البلدان،ص ١٧٦.

و لم يحد الخليفة المأمون عن سياسة أسرته العباسية تجاه مدن الثغور ، فقد قام ببناء كفربيا في الجانب الآخر لنهر جيحان مقابل المصيصة، و نقل إليها عناصر من سكان مختلفة الجنسيات، و هذا ما يوضحه قول ابن العديم "و أهلها أخلاط من الناس".[1]

- **العناصر السكانية:**

و مما ذكر سابقاً يتبين بأن هناك عناصر سكانية مختلفة الجنسيات سكنت مدن الثغور، فمنها من كانت عربية، و أخرى غير عربية، كالفرس و الزط و غيرهم، وكان من أهم القبائل العربية التي شاركت في استيطانها مدن الثغور بنو وائل وبنو تغلب.

أ- **بنو وائل:** بطن من ربيعة من العدنانية، وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب بن ربيعة، كان لوائل من الولد بكر، وتغلب و عنز والشخيص والحارث[2]، فأولاد وائل كانوا يقطنون في المدينة قبل الإسلام، ثم هاجروا إلى بلاد الشام بعد الفتوحات الإسلامية، و بعضهم استقر في مناطق الجزيرة و الشام الشمالي و من أهم قبائلهم تغلب.

ب- ***بنو تغلب:*** سكنوا الجزيرة العراقية و كانت المسيحية غالبة عليهم، لمجاورتهم الروم البيزنطيين.[3]

---

[1] - ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ج١، ص١٥٩.

[2] - القلقشندي: نهاية الأرب، ص٣٩٥. كحالة: معجم القبائل العربية القديمة، ج٤، ص١٢١٠.

[3] - القلقشندي: نهاية الأرب، ص١٧٦.

وتقسم العناصر غير العربية الرئيسة التي سكنت الثغور الجزرية و الشامية إلى عدة أقسام كان من أهمها:

العنصر الأول:

ح- **الفرس**، فقد كان أهل خراسان كما ذكر سابقاً من العناصر التي اشتركت في سكن ملطية ومرعش وسميساط وغيرها، وعمل الخلفاء على إرسالهم بشكل دائم إلى الثغور ليستوطنوا بها، ولا يخفى دور الفرس في المساعدة في قيام أركان الدولة العباسية منذ المرحلة السرية للدعوة العباسية إلى إعلان الدعوة وقيام الدولة، وهنالك شخصيات فارسية لا يستهان بدورها كأبي مسلم الخراساني وما قام به هذا الرجل و جيوشه من دور كبير ساعد في قيام هذه الدولة، وكبني طاهر أيضاً و البرامكة وبني الفضل والحسن وغيرهم من القادة الذين شاركوا في حملات الخلفاء العباسيين على بيزنطة.

واستمر اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم، لما لديهم من خبرات و إمكانيات عسكرية جديدة قد تكون أغنت الخبرات العسكرية العربية وأسهمت في تطويرها، و هكذا تعاون الطرفان في مناهضة البيزنطيين، و لذلك استمر دورهم و بدؤوا يتسللون و يتدخلون في جميع مناحي الحياة السياسية و العسكرية و الاجتماعية لما حصلوا عليه من نفوذ منحهم إياه الخلفاء العباسيون.

أما العنصر الغريب الثاني الذي وجد في الثغور فقد كان:

د- الزط [1]: و هم الجماعة التي أرسلها المعتصم إلى عين زوبة لتستوطن فيها، وحسب ما ذكر المؤرخون بأن "أهلها انتفعوا بهم". [2]

وربما يقصد بأن الزط شاركوا الأهالي في الدفاع عن حدود مدينتهم من هجمات البيزنطيين، ومن الممكن أن يكونوا اختلطوا بهم و تعايشوا معهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما أنه كان لدى الزط أرضية خصبة في الاندماج بالشعوب الأخرى بسبب عوزهم المادي، فكانت أجورهم أقل من أجور العناصر الأخرى، وهذا أسهم في سرعة تعايشهم مع الشعوب الأخرى.

والزط تعريب للفظ (جت) بالفارسية و هم خليط من الشعوب أقرب إلى الغجر، نزحوا أول أمرهم من شمال غرب الهند، فسكنوا شواطئ الخليج العربي الفارسي، واستغلوا الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون، فاستولوا على البصرة التي عاثوا فيها فساداً و قطعوا الاتصال بين البصرة

---

[1] - الزط: اسم قوم والاشتقاق زط من الفارسية كات أو جات، ويذكر بأن بهرام كور ملك فارس سأل ملك الهند أن يرسل إليه عشرة آلاف لوري من الرجال والنساء البارعين في الضرب على العود وهكذا توجهت هذه المجموعة إلى منطقة الخليج الفارسي،مجموعة من المؤلفين:دائرة المعارف الإسلامية،تر، أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، القاهرة،دار الشعب، بيروت، الهيئة العامة للكتاب، د.ت، ج١٠،ص٣٤٩-٣٥٠.

[2] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٧٦.

وبغداد، ولم يستسلموا إلا في عهد الخليفة المعتصم بالله، الذي استطاع أن يقضي على ثورتهم، وأن يستعيد منهم بعد ذلك يقوم بإرسالهم إلى مدن الثغور.[1]

بالإضافة إلى هذه العناصر السكانية التي استوطنت الثغور، فقد عمل العباسيون على التحالف مع عناصر أخرى وجدت قريبة من الثغور كالجراجمة، وعناصر أخرى بيزنطية الأصل لكنها تحالفت مع المسلمين، وسكنت الثغور كالبيالقة الهراطقة.

هـ . – البيالقة الهراطقة: وجدوا في مناطق الثغور واستقروا بين الأرمن النازلين بأرض الفرات وخاصة في ملطية ،كان يطلق عليهم البتالكة أو البيالقة أو البيالصة والبوليسيين الهراطقة[2] وهم

---

[1] – مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية،ص٣٤٩-٣٥٠-٣٥١. أيوب(إبراهيم): التاريخ العباسي السياسي والحضاري، بيروت،الشركة العالمية للكتاب،١٩٨٩م،ص٨٣. فازلييف:العرب و الروم،ص١٩٦. الحروري: الثغور البرية الإسلامية، ص١٥٥.

[2] – البوليسيون الهراطقة: هم أتباع فرقة مسيحية شرقية انتشرت في آسيا الصغرى وأرمينية منذ القرن الخامس الميلادي، وقد أخذوا اسمهم من اسم بولس السميساطي أسقف أنطاكية وأقاموا تعاليمهم على الإنجيل ورسائل بولس ،وظهر فيهم رئيس اسمه قسطنطين ينسب إلى منطقة على الفرات الغربي لأعلى اسمها Mananliونظم دعوتهم ،تعرضت للاضطهاد من قبل أباطرة بيزنطة في القرن التاسع الميلادي ،أومان: الإمبراطورية البيزنطية،ص ١٦٧-١٦٨. وصلنا من تراثها الأدبي ملحمة كتبت أولاً في القرن العاشر الميلادي ثم كتبت في القرن الحادي عشر الميلادي اسمها ديجينوس أكريتاس (رجل الثغور أو بطل الثغور) ويعتقد أن هؤلاء تحولوا إلى الاسلام الشيعي في العصر العثماني أثناء الصراع ما بين الصفويين و العثمانيين،و هم من أطلق عليهم العثمانيون اسم (قزل باشي) (ذوي الرؤوس الحمراء)،و يعرفون الآن في تركيا باسم العلويين ويقال بأن عددهم يتجاوز العشرين مليون بينما تقول السلطات التركية أن عددهم لا يتجاوز نصف ذلك، يرى بعضهم أن الطائفة الموجودة في ايران باسم (علي إلهي) مرتبطين بهم من حيث الأصول وغير ذلك،ينظر Mavrogordato John.Digenes Akrites,Oxford,1963.

طائفة من الروم البيزنطيين، لكنها تخالفهم في أفكارها الدينية، فقد شكلت أفكارهم تهديداً لبعض الأباطرة المناصرين للأيقونات ، لأنهم يعتقدون بالثنائية بأن هناك إلهاً للخير و إلهاً للشر، والإله الأول هو مؤسس الكون، و لهذا عيسى بن مريم ليس حقيقة، بل خيال، وينكرون عبادة العذراء و القديسين، ويأبون الركوع للصليب، وينكرون صحة العشاء الرباني، وكانت عبادتهم خالية خلواً تاماً من الطقوس، ويتهمهم البيزنطيون بالزندقة وبأن أفكارهم تقوم على تقاليد المانوية أتباع ماني لأنهم يؤمنون بالثنائية مثلهم، ولم يكن للبيالقة كهنة ولذلك كرهوا الكنائس والأيقونات والآثار المقدسة.[1]

وقد اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون حول أصل كلمة البيالصة أو البيالقة، فيرى القدامى أنها اشتقت من اسم ولدي أمرأة مانية بسيمساط تدعى كاليس وهما بولص وماني، أما المحدثين فإنهم يشكون في هذا الكلام خاصة وأن المعلومات لدى القدامى قليلة وغامضة، ويفضلون اشتقاق اسم البيالصة من اسم القديس بولص، ويبررون اقتراحهم هذا بأن البيالصة يكنون التقدير للرسول بولص كما أنهم يطلقون اسمه على اسماء تلاميذه وبعض قادتهم، البعض الأخر يرجع هذا المصطلح البيالقة Paulikianiإلى أصل أرمني، وهذا يتبين من مفردات الاسم، فالأصل هو paulواللاحقة ikوبالتاليpaulikiani كلمة أرمنية مشتقة من pauliani والتي تعني حرفياً

- مزيد من معلومات عن أفكار البوليسيين الهراطقة واختلافهم مع الأرثوذكس ينظر، نورمان: الإمبراطورية البيزنطية،ص١٦٨، رنسيمان. الحضارة البيزنطية،ص ١٣٦. Ditions E. DE Boccard, Travaux ET Memoires, Paris,1970,p16-17-18.John,Digenes Akrites,p54.

أتباع أو أبناء القديس بولص الصغير، وبذلك فهم لا يقصدون اسم القديس بولص لكن اسم أحد البيالصة الأوائل والذي يحمل اسم بولص أيضاً ، ويعتبر بولص المعلم الأول للبيالصة الذين اشتقوا اسمهم من اسمه .[1]

لذلك فقد كانت كنيسة القسطنطينية تعدهم ملاحدة وهراطقة، فقررت الحكومة البيزنطية إرجاعهم إلى الأرثوذكسية، فشنق البيالقة بالآلاف وأغرقوا وذبحوا ونزعت أملاكهم لأنهم رفضوا العودة إلى الأرثوذكسية، لذلك عمل الأباطرة على نقلهم من القسطنطينية إلى تراقيا في القرن السابع الميلادي وانتشروا غرباً من خلال بلغاريا ،و نتيجة لذلك فقد اضطهدوا بشكل كبير في القرن التاسع الميلادي، الثالث الهجري، وغالباً ما وجهت بيزنطة حملات عسكرية ضدهم بتحريض من رجال الدين .[2]

انتشرت آراء هذه الطائفة بشكل كبير لدرجة أن الإمبراطور ميخائيل وجد أنه من الضروري إيقافهم عند حدهم، لأنهم بدأوا يشكلون خطراً على عرشه،ونتيجة لسياسة التعذيب والاضطهاد التي تعرض لها البوليسيون – إذ تعرضوا لتعذيب وحشي من قبل جنود الإمبراطورية لا سيما في وصاية ثيودورا – لذلك فقد توجهوا مع زعيمهم ويدعى سرجيوس إلى ملطية ،ولدى وصولهم استقبلهم العرب بشكل جيد ،ووجدوا فيهم خير مساعد في حروبهم مع البيزنطيين [3]

---

[1] – المسعودي: التنبيه والإشراف، ص١٤٩، قدامة بن جعفر: الخراج،ص٢٥٤، البشير(هاني عبد الهادي) البيالصة في آسيا الصغرى، (مجلة المؤرخ المصري)، العدد٢٤، القاهرة، منشورات كلية الآداب،ص٤٥

[2] رستم: ج١، ص٣٣٤، الخربوطلي: الثغور البرية الإسلامية، ص١٧٢،البشير: البيالصة في آسيا الصغرى، ص٤٥

[3] – عاقل :الإمبراطورية البيزنطية،ص٢٠٢.

لقد استفاد الطرفان العربي المسلم، والبيالقة من هذا التحالف ، فقد رأى سرجيوس في لجوئه إلى المسلمين ،أعداء التقليديين لبيزنطة إفادة كبرى وخاصة من حروبهم ضد بيزنطة، وبالفعل عندما وصل البوليسيون إلى ملطية وجد فيهم أمير ملطية عمر ابن عبد الله الأقطع خير مساند له في حماية مدينته، ولجذبهم أكثر منحهم قريتي أرجاءون Argaoun وأمارAmaraعلى حدود أرمينية ،في منطقة سيواس الجبلية و هما قريتان من ملطية، وهكذا عاش البيالقة في منطقة الجبال واستمرت روح الاستقلال حية في الجبال ، ودافع البيالقة عن حريتهم ودياناتهم ومعتقداتهم لما يزيد عن قرن ، وداوموا على إثارة الاضطرابات في أطراف الإمبراطورية، مستمرين بتحالفهم مع أعداء الإمبراطورية العرب المسلمين.(1)

ومن هنا بدأ التحالف العسكري الحربي بين الطرفين ضد بيزنطة، ولم يكن اختيار عمر بن عبد الله لتلك المناطق عن عبث، فهو في إسكانه للبوليسيين على الحدود المباشرة مع بيزنطة، يجعل الروم البيزنطيين يتعاركون مع بعضهم البعض وتعود الفائدة النهائية للعرب.

وبعد سرجيوس تسلم قيادة البوليسيين كريباس، الذي كان يمتلك من الحنكة العسكرية الكثير، وعمل كريباس على مد نشاطه أكثر، فقد تحالف مع أمير طرسوس علي بن يحيى الأرمني ، كما أنه قابل الخليفة المعتصم بالله، والذي أحسن استقباله، وقدم له ما يحتاجه هو وأتباعه من المعونة، ونتيجة لسياسة العرب معه نزحت أعداد كبيرة من البوليسيين مع عائلتهم إلى أرجاءون وأمارا، وقام العرب والبوليسيون بعمليات كثيرة ضد البيزنطيين من سلب ونهب للأراضي المجاورة للحدود،وعملوا على قطع الطرقات وانتشروا كثيراً على شكل جماعات في هذه الطرقات وفي

بشير، البيالصة في آسيا الصغرى، ص٥٤. John,Digenes Akrites,p43

للمرات الجبلية وعلى التخوم ، ينتظرون البيزنطيين جنوداً كانوا أو تجاراً يقصدون عليهم وينهبون ممتلكاتهم، ومن ثم يتقاسمون الغنائم مع حلفائهم العرب ، وذكرت ملحمة ديجينوس أقريطش البيالقة بشكل مفصل، ووصفتهم بقطاع الطرق واللصوص وشن ديجينوس هجمات كثيرة ضدهم. [1]

بعد مدة من الزمن قام كريياس ببناء مدينة خاصة به وبأتباعه هي تفريك[2]، وأسباب بناء هذه المدينة كثيرة، فيذكر البعض بأن كريياس أسس هذه المدينة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من البوليسيين وليكون قريباً من الأراضي البيزنطية، والأهم من ذلك ليتخلص من التبعية المباشرة للمسلمين. [3]

من الممكن بأن كريياس قد أحس بأنه بدأ يمتلك من القوة والقدرة ما يجعله يعتمد على نفسه وأتباعه في هجماته ضد البيزنطيين ،كما أن أتباعه بدؤوا يتذمرون من استغلال العرب لهم، ومن حرمانهم من الغنائم التي كانوا يحصلون عليها من تحركاتهم حسب ما ذكره البعض ، ولكن هذا الاحتمال ليس بقوي، فكيف سيسمح لهم العرب ببناء مدينة بالقرب منهم ، ومن ثم يستقلون عنهم مباشرة،خاصة وأن التحالف بين الطرفين استمر لسنوات طويلة، لا يمكن أن ننفي رغبة

---

[1] - دريفيف :العرب والروم،ص ٢٠٣، لومان :الإمبراطورية البيزنطية،ص ١٦٨، البشير :البيالصة في آسيا الصغرى،ص٥٧. John.Digenes Akrtes,p50

[2] - تفريك تقع على نهر إبريق ، والمسمى بذلك نسبة إلى قلعة إبريق القائمة على أعاليه ، وهي على بعد ستين ميل أو أكثر غرب كمخ ، والبعض يسمي القلعة تفريك Tephrike،وأفريكAphrike، شهر هذا الموضع بكونه معقلاً للبيالقة، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥١.

[3] - فازيليف:العرب والروم، ص ٢٠٣-٢٠٤،البشير:البيالصة ،ص٥٦.

يأخذوا نصيبهم من الغنائم ممن يقتلون من أعداء المسلمين إذا شاركوا معهم في حروبهم وغزواتهم.[1]

استمرت هذه الميزات للجراجمة زمن الخلفاء المسلمين في عصورهم، وكان الجراجمة يساندون المسلمين، ويخلصون لهم في وقوفهم معهم ضد عدوهم الرئيس الروم البيزنطيين، وأحياناً أخرى كانوا يتحالفون مع الروم البيزنطيين ضد المسلمين، فيقوم المسلمون بإجلاء بعضهم من مدينتهم إلى مكان آخر، وهذا ما حدث معهم عندما قام صالح بن علي بإجلاء أعداد كثيرة منهم إلى قرى مختلفة .[2]

ولم يتم ذكر العام الذي تم إجلاء الجراجمة فيه، ولكن يمكن أن يكون ذلك في أثناء خلافة المنصور، عندما تم إجلاء عدد من سكان الثغور كونهم خانوا المسلمين، وتعاونوا مع البيزنطيين .

وفي زمن الخليفة الواثق بالله، فرض العمال على الجراجمة الجزية، وهم لم يكونوا يدفعونها منذ زمن طويل، وتمكن الجراجمة من إيصال ذلك إلى الخليفة الواثق بالله، فأمر الخليفة مباشرةً بإسقاطها عنهم.[3]

لقد أدى نقل الجراجمة من موطنهم وقبولهم عقد التحالف مع العرب إلى التصاق حدود الدولتين الإسلامية والبيزنطية ومتاخمة بعضها البعض ومن دون جماعات حاجزة، وقد سهل هذا على

---

[1] – البلاذري، فتوح البلدان،ص ١٩٥-١٩٦، ابن العديم: بغية الطلب،ج١، ص٢٢١، مجموعة من الباحثين، دائرة معارف الإسلامية:مج٦،ص٢١٨.

[2] البلاذري فتوح البلدان، ص١٦٦ ،١٦٧، عثمان :الحدود الإسلامية البيزنطيه،ج١،ص٣١٧، جغرافي الثغور البرية الإسلامية،ص ١٥٦.

[3] – ابن العديم: بغية الطلب ،ج١،ص٢٢٣.

المسلمين اجتياز الحدود البيزنطية بحرية أكبر، كما مكنهم من توسيع رقعة عملياتهم الحربية لتمتد شمالاً، من دون أن يخشوا أي خطر حتى لو طالت خطوط مواصلاتهم.[1]

ز- المتطوعة [2]:

بالإضافة إلى القوات النظامية التي وجدت في الثغور ،كان هنالك عدد من المتطوعين القادمين من مختلف ولايات الخلافة العباسية إلى مناطق الثغور بهدف المرابطة والجهاد في سبيل الله ، والواقع أن أولئك المجاهدين والمرابطين في سبيل الله كانوا أشداء في الحرب حتى شهد لهم أعداؤهم بذلك، لأن جهادهم كان خالصاً لوجه الله لا يبتغون أجراً في الدنيا ، ويشكل هؤلاء المتطوعون جزءاً رئيساً من حاميات مدن الثغور، وكان هنالك قسم كبير من المتطوعة الذين استوطنوا الهارونية، كما أن المتطوعة كانوا يعدون الجهاد هو الحرفة الوحيدة لهم، وكانوا يتدربون تدريبات مستمرة على فنون الحرب وأدوات القتال كي يكونوا على أتم الاستعداد عند الحاجة.[3]

---

[1] – فرج (وسام عبد العزيز)، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص٤٥.

[2] – المطوعة: المتطوع وفي التنزيل العزيز "الذين يلمزون المطوعين" أي من يتطوعون للجهاد ونحوه ويقال هم مُطوعة، معجم الوسيط، ص٥٩١. والمطوعة هم الخارجون عن الديوان، من الذين يلبون النفير الذي ندب الله تعالى إليه بقوله "انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" التوبة، ٤١، وهؤلاء يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ثم ينسحبون في وقت السلم ليزاولوا مهنهم الأصلية سواء أكانت زراعة أم تجارة أم غير ذلك. هندي: الجيش العربي في عصر الفتوحات، ص١٢.

[3] – البلاذري: فتوح البلدان، ص١٧٣– ١٧٥، ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٦٨، الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص١٥٨.

هذه العناصر السكانية المتنوعة والتي قطنت الثغور كونت في النهاية مجتمعاً متكاملاً تميز بأخلاق أبنائه الكريمة، فقد اهتم أهل الثغور بتربية أولادهم والعمل على تثقيفهم بثقافة المجاهدين من أخلاق حميدة ونفوس كريمة وهمم عالية ، وكانت هذه الصفات تميز أولاد سكان الثغور سواء أكانوا من العرب أم من الفرس.[1]

وما يميز مجتمع الثغور أيضاً بأن ثلثا أهله كانوا من العازبين والثلث الآخر من المتأهلين [2]

ويبدو أن ما دفع العازبين لسكن الثغور أكثر هو حاجتهم للتفرغ للحياة العسكرية من دفاع عن الأراضي العربية الإسلامية والزود عنها من خطر الأعداء ، و لكي لايشغلوا بأمور الأسرة والأولاد وما شابه.

واختصر ابن العديم بكلمات موجزة وصفه لسكان أهل الثغور بوصفه أهل طرسوس، وبالطبع هذا الوصف ينطبق على مدن الثغور جميعاً، فقد قال:

((فأما أهل البلد فكانوا من سائر أقطار الأرض بخلق حسن وألوان صافية، وفيهم رقيق وأجسام عبلة، والأغلب على ألوانهم البياض والحمرة والسمرة الصافية وكان في أكثرهم جفاء وغلظة على الغريب، إلا من كان منهم قريب عهد بالغربة، وكذلك الشح كان فيهم فاشياً إلا في الغريب، وغلب على السوقة والمستخدمين قوم من الخزر وسفلة العجم، ومن كانت فيه فسولة

---

[1] – ابن العديم: بغية الطلب،ج١،ص١٨٠.

[2] – ابن العديم: بغية الطلب،ج١،ص١٨٤.

عن الحرفة وكسل عن طلب المعاش فأظهروا زهداً وورعاً، وأعلنوا بالنصب، فأخذهم الله أخذ عزيز قدير.)).[1]

ومما تقدم ذكره يلاحظ بأن السكان في تلك العصر كانوا يتألفون من عناصر مختلفة في عقليتها وعاداتها و تقاليدها و منهج تفكيرها، امتزجت كلها في أتون بوتقة واحدة، مع أنها كانت تتكون من أمم مختلفة، وأقاليم متنوعة، فالعنصر العربي و العنصر الفارسي الوارد من بلاد فارس، والنبطيون والصقالبة والروم الذين كانت تسوقهم الحروب بين المسلمين والبيزنطيين وغيرهم من العناصر والأجناس الأخرى، اتحدوا، وشكلوا نسيجاً واحداً وخطّ دفاع ثابت في وجه جيوش بيزنطة، وهذا الاتحاد وهذا الاندماج سببه عائد إلى المصالح والأهداف المشتركة بين هذه العناصر. وكان لكلّ من هذه العناصر عقلية خاصة، وأخلاق متباينة، و لكل عنصر مزاياه و لكل منهم أدب و علم و ثقافة خاصة، وهؤلاء كلهم يتزاوجون فيما بينهم، فتخرج منهم أجيال تحمل جزءاً من طبائع آبائهم، وجزءاً من طبائع أمهاتهم، و جزءاً آخر اكتسب من المجتمع الجديد، فهذه العناصر في تزاوجها و اندماجها و اتحادها مع بعضها لا بد من أن تكوّن نسيجاً مترابطاً ومتآلفاً في مجتمع يتطور بشكل دائم، بسبب تزاوج هذه الأفكار و الرؤى و النظرات.

[1] - ابن العديم: بغية الطلب،ج١،ص١٧٩.

رابعاً :دور مدن الثغور في الأحداث الداخلية في الدولة العباسية:

أولاً: ثورة نصر بن شبث العقيلي في كيسوم ١٨٩-٢١٠هـ /٨١٣-٨٢٥م:

لم تكن مدن الثغور وحصونها بمنأى عن الأحداث الداخلية التي تجري في أنحاء الدولة العباسية، فقد كانت الثورات تشتعل بين الحين والآخر في مدن الدولة العباسية، وهي ثورات بين القبائل، وثورات ضد الخلفاء العباسيين، وثورات ضد تسلط الأعاجم وغيرها، فقد نقم أهل الشام والجزيرة على العباسيين، بسبب حرمانهم من مكانتهم ومكاسبهم التي كانوا يحظون بها أيام بني أمية، واستمرت الاضطرابات في بلاد الشام مدة طويلة ضد العباسيين.

وكان العباسيون في الوقت نفسه يشعلون الفتنة بين القبائل العربية، لإشغال القبائل عن الثورة ضدهم، وذلك من خلال سياستهم المتحازة إلى فرع قبلي دون آخر، فاعتمدوا على العرب اليمنية في المراحل الأولى اعتماداً كلياً مما أدى إلى حقد القبائل القيسية ونشوب النزاعات، وانقلبت الحال بعد ذلك، وبدأت القبائل اليمنية تثور على العباسيين ، نتيجة إهمال اليمنية و انحياز العباسيين نحو القيسية.[1]

والذي أشعل نار الثورة اليمنية والقيسية، وعمل على جمع القبائل العربية ضد العباسيين، سياسة الإهمال التي بدأ الخلفاء يتبعونها ضد العرب، وبدت هذه السياسة واضحة بشكل كبير في أثناء خلافة المأمون، وشعور العرب بدنو مكانتهم، وانحطاط شأنهم مقابل علو شأن ومكانة الفرس.[2]

---

[1] بيضون (أمينة) الحياة السياسية و أهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ١٣٢-٣٥٨هـ /٧٥٠- ٩٦٨م، دمشق، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، ١٩٨٠، ص٥٣.

[2] ابن الأثير الكامل،ج٦،ص٢٢٧، بيطار (أمينة):موقف القبائل العربية في بلاد الشام و العراق،دمشق، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي،١٩٨٦،ص١١٨ — ١١٩.

وبعد مقتل الأمين واستلام المأمون السلطة ثارت النزعة العربية لدى شعب الجزيرة، وعدوا مقتل الأمين هو خسارة للحزب العربي، وأن استلام المأمون هو انتصار للحزب الفارسي، فتوّج العرب عصبهم بثورة نصر بن شبث العقيلي.[1]

فمدن الثغور لم تكن فقط مدن حدودية عسكرية مهمتها الدفاع عن الحدود مع الدولة البيزنطية، بل كانت تتأثر بما يجري حولها من أحداث داخلية، وهكذا اشتعلت نار الثورة في كيسوم، فالأوضاع لم تهدأ في الجزيرة و شمال بلاد الشام بعد مقتل الأمين، إذ قامت القبائل العربية بثورة ضد النفوذ الفارسي الذي استأثر بالسلطة العباسية، وقد تزعم هذه الثورة رجلٌ عربي يدعى نصر بن شبث العقيلي، وكان نصر من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر يسكن في منطقة كيسوم، وكان يميل للأمين و تطوع في الجيش الذي شكله عبد الملك بن صالح بن علي لنجدة الأمين، و عند مقتله استاء كثيرة من العرب، وشعر بانحطاط مكانة العنصر العربي، نتيجة لسياسة المأمون، فأعلن خروجه عن سياسته في أواخر عام ١٩٨هـ /٨١٣م، و استطاع التغلب على مناطق متعددة شمال الشام وانضمت إليه أعداد كثيرة من سكان الجزيرة و شمال الشام، وما جاورها رغبة، أو رهبة، أو طمعاً، فمنهم من كان صادقاً بشعوره، ومنهم من كان طامعاً بالأموال.

---

[1] - العاصيدي (هاشم): دولة بني عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠ -٤٨٩هـ ، بغداد، مطبعة شفيق،١٩٨٦م،ص٤١ .

وهكذا تجمع نصر مع جيشه كيسوم وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي منه، و استولى على منطقة الفرات بكاملها، و قام بمحاصرة حران .[1]

كان هنالك ظروف عدة قد ساعدت نصر على الاستيلاء على كيسوم وما جاورها من المناطق، إذ استفاد نصر من الاضطرابات، والمشاكل التي كانت تمر بها بلاد الشام، فقد تمزقت وحدة شمال بلاد الشام بعد مقتل الأمين، وتسلم المأمون، و سيطر على كل منطقة شخص رأى بنفسه القوة، فعندما تسلم المأمون العرش كان أحمد بن عمر بن الخطاب الربعي على نصيبين وما والاها، وموسى بن مبارك اليشكري على ميّا فارقين، وحبيب بن الجهم على رأس عين وكفرتوثا، وعثمان بن ثمامة العبسي على كور قنسرين، والعباس بن زفر الهلالي على كور الثغور، ونصر بن شبث على كيسوم وما والاها من ديار مضر، و كان أقوى الزعماء و أشدهم منعة.[2]

أقضّت ثورة نصر مضاجع العباسيين، و سببت الكثير من الفوضى في الجزيرة ومنطقة الفرات وشمال بلاد الشام، فقد باتت هذه المنطقة مستقلة بذاتها عن السلطة، لذلك قرر المأمون إرسال قائده طاهر بن الحسين، وكان معروفاً عن طاهر شجاعته وحنكته العسكرية والسياسية، أمر المأمون طاهر بالتوجه نحو الرقة بعد أن ولاه الشام والجزيرة والموصل عام ١٩٨هـ /٨٨٣م، وكان طاهر آنذاك يجمع ثمار انتصاراته في خراسان وكان يتولاها، ولهذا أمره الخليفة المأمون بأن

---

[1] - ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص٢٩٧، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٤١، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٦٢ – ٣٦٣، كرد علي (محمد): خطط الشام، دمشق، المطبعة الحديثة، ١٩٢٥م،ج١، ص١٨٦-١٨٧، العاضيدي: دولة بني عقيل،ص ٤١.

[2] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٤٥، ابن رستة: الأعلاق النفيسة،ج٧،ص١٠٧، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٢١– ٢٢.

يسلّم ما بيده من كور الجبال و فارس والأهواز و البصرة و اليمن و الكوفة إلى الحسن بن سهل وبأن يتوجه هو نحو الرقة.[1]

توجه طاهر بن الحسين لمحاربة نصر وسار نحو الرقة، و من هناك قام بمراسلة نصر، وكتب إليه يدعوه إلى الطاعة، لكن نصر لم يقبل كتاب طاهر حتى أنه لم يكلف نفسه الرد عليه، واستمر القتال بين الطرفين، ولكن بشكل متقطع من دون أن يحقق طاهر بن الحسين أي انتصار على نصر بن شبث.[2]

بدأت ثورة نصر تلفت أنظار العديد من الأشخاص، وبدأ ينضم إلى صفوفه الكثير من الشيعة إلى عام ١٩٩هـ ./٨١٤م، أحس نصر بقوته نتيجة للجموع الكثيرة التي انضمت إليه، وبدأ أنصاره يطالبونه بأن يبايع خليفة آخر بدل الخليفة المأمون، و لكن نصر فاجأ الجميع بأفكاره، وبيّن لهم بأن طموحه ليس تنحي المأمون أو إنهاء سلطة العباسيين، فقد قال له عدد من المجتمعين لديه:"قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم وأغلقت عنهم العرب، فلو بايعت لخليفة كان أقوى لأمرك، فقال نصر: من أي الناس، فقالوا: نبايع لبعض آل علي بن أبي طالب، فقال: أبايع بعض أولاد السوداوات، فيقول إنه هو خلقني ورزقني؟ فقالوا: فبايع لبعض بني أمية، فقال: أولئك قد أدبر

---

[1] – الأزدي، تاريخ الموصل،ص٣٣٢، ابن كثير:البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٤٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٢،ص٥٢٠. مؤلف مجهول: العيون و الحدائق،ص٤١٩.

[2] – ابن قتيبة: المعارف، ص١٦٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٨٠، ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص٤٢. ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٤، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير،ج٢، ص٤٥٦. الرهاوي المجهول:تاريخ الرهاوي المجهول،ص٦٢.

أمرهم، وبلدبر لا يقبل أبداً، ولو سلم علي رجل مدبر لأعداني إدباره، وإنما هو أي في بني عباس، وإنما حاربتهم محاماة على العرب، لأنهم يقدمون عليهم العجم"[1] .

فنصر لم يكن يهدف لنشر الفوضى في أنحاء الدولة العباسية، ولكنه ثار على المأمون لتفضيله الفرس على العرب، ولانحطاط مكانة العرب وشأنهم في جميع المجالات، فهو ليس ضد الدولة وإنما معها، ولكنه ضد سياستها المنحازة للفرس.

استمر القتال بين نصر وبين القائد طاهر حتى عام ٢٠٥هـ /٨٢٠م، و نصر يحقق الانتصارات المتتالية على طاهر، فقد هزمه في كيسوم والرقة و قتل أعداداً كثيرة من جنود طاهر، ونتيجة لهذه الهزائم المتتالية فقد تم استدعاء طاهر إلى بغداد لمقابلة المأمون، والذي طلب من طاهر تسليم قيادة المواجهة مع نصر لولده عبد الله ابن طاهر بن الحسين .[2]

في هذه الأثناء كان نصر يعمل على تحصين كيسوم، لمقاومة أي هجوم محتمل من قبل العباسيين، ولذلك أحاط كيسوم بثلاثة أسوار، ومن ثم ساعد رجاله في إعادة بناء سور سميساط .[3]

اتهم طاهر بن الحسين بخيانة المأمون في حربه هذه ضد نصر، وذلك لأنه كان متساهلاً، فقد استمر ما يقارب خمس سنوات وهو يحارب نصر، ولم يتمكن من تحقيق انتصار عليه، ويؤكدون هذا الاتهام ببعض التصرفات التي كان طاهر قد قام بها في أثناء تكليف المأمون له بحرب نصر.

---

[1] – الأزدي. تاريخ الموصل،ص٣٣٤، ابن الأثير:الكامل،ج٦،ص٣٠٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٤١

[2] الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٨٠، ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص٣٦٢، ابن طيفور تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٥.

[3] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢،ص٤٥١.

فعتوره في محاربة مصر يرجع إذاً إلى الصدمة التي تلقاها من آل سهل حين حرموه من ثمار فتوحه في العراق، فطاهر قائد عسكري شجاع له باع طويل في الحروب ويتميز بخبرة كبيرة في وضع أدق الخطط الحربية، ولكن طاهراً لم يستطع أن يتقبل فكرة استلام منصب مثل هذا، كما أن طاهراً لم يضع كل إمكاناته في محاربة نصر، بالإضافة إلى أن نصر اجتمع لديه الكثير من المؤيدين ممن دفعتهم النخوة العربية كما أنهم أصبحوا يشعرون بقوتهم و استقلالهم.

لذلك بعد أن هزمت قوات المأمون أمام نصر، ارتأى المأمون أن يسلم مهمة القضاء على نصر لقائد قوي ويتمتع بخبرة عسكرية تمكنه من تحقيق ذلك، ولذلك وقع اختياره على عبد الله بن طاهر الذي ولاه المنطقة الممتدة من الرقة إلى مصر، وكلفه بقتال نصر والقضاء على تمرده، لكي يعيد الاستقرار والأمان لمنطقة شمال بلاد الشام، خاصة وأن الفوضى انتشرت بها وهذا بالطبع يؤثر على عملية الدفاع عن الحدود.

عندما تسلم عبد الله منصبه أوصاه والده القائد طاهر وصية مهمة، فقد جمعت بين خماس الأدب والسياسة ومكارم الأخلاق، إذ لم يترك طاهر شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلاف إلا وقد ذكره في وصيته.[1]

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢،ص٤٥٦.الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٨٢، ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٦- ٥٣، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٤٥١- ٤٥٢، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠،ص٤٩.

استمر عبدالله بن طاهر بمحاربة نصر ما يقارب خمس سنوات ٢٠٥ -٢١٠هـ /٨٢٠-٨٢٥م، جرت خلال هذه السنوات معارك كثيرة، لكن عبد الله لم يحسم أياً منها، و قد جرى أيضاً خلال هذه السنوات محاولات للصلح و إنهاء الحرب، لكن كلا الطرفين أي (نصر والخليفة المأمون) بقيا متشددين في موقفهما لا يقبلان أن يتنازلا[1].

إلا أن عبد الله تمكن في النهاية من أن يحسم النتيجة لصالحه، فقد بدأ يحاصر نصر عام ٢٠٩هـ ،٨٠٤م، ويضيق عليه حتى يجبره على طلب الأمان، في أثناء هذا الحصار عمد عبد الله على إرسال شخص من أهل الجزيرة يعرف بدهائه وليه في الوقت نفسه يدعى جعفر بن محمد العامري، ليفاوض نصر، وبالفعل توجه جعفر والتقى نصر في سروج، و أبلغه طلبات الخليفة المأمون بالاستسلام ووقف الثورة، قبل نصر طلب الخليفة و لكن كان لديه شرط بأن لا يطأ بساط المأمون أبداً، وعندما علم المأمون بشرطه، غضب و أجاب جعفر: " لا أجيبه و الله إلى هذا أبداً، ولو أفضيت إلى بيع قميصي حتى يطأ بساطي و ماله يعز مني"[2].

كان احتجاج المأمون بأن نصر كغيره من الكثيرين الذين أخطأوا و طلبوا العفو و مثلوا بين يديه، ولهذا استهجن طلب نصر، فبماذا يختلف نصر عمّن سبقه من الثائرين، أمّا نصر فقد تشدد في موقفه، و لم يقبل بالذهاب إلى المأمون وطلب العفو، وسبب ذلك أن نصراً كان يعتد بنفسه لأن ثورته هي ثورة عربية، ودعم العرب له يجعله في موقف قوي، وكان يستهزأ من جيوش المأمون،

---

[1] - الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٨،ص٥٩٨، ٥٩٩، ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج٦،ص١٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٥٢.

[2] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٥٩، الأزدي:تاريخ الموصل،ص٣٦٦. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص ٢٥٢. مؤلف مجهول: العيون و الحدائق، ص٤٥٤ – ٤٥٥.

كونها ضعيفة لا تقوى على قتال العرب، فهي لم تستطع القضاء على ثورة الزط، وكان يقول ويلي عليه وهو لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه – يعني الزط – يقوى على جلبة العرب".[1]

عاود نصر القتال ضد عبد الله، و تمكن القائد عبد الله من محاصرته في كيسوم، وكانت قوات عبد الله تقارب أربعين ألف فارس، وعشرة آلاف من الرماة، وقام عبد الله بأمر جنوده بحفر خنادق حول المدينة، ليمنعوا نصر من محاولة الهرب، والعمل على قطع أي إمداد يأتي إليه، وهكذا حاصر عبد الله كيسوم، ونصب حول المدينة ثلاثين منجنيقاً، وبدأت المجانيق تضرب المدينة بالحجارة و النيران واشتد الحصار على نصر ومسانديه، وكان عبد الله يخطط للتخلص من الأشخاص المساندين لنصر، ليصبح في النهاية وحيداً، وتمكن عبد الله من تحقيق ما يهدف إليه، فقد تضايق سكان المدينة ومناصرو نصر، وطلبوا الأمان والصفح عما فعلوه إن سلموا أنفسهم، وبالفعل أعطاهم عبد الله الأمان وبقي نصر لوحده، وجرت في أثناء الحصار محادثات بين نصر وعبد الله، وتم خلالها تبادل الرسائل و الكتب[2].

وأخذ عبد الله يضيق على نصر حتى دفعه إلى طلب الأمان، وعندها أرسل عبد الله إلى المأمون يعلمه أن نصر يطلب الأمان ، فأمره أن يكتب له كتاباً بالأمان[3].

---

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٩٨. ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج٦،ص١٤٢.

[2] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٥٩٩. حمادة (محمد ماهر): الوثائق السياسية و الإدارية العائدة للعصر العباسي الأول (دراسة و نصوص)، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٩م،ص٣٦٢.

[3] – الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٦٠٠، ابن طيفور:تاريخ بغداد،ج٦،ص١٤٠،بيوص: الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، ص٢٤٥ – ٢٤٦.

لدى فحص لغة النص، يتضح في الخطاب وصياغته استعمال الشدة والغلظة في مخاطبة الخصم (نصر) وذلك بسبب اللوم على ما فعله، و السبب الذي دفعه إلى استعمال هذه الصيغة من اللوم والتأنيب، هو لكون عبد الله قد تأكد من هزيمة نصر، وأنه أشرف على الهلاك، ووصل إلى درجة من الانهيار بحيث يسارع هو لطلب الأمان، وهذا ما حصل مع نصر.

فقد لوّح عبد الله وأنذره بالعاقبة الوخيمة التي سينالها إن بقي على عناده، وحذّره من سوء المصير إذا استمر في غروره وتمرده، فسلك معه طريق القسوة مستبدلاً باللين الشدة، و لهذا سارع نصر بعد أن علم أن نهايته محتومة بالخسارة أن يقبل بالأمان و أن يرضخ لحكم عبد الله بن طاهر، بعد أن طلب نصر الأمان، توجه نحو بغداد في عام ٢١٠هـ /٨٢٥م، وبعد أن ترك نصر كيسوم، أمر عبد الله بهدمها و تخريبها[1].

لم تكن بيزنطة غافلة عن الأحداث التي تجري على الحدود الإسلامية البيزنطية، و لكنها لم تتدخل بسبب الاضطرابات التي كانت تعيشها، كمقتل إمبراطور، وتسلم آخر، ولهذا لم تستغل هذه الأزمة وتساند نصر، كما أن نصر لم يطلب مساندة أية جهة خارجية إلى عام ٢٠٦هـ /٨٢١م، أحس نصر بأن موقفه بدأ يضعف عند توجه الخليفة المأمون إلى بغداد، وخاف أن يرهب قدوم الخليفة أنصاره، لذلك عمد إلى توجيه رسالة إلى القائد مانويل يبدي فيها رغبته في التحالف مع الروم البيزنطيين ليشكلوا قوة تساندهم ضد المأمون، عندما علم الإمبراطور ميخائيل بأمر نصر أرسل إليه وفداً ليلتقي به ويتفاوض معه، توجه الوفد إلى كيسوم وعندما وصل إليها أخبر نصر أنصاره بأمر الوفد وطلب نصر مساندة الإمبراطور البيزنطي، وهذا التحالف مع أعداء المسلمين

[1] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٠١. الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص٢٨.

لا شك بأنه سيغضب أنصار نصر وبالفعل طالبه أنصاره بطرد الوفد فوراً وكان ردهم " أتريد أن نجحد وتغضب الله" وبالفعل استطاعوا تغيير موقف نصر ورفض مقابلة الوفد حتى أنه أمر بقتل أعضاء هذا الوفد.[1]

لم يتم ذكر هذه الحادثة إلا من قبل هذا المصدر السرياني، لذلك يجب أخذها بعين الحذر والحيطة لحين ظهور مصادر ومراجع تؤكد أو تنفي مثل هذه الحادثة، ولكن من المرجح حدوث مثل هذه الاتصالات بين نصر و البيزنطيين، خاصة وأن الطرف الثائر عندما يشعر بأن موقفه سيضعف يبدأ بالبحث عن أطراف تمنحه القوة، ولهذا فكّر نصر بالاتصال مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل، ويبدو أن الإمبراطور ميخائيل كان متحمساً لفكرة التحالف مع شخص ثائر في وجه الخليفة العباسي المأمون، ولكن قبل أن يتم هذا التحالف عاد نصر إلى رشده وعرف بأنه إن تحالف مع أعداء أمته، فإن أنصاره سيتركونه، خاصة و أن ثورته لم تقم بالتحالف مع بيزنطة وربما كانت دفاعاً عن العنصر العربي المضطهد.

ومما سبق يلاحظ بأن ثورة نصر و التي استمرت ما يقارب اثني عشر عاماً، وقفت في وجه جيوش المأمون، وكبدت الدولة العباسية خسائر كبيرة، فقد كان الخليفة مهتماً بشكل كبير بالقضاء على تمرد نصر، خاصة وأنه قد بدأ ثورته بمكان له خصوصية كبيرة في منطقة الثغور المتاخمة للحدود البيزنطية، فقد كان المأمون يخشى من قيام تحالف بين نصر والبيزنطيين، أو استغلال هذه الثورة من قبل البيزنطيين و مهاجمة الحدود، ومما لا شك فيه بأن ثورة نصر أثرت على تنظيم العمليات العسكرية الخارجية، و أحدثت خللاً في مدن الثغور، كما أنها خلفت نتائج

---

[1] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ص٤٦٣.

سلبية اقتصادية و اجتماعية في مناطق شمال بلاد الشام، خاصة و أن مصر كان يحتاج إلى أموال كثيرة، لإمداد جيوشه ومناصريه بالعتاد والمؤن وكان يقع عبء هذا الإمداد على سكان مدن الجزيرة الفراتية و المدن الأخرى.

وبعد انتهاء هذه الثورة كانت هذه المدن قد خسرت كثيراً من أموالها و مزروعاتها وصناعاتها وتوقفت تجارتها لمدة، بسبب قطّاع الطرق الذين يستغلون مثل هذه الظروف، كما أن الثلث من سكان هذه المدن قد قتلوا خلال هذه السنوات الطويلة من الثورة، وربما أن هذه الخسائر في الأموال والمزروعات والصناعات والأرواح التي فقدت في نزاعات داخلية لو استغلت بتحالف ضد بيزنطة لكانت قد حققت نتائج عظيمة للعرب ضد عدوهم التقليدي (بيزنطة).

خامساً: الحركات الانفصالية ودورها في العلاقات العباسية البيزنطية :

أولاً: ثورة توماس الصقلي: ٢٠٥ هـ ، – ٢٠٨هـ /٨٢٠م – ٨٢٣م:

قامت في زمن الأباطرة البيزنطيين ثورات و تمردات متعددة منها ما حقق نجاحات، و منها من أخفق إخفاقاً شديداً، ومن أهم الثورات التي حدثت في عصر الإمبراطور ميخائيل الثاني كانت ثورة توماس الصقلي، وسيتم الحديث عنها في هذا البحث، لارتباط توماس الصقلي بالخليفة العباسي المأمون، وتأثير هذه الثورة على مجريات العلاقات الحربية بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي.

كانت ثورة توماس ذات أهمية على ثلاثة أصعدة، السياسي والاجتماعي والديني.

على الصعيد السياسي: كما سبق وذكر عن التحالف الكبير الذي حدث بين توماس والخليفة العباسي المأمون.

وعلى الصعيد الاجتماعي: كون توماس أعلن بأنه ناصر للفقراء وبأنه سيخلصهم إن انتصر من الضرائب الباهظة التي كانوا ملزمين بأن يدفعوها، ولهذا انضمت إلى ثورته أعداد هائلة من الفقراء والمظلومين، فقد وجدوا فيه المحرر لمشاكلهم كما أن ثورة توماس كانت لها أهمية دينية، كونه رفع شعار ناصرة الأيقونات وعبادتها، وقد ادعى توماس بأنّ الإمبراطور قسطنطين السادس هو الذي انتزع منه عرش الإمبراطورية بالقوة، فقد كانت بيزنطة تعج بالناصرين للأيقونات، و لكن هؤلاء الناصرين كانوا بحاجة لمن يجمع شملهم ويترأس حركتهم ولهذا التفوا حول توماس.[1]

اختار توماس مكاناً خصباً لثورته هذه آسيا الصغرى، وذلك لأسباب متعددة أهمها أن آسيا الصغرى اشتهرت باختلاط عناصر سكانها، ووجود أعداد كبيرة من الصقالبة فيها فقد درج الأباطرة البيزنطيون على عادة نقل الآلاف من الصقالبة إلى آسيا الصغرى و لم يتوقع هؤلاء الأباطرة أن هؤلاء الصقالبة سيقفون بوجه أباطرتهم بثورة مثل هذه.[2]

استطاع توماس منذ زمن الإمبراطور ليو الخامس أن يفرض سيطرته على ثغر خالديا وبعض المواقع في ثغر الأرمياق، ومن ثم بدأ يعمل على تجهيز جيش ضخم، ضم أعداداً كثيرة من الأرمن

---

[1] - عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ص١٢٤-١٢٥، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية،ص١٩١، نورمان: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٦٢،نعيم (اسمت): الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، الإسكندرية، دار المعارف،د.ت،ص٧٥.

[2] - العريني: الدولة البيزنطية،ص٢٦٢، مارليف: العرب و الروم،ص٣٠.

و(البيزيين (الجورجيين)[1]، بالإضافة إلى أن توماس تمكن من أن يجمع حوله عمال الضرائب في آسيا الصغرى، و بهذا يكون قد أمّن لنفسه الأموال الضرورية لثورته، ثم عقد توماس مع الخليفة المأمون تحالفاً قوياً. ومبدأ هذا التحالف هو أن يمد الخليفة المأمون توماس بجيش قوي يساعد توماس على مهاجمة القسطنطينية، وإسقاط حكم الإمبراطور ميخائيل الثاني، وأن يعترف المأمون بتوماس إمبراطوراً شرعياً للإمبراطورية البيزنطية، وبالفعل طلب الخليفة المأمون من بطرك أنطاكية البطرك أيوب التابعة للخلافة العباسية، أن يتوج توماس إمبراطورا على أن يصبح توماس بعد وصوله للعرش تابعاً يدفع الجزية للمأمون، ومما شجع الخليفة المأمون على التحالف مع توماس، كونه وجد في توماس وأنصاره قوة كبيرة قادرة على الإطاحة بالإمبراطور ميخائيل الثاني، وبهذا يضمن المأمون حدود دولته بتحالفه مع توماس.[2]

تمكن توماس من السيطرة على قسم كبير من آسيا الصغرى، ونتيجة لانتصاره هذه قرر أن يهاجم القسطنطينية، وبالفعل توجه توماس مع جيشه الكبير الذي ضم في صفوفه أعداداً من جنود العرب والفرس وحاصر القسطنطينية، لم يتوقع الإمبراطور ميخائيل الثاني أن تكون قوة هذا الثائر على هذا النحو، كما أن توماس توقع أن تفتح القسطنطينية أبوابها له ظناً منه بأن أهلها

---

[1] – درنيف: العرب والروم، ص٣٦، العريني: الدولة البيزنطية، ص٢٦٢، عبيد: الإمبراطورية البيزنطية،ص٧٧.

[2] عبيد الإمبراطورية البيزنطية،ص٧٨، الشيخ (محمد مرسي):تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٤م،ص١٦٠، العريني: الدولة البيزنطية،ص٢٦٢، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ص١٢٦، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية،ص ١٩٢. فازيليف: العرب و الروم ،ص٢٩. العريني: البيزنطية، ص١٨٢. الترمانيني: أحداث التاريخ الاسلامي، ص١١٨٦، ١١٧٩.

سيساعدونه ويناصرونه، وحاصر المدينة واستمر الحصار ما يقارب عاماً واحداً ولكن المدينة قاومت كما أن خبرة الإمبراطور ميخائيل العسكرية مكنته من مقاومة الحصار وقد وصلت إمدادات ومساعدات من خان البلغار (أمور تاج) والذي تمكن مع قواته من استنزاف قوات توماس التي حاولت جاهدةً أن تنتصر على قوات البلغار، ولكن كان ذلك من دون فائدة فقد استمر الحصار ما يقارب عاماً و نصف، ولم يحقق توماس أي انتصار حاسم، لذلك بدأ أنصاره يتذمرون، ومن ثم تركته أعداد كثيرة من مناصريه، والتحقوا بقوات الإمبراطور ميخائيل، وأعلن الإمبراطور بأنه سيعفو عن أنصار توماس إن تركوه، و لهذا فقد وجد توماس نفسه وحيداً إلى أن تمكن الإمبراطور من القبض عليه، ومن ثم قتله كما أخذ بعض الأسرى، وكان منهم عدد من العرب.[1]

وعلى هذا النحو أخفقت ثورة توماس الصقلبي في تحقيق أهدافها، لأسباب متعددة ولعل أبرز هذه الأسباب مشاركة العرب في ثورة توماس وتحالفه مع الخليفة العباسي، فعندما عقد توماس هذا التحالف تذمر الكثيرون من حلفائه من عقد هذا الاتفاق مع أعداء بيزنطة الرئيسين (العرب) وأحسوا بالإهانة كون توماس تحالف مع الكفار – حسب تعبيرهم – هذا كان حال أنصار توماس. فكيف كان حال البيزنطيين المحاصرين في القسطنطينية من قبل جيش توماس؟ والذي ضم في صفوفه أعداداً كثيرة من العرب، لقد كان البيزنطيون يحاربون ويقاتلون أعداءهم العرب،

---

[1] فازيليف: العرب و الروم، ص ٤٤-٤٥-٥٠-٥١؛ العريني: الدولة البيزنطية، ٢٦٤؛ عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٢ ١٩٣ توماس: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٦١ ١٦٢. محمود سعدي عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٦-١٢٧. الترمانيني: أحداث التاريخ الاسلامي، ص١١٩٦. محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٦١.

وهم يقاتلون توماس، وقد اعتبر العديد من المؤرخين الروم بأن انهزام توماس كان في الأساس انهزاماً للخليفة المأمون في شخص توماس.[1]

كما أن بعض المؤرخين السريان يذكرون دور بعض الأسرى العرب الموجودين في القسطنطينية لدى الإمبراطور ميخائيل الثاني في مساعدة البيزنطيين في الدفاع عن العاصمة بعد أن وعدهم الإمبراطور بالحرية إلا أن الإمبراطور في النهاية لم يف بوعده.[2]

مثل هذه الحادثة يجب أن تؤخذ بحذر كون المصادر العربية لم تذكر دور الأسرى العرب في هذه الحادثة، كما أن هنالك عدداً من المؤرخين الروم يعدون هذا الكلام أسطورة اختلقها بعض الأشخاص.

تذكر بعض المراجع بأن المأمون لم يف بوعده كاملاً للثائر توماس، و إنما توقف عن إمداده بالمال والسلاح بعد مدة من الزمن فلماذا هذا التوقف؟

لم يتمكن المأمون من متابعة إمداد توماس بما يحتاج إليه من مساعدات عسكرية، و ذلك لأن الخليفة المأمون كان مشتتاً و مهتماً بالقضاء على الحركة الخرمية، فقد استنزفت أغلب قواته في المعارك التي كانت القوات العباسية تشنها ضد ثوار الخرمية.[3]

والسؤال هنا كيف ساند الخليفة المأمون مثل هذه الحركة البيزنطية الاجتماعية إن صح التعبير؟ فهو لن يتقبل مثل هذه الحركة إن حدثت على أراضي الخلافة العباسية، ويبدو أن المأمون وجد

---

[1] فاسيليف: العرب و الروم، ص٥١.

[2] – السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٣٧، فاسيليف: العرب و الروم، ص٥٠.

[3] – رستم: الروم، ج١، ص٣٢٢.

في ثورة توماس ميزة مهمة كون هذه الثورة قد جمعت حولها أعداداً كثيرة من الأنصار، فهو سيتمكن من إضعاف قوة خصمه الإمبراطور ميخائيل الثاني، و يحمي حدود دولته من هجمات الروم البيزنطيين لمدة من الزمن ريثما يتم القضاء على ثورة بابك الخرمي .

ثانياً: الحركة الخرمية و علاقتها بالروم البيزنطيين:

شهدت أذربيجان و القسم الشمالي من إيران و جزء من أرمينية في بداية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي انتفاضة واسعة ضد الخلافة العباسية استمرت ما يقارب عشرين عاماً حمل لواءها شخص يدعى (بابك الخرمي)، و قد ضمت هذه الحركة في صفوفها الطبقات المعدومة و المستغلة في تلك المناطق من فلاحين و باعة و حرفيين و تجار و غيرهم.[1]

وقد انفرط عقد التحالف الذي انعقد في العهد الأموي بين العباسيين و الموالي المستائين، فقد كان مكتوباً لهذا التحالف الإخفاق لأنه تحالف بين نقيضين جمعتهم مصلحة آنية (التخلص من الحكم الأموي)، أما الأهداف البعيدة للأطراف المتعاقدة فمختلفة، فالطبقات المغلوبة والمستضعفة كان هدفها التخلص من الحكم والسيطرة والاستغلال الإقطاعي، أما الطبقات الأرستقراطية والإقطاعية المحلية كان هدفها التخلص من السيطرة الأموية، لتنفرد في استغلال شعوبها واستثمار هذا الاستغلال لصالحها، أما العباسيون فقد كان هدفهم إسقاط الحكم الأموي وتسلم مقاليد الحكم للأسرة العباسية، وعلى هذا النحو بعد تحقيق العباسيين لهدفهم قامت حركات وثورات

---

[1] – بارتولد: الحضارة الإسلامية،ص٥٩.

متعددة في أنحاء الدولة العباسية ضد تصرفات العباسيين وسياستهم، فمنهم من كان ينشد الإصلاح، ومنهم من كان ينشد السلطة و الاستقلال.

والخرمية فرقة متطورة عن المزدكية تؤمن بالثنوية صراع الخير (إله النور أهورامزدا) مع الشر (إله الظلمة أهرمان)، ودعت الحركة الخرمية إلى مقاومة الظلم والاستغلال والامتناع عن طاعة السلطة والإقطاعيين ورفض دفع الضرائب، ودعت إلى الشيوعية في توزيع الأراضي، وتعميم الاستفادة من المنافع والشهوات وإلى غير ذلك.[1]

---

[1] – لمزيد من التفاصيل عن الخرمية مبادئها تطورها ينظر المقدسي(مطهر بن طاهر): البدء و التاريخ،بغداد، مكتبة المثنى،١٩١٩م، ج٤، ص٣٠،التنوخي (أبو علي المحسن بن علي ت٣٨٤هـ ./): جامع التواريخ، دمشق، مطبعة المفيد، ١٩٣٠م، ج٨، ص٧٢-٧٣، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٣هـ ./١١٥٠م): الملل و النحل،تح، حسين جمعه،دمشق، بيروت،دار رابية،١٩٩٠م، ج١، ص١٥٢ ، بن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ ./١٢٣٢م). اللباب في تهذيب الأنساب ، القاهرة، مكتبة المقدسي،١٩٣٨م، ص٣٥٨ النديم. الفهرست ،القاهرة، مطبعة الاستقامة،د ت، ص٤٩٣، ٤٩٤، البغدادي (عبد القاهر بن طاهر ت١٠٩٣هـ ./١٧١٤م): الفرق بين الفرق،القاهرة، مطبعة الهلال،١٩٢٤م، ص٢٦٦،السمعاني. كتاب الأنساب،ص٧٢، زكار: التاريخ العباسي،ص٦٧،السريجلوي (عبد الفتاح): النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية، القاهرة، دار الكتب الأهلية،ط٥،١٩٤٤م، ص٣٦١- ٣٦٢،بوب ر.د. الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي،ص٢٠٣- ٢٠٤،بعدارة (محمد مصطفى). المأمون الخليفة العالم، مصر،الدار المصرية للتأليف و الترجمة،١٩٦٦م،ص٨٣- ٨٤ و ما بعدها ،حسن: التاريخ الإسلامي العام،ص٤٦٦، رفاعي عصر المأمون،ج١،ص٢٨١،كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية،ص٨٠،شريف الصراع بين الموالي والعرب، ص٥٥-٥٦، مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية، مادة الخرمية، مج٨، عدد ١، ص ٢٩٩ – ٣٠٠

أما سبب ذكر هذه الحركة في سياق البحث فهو لارتباط قائد الحركة بابك الخرمي بالإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني وإقامة تحالف بين الطرفين ضد الخليفة المأمون، ومن بعده الخليفة المعتصم وتبعات هذا التحالف وتأثيره على المدن الحدودية وسكانها. لذلك لن يتم الحديث بشكل مطول عن الحركة واتجاهاتها وما رافقها من أحداث في مناطق متعددة كما سبق وذكر في أذربيجان وأرمينية وإيران وغيرها، وإنما سيقتصر الحديث عن علاقة بابك بالدولة البيزنطية وما تم تقديمه لبابك من مساعدات.

تم الحديث سابقاً عن أن الخليفة العباسي المأمون قد قدم المساعدة للثائر البيزنطي توماس الصقلبي ولم تمر مساعدة المأمون لهذه الثورة مروراً عادياً بالنسبة لأباطرة بيزنطة، بل على العكس كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة للرد على الخليفة المأمون نتيجة لموقفه هذا، ولذلك وبعد أن امتدت الحركة الخرمية لتنتشر في أنحاء واسعة من البلاد التابعة للخلافة العباسية كما سبق وذكر فإن البيزنطيين رأوا بأن مساعدة بابك في حربه ضد الخليفة المأمون والمعتصم سيسهم إلى حدٍّ كبير في إضعاف الدولة العباسية. فقد كانت بيزنطة ملجأً لأعداد كبيرة من الخرميين الذين توجهوا إلى أراضيها بعد هزيمتهم الكبيرة في معركة همذان ٢١٨هـ /٨٣٣م، و هنالك استقبلهم الإمبراطور ثيوفيل وأسكنهم وزوّجهم من النساء البيزنطيات، وكانوا خير مساعد للإمبراطور ثيوفيل في تحركاته نحو البلاد الإسلامية.[1]

المسعودي: التنبيه والإشراف،ص١٦٩. الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص٣٤٦، العرير: البابكية، ص١٨٤ — ١٨٥.

*فقد هاجم الإمبراطور ثيوفيل زبطرة وشمساط وملطية. العبد الغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية، ص١٠٩.

وكان التحالف الذي عقد بين ثيوفيل و بابك، لإمداده بالسلاح ومساعدته في تشتيت قوات الجيش العباسي بمهاجمة مدن الحدود الإسلامية، و لم يتطور التحالف إلى أكثر من ذلك [1]

وهنالك بعض من المؤرخين يجدون أنّ الإمبراطور ثيوفيل لم يكن صادقاً و ملتزماً بتحالفه مع الثائر بابك، ويؤيدون هذا القول: بأن الإمبراطور لم يقم بأي عمل حربي موسع باتجاه الدولة العباسية خلال أربعة أعوام ٢١٨- ٢٢٢هـ ./٨٣٣-٨٣٦م. [2]

فلماذا لم يهاجم ثيوفيل الحدود الإسلامية بعد أن انسحبت الجيوش العباسية منها و توجهت نحو أراضي أذربيجان؟

وقد كان الخليفة المعتصم قد وضع جميع موارد دولته في خدمة جيشه للتوجه لمحاربة الخرميين. [3]

لماذا هاجم الإمبراطور ثيوفيل الحدود بعد أن سقطت البذ بيد العباسيين؟

وهل كان جاهلاً بالأمور الحربية حتى يترك فرصة مثالية كهذه كون المسلمين منشغلين بحرب بابك؟

يلاحظ بأن موقف الإمبراطور ثيوفيل من استنجاد بابك، وموقفه من تحالفه معه يشوبه بعض الغموض، فهدف المتحالفين في النهاية، بابك وثيوفيل، كان القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية لكن من الناحية الشخصية فإن الأباطرة ومشلمي السلطة لم يكونوا يتقبلون مثل هذه الأفكار حول الانتفاضات الشعبية ضد السلطات الحاكمة.

---

[1] – العزيز: البابكية،ص٢٠٤. ليو: تاريخ أرمينية،ج٢،ص٤٣٥.علي: مختصر تاريخ العرب،ص٢٣٣.

[2] – العزيز: البابكية،ص٢٠٤.

[3] الدينوري: الأخبار الطوال،ص٣٣٩، ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص٢٣٤، ابن كثير: البداية و النهاية،ج١٠، ص٢٨٢ – ٢٨٣، الدوري: العصر العباسي الأول، ص٢١٦ و ما بعدها.

من الواضح بأن ثيوفيل كان يقدم المساعدات لبابك ليستخدمه أداة للقضاء على قوة العباسيين في تلك البلدان، ولكن عندما لاحظ بأن الدولة العباسية ستتمكن من إنهاء أمره، لذلك رأى بأنه من الأفضل أن يتريث حتّى تنجلي الأمور، فالحياة السياسية و العسكرية تتبدل بشكل دائم، ولا تدوم مطولاً، كما أنه عندما استقبل الخرميين الفارين من أيدي الدولة العباسية، لم يستقبلهم حباً بهم، ولا ليقوم بواجب الحليف تجاه حليفه، بل ليستخدمهم أدوات تساعده، وتدله على نقاط الضعف في الجيش العباسي، خاصة و أن المدة التي قضاها الخرميون في حربهم مع الدولة العباسية طويلة جداً، لذلك فهم يعلمون مدى جاهزية الجيوش العباسية وطريقة قتالهم وتحركاتهم.

وعلى هذا النحو انتهت ثورة بابك بالقضاء عليه في العام ٢٢٢هـ /٨٣٧م، و انتهى بذلك عقد التحالف بين الطرفين بابك الخرمي والإمبراطور ثيوفيل بعد أن أثّرت هذه الحركة على موارد الدولة الاقتصادية بشكل كبير في المناطق التي قامت بها، كما أنها أعطت الضوء و الأمل للعديد من الأشخاص ليثوروا ضد الدولة العباسية ويشكلوا استقلالية خاصة بهم.

هنالك خلاف بين المؤرخين حول رغبة بابك في التوجه نحو بيزنطة بعد هزيمته في البذ ٢٢٢هـ /٨٣٧م . فقد هرب بابك متوجهاً نحو أرمينية مع أخيه عبد الله وكان يرغب بابك باللجوء إلى بيزنطة لدى الإمبراطور ثيوفيل.[1]

وهنالك من يرفض هذه الفكرة و يرى أن بابك لم يكن يرغب باللجوء إلى بيزنطة، وربما كان يأمل من الإمبراطور ثيوفيل تقديم المساعدة له حتى يشتت جيوش المعتصم.[2]

---

[1] عبد الغني، أرمينية و علاقاتها السياسية، ص١٠٨.

[2] M.Rekaya,Mis au Point sur theophobe,Byzantion,1974, p.59.

ولكن مع اختلاف هذه الآراء يعتقد بأنه لو سمحت الفرصة لبابك و بقي على قيد الحياة، لعمل بالتأكيد التوجه نحو بيزنطة على أن يقع بين يدي الخليفة المعتصم و هو يعلم بأن نهايته ستكون وخيمة.

سادساً:دور أرمينية في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ /. ٧٥٠- ٨٤٧م:

إن علاقات أرمينية مع الدولة العباسية تشكل بحثاً واسعاً ومهماً في التاريخ، فهنالك الثورات و التمردات الداخلية التي كانت تحدث بين الحين والآخر ضد السلطات العباسية ، وفي الوقت ذاته كانت لأرمينية علاقات اقتصادية و تجارية مع مدن الجزيرة وبلاد الشام ، وهنا لن يتم الحديث عن أوضاع أرمينية بشكل مفصل ،ولكن سيتم الحديث عن الهجرات الأرمينية التي توجهت من الأراضي الأرمينية إلى الأراضي البيزنطية ،وما كان لهذه الهجرات من أثر في سياق الأحداث بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية من جهة، ومن جهة أخرى سيتم الحديث عن الهجوم الخزري الذي تعرضت له أرمينية ودور مدن الجزيرة العراقية وثغورها في مساعدة الأرمن للتصدي لهذا الهجوم.

لقد شغلت أرمينية دوراً مهماً في العلاقات بين العرب المسلمين والبيزنطيين وخاصة في علاقاتهم السياسية والعسكرية، وذلك نظراً للموقع الاستراتيجي المهم لأرمينية ،فهذا الموقع دفع كلا الطرفين العربي المسلم والبيزنطي إلى محاولة استمالة الأرمن لصفه ، لما للأرمن من تأثير في مجريات

الأحداث، وكانت علاقات الأرمن مع هذين الطرفين متأرجحة بين التأييد والخضوع وبين الثورة والانتفاضة.

فالأرمن كانوا يتطلعون دائماً لاستقلالهم الإداري والمذهبي، ولذلك فقد شهدت علاقات أرمينية مع الإمبراطورية كثيراً من الخلاف وقليلاً من الاتفاق، فعلى الرغم من أن الدين المسيحي كان يجمع بينهما إلا أن الخلاف المذهبي كان يفرق بينهما، فقد كان الشك والنفور طاغياً على العلاقة بين الطرفين خاصة وأن الإمبراطورية البيزنطية كانت دولة مركزية متعددة الموارد وتحاول عطرياً أن تكون وريثة الإمبراطورية الرومانية بكل امتداداتها الجغرافية، وعرف عن أرمينية كرهها الشديد للمركزية حيث كان هدف أرمينية المحافظة على كيان سياسي مستقل وخاص بها بعيداً عن الإمبراطورية البيزنطية، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن فترات تقارب حصلت بين البيزنطيين والأرمن، ولكن الأرمن كانوا يحاولون التخلص من هذا التقارب كلما سمحت لهم الفرصة.

أما عن علاقة الأرمن مع العرب المسلمين فقد اختلفت قليلاً عن علاقاتهم مع البيزنطيين، فالعرب المسلمون عملوا على تقوية النزعات الانفصالية الإقليمية والفردية لدى الأرمن بما يناسب مصالحهم، كما سمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية من دون أي تأثير عليهم، وذلك لا يعني بأن الأرمن قد استسلموا لفكرة سيطرة العباسيين على بلادهم، بل كانوا في كثير من الأحيان يتنقلون بولائهم بين العباسيين والبيزنطيين حسب مصالحهم، خاصة وأنه في العصر العباسي كان الولاة الذين استلموا أرمينية من أشد الولاة وأقساهم، وعملوا كثيراً على إرهاق السكان

بالضرائب، كما أنهم سعوا كثيراً لتوطين قبائل عربية خاصة في المناطق القريبة من مدن الثغور الإسلامية.[1]

فقد كان هدف العرب المسلمين تأمين حدود بلادهم من هجمات البيزنطيين، ولأن أرمينية تتميز بالموقع الإستراتيجي المهم ، فقد استقرت فيها قبائل عربية متعددة، وفي العصر العباسي قويت العلاقات كثيراً بين بلاد الشام والجزيرة العراقية وأرمينية عن طريق استيطان قبائل من ربيعة[2] ومضر[3] وبكر[4] في أرمينية، وخاصة قبيلة سُليم والتي شاركت بشكل كبير في الحروب العربية الإسلامية والبيزنطية .[5]

---

[1] – العبد الغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية، ص٨١، غيموتيان(آرام) الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية، تر، ألكسندر كشيشان، لشبونة، مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية، حلب، د.م،٢٠٠٣م،ص ٣١-٣٢،
Chevond,Histoire des Guerres et des conquetes des Arabes en Armenie,Paris,1856,p31-32.

[2] – ربيعة. حي من مضر العدنانية،وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر،القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، علي الخاقاني، بيروت،دار الكتب العلمية، د ت،ص ٢٤٢ ،كحالة (عمر رضا): معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٨م، ص٤٢٤.

[3] – مضر. قبيلة من العدنانية وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،ص ٣٧٧،كحالة: معجم القبائل العربية،ج٣،ص١١٠٧.

[4] – بكر: بطن من عذرة بن زيد اللات بن كلاب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،ص ١٦٩.

[5] – السيد (أديب): أرمينية في التاريخ العربي،حلب، المطبعة الحديثة،١٩٧٢م،ص١٠٦.

وكان للوالي يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني والي أرمينية من قبل الرشيد دور كبير في توطين أعداد كبيرة من القبائل العربية في أرمينية.[1]

فقد انتقلت بعض هذه القبائل العربية وتحديداً قبيلة سُليم إلى المقاطعات المتاخمة للأراضي البيزنطية وتحديداً مدينتي باغيش و قاليقلا.[2]

واستوطنت هذه القبائل العربية فيما يعرف لدى الجغرافيين العرب بأرمينية الرابعة[3]، والتي تتألف من شمشاط وخلاط وأرجيش وباجنيس.[4]

---

[1] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٣٦،السيد أرمينية في التاريخ العربي،ص١١٠،عيفونتيان: الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية،ص٤٣.

[2] – عيفونتيان: الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية،ص٤٥.

[3] – هنالك خلاف بين الجغرافيين العرب الأوائل حول تقسيم أرمينية ،فهنالك من يجعلها أرمينيتان أرمينية الداخلة وتضم (دبيل ونشوى وقاليقلا والمدن التي تليها شمالاً، وأرمينية الخارجة وهي بركرى وخلاط وأرجيش وسيسجان، والزوزان ،ابن حوقل. صورة الأرض،ص٢٩٥،أما الاصطخري فيعتبرها إقليم و حد مع الران وأذربيجان الاصطخري.المسالك والممالك،ص ١٨١، ويسمي المقدسي أرمينية بإقليم الرحاب،المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٧٤، وبشكل عام فقد تم تقسيم أرمينية إلى أربعة أقسام هي:

أرمينية الأولى:تضم السيسجان و آران وتفليس وبرذعة و البيلقان وقبله و شروان .

أرمينية الثانية : تضم جرزان، صغديل، باب فيروز، قباذ،واللكز.

أرمينية الثالثة: تضم البسفرجان، دبيل، سراج طير، بغروند، ونشوى.

أرمينية الرابعة: شمشاط ، خلاط، قاليقلا، أرجيش، وباجنيس، ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٢٢، البلاذري: فتوح البلدان،ص ١٩٧ .

[4] – ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص١٢٢.

وقد كان لهذه المدن أهمية عسكرية كبيرة في أثناء الحروب العربية البيزنطية، وذلك لأن القوات العربية تمركزت في هذه المناطق لتتوجه باتجاه الأراضي البيزنطية،ومنها من كانت ترفد المدن الثغرية بقوات احتياطية عند الحاجة، ومن هنا يستنتج أن دور هذه المدن كان يتوزع في مهمتين معاً :الأولى التوجه إلى الأراضي البيزنطية في أثناء الحروب،والثانية رفد المدن الثغرية و إمدادها بقوات احتياطة كلما دعت الحاجة.[1]

كان لهذا الاستيطان آثار سلبية وإيجابية في الوقت عينه على أرمينية والدولة العباسية وعلاقتهما مع البيزنطيين، فالقبائل العربية التي استوطنت هناك ساعدت في تشكيل خط حماية للعباسيين من البيزنطيين ، ولكن بالمقابل أدى هذا الاستيطان من قبل القبائل العربية إلى هجرات جماعية للأرمن لأسباب سياسية واقتصادية والانتقال إلى الأراضي البيزنطية والاستقرار هناك.[2]

وبدأت التدخلات البيزنطية بالشؤون الأرمينية أواخر العصر الأموي ،فقد استغل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الأحوال المضطربة للدولة الأموية في زمن الخليفة الأموي مروان بن محمد، وعمل على تشجيع الأرمن على الثورة ضد المسلمين، وبالفعل اندلعت الثورة خلال عامي ١٣٢-١٣٣هـ /٧٤٩-٧٥٠م بقيادة أمراء أسرة الماميكونيان بالتحالف مع بيزنطة، وعمل الأمويون على إخماد هذه الثورة باستخدامهم العنف والقسوة، ولكن من نتائج هذه الثورة كانت

[1] – جيفوندیان: الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية،ص ٤٩.

[2] Chevond:Guerres , p119.

هجرات جماعية من مناطق أرمينية إلى الإمبراطورية البيزنطية ،وقد لاقت هذه المجموعات الترحيب من قبل الإمبراطور قسطنطين الخامس الذي قام بتخصيص مناطق لهم ليعيشوا فيها [1]

وبعد قيام الدولة العباسية بعامين قام الإمبراطور قسطنطين الخامس بالهجوم على مدينة ثيودسيوبوليس (قاليقلا) في عام ١٣٤هـ ./٧٥٢م، وقام جنوده بهدم أسوار المدينة وتخريب المنازل والأراضي ومن ثم الاستيلاء على كنوزها ، وقام بأسر أعداد كبيرة من سكان المدينة وضواحيها من العرب وقتل أعداد منهم ،أما بالنسبة للسكان الأرمن فقد عمل على تهجيرهم إلى تراقيا ، كما أن أعداداً من الأرمن انضموا إلى الإمبراطور بناء على رغبتهم ،وذهبوا معه وتم توطينهم في الأراضي البيزنطية ، ولم يتم تحديد أماكن استيطان هؤلاء الأرمن.[2]

ويلاحظ هنا موقف الإمبراطور قسطنطين المحتار للأرمن الموجودين في قاليقلا،فهو لم يقتلهم كما فعل مع العرب القاطنين هنالك،فلماذا هذا الموقف؟.

ربما أراد الإمبراطور بتصرفه هذا مع الأرمن أن يستميل منهم ما يستطيع إلى صف البيزنطيين، مدعياً بأنه لا يريد أن يلحق بهم الضرر ،ولكنه كان يقصد بحملته هذه العرب المسلمين الموجودين في قاليقلا وليس الأرمن، وبالفعل استطاع استمالتهم وتوجه مع الإمبراطور أعداد من الأرمن طواعية ، بعد أن وجدوا أن البيزنطيين قد انتصروا وتمكنوا من السيطرة على المدينة.

---

[1] - غيفونتيان الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية،ص٥٠، Chevond,Guerres, p607 , Toumanoff,Armenia and Georgia,Cambridge Medieval History,1966,p119.

[2] - البلاذري: فتوح البلدان،ص١٩٩،غيفونتيان: الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية،ص١٢٩، Chevond:Guerres,p ٥١

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه لم تتوقف هجرات الأرمن باتجاه بيزنطة في العصر العباسي بل ازدادت بشكل ملحوظ، خاصة وأن الولاة العباسيين كانوا يتبعون سياسات غاية في القسوة والاضطهاد تجاه الأرمن، وهؤلاء كانوا يردون بالثورات و بالتمردات، وكانت الموجة الكبرى للهجرات بعد معركة بجريفاند في عام ١٥٩هـ /٧٧٥م ، عندما هاجرت أسر أرمينية بكاملها مثل أسرة بقراطوني إلى الحدود الشمالية الغربية لأرمينية و القريبة من الحدود البيزنطية والالتجاء هناك، وذلك بعد ثورة قام بها الأرمن ضد السلطات العباسية في هذا العام، وتمكن العباسيون من إرسال قوات قضت على هذه الثورة بطرق قمعية و قاسية بشكل كبير ، لذلك لم يجد هؤلاء مخرجاً سوى الالتجاء إلى بيزنطة.[1]

مما لا شك فيه أنه كان لهذه الهجرات آثار كبيرة على البنية السكانية لأرمينية، فقد استوطنت قبائل عربية في الأراضي الأرمينية المهجورة، وأدى استيطان هذه الجماعات العربية إلى تأزم العلاقة بين الكنيسة الأرمينية والدولة العباسية، وذلك لأن عدداً من السكان الأرمن لم يتمكنوا من الرحيل إلى مناطق أخرى بسبب فقرهم، وكان لابد لهم من إيجاد حلٍّ لتأمين احتياجاتهم ،وهذا زادهم استعباداً وفقراً.[2]

---

[1] – محمد الغني أرمينية وعلاقاتها السياسية ، ص ٨٩،

Chevond·Guerres,p129,J.Laurent,Armenie entre Byzance et Islamdepuis la Conquete Arabe Jusqu en 886, Paris,1919,p190.

[2] – عبوتشيان :الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية، ص ٥٠، جيباشيان (مانوئيل): علاقات الكنيسة ماندونة لأرمينية في حقبة الهيمنة العربية (من الاجتياح العربي وحتى الفترة العباسيه الميكرة) ، تر،ألكسندر كشيشيان، لشبونة، مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية،حلب، ٢٠٠٥،ص١٦٥،

لم تتوقف الهجرات الأرمينية باتجاه الأراضي البيزنطية ، خاصة وأن سياسات القمع استمرت من قبل الولاة العباسيين ، فقد زادوا الجزية و الضرائب على السكان زمن الخليفة هارون الرشيد، وهذه السياسات التعسفية أدت إلى ازدياد الفقر في المدن الأرمينية ، ولذلك فقد حدثت هجرات جماعية جديدة للأرمن، فقد توجه اثنا عشر أرمنياً بقيادة الأمير الأرمني شابوه أمادوني وولده همام باتجاه الأراضي البيزنطية القريبة من الحدود الأرمينية.[1]

وكان على الدولة العباسية أن تقوم بإجراءات لتعيد التوازن لهذه المنطقة المهمة، لذلك فقد قامت السلطات العباسية بنقل قبائل عربية كبرى وتوطينهم في أراضي الأرمن المهاجرين،وكانت هذه الأعداد من قبائل نزار وربيعة ومضر.[2]

وكان لزاماً على السلطة العباسية إيجاد حلول لمنع تحقيق العلاقة بين الأسر الأرمينية الكبرى وخاصة (الأسرة البقرادونية) وبيزنطة ، ولاسيما أن هذا التقارب البقرادوني البيزنطي يشكل تهديداً خطيراً لحكومة بغداد.

ووجد الخليفة هارون الرشيد الحل لهذه المعضلة بالاعتراف بأحد أمراء الأسرة البقرادونية بصفة أمير الأمراء في أرمينية ، للعمل على استمالته ولإيقاف مد النفوذ البيزنطي على ارمينية.[3]

وعلى هذا النحو يضمن الخليفة العباسي وضع عامل للتوازن السياسي بين الأسر الأرمينية، واستمرت الأوضاع في أرمينية على هذا النحو، مما أدى إلى نشوب الخلاف بين الأسر الأرمينية ،

---

[1] جيباشيان: علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية ،ص١٦٥

[2] – اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ص٥١٥.

[3] عبد الغني : أرمينية وعلاقاتها السياسية ، ص ٩٨، جيباشيان:علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية،ص١٧٠

والعمل من قبل العباسيين على توطيد نفوذهم أكثر في أرمينية، وذلك بالعمل على زرع بذور الانشقاق بين الأسر الأرمينية وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة.

استمرت أرمينية تتأثر بالأوضاع العامة في مقر الخلافة العباسية ، خاصة أن الخلافة انشغلت مدة طويلة بالحرب الأهلية التي نشبت فيها ، بسبب فتنة الأمين والمأمون، فهذه الحرب الأهلية بين الأخوين منحت الأسر الأرمينية الفرص للقيام بحركات تمرد ضد الخلافة العباسية [1]، وإن تدهور نفوذ الخليفة العباسي وانشغاله بالأوضاع الداخلية جعله يبتعد عن فكرة تدمير الإمارات الأرمينية وإخضاع أمرائها لسلطته، كما أن هذه الظروف جعلته يقترب أكثر من فكرة مساعدة الأمراء، وذلك لتقوية إماراتهم واتخاذ حلفاء أقوياء من الأرمن ليكونوا عيناً له في المنطقة والبديل عن سلطته المباشرة.[2]

وعلى الرغم من محاولات العباسيين تثبيت مركزهم ونفوذهم في أرمينية ،إلا أن الأوضاع الداخلية فيها كانت تتأثر بشكل مباشر مع مشاكل الخلافة ، فثورة بابك الخرمي أقلقت العباسيين بشكل كبير على الرغم من أنها قامت في مناطق بعيدة عن أرمينية ، إلا أنها انعكست على أرمينية بكامل أخطارها السلبية ، فقد لفتت انتصارات بابك على الخلافة العباسية أنظار الأمراء الأرمينيين ، وبدؤوا بالتحالف مع بابك الواحد تلو الآخر على أمل التخلص من هيمنة الخليفة وولاته عليهم وإعادة امتيازاتهم القديمة.[3]

---

[1] – من هذه الحركات التي قامت ضد الخلافة العباسية حركة اسماعيل بن شعيب، وحاتم بن هرثمة ، وصدافة بن علي، اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، ج٢ ، ص٤١٨،الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٦٤،٨، جبيب شبان: علاقات الكنيسة بالدولة الأرمينية،ص١٧٠.

[2] – العبد الغني : أرمينية وعلاقاتها السياسية،ص ١٠٠.

[3] – Geor.Toumanoff: Arm, p609.

وعلى هذا النحو فقد كان موقف أمراء الأرمن باتخاذ جانب التأييد لهذه الثورة ضد العباسيين في المرحلة الأولى منها.

رحب بابك بهذا التحالف لأنه كان بحاجة كبيرة لمن يؤازره، بالإضافة إلى أهمية أرمينية الاستراتيجية بالنسبة لبابك ، ولكن بعد أن بدأت القوات العباسية بتحقيق انتصارات على بابك، قام الأمراء الأرمن المساندون لبابك بالتخلي عنه، سيما أن طبقة الفلاحين الواسعة في أرمينية تأثرت بأفكاره التحررية الاجتماعية، ولذلك فقد قام الأمراء بطرد المندوبين الموجودين في أراضيهم.[1]

والسؤال الذي يطرح هنا هو لماذا اهتم الخلفاء العباسيون وبابك بأرمينية وعمل كل طرف منهما على استمالة الأرمن ؟.

مما لا شك فيه بأن موقع أرمينية الجغرافي كان مهماً لكلا الطرفين ، فالعباسيون قلقوا من مساندة الأرمن لبابك ، أو قيام بعض الأرمن بالتحالف مع العدوة الدائمة بيزنطة واستغلال بيزنطة لهذه المسألة، وهذا بالفعل ما حدث .

أما بابك فقد كان يرغب في فرض سيطرته على أرمينية لتأمين ظهره في حال هاجمه العباسيون. انشغلت الخلافة العباسية بالقضاء على بابك، ولذلك قام الأخير بالاستنجاد بالإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، والذي توجه بعد مدة لمهاجمة زبطرة وسميساط و ملطية، توقع الإمبراطور ثيوفيل أن يقف الأرمن إلى جانبه في حملته هذه، ولذلك عندما وصل إلى الثغور قام بتوجيه رسائل إلى الأمراء

---

[1] عبد الحي، أرمينية وعلاقاتها السياسية، ص ١٠٢-١٠٣- ١٠٤- ١٠٥.

الأرمن يعرض عليهم تقديم المساعدة إن ثاروا ضد النفوذ العباسي، إلا أن الأرمن رفضوا عروض ثيوفيل وفضلوا البقاء على ولائهم للعباسيين، وعملوا على عرقلة مشاريعه في المنطقة.[1]

إن موقف الأرمن هنا يدعو للتساؤل، فلماذا اتخذ الأرمن هذا الموقف من الإمبراطور مع أن الأحوال العامة للخلافة العباسية لم تكن في أفضل حالاتها؟.

ربما اتخذ الأرمن هذا الموقف من عرض الإمبراطور ثيوفيل لخوفهم من الانتقام الذي سيقوم به ولاة الخليفة العباسي إن هم ساندوا ثيوفيل، أو ربما أراد الأرمن حصد نتائج هذا التدخل البيزنطي في الأراضي الإسلامية لأنفسهم، خاصة وأن انشغال الخلافة الإسلامية بمثل هذه التحاورات البيزنطية سيعطي الأمراء الأرمن فرصة أخرى للاستقلال بإماراتهم والابتعاد عن نفوذ الولاة.

هذا ما حصده الأرمينيون بعد ثورة بابك فقد أصبح الأرمن بعد ثورته أكثر قوة و تطلعاً لتحقيق استقلالهم الذاتي، ولذلك بدأوا يثيرون المشاكل ضد الحكم العباسي، فقد استغلوا التوتر الذي أصاب العلاقات العباسية البيزنطية بعد هجوم ثيوفيل على زبطرة ورد الخليفة المعتصم بقيامه بحملته نحو عمورية، و بدأوا يتذمرون من الولاة العباسيين المتشددين معهم، يطالبون بتنحيهم وبالفعل استجاب الخليفة المعتصم لمطالبهم خاصة وأن العلاقات العباسية البيزنطية كانت متوترة جداً في تلك المرحلة، وكان هو بحاجة إلى كسب الأرمن لجانبه كيلا يستغلهم البيزنطيون [2]

---

[1] سمريتي. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٨٨، العيد الغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية، ص١٠٩

[2] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٧٥.

واستمر الأرمن في إثارة المشاكل ضد الولاة العباسيين ومن الخليفة الواثق، مستغلين انشغال الخلافة بالمشاكل والاضطرابات الداخلية، إلا أن حل الواثق كان جذرياً من خلال رؤساء ولاة أقوياء، تمكنوا من القضاء على موجة الثورات هذه،كما قام بإحضار جماعات كبيرة من المسلمين للاستيطان في أرمينية ،كي يضعفوا مواقف الأرمن في قادم الزمن.[1]

وهنا وفي هذه المرحلة الزمنية يلاحظ أن جميع المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها سواء الأرمينية منها أم العربية، لم تذكر بشكل واضح وصريح مشاركة الأرمن بيزنطة في حروبها ضد المسلمين ، ولكن الواقع والمنطق يشير إلى أن من هجر وسلبت أرضه وممتلكاته ، لا شك بأنه سيعمل جاهداً إلى اللجوء إلى من يساعده في إعادة ما فقده ، فإن لم يستطع استرداد ما أخذ منه فإنه لن يغفر ويسامح لمن هجره ، بل سيبقى يشترك في أي تحرك ضد الغاصب لأرضه،وهذا ما كان عليه حال الأرمن مع من شردهم من أرضهم في حقب زمنية لاحقة.

وعلى هذا النحو كان الأرمن يتمتعون بوضع أهل الذمة في علاقاتهم مع الخلافة العباسية، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتمتعون بحريتهم الدينية ، وكان الأرمن بشكل عام يفضلون أن يعيشوا في ظل السيادة العباسية، خاصة إذا ما قارنوها بالسيادة البيزنطية، كما اشترك الأرمن مع المسلمين أكثر من مرة في مواجهة البيزنطيين، وقد وافق أمراؤهم على تزويج بناتهم لأمراء المسلمين، وكانوا يستقبلون الولاة العباسيين بحفاوة وود إلى أن يتعرفوا على شخصية هؤلاء الولاة، فإن كانوا أقوياء أدوا لهم الجزية والخراج والطاعة،أما إذا كانوا ضعفاء فإنهم يستخفون بأمرهم ويقومون بالعصيان والتمرد للحصول على استقلالهم.

---

[1] - العبد الغني ، أرمينية وعلاقاتها السياسية،ص ١١٢-١١٣.

وهذا كان حال كل من الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية لا تستطيعان إغفال أهمية التعامل مع الأسر الأرمينية ذات النفوذ، فلم تكن أي منهما قادرة على إحكام سيطرتها الكاملة على أرمينية من دون أن تستعين بإحدى هذه الأسر أو بعضها، وهذا الوضع أعطى أمراء أرمينية الفرصة لتقليب ولائهم بين هاتين القوتين الكبيرتين سعياً وراء مصالحهم الشخصية ، ولتحقيق مكاسب أكبر لهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا يستنجدون بإحدى هاتين القوتين لطرد الأخرى أو للتصدي لها،مستفيدين من النزاع بين العباسيين والبيزنطيين بما يخدم مصالحهم ويجعلهم محط أنظار واهتمام هاتين الدولتين المتنازعتين.

كما كانت العلاقات تبادلية بين الطرفين العربي المسلم و الأرمني ،فمثلما شارك الأرمن المسلمين حروبهم ضد بيزنطة ، أسهم العرب المسلمون في الدفاع عن أرمينية ضد هجمات الخزر، فلم يقتصر دور مدن الثغور على محاربة البيزنطيين وحماية حدود الدولة العربية الإسلامية من خطرهم، بل إنهم شاركوا في حماية أرمينية من هجمات الخزر المتتالية عليهم.

ففي عام ١٤١هـ ./٧٥٨م تعرضت أرمينية لهجوم واسع من قبل الخزر الذين توجهوا نحوها وعلى رأسهم خاقان الخزر،وقاموا بأعمال القتل والتخريب وانتشرت المذابح الجماعية ، ولم يتمكن والي أرمينية يزيد بن أسيد السلمي من الوقوف في وجههم ، لذلك طلب العون من الخليفة أبي جعفر المنصور الذي أمده بعشرين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة وثغورها ،

وتمكن هؤلاء من إيقاف المد الخزري، أمر الخليفة المنصور ببناء مجموعة من الدفاعات والحصون، لتكون بمنزلة ثغور في وجه الخزر.[1]

وتعرضت أرمينية لهجوم خزري جديد في العام ١٨٣هـ ./٧٩٩م ، كان هذا الهجوم بطلب من أحد الزعماء المحليين في أرمينية للوقوف في وجه المسلمين ، استجاب خاقان الخزر لهذا الطلب وهيأ جيشاً ضخماً توجه نحو أرمينية، ولم يستطع الوالي سعيد بن مسلم الوقوف في وجه الخزر، وقام الخزر بقتل الأرمن والمسلمين وسبوا أعداداً كثيرة منهم، واستمروا على هذا النحو مدة سبعين يوماً دون أن يوقفهم شيء، إلى أن أرسل الخليفة هارون الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني والياً لأرمينية ومعه جنود من الجزيرة وثغورها، الذي تمكن بدوره من إيقاف الخزر وإعادة الهدوء للمنطقة.[2]

وكانت مدن الثغور لدى دفاعها عن أرمينية من هجمات الخزر ترد عن أراضيها وصول المد الخزري إلى داخل المدن الإسلامية في الوقت نفسه .

مما لاشك فيه أنه كان لهذه الحروب آثار اجتماعية واقتصادية على المناطق القريبة من أرمينية كبلاد الشام والجزيرة والثغور الإسلامية، اجتماعياً تعرضت البنية السكانية للسكان الأصليين في المدن من خلال نزوح أعداد من القبائل العربية باتجاه أرمينية للاستقرار، أما اقتصادياً فيلاحظ بأن

---

[1] - اليعقوبي .تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٣٧١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧،ص٦٤٩، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٧١، ابن أعثم: الفتوح، ج٤،ص ٣٩٤-٣٩٥، دنلوب: تاريخ يهود الخزر،ص٢٤٥،السيد: أرمينية في التاريخ العربي،ص١٠٦.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٢٧٠،ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٦،ص١٦٣، دنلوب: يهود الخزر،ص ٢٥٠، ٢٥١

الآثار الاقتصادية كانت إيجابية وسلبية في الوقت نفسه ،إيجابية من خلال التبادل التجاري الذي كان يحدث بين بلاد الشام والجزيرة وأرمينية والإمبراطورية البيزنطية،وسلبية لأن المناطق القريبة من أرمينية وتحديداً الجزيرة الفراتية ومدن الثغور قد أنهكت من تكاليف الجنود من تأمين لباسهم وطعامهم وسكنهم .

ومما لا شك بأن اتصالاً حضارياً وثقافياً حدث بين هذه الطرفين، مما أدى إلى التأثر بالعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة بينهما، وهذا بدوره أسهم في إغناء الإرث الحضاري لكلا الطرفين.

خاتمة

من خلال البحث في موضوع أعمال المثاغرة والرباط بين العرب المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي الأول، يتبين للدارس أنّ هذه المئة سنة من تاريخ العرب المسلمين كانت من أهمّ وأغنى الحقب الزمنية على الصعيد الخارجي للدولة العباسية، فقد رسمت خطاً مغايراً لسياسة المسلمين الأوائل في الوصول إلى معقل الأباطرة البيزنطيين و إلى قلب عاصمتهم القسطنطينية.

فالحدود المتصلة بين هاتين القوتين كانت ميداناً للنشاط الحربي، الذي اتسم في هذا العصر بأنه كان محدوداً لكنه متصلاً ، فهذا النشاط كان بالدرجة الأولى عبارة عن غارات العرض منها إظهار القوة وتخويف العدو والردّ على ما يقوم به من نشاط مماثل، ومن خلال القراءة المتأنية والنظرة العلمية الشاملة لهذا البحث يتبين أنّ طموح العباسيين لم يكن في الوصول إلى القسطنطينية؛ ما عدا حملة واحدة ويتيمة قام بها هارون بتكليف من والده المهدي ولكنه لم يصل إلى هذا الهدف.

ومن الممكن القول: بأن السبب في ذلك يعود إلى أمور عدة، يمكن إجمالها بالآتي:

إن أيّ وصول إلى القسطنطينية يجب أن ينطلق من بلاد الشام ، و يجب أن تكون بلاد الشام قاعدة مركزية لهذا الهجوم ، وبما أن العباسيين نقلوا عاصمتهم إلى بغداد، وكانوا على عداء مع أهل الشام نتيجة لولائهم لبني أمية، وبما أن هذه القاعدة لم تكن مأمونة الجانب، فقد ابتعد العباسيون عن بلاد الشام، بالإضافة إلى عدم اهتمام بني العباس بإنشاء أسطول بحري قوي وفتح القسطنطينية لا يمكن أن يتم بدون أسطول .

كما أن أملاك العباسيين الكثيرة كانت تستلزم جهداً كبيراً للسيطرة عليها وتأمين حدودها، فكان على العباسيين المحافظة على ما بأيديهم خاصة وأنهم فقدوا الكثير من ممتلكاتهم، بالإضافة إلى انشغالهم في إخماد الثورات والتمردات والإضطرابات الداخلية التي شغلت العباسيين لوقت طويل.

فالعباسيون اعتمدوا على سياسة دفاعية في علاقاتهم مع البيزنطيين من خلال إيجاد مراكز دفاعية وحصون وقلاع ومدن ثغرية ، لكن هذه المدن الثغرية تحولت مع الزمن إلى إقليم خاص له اعتماده السياسي والعسكري والاقتصادي الخاص ، وهذا التحول أسهم في مستقبل الأيام، ومع تزايد هجرات الأرمن زمن الحروب الصليبية، ليصبح مقراً لدولة أرمينيا الصغرى.

فالسياسة الدفاعية هي ما اتسمت به سياسة العباسيين في هذه المدة ولم يبادروا بأية حملات هجومية ، وكل الهجمات التي قام بها العباسيون جاءت ردات فعل على تحركات بيزنطية على الحدود البرية الإسلامية.

فمن خلال دراسة هذه المئة عام يتبين بأن مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية كانت مختلفة في تكوينها وخصائصها عن بقية أراضي كل من الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية الواقعة خلفها وغير المعرضة للخطر مثلها .

ومما لا شك فيه أن العمل الدؤوب للمسلمين، لتأمين سكان المناطق القاطنين فيها أو بالقرب منها، كان محط اهتمام المسؤولين في الدولة العباسية، ولهذا كان هدف هذه الغزوات والغارات الإسلامية في زمن العباسيين الأوائل هو تدمير القواعد البيزنطية على الحدود المتاخمة للعرب المسلمين، وإقامة أرض حياد بين الأراضي الإسلامية والبيزنطية، هذا في الإطار العام لهذه الأعمال

العسكرية، أما في الإطار الخاص، فإن المتابع لأسلوب المؤرخين الأوائل بخصوص هذه الأعمال العسكرية سيجد أن المؤرخين كانوا في كثير من الأوقات يضعون اسم قائد الصائفة إلى جانب أسماء قادة الحج، ولهذا طبعاً دلالة ومعزى، فالحملات العسكرية الإسلامية كان لها إلى حدٍّ ما دور ديني، وكانت مهمة بالنسبة للدعاية لأصحاب السلطة في دولة الخلافة، وخاصةً منهم الذين سعوا إلى تدعيم مركزهم السياسي أمام رعاياهم بقيامهم بفريضة الجهاد الإسلامي.

كما أن مناطق الثغور لم تكن مناطق عسكرية بحتة، بل شكلت مع تطور الزمن مجتمعات سكانية تفاعلت مع غيرها من المناطق، وهذا المجتمع الذي بدأ يتشكل في هذه المدن كان بحاجة لأن يطوّر نفسه على جميع الأصعدة، لكي يؤمن سبل الحياة والمعيشة هنالك، فانتشرت الزراعة بشكل كبير، وتطورت الصناعات و الحرف المحلية معتمدة على الموارد الأساسية الموجودة في مدن الثغور، أما على الصعيد التجاري، فقد كانت مدن الثغور محطات تجارية مع المناطق الأخرى، وكانت بمنزلة ملتقى الطرق فيما بينها .

كما كان للثغور خاصية أخرى تميزت بها عن غيرها وهي أنها ضمت أجناساً وديانات مختلفة انصهرت مع بعضها البعض، فأثرت العقلية العربية الإسلامية وتفاعلت معها ،فمثلا مناطق الحدود المتأرجحة كانت مناطق تمازج وتسامح ،إذ كان الهدف الأكبر الذي يجمع بينهم هو الذود عن حدود الإسلام ضد أعدائهم.

وفي الختام: كان هذا العمل محاولة جادة في البحث عن ماهية الثغور وما خلفته الأعمال العسكرية للمسلمين على الحياة الثغرية والمرابطة خلال المئة عام الأولى من العصر العباسي، وفي

البحث أيضاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في مدن الثغور خلال نفس المدة ،

وإيضاح دور بعض الأقليات كالبيالقة في مجريات الأحداث بين الطرفين.

فإن كنت قد وفقت فتلك الغاية وذاك الهدف، وإن لم يكن ذلك فحسبي أني بذلت قصارى جهدي.

والله ولي التوفيق

الطالبة شيرين سليم حمودي

ملحق (١)

لمحة عن الخلفاء العباسيين الأوائل

١ – أبو العباس السفاح:

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بويع بالخلافة ١٣٢هـ /٧٥٠م، وهو أول خليفة عباسي، لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء بني أمية، ولكثرة العطايا والمنح التي كان يقدمها، إضافة إلى اعتزازه بهذا اللقب، وخير دليل على ذلك جملته الشهيرة التي كان يكرّرها باستمرار وهي: " أنا السفاح المبيح و الثائر المبير".

توفي أبو العباس بالأنبار في ذي الحجة ١٣٦هـ /٧٥٤م، و أهم الأحداث التي جرت في عهده، معركة الزّاب و هزيمة الخليفة الأموي عبد الله بن علي، وفتح إفريقية على يد محمد بن الأشعث، وثورات العرب التابعين لبني أمية، مثل تبيض أبي الورد لقنسرين، و خلع حبيب بن مرة، خلع أهل الجزيرة، خروج الخوارج، و غيرها من الأحداث.[1]

---

[1] –الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧،ص٤٧٠، ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية،ص١٥١-١٥٨ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٠٨. ابن الجوزي: المنتظم ج٧،ص٣٠٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٢،ص٢١٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٧٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٣٣ ، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٠٤، الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي المعروف بابن العماد) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ط٢،١٩٧٩م، ج٢،ص١٦١. القلقشندي: مآثر الأناقة، ج١، ص ١٧٠. اسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام،ص٦٣، زامباور : معجم أنساب الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ترجمة زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود،مصر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م،ج١،ص٢

٢ – أبو جعفر المنصور:

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. اختلف المؤرخون حول مولده، فمنهم من يذكر بأنه كان في عام ٩٣هـ . أو ٩٤هـ . أو ٩٥هـ ، وتوفي أبو جعفر عام ١٥٨هـ .

يعدّ أبو جعفر المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس، فقد بويع بالخلافة بعد أخيه السفاح، وجرت أحداث كثيرة في عهده،كان من أهمها بناء بغداد والهاشمية، و مقتل عمه عبد الله بن علي، وأبا مسلم الخرساني، ومقتل محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، واهتمّ بالحدود مع البيزنطيين كما سبق و مرَّ في هذا البحث.[1]

٣ – محمد المهدي: هو أبو الله عبد محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، بويع بالخلافة في ١٥٨هـ ./٧٧٥م، و توفي نحو عام ١٦٩هـ ./٧٨٥م.

تميز المهدي بأنه عمل على تنظيم وإنشاء دواوين خاصة لدولته، فقد أنشأ ديوان الأزمة، وبطر بالمطام، وبنى الرصافة، وسير الغزوات الكثيرة نحو البيزنطيين، وظهر أيامه المقنع الخرساني، وشن حملة كبيرة تجاه الزنادقة و عمل بشكل مكثف على القضاء عليهم.[2]

---

[1] – البلاذري. أنساب الأشراف، ج٣،ص١٨٣، ابن قتيبة: المعارف،ص٣٧٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥،ص١١٣-١١٤، ابن الجوزي. المنتظم،ج٧،ص٣٤٤، ابن طباطبا. الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٩، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج٢،ص١٣٥، الأربلي. خلاصة الذهب المسبوك،ص٦٠، القلقشندي. مآثر الأنافة،ج١،ص١٧٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء،ص٣٠٨ ، رعمت معالم تاريخ العصور الوسطى، ص٥٦.

[2] أبو يوسف القاضي الخراج، ص ٤٣ ،اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢، ص٣٩٤، الجهشياري. الوزراء والكتاب، ص١٤٦- ١٦٦، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص١١٥-١١٦، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٩٩، الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٩١. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٨٠ ومابعدها ،الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج٧،ص٤٠٠. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١،ص١٨٣، ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج١،ص٣٠٢.

٤ – الهادي:

هو موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر، تولى الخلافة ١٦٩هـ ./٧٨٥م، وتوفي في عام ١٧٠هـ ./٧٨٦م.

كان عصره قصيراً، فهو لم يتمكن من القيام بأية إصلاحات في زمنه، وكان من أهمّ الوقائع التي حدثت في زمنه موقعة الفخ.[1]

٥ – هارون الرشيد:

هو هارون بن محمد المهدي، تسلم عرش الخلافة الإسلامية في عام ١٧٠هـ ./٧٨٦م، استمر حتّى وفاته في عام ١٩٣هـ ./٨٠٨م.

كان زمنه مليئاً بالأحداث و المنجزات، فقد اهتم بالحدود الإسلامية البيزنطية بشكل كبير، كما سبق و ذكر في هذا البحث، و حدثت في عهده فتن كثيرة في الشام و الجزيرة، و قضى على البرامكة.[2]

٦ – الأمين:

محمد بن هارون الرشيد، كان الأمين الخليفة العباسي الوحيد الذي يعود نسب أمه و أبيه إلى بني

---

[1] – ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٨٩–١٩٠–١٩١، ابن قتيبة: المعارف، ص٣٨٠، المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٨٣، ابن الجوزي: المنتظم ج٨، ص٣١٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٤١، ابن عبد ربه: العقد الفريد،ص١١٦.

[2] – اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢، ص٤١١،الجهشياري: الوزراء و الكتاب، ص٢٠٨–٢٠٩ ،ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٢ و ما بعدها،الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص٤٣١، القلقشندي صبح الأعشى، ج٥،ص٤١٧–٤١٨، علي اسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص٧٣–٧٤.

هاشم، بويع بالخلافة في عام ١٩٣هـ ./٨٠٩م، و منذ استلامه الخلافة بدأت المشاكل بينه و بين أخيه المأمون حول السلطة، فقد أراد الأمين خلع المأمون، و استمر هذا الخلاف طيلة خلافة الأمين، وانتهى بمقتل الأمين في عام ١٩٨هـ ./٨١٣م.[1]

٧ – المأمون:

هو عبد الله بن هارون الرشيد، استلم الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين في عام ١٩٨هـ ./٨١٣م، واستمر حتّى عام ٢١٨هـ ./٨٣٣م.

جرت في خلافته أحداث كثيرة، منها ثورات أهل الجزيرة، و ظهور ابن طباطبا في الكوفة، كما بايع المأمون علي الرضا بولاية العهد، إضافة إلى كثير من الأحداث الأخرى.[2]

٨ – المعتصم:

هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي، تولى الخلافة ٢١٨هـ ./٨٣٣م، وتوفي في عام ٢٢٧هـ ./٨٤١م.

---

[1] - المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٤٢٣. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٣٦ و ما بعدها، ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢١٢ و ما بعدها ،القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١،ص٢٠٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢،ص ١٥٩ و ما بعدها. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١١٨ – ١١٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء،ص٣٥٢.

[2] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٤٤٨. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢١٦ و ما بعدها. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج١٠، ص٢٥١. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢،ص٢٤. ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص٣٢٠. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص١١٩–١٢٠.

كان من أهم ما جرى في خلافته، فتح عمورية، و بناء سامراء، و تدخل العنصر التركي بشكل كبير في شؤون الدولة.[1]

٩- الواثق:

هو أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بن الرشيد، تسلم الخلافة ٢٢٧هـ ./٨٤١م، و توفي في عام ٢٣٢هـ ./٨٤٧م.

في زمنه سيطر الأتراك على شؤون الدولة العباسية بشكل كبير،و بوفاته كانت نهاية الخلفاء العباسيين الأقوياء، و بذلك انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية التي استمرت ما يقارب قرناً من الزمن، و بدأت مظاهر الضعف و الانحلال تظهر في الدولة العباسية.[2]

[1] - ابن عبد ربه: العقد الفريد،ص١٢١-١٢٢ ،ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٢٩ و ما بعدها. ابن الجوزي: المنتظم، ج١١،ص٢٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤،ص٤٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٩٠. الموسوعة الإسلامية، ص١٦٣ و ما بعدها.

[2] - ابن قتيبة: المعارف،ص٣٩٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠،ص٣٠٦، علي اسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص٨٣-٨٤. الموسوعة الإسلامية،ص١٦٧-١٦٨.

ملحق (٢)

لمحة عن الأباطرة البيزنطيين زمن الخلفاء العباسيين الأوائل :

قسطنين الخامس ٧٤١-٧٧٥م/١٢٤-١٣٨هـ :.

اشتهر باستبداده ولكنه امتاز بالنشاط العسكري تجاه العرب المسلمين وتجاه البلغار، واحرز انتصارات متتالية على كلا الطرفين، وفي عصره عقد مجلس هيريا الكنسي ٧٥٣م- ١٣٦هـ . الذي حرم عبادة الأيقونات ، وكان لهذه السياسة الدينية أثار سلبية كثيرة على المجتمع البيزنطي.

ليو الرابع ٧٧٥-٧٨٠م/ ١٣٨-١٦٤هـ :.

ابن قسطنطين ، سار على خطا سياسة والده الدينية وشن حملات متتالية على الأراضي الإسلامية زمن الخليفة المهدي.

قسطنطين السادس ٧٨٠-٧٩٧م/١٦٤-١٨١هـ :.

تسلم عرش الإمبراطورية طفلاً فاستلمت والدته إيرين الحكم بدلاً عنه، وحدثت الكثير من المشكلات في زمنها خاصة خضوعها للعرب المسلمين ودفع الجزية لهم، وأخذت السياسة الدينية حيزاً كبيراً في زمنها فقد تم عقد مجلس نيقية ٧٨٧م/ ١٧١هـ . ، الذي تخلى عن تحريم عبادة الأيقونات ، وتم إعلان ثورة ضدها من قبل الجيش الذي طالب بقسطنطين إمبراطوراً، وبالفعل توج قسطنطين ولكنه فشل في سياسته فقد خسر أمام العرب والبلغار، وانتهى حكمه بأن سملت أمه عينيه وتسلمت الحكم منفردة.

إيرين ٧٩٧-٨٠٢م/ ١٨١- ١٨٦هـ :-

كان زمنها خضوع ومسالمة للعرب فقد دفعت الجزية لهم ، وتم إحياء الإمبراطورية الكارولنجية في الغرب بتتويج شارلمان.

نقفور ٨٠٢-٨١١م/ ١٨٦-١٩٦هـ . :

اشتهر بأنه حاكم قادر على إدارة الشؤون المالية لا العسكرية وتحدياً مع العرب المسلمين ، فقد عقد معهم أكثر من هدنة كما أنه عقد صلحاً مع شارلمان ، وهزم أمام البلغار في معركة أودت بحياته.

ستوراكيوس ٨١١م/١٩٦هـ :-

ابن نقفور لم يستمر إمبراطوراً إلا لبضعة أشهر.

ميخائيل الأول ٨١١- ٨١٣م/١٩٦-١٩٨هـ . ·

صهر ستوراكيوس، لم يستطع أن يحمي العاصمة القسطنطينية من هجمات البلغار، كما تدخل الرهبان بشكل كبير في الشؤون الداخلية للإمبراطورية.

ليو الخامس (الأرمني) ٨١٣-٨٢٠م/١٩٨-٢٠٥هـ . :

تميز عصره بإحراز انتصار كبير على البلغار وتم عقد صلح معهم مدته حوالي ثلاثين عاماً ، وبدأ في زمنه مرحلة جديدة من اضطهاد الرهبان، فقد تم عقد مجلس كنيسة القديسة صوفيا ٨١٥م/٢٠٠هـ . الذي قرر العودة إلى تحريم عبادة الأيقونات.

ميخائيل الثاني ٨٢٠-٨٢٩م/٢٠٥- ٢١٤هـ .:

حدثت في عصره الكثير من الثورات الداخلية فقد ثار عليه توماس الصقلبي، وسقطت جزيرة كريت بأيدي العرب المسلمين ، كما استولى المسلمون على صقلية .

ثيوفيلوس ٨٢٩- ٨٤٢م / ٢١٤ – ٢٢٨هـ .:

اشتهر بالتعصب الديني وبلغ الاضطهاد الديني أشده ، واستولى المسلمون في عصره على عمورية.

ميخائيل الثالث ٨٤٢-٨٦٧م / ٢٢٨-٢٥٣هـ :

تولى الحكم تحت وصاية والدته ثيودورا والتي أعادت عبادة الصور من جديد، وفي زمنها جرى الفداء مع المسلمين .[1]

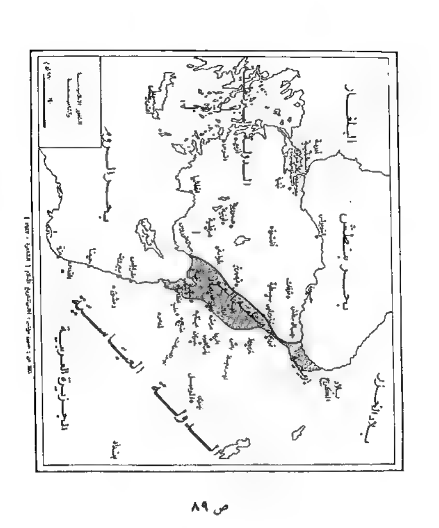
[1] – انظر : موسوعة تاريخ العالم ، ج٢، ص٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨، بيتر:الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤٠٥-٤٠٦، العريني: الدولة البيزنطية، ص ٨٩٦-٨٩٧.



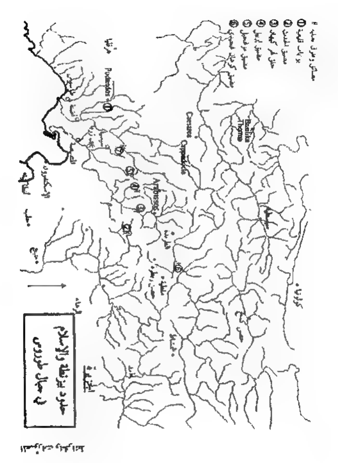
خريطة رقم "١" خريطة توضيحية للخطة القتالية لهارون الرشيد في مجال إنشاء وترميم الحصون عن الفترة الزمنية (١٧٠ - ١٨١هـ / ٧٨٦ - ٧٩٧م) نقلاً عن

Hild, F, Das Byzantinische Strassensystem in Kappadokien, Wien, 1977.

خريطة رقم 1



ص ٨٩



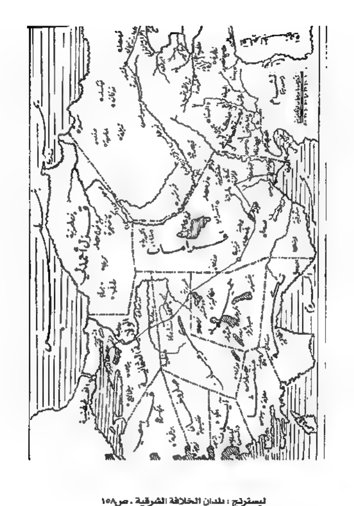
كيفي : بيزنطة والفتوحات الاسلامية المبكرة، ص ٣٤٨



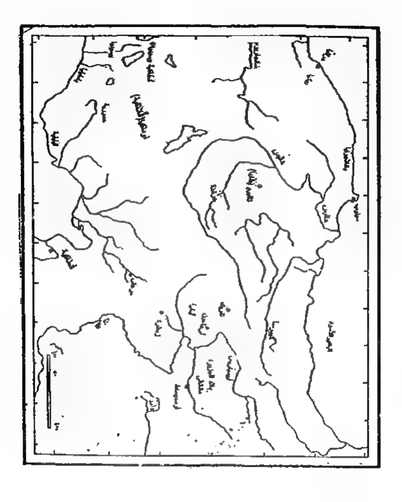
كيغي : بيزنطة والفتوحات الاسلامية المبكرة ، ص ٣٣٨



العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٤٥



لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٥٨



البشير: البيالصة في آسيا الصغرى ، ص ٥٠

قائمة المصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

قائمة المصادر :

القرآن الكريم

الأبشيهي (شهاب الدين أحمد الأبشيهي):

١. المستطرف في كل فن مستظرف، دمشق، دار كرم،د.ت.

ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ ./ ١٢٣٢م) :

٢. الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، د.ت.

٣. اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٣٨م

الأتليدي(محمد دياب ت ١٦٨٨م):

٤. إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠م.

الأربلي (عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي ت ٧١٧هـ ./ ١٣١٧م):

٥. خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، بغداد، مكتبة المثنى،د.ت.

ابن أرنبغا الزردكاش ت ٨٦٧هـ ./١٤٦٢م :

٦. الأنيق في المنانيق ، تحقيق، احسان هندي، حلب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م.

الأزدي (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن قاسم ت ٣٣٤هـ /٩٤٥م):

٧. تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧م.

الإصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد ت ٣٤٠هـ /٩٥١م):

٨. مسالك الممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني،مراجعة محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١م.

الأصفهاني(أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ت٣٥٦هـ / ٩٦٦م):

٩. مقاتل الطالبيين، تحقيق، السيد أحمد صقر، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩م.

١٠. الأغاني ، تصحيح، أحمد الشنقيطي ، مصر، مطبعة التقدم،د.ت.

١١. الديارات ، تحقيق، جليل العطية، قبرص، دار رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١م.

إينهارد :

١٢. سيرة شارلمان ، ترجمة، عادل زيتون، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٩م

برصوم (أغناطيوس أفرام الأول):

١٣. اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له ونشره المطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم،دمشق، مطابع ألف باء الأديب، ط٢، ١٩٨٧م.

ابن بطريق (سعيد افتيشيوس):

١٤. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية ، ويليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، طبع في بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م.

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم):

١٥. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت.

الوزير الفقيه (أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت٤٨٧هـ ./ ١٠٨٥م)

١٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق، مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م.

البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ ./٨٩٢م) :

١٧. فتوح البلدان، تحقيق، رضوان محمد رضوان ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م .

١٨. أنساب الأشراف، العباس بن عبد المطلب وبنوه)، تحقيق، محمود العردوس العظم، قراءة، صبحي ندم الماردیني، دمشق، دار اليقظة العربية، ١٩٩٨م.

البلخي(أبو زيد أحمد بن سهل ت ٣٢٢هـ ./ ٩٤٣م) :

البدء والتأريخ، باريس، ١٩١٦ م.

البغدادي (عبد القاهر بن طاهر ت ١٠٩٣هـ ./ ١٧١٤م):

١٩. الفرق بين الفرق ،القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٢٤م .

ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت ٨٧٤هـ /١٤٦٧م):

٢٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م

التلمحري (ديونيسيوس):

٢١. تاريخ الزوقنيني المنحول، ترجمة من السريانية، الشماس بطرس قاشا، تعليق: بطرس قاشا، جونيه (لبنان)، منشورات المكتبة البوليسية، ٢٠٠٦.

التنوخي (أبو علي المحسن بن علي ت ٣٨٤هـ /) :

٢٢. المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق، محمد كرد علي، بيروت، دار صادر ١٩٩١، م.

٢٣. جامع التواريخ ، دمشق،مطبعة المفيد، ١٩٣٠م.

الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ /٩٤٣م):

٢٤. الوزراء والكتاب ،تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨م.

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م) :

٢٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح، نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .

الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م)

٢٦. معجم البلدان ، بيروت، دار صادر، د.ت.

٢٧. المنزل والدال بين الدور و الدارات والديرة، تحقيق، يحيى زكريا عبارة، محمد أديب جمران، دمشق، مشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨م.

الحميري(محمد بن عبد المنعم) توفي حوالي(٨٢٠هـ /١٤١٧م):

٢٨. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس،بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٧٥م.

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحق المعروف بابن العماد ت ١٠٨٩هـ /١٧٠٩م):

٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت، دار المسيرة، ط٢، ١٩٧٩م.

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م):

٣٠. صورة الأرض ، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م.

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ت ٢٨٠هـ /٩٨٢م):

٣١. المسالك والممالك، يليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، ليدن ، مطبعة بريل، ١٨٨٩م.

الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ /١٠٧١م):

٣٢. تاريخ بغداد ، بيروت، دار الكتاب العربي،د.ت.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) :

٣٣. مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، مشورات مؤسسة الأعلمي،١٩٧١م.

٣٤. العبروديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١م.

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ ./١٢٨٢م) :

٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق، إحسان عباس،بيروت، دار صادر، ١٩٧١م.

ابن خياط (أبو عمر الليثي العصفري ت ٢٤٠هـ ./٨٥٥م):

٣٦. تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق أكرم ضياء العمري، بيروت ،مؤسسة الرسالة، دمشق، دا ر العلم، ط٢، ١٩٧٧م.

٣٧. الطبقات ، تحقيق، أكرم ضياء العمري، الرياض ، دار طيبة، ١٩٨٢م.

دحلان (أحمد بن زيني)

٣٨. الفتوحات الإسلامية،القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى،١٩٥٢م.

أبو دلف (مسعر بن المهلهل الخزرجي)

٣٩. رحلة أبي دلف ، ترجمة وتعليق، بطرس بولغاكوف، أنس خالدوف ، موسكو، دار النشر للآداب الشرقية ،١٩٦٠.

الدينوري(أبو حنيفة أحمد بن داود ت٢٨٢هـ ./ ٨٩٥م):

٤٠. الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المنعم عامر، مراجعة، جمال الدين الشيال ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م

الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ ./١٣٤٧م):

٤١. سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة ،ط٣، ١٩٨٥م.

٤٢. العبر في خبر من غبر، تحقيق، صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٠م.

٤٣. دول الإسلام ،تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، إبراهيم محمد مصطفى،القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م.

ابن رستة (أبو علي أحمد بن عمر ت ٢٩٠هـ /٩٠٣م):

٤٤. الأعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٨١م.

الرهاوي المجهول:

٤٥. تاريخ الرهاوي المجهول، عرّبه عن السريانية الأب البير أبونا، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٨٦.

السرياني(ميخائيل):

٤٦. تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، إعداد وتقديم: مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، ١٩٩٦.

ابن سعد (أبو عبد الله محمد البصري ت ٢٣٠هـ /٨٤٥م):

٤٧. الطبقات الكبرى ، بيروت، دار صادر، د.ت.

سيعال (ح.ب):

٤٨. الرها المدينة المباركة، ترجمة: يوسف إبراهيم جبرا، تقديم: غريغوريوس يوحنا إبراهيم، حلب، دار الرها، ١٩٨٨م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ ./ ١٥٠٥م):

٤٩. تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر، ١٩٧٥م.

ابن شداد(عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري ٦٨٤هـ ./ ١٢٨٥م):

٥٠. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م.

٥١. شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، استخرجها وحققها ،إحسان عباس ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م.

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد بن الشحنة):

٥٢. الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، سورية، عالم التراث، ١٩٨٤م.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ ./١١٥٠م):

٥٣. الملل والنحل، تحقيق، حسين جمعة ،دمشق بيروت،دار راية، ١٩٩٠م.

الصعدي (صلاح الدين خليل بن أيبك):

٥٤. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق: إحسان سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م.

ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي ت ٧٠٩هـ ./١٣٠٩م) :

٥٥. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ ./ ٩٢٢م):

٥٦. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٣، د.ت.

٥٧. الطرسوسي (عثمان بن عبد الله إبراهيم): سير الثغور من كتاب شذرات من كتب مفقودة،تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م.

ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ ./ ٨٩١م):

٥٨. تاريخ بغداد ، طبعة ليزغ ، ١٩٠٨م.

ابن عبد الحق البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت٧٣٩هـ . / ١٣٣٨م)

٥٩. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م

ابن عبد ربه الأندلسي(أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ /٩٤٠م):

٦٠. العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين،أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، القاهرة،لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م.

ابن العديم(كمال الدين عمر بن أبي جرادة ت ٦٦٠هـ /١٢٦٢م):

٦١. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، مج١، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٦٢. زبدة الحلب في تاريخ مملكة حلب،تحقيق، سامي الدهان، دمشق،د.ت.

ابن عذارى (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي توفي أواخر القرن السابع الهجري/ الخامس عشر الميلادي):

٦٣. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق، كولان وليفي بروفنسال،بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.

ابن العبري(أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس الملطي ت ٦٨٥هـ /١٢٨٦م):

٦٤. تاريخ الزمان، نقله إلى العربية: إسحق أرملة، قدم له: د. جان موريس فييه، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م.

٦٥. تاريخ مختصر الدول ، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٠م.

أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م):

٦٦. تقويم البلدان، باريس ، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.

٦٧. المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ، مكتبة المتنبي، د.ت.

ابن الفقيه الهمذاني (أبو بكر أحمد بن محمد ت٣٦٦هـ ./٩٧٦م):

٦٨. مختصر كتاب البلدان، ليدن، بريل،١٣٠٢هـ .

ابن فضلان (أحمد بن فضلان):

٦٩. رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والترك والروس و الصقالبة ، تحقيق،شاكر العيبي، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع،٢٠٠٣م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ ./٨٨٧م):

٧٠. عيون الأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي،د.ت.

٧١. المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة ، مصر دار المعارف ،١٩٦٩م.

٧٢. الإمامة والسياسة ، مصر، مطبعة الفتوح الأدبية،د.ت.

قدامة بن جعفر(أبو الفرج قدامة البغدادي ت ٣٢٠هـ . ٩٣٢م):

٧٣. كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة)، بغداد، ١٩٨١م.

القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ت ١٠١٣هـ ./١٦١٠م)

٧٤. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت، عالم الكتاب،د.ت.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ ./١٢٨٣م):

٧٥. آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م.

قسطنطين السابع :

٧٦. إدارة الإمبراطورية، عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران ، بيروت،دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

القشيري الحراني(أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الحراني ت ت٣٣٤هـ /٩٦٥م) :

٧٧. تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله(ص) والتابعين والفقهاء والمحدثين، تحقيق، طاهر النعساني، حماة، مطابع الإصلاح، ١٩٥٩م.

القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

٧٨. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، علي الخاقاني، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٧٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية،د.ت.

٨٠. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، بيروت، د.ت.

ابن كثير(أبو الفداء اسماعيل بن عمرو ت٧٧٤هـ /١٣٧٢م):

٨١. البداية والنهاية، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث،د.ت.

ابن الكلبي: (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ت٢٠٤هـ /٨١٢م)

٨٢. جمهرة النسب،رواية محمد بن حبيب، تحقيق، محمود فردوس العظم، فهارس محمد أديب الجادر، تقديم، سهيل الزكار، دمشق،دار اليقظة، ط٢، ١٩٨٥م.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البحري ت٤٥٠هـ ./ ١٠٥٨م):

٨٣. الأحكام السلطانية ، القاهرة، ١٩٠٩م.

المرعشي (الحسين بن محمد ت ٤٢١ هـ ./ ١٠٣٠ م):

٨٤. غرر السير، تحقيق: سهيل الزكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٥هـ ./ ٩٥٨م):

٨٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، مطبعة السعادة، ط٤، ١٩٦٤م.

٨٦. التنبيه والأشراف، تحقيق، عبد الله إسماعيل الصادق، بغداد ، المكتبة العصرية، ١٩٣٨م.

مسكويه:

٨٧. تجارب الأمم وفيه حوادث السنوات ١٩٨-٢٥١هـ . (ملحق بكتاب العيون والحدائق)، بغداد ، مكتبة المثنى، د.ت.

المقريزي(تقي الدين المقريزي ت٨٤٥هـ ./ ١٤٤١م):

٨٨. المقفى الكبير ، تحقيق، محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٥٧هـ ./٩٨٣م):

٨٩. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق، غازي طليمات، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٠م.

مؤلف مجهول(من القرن الثالث الهجري):

٩٠. أخبار العباس وولده(عن مخطوط فريد من مكتبة أبي حنيفة، بغداد) ، تحقيق،عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١م

مؤلف مجهول:

٩١. العيون و الحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك، إلى خلافة المعتصم ،بغداد، مكتبة المثنى،د.ت.

النديم:

٩٢. الفهرست، ، القاهرة، مطبعة الاستقامة، د.ت

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٢هـ /١٣٣٢م):

٩٣. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، علي محمد البجاوي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

الواقدي (أبو عبد الله بن عمر):

٩٤. فتوح الشام ، دار الجيل، د.ت.

ابن الوردي (زين الدين عمر) :

٩٥. تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق، أحمد رفعت البدراوي، بيروت، دار المعرفة ، ١٩٧٠م.

المرثمي الشعراني(أبو سعيد الشعراني المرثمي كان حيّاً في سنة ٢٣٤هـ):

٩٦. مختصر في سياسة الحروب، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار كنان، ١٩٩٥م.

أبو يوسف القاضي(يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٢هـ – ٧٩٨م):

٩٧. كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٥٢هـ .

اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ت ٧٦٨هـ /١٣٦٦م):

٩٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، ١٩٩٧م.

اليعقوبي(أحمد بن يعقوب بن جعفر المعروف بالواضح ت ٢٨٤هـ /٨٩٧م)):

٩٩. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، د.ت.

١٠٠.البلدان، العراق، المكتبة المرتضوية، المطبعة الحيدرية، ١٩١٨م.

المعاجم.

أمين(عبد الله):

١. الاشتقاق: القاهرة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ١٩٥٦.

أنيس (إبراهيم) ، منتصر(عبد الحليم):

٢. المعجم الوسيط ، القاهرة، د.ت، ١٩٩٠م.

الجوهري (اسماعيل بن حماد):

٣. تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، نشر، حسن شربتلي، مصر، دار الكتاب العربي، د.ت.

الجوهري (عبد الله العلايلي):

٤. الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف، نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي،بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م.

الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر):

٥. مختار الصحاح، حمص،منشورات دار الإرشاد، ١٩٨٩م.

الزمخشري:

٦. أساس البلاغة،

الفيروز أبادي(محمد بن يعقوب ٨٠٧هـ ./ ١٤٠٤م):

٧. القاموس المحيط ، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر،د.ت.

ابن منظور(عبد الله العلايلي):

٨. لسان العرب، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، نديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب،د.ت.

المراجع العربية المستخدمة :

الاختيار (سيب):

١.   محمد الأمين بن هارون الرشيد، دمشق، منشورات دار الرواد، ١٩٥٥.

إسماعيل علي (أحمد علي):

٢.   تاريخ بلاد الشام، العصر العباسي السياسي،(١٣٢- ٤٦٨هـ .)، دمشق، د.ت.

أمين بك (أحمد):

٣.   هارون الرشيد، القاهرة ، د.ت.

٤.   أيوب (إبراهيم): التاريخ العباسي السياسي والحضاري، بيروت، الشركة العالمية للكتاب،١٩٨٩م.

بيوض (حسين):

٥.   الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، دمشق، وزارة الثقافة،١٩٩٦م.

بيطار (أمينة):

٦.   موقف القبائل العربية في بلاد الشام والعراق من الدولة الفاطمية ،دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٦م.

٧.   تاريخ العصر العباسي، دمشق،مطبعة المدينة،١٩٩٧م.

الترمانيني (عبد السلام):

٨.   أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، (يشتمل على أحداث التاريخ الإسلامي مع ترجمة الأشهر الأعلام وتعريف بالمواقع والبلدان ، دار طلاس، دمشق،ط٣، ١٩٩٥م.

الخربوطلي (علية عبد السميع):

٩. الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

أبو حبيب (سعدي)

١٠. مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ، لبنان، دار لسان العرب، ١٩٧٠م.

حتي(فيليب)، جرجي (ادوار)، جبور(جبرائيل):

١١. تاريخ العرب مطول،ج٢، ط٢، ١٩٥٣م، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت.

١٢. تاريخ سورية و لبنان و فلسطين، إشراف: جبرائيل جبور ، بيروت، اشتراك مؤسسة فرنكلين، ١٩٥٩م.

حسن(إبراهيم حسن)

١٣. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافة والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ط١٥، ٢٠٠١.

حسن (علي):

١٤. التاريخ الإسلامي العام، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٣م.

حلاق (حسان):

١٥. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بيروت، دار النهضة العربية،١٩٨٩م.

حمادة (محمد ماهر):

١٦. الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول(دراسة ونصوص)، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٩م.

الحميدي (عبد العزيز بن عبد الله)

١٧. التاريخ الاسلامي مواقف وعبر (الأمويون، العباسيون، العثمانيون، والدويلات المستقلة): جدة، دار الدعوة، د.ت.

الخازن (وليم):

١٨. الحضارة العباسية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٤م.

الخضري (محمد بك):

١٩. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية(الدولة العباسية)،مصر، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط٣، ١٣٤٩هـ ..

أبو خليل (شوقي):

٢٠. هارون الرشيد (أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا)، دمشق، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م.

الدبس (يوسف):

٢١. تاريخ سورية الديني والدنيوي في أيام الخلفاء إلى نهاية القرن الحادي عشر، مراجعة، مارون رغد، إشراف، نظير عبود، دار نظير،د.ت.

الدوري (عبد العزيز):

٢٢. دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان، تعهدت طبعه ونشره شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة، بغداد، ١٩٤٥م.

دياب (صابر محمد):

٢٣. المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينا والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، القاهرة، مكتبة السلام العالمية، ١٩٨٤م.

ربيع(حسنين محمد):

٢٤. درسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.

رستم (أسد):

٢٥. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم و ثقافتهم وصلاتهم بالعرب، لبنان، دار الكشوف ، ١٩٥٥م.

٢٦. رفاعي (أحمد فريد): عصر المأمون ،القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٨م.

الرفاعي (أنور):

٢٧. تاريخ العرب و الإسلام منذ العصور القديمة حتى العهد العثماني، دمشق، دار الفكر، ١٩٧١.

٢٨. الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، دمشق،دار الفكر، ١٩٧٣م.

رفعت (محمد)، حسونة (محمد أحمد):

٢٩. معالم تاريخ العصور الوسطى، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٥.

الزحيلي (وهبة):

٣٠. أثار الحرب في الفقه الإسلامي،القاهرة،د.ت.

الزركلي (خير الدين):

٣١. الأعلام ، بيروت، دار العلم،ط٤، ١٩٧٩م.

زكار (سهيل):

٣٢. التاريخ العباسي والأندلسي السياسي والحضاري، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨١-١٩٨٢م.

٣٣. تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل الإسلام وحتى القرن السابع للهجرة)، دمشق، مطبعة خالد بن الوليد، ١٩٨١م.

٣٤. مائة أوائل من تراثنا ، دمشق، دار إحسان، ط٢، ١٩٨٢م.

زيدان (جرجي):

٣٥. تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها:د حسين مؤنس ، القاهرة، دار الهلال، ١٩٥٨م.

سالم (عبد العزيز):

٣٦. دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول) ، الاسكندرية، ١٩٧٧م

سحيبي (عصام):

٣٧. العباسيون في سنوات التأسيس، بيروت، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ١٩٩٨م

السرنجاوي (عبد الفتاح) :

٣٨. النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية ، القاهرة، دار الكتب الأهلية، ط٤، ١٩٤٥م

سلطان(محمد سامي محمد خير):

٣٩. معاملة الأسرى في الحروب الصليبية(٤٩٠- ٦٩٠هـ ./ ١٠٩٧- ١٢٩١م)، بيروت، ٢٠١٠م.

السيد (أديب):

٤٠. أرمينيا في التاريخ العربي، حلب، المطبعة الحديثة ، ١٩٧٢م.

شريف (محمد بديع):

٤١. الصراع بين الموالي و العرب وهو بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة الشرقية، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤.

الشريقي (إبراهيم):

٤٢. التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً منذ العهد النبوي حتى العصر الحاضر، القاهرة، ط٢، ١٩٧١.

شعبان (محمد عبد الحي محمد):

٤٣. صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠م/١٣٢هـ ، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

شميرة (محمد عبد الهادي):

٤٤. من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة (دراسات في الآثار الإسلامية)، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٩م.

شلبي (أحمد):

٤٥. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الخلافة العباسية)،القاهرة، مكتبة النهضة، ط٨، ١٩٨٥م.

الشيخ (محمد مرسي):

٤٦. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.

صباغ (ليلى):

٤٧. منهجية البحث التاريخي ، دمشق، منشورات جامعة دمشق،١٩٩٣م.

ضيف (شوقي):

٤٨. العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٦٦م.

عاقل (نبيه):

٤٩. الإمبراطورية البيزنطية، دمشق، ١٩٦٩م.

عامر(عبد اللطيف):

٥٠. أحكام الأسرى و السبايا في الحروب الإسلامية، بيروت، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٦م.

العبادي (أحمد مختار) :

٥١. في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م.

العبادي (أحمد مختار)، سالم (السيد عبد العزيز):

٥٢. تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، دار النهضة ،بيروت،١٩٨١م.

عبد الحميد (رأفت):

٥٣. (امبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، القاهرة، دار قباء للنشر والطباعة، ٢٠٠٠م

العبد الغني(عبد الرحمن محمد):

٥٤. أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، ٦٥٣- ١٠٦٤م /٣٣-٤٥٧هـ ، الكويت، سلسلة الرسائل الجامعية، ١٩٨٩م.

عبد الله (وديع فتحي):

٥٥. العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، (٧٤١- ٨٢٠م /١٢٤-٢٠٥هـ)، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٠م.

٥٦. عثمان (فتحي):

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة، دار الكتاب العربي ، د.ت.

العريني (السيد الباز):

٥٧. الدولة البيزنطية، ٣٢٣-١٠٨١م، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٢م.

العش (يوسف):

٥٨. تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م.

عمران (محمود سعيد):

٥٩. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية(مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

العزيز (حسين قاسم العزيز):

٦٠. البابكية (انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية، بغداد، مكتبة النهضة، بيروت، دار الفارابي،١٩٦٦م.

عواد (محمد حسين):

٦١. محرر الرقيق سليمان بن عبد الملك ، القاهرة، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٦م.

فاروق (عمر):

٦٢. العباسيون الأوائل،(٩٧-١٧٠هـ /٧١٦-٧٨٦م)، بيروت، دار الإرشاد، ج١،١٩٧٠، ج٢، ١٩٧٣م.

غنيم (اسمت):

٦٣. الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، الإسكندرية، دار المعارف ،د.ت.

فرج (وسام عبد العزيز) يوسف(جوزيف نسيم) :

٦٤. العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

فرح (نعيم):

٦٥. تاريخ بيزنطة، منذ القرن الرابع حتّى القرن الثامن للميلاد، دمشق، مطبعة طربين ، ١٩٧٧- ١٩٧٨م.

فرحات(عبد الكريم):

٦٦. أسرى الحرب عبر التاريخ، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩م.

فروخ (عمر):

٦٧. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٩م.

الفياض (عبد الله):

٦٨. تاريخ البرامكة، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٨م.

كرد علي (محمد):

٦٩. الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة،مطبعة مصر، ١٩٣٤م.

٧٠. خطط الشام، دمشق، المطبعة الحديثة، ١٩٢٥م.

الكردي (إبراهيم سليمان):

٧١. نظم الوزارة في العصر العباسي، مصر، ١٩٨٩م.

كحالة (عمر رضا):

٧٢. معجم قبائل العرب والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

٧٣. دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، دمشق، المطبعة التعاونية،١٩٧٣م.

٧٤. ماجد (عبد المنعم): العصر العباسي الأول (القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤م.

٧٥. المحاسني (زكي):

٧٦. شعر الحرب في أدب العرب (في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة)، مصر، دار المعارف،ط٢، ١٩٧٠م.

مجموعة من الباحثين:

٧٧. الرقة درة الفرات، تقديم : محمد نجيب السيد أحمد، مراجعة: د. سهيل الزكار، الرقة، ١٩٩٢م.

المدور(جميل نخلة):

٧٨. تاريخ العراق في عصر العباسيين (المسمى حضارة الإسلام في دار الإسلام)،القاهرة، دار المعرفة، ٢٠٠٣م.

مصطفى(شاكر):

٧٩. التاريخ العباسي، دمشق، مطبعة الجامعة السورية ، ١٩٥٧م.

مطران(خليل):

٨٠. مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، بيروت، دار مارون عبود، مؤسسة خليفة للطباعة

المعاضيدي (خاشع):

٨١. دولة بني عقيل في الموصل من ٣٨٠- ٤٨٩هـ ، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٨م.

ماع (هاشم صالح):

٨٢. روائع من الأدب العربي(العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، بيروت،دار الوسام، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩١م.

أبو النصر(عمر):

٨٣. هارون الرشيد، بيروت، المكتبة الأهلية، ١٩٣٤.

هدارة (محمد مصطفى):

٨٤. المأمون الخليفة العالم،مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

هندي(إحسان):

٨٥. الجيش العربي في عصر الفتوحات، دمشق، ١٩٧٣م.

الوكيل (محمد السيد):

٨٦. العصر الذهبي للدولة العباسية ، دمشق،دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٩٩٨م.

اليوسف (عبد القادر أحمد):

٨٧. العصور الوسطى الأوربية (٤٧٦- ١٥٠٠)، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧م.

المراجع السريانية و الأرمنية المعربة:

جيماشيان (مانويل):

١. علاقات الكنيسة بالدولة الأرمينية في حقبة الهيمنة العربية(من الاحتجاج العربي الأول حتى الفترة العباسية المبكرة)،ترجمة:الدكتور ألكسندر الخشيشان، حلب، مطبعة مطرانية الأرمن الأرثوذكس ،ط٢، ٢٠٠٥م.

خاتشاتريان (الكسندر):

٢. ديوان النقوش العربية في أرمينيا (دراسة تاريخية لغوية باليوغرافية)، ترجمة، شوكت يوسف، دمشق، دار سلام للترجمة والنشر، ١٩٩٣م.

دير غويجونتيان(آرام) :

٣. الإمارات العربية في أرمينيا البقرادونية، ترجمة: ألكسندر كشيشان، حلب، ٢٠٠٣م.

ليعساكا (بيا بيعو):

٤. ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة: خلف الجراد، دار الحصاد للنشر، دمشق، ١٩٩٠م.

مجموعة من الباحثين:

٥. ضرب النقود العربية في أرمينيا وتداولها داخل وخارج الإمبراطورية العربية، ترجمة، الكسندر كشيشان،حلب،الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية، ١٩٩٧م.

المراجع المعربة:

أومان:

١. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة، مصطفى طه بدر، مصر، مطبعة الاعتماد،د.ت.

بروكلمان (كارل):

٢. تاريخ الشعوب الإسلامية العرب والإمبراطورية العربية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي،بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٩م.

بيتر (نورمان):

٣. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ١٩٥٠م.

ترتون (أ.س):

٤. أهل الذمة في الإسلام، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٩م.

جب (هاملتون):

٥. دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد، بيروت، دار العلم للملايين، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ،نيويورك، ١٩٦٤م.

جلوب(جون):

٦. إمبراطورية العرب، تر: خيري حماد، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

دلوب (د.م):

٧. تاريخ يهود الخزر، ترجمة: د. سهيل الزكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م.

دوسن (كريستوفر):

٨. تكوين أوروبا ، ترجمة، محمد مصطفى زيادة ، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مؤسسة سجل العرب،١٩٦٧م.

رنسيمان (ستيفن):

٩. الحضارة البيزنطية، ترجمة ،عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٢م.

زامباور:

١٠. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، مصر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

س.أ.ن:

١١. الإدارة العربية ، ترجمة: إبراهيم أحمد عدوي، القاهرة، ١٩٥٨م.

سيديو(ل.أ):

١٢. تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم و مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية، ترجمة: عادل زعيتر ، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط٢، ١٩٦٩م.

ساليفان(ريتشارد):

١٣. ورثة الإمبراطورية الرومانية (العرب الجرماني ، العالم الإسلامي ، الدولة البيزنطية)، ترجمة ، حوريف نسيم يوسف،الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،١٩٨٥م.

شبيه (جان كلود) :

١٤. تاريخ بيزنطة، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتب الجديد المتحدة، لبنان، ٢٠٠٨م .

علي (سيد أمير):

١٥. مختصر تاريخ العرب ترجمة، عفيف البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين،١٩٦١م.

فاريليف:

١٦. العرب والروم، ترجمة، محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة، فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي،د.ت.

فييه (جان موريس):

١٧. أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ترجمة، حسني زينه، بيروت، دار المشرق،١٩٩٠م.

كاهن (كلود):

١٨.	تاريخ العرب والشعوب والإسلامية، منذ ظهور الإسلام حتّى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

كيجي (والتر):

١٩.	بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة ، ترجمة ، نقولا زيادة، سورية، دار قدمس للطباعة و النشر و التوزيع)،ط ٢، ٢٠٠٣م.

لانجر(وليام):

٢٠.	موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٥٩م.

٢١.

لسترنج(غي):

٢٢.	بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والجزيرة و إيران و أقاليم آسية الوسطى منذ الفتح حتى أيام تيمور، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤م.

٢٣.	بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد، المطبعة العربية: ١٩٣٦.

لوبون (غوستاف):

٢٤.	حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م.

لومبارد (موريس):

٢٥. الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدي، دمشق، دار الفكر ، ١٩٧٩م.

أندريه ميكيل :

٢٦. جغرافية دار الإسلام البشرية، حتى منتصف القرن الحادي عشر، الجغرافية العربية وتصورها العالم الأرض وممالك الأغراب ، ترجمة: إبراهيم خوري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٥م.

هارتمان (ل.م)، باراكلاف:

٢٧. الدولة الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة وتعليق: جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.

هونكه (زيغريد):

٢٨. شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربا)، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه: مارون عيسى الخوري ، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط٣، ١٩٧٩م.

للموسوعات والدوريات المستخدمة

أحمد (علي) :

١. أعمال الرباط والمثاغرة في التاريخ العربي الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية،العدد:٧٣-٧٤، دمشق، جامعة دمشق، ٢٠٠١م.

برو بينليسي (سوزان) :

٢. الموسوعة العربية ، المجلد الخامس، الجمهورية العربية السورية، منشورات الموسوعة العربية، ٢٠٠٢م.

البشير(هاني عبد الهادي):

٣. البيالصة في آسيا الصغرى،(مجلة المؤرخ المصري)،العدد٢٤، القاهرة، منشورات كلية الآداب،د.ت.

جوتاس (ديمتري):

٤. الفكر اليوناني والثقافة العربية، تأليف: ، ترجمة: د.نقولا زيادة، عرض: عادل زيتون، مجلة العربي، العدد ٥٤٩، الكويت، وزارة الإعلام، ٢٠٠٤م.

العبد الغني(عبد الرحمن محمد)

٥. الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية، حوليات كلية الآداب، الحولية (١١)، الرسالة الحادية والسبعون، جامعة الكويت،١٩٩٠، الكويت تصدر عن مجلس النشر العلمي

مجموعة من المؤلفين :

٦. دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها بالعربية، أحمد الشنتناوي،إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، حافظ جلال)، القاهرة، وزارة المعارف، د.ت.

مجموعة من المؤلفين :

٧. الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢،١٩٩٩م.

٨. المورد: مجلة تراثية فصلية ، مج١٢، العدد الرابع، ١٩٨٣.

****

****

*****

المصادر والمراجع والمقالات الأجنبية:

١. Brookes.E.W,Arabic lists of the Byzantine Themes, Journal of Hellenic Studies,1902.

٢. Bury .B.J,Ahistory of the Eastern Roman Empire,London,1912.

٣. Canard.M,Histoire de la Pynastie des Hamadanides de Jazira at de Syrie,Paris,1953.

٤. Ditions. E,Travaux Et Memoirers,Paris,1970.

٥. Finlay.G,Byzantine Empire,Oxford,1877.

٦. Ghevond,Histoire des guerres et des conquetes des Arabes en Armenie ,paris,1856.

٧. Hild,Das Bysantinis che strassenystem in Kappadokien,Win,1977

٨. Laurent, ,Armenie enter Byzance et Islam depuis la Conuete Arabe jusqu en 886,Paris, 1919.

٩. Lorenzo Padilla, ElRibat, institucion espiritualy militar, 2008.

١٠. Martinez Salvador Carmen, Elribat En Elmediterraneo occidenta Al-Andlus . Dos, Ejemplos DeReligio Sidad, 1993.

١١. Mavrogrdato John, Digenes Akrits, Oxford,1963.

١٢. Rekaya,Theophobe,Mise au Point sur Theophobe, 1974

١٣. Toumanoff,Armenie and Georgia,Cambridge Medieval History,1966.